تعلمت من يوسف عليه السلام

تفريغات المحاضرات

من ١ إلى ١٤

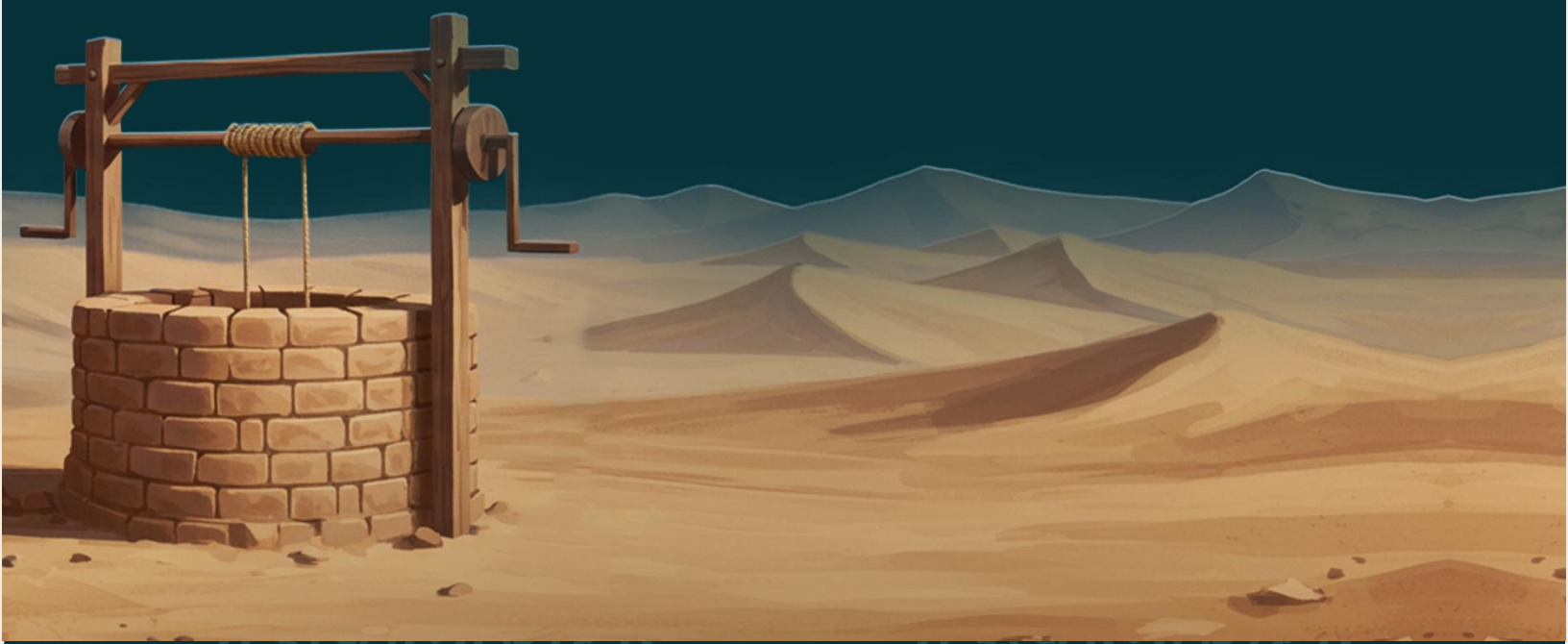

المحاضرة الأولى
سر قصة يوسف عليه السلام

بسم الله والحمد لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء الأول من السلسلة الجديدة، وسلسلة التدبر الجديدة، والدورة الجديدة، وهي سلسلة "تعلمت من يوسف عليه السلام" أو "تدبر سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"

فنسأل الله أن يفتح علينا بخير، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يعيننا على عبء تدبر هذه السورة.

الحقيقة، هذا كلام ليس مبالغة، فهو عبء شديد، عبء كبير فعلًا. ونحن داخلون على هذه السورة، وهي ليست كأي سورة، فقد وصفها ربنا بأنها "أحسن القصص" فالموضوع احتاج منا مجهودًا كبيرًا، فنسأل الله التوفيق والتيسير والسداد. اللهم آمين، اللهم آمين.

كالعادة، نبدأ أي سورة أولًا بالاستفتاح بالقراءة، لنأخذ بركة قراءة القرآن، ثم ننتقل إلى معالم السورة وجمالياتها.

سورة يوسف عليه السلام ، هذا هو اللقاء الأول. نبدأ أولًا بالقراءة، ونستعين بالله سبحانه وتعالى، ثم نبدأ بالفوائد التدبرية.

سنقرأ بإذن الله سبحانه وتعالى، وأعتقد أننا اليوم سنأخذ من الآية (١) إلى الآية (٦) ، ست آيات فقط سنعيش معها في اللقاء الأول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

سورة يوسف عليه السلام ، الإنسان حين يتقدم بين يدي هذه السورة، فإنه يتقدم بكل رهبة، فهي تستحق ذلك فعلًا.

سورة يوسف عليه السلام ، أولًا: هي سورة مكية بلا خلاف، نزلت على النبي ﷺ – والله تعالى أعلم – في أصعب فترة في العهد المكي كله، وهي الفترة التي كانت بين موت خديجة وموت أبي طالب، وبين بيعة العقبة الأولى.

وهي الفترة التي شهدت عام الحزن، حيث مرت على النبي ﷺ ابتلاءات شديدة جدًّا. زادت هذه الابتلاءات بشكل كبير.

قبل هذه الفترة بوقت قصير، كان النبي ﷺ قد مرَّ بتجربة شِعب أبي طالب، حيث هجره إخوته، وهجره أعمامه، وهجره أقاربه من قريش.

وكأنما نزلت سورة يوسف عليه السلام لتقول له: "لو كان إخوانك من قريش قد فعلوا بك ذلك وأدخلوك في شِعب أبي طالب، فإن إخوة يوسف قد فعلوا به كذا وكذا."

فكانت سورة يوسف تسليةً لقلب النبي ﷺ ، وكأنها تقول له: "نهاية يوسف عليه السلام كانت التمكين، وإخوته في النهاية تابوا وأنصلح حالهم"

وكأنها أيضًا بشارة للنبي ﷺ ، بأن نهاية هذا الابتلاء ستكون التمكين في النهاية.

" فالمرء لا يُمَكَّن حتى يُبْتَلَى "

ونهاية الألم سعة وسرور وفرج من الله سبحانه وتعالى.

وبشارة أيضًا بأن كما تاب إخوة يوسف، فإن الله سبحانه وتعالى قد يبشره بأن الذين فعلوا به ذلك في شِعب أبي طالب إن شاء الله سيتوبون وينصلح حالهم.

وهذا بالفعل ما حدث بعد فتح مكة.

وهكذا، كان هذا مجرد تعرفٍ على هذه السورة الجميلة.

سورة يوسف عليه السلام يُقال – ورد في الآثار – أن سبب نزولها هو أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم قالوا للنبي ﷺ ، إنهم يريدون شيئًا من القصص.

فقالوا: "يا رسول الله، هلا قصصت علينا؟" أي: لو هناك مواعظ داخل قصص .

وهذا يدل على أهمية القصص في الوعظ. فالصحابة أنفسهم، رضي الله عنهم وأرضاهم، طلبوا من النبي ﷺ أن يُكثر من القصص، لقوة أثر القصة على القلب والنفس .

قال الصحابة: "يا رسول الله، هلا قصصت علينا؟"

فنزل قوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾

ونزلت سورة يوسف عليه السلام تسليةً لقلوب الصحابة وللنبي ﷺ ، وللأثر الهائل للقصة على النفس، وقوة الوعظ بها، حيث تقدم نموذجًا عمليًا مباشرًا، وليس مجرد تنظير.

سبحان الله! لهذا سُمِّيَت "سورة يوسف عليه السلام" بـ "سلوى كل محزون."

فلا أحد يمر بحزن أو ضيق أو همّ – مهما كان – إلا وسيجد في هذه السورة طمأنينة وسكينة، بل وإجابات لكثير من الأسئلة التي تدور في ذهنه.

وربما لا أريد ضرب أمثلة الآن حتى لا نستعجل، ولكن عندما تنتهون معي من تدبر السورة بإذن الله، ستجدون أنها قد أجابت عن كل سؤال حائر في عقل كل واحد منكم.

فلنستفتح الآن بالدعاء:

"يا رب، أعنا ووفقنا لتدبر هذه السورة الجميلة الكريمة."

تفسير الحروف المقطعة في بداية السورة :

السورة بدأت بالحروف المقطعة: ﴿الر﴾

وهناك كلام كثير في تفسير الحروف المقطعة، ولكن أشهر قولين فيها هما:

القول الأول:

هو قول ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه، حيث كان يرى أن كل حرف منها يدل على كلمة.

فقال: "ألف لام راء" تعني "أنا الله أرى"، و "ألف لام ميم" تعني "أنا الله أعلم".
وكان يرى أن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى.

ولكن كثيرًا من الصحابة - مثل أبي بكر وعمر وغيرهما - كانوا يتوقفون عند هذه الحروف، أي أنهم لم يجزموا بمعناها.

القول الثاني:

وهو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال:

"هذه الحروف لم تأتِ لمعنى في ذاتها، ولكنها جاءت لحكمة عظيمة."

ما هي هذه الحكمة العظيمة؟

تصوَّر معي، القرآن نزل على من؟

نزل على العرب (طبعا هو نزل للعالمين ولكن أول نزوله نزل على العرب) ، وهم أفصح أمة وأقوى جيل في التاريخ في اللغة العربية.

فقد كانت اللغة هي صنعتهم الأساسية، وكانت تُقام لها الأسواق، وتُقام الحروب أحيانًا بسبب بيت من الشعر، وكان للكلام أثرٌ عظيم بينهم. وكانوا قد بلغوا المنتهي في القوة في اللغة.

الحكمة الأولى: لفت انتباه العرب إلى القرآن :

القاعدة تقول:

"أن صاحب الصنعة تلفته الصنعة"

بمعنى: لو أن شخصًا متخصصًا في السيارات جلس في مكان فيه أناس يتحدثون عن الخضروات أو الذهب، فلن يهتم بما يقولون ، لكن إن سمع اثنين يتحدثان عن السيارات، فإنه سينتبه فورًا وسيبدأ بالتركيز معهم.

نفس الأمر بالنسبة لشخص متخصص في مستحضرات التجميل، فهو لن يهتم بحديث عن الطبخ أو الأطفال، لكنه سيلتفت فورًا إن سمع أحدهم يتحدث عن الميك أب وماركاته.

حتى إن دخلنا أي مكان، فسنجد أن بائع النجف ينظر إلى النجف، وبائع السيراميك ينظر إلى الأرضيات، وبائع الأثاث ينظر إلى الأنتريهات.

فالإنسان دائمًا ينجذب لما يتقنه ويفهمه.

» ضع نفسك الآن مكان رجل عربي فصيح، صنعته اللغة، وفجأة يسمع: "ألف واللام و الراء" ، ماذا سيفعل؟ سوف يلتفت فورًا! وسوف يتساءل: "ما هذا؟! هذه جديدة! ماذا تعني ألف لام راء؟ ماذا تعني كاف ها ياء عين صاد؟!" وسيجذبه الفضول ليسمع بقية الآيات.

إذًا، كان الهدف من هذه الحروف هو لفت انتباه العرب لسماع القرآن.

الحكمة الثانية: التحدي والإعجاز :

بعد أن لفتت الحروف المقطعة انتباه العرب، جاءت الحكمة الثانية من ذكرها، وهي التحدي!

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لهم: "الكلام الذي ستسمعونه الآن، والذي لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله، ليس مؤلفًا من حروف غريبة عنكم، بل هو من نفس الحروف التي تتحدثون بها يوميًا."

فالقرآن لم يأتِ بألفاظ غريبة، بل جاء بنفس الألف، واللام، والراء، والطاء، والسين، والميم، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والصاد...

ومع ذلك، لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله، رغم أن هذه الحروف هي نفس حروفكم

وهي الحروف التي تصنعون منها الكلام.

طيب، هذا كلام رب العالمين. لو جئتم بمثله، فليس كلام رب العالمين، وهذا تحدٍّ رهيب بالنسبة لرجل عربي يستفزه جدًا. هل تعرف ما يشبه ذلك؟

يشبه تمامًا عندما تريد أن تستفز شخصًا وتعجزه، فتفعل ماذا؟ تريد أن تثبت له أنه لا يستطيع أن يفعل ما تفعله، فتقوم بماذا؟

ترمي له الأدوات أمامه وتقول له: "خذ كل الأدوات، خذ أدواتي أيضًا، يلا، هذه الأدوات أمامك، أرني مهارتك، أرني هل ستتمكن من صنع شيء مشابه؟"

فإن تمكنت من الإتيان بمثله، فهذا لك، وإن لم تستطع، فاعترف بعجزك. ولله المثل الأعلى.

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لهم: "هذه هي الحروف، خذوا الألف، اللام، الراء، التاء، السين، الميم، الكاف، الهاء، الياء، العين، الصاد... كلها حروفكم، لم آتِ بحروف جديدة."

لكن في النهاية، بعد هذه الحروف، ستسمعون كلامًا لن تستطيعوا أبدًا أن تأتوا بمثله، ولن تتمكنوا من الإتيان بحديث مثله، ولن تستطيعوا أن تأتوا بعشر سور مثله. فإن لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فاعلموا أنكم عاجزون.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾

التحدي قائم إلى يوم القيامة.

أي رجل عربي يستطيع أن يأتي بمثل هذا النص، فحينها نحن كاذبون. لكن الحقيقة أن الجيل الأول، الذي كان أمهر جيل في اللغة، وقف عاجزًا أمامه.

فمن باب أولى أن يكون من بعدهم أعجز عن المحاولة.

كانوا يعترفون بينهم أنهم لا يستطيعون ان يكتبوا مثله، وكان قائلهم يقول:

"إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه."

الحروف المقطعة كانت تحسم موضوعًا كبيرًا جدًا، وهو أن هذا الكلام كلام الله.

تصوّر أن هذه الحروف وحدها أنهت النقاش تمامًا!

بمجرد أن تُتلى، من المفترض أن يقرّ العربي بأنها كلام رب العالمين، وتنتهي الحجة عليه.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾

هم كانوا يفهمون الآيات، فربنا يخبرهم بأن هذه الآية وحدها كافية، ولكنهم لم يتجاوزوها، فكيف يطلبون آية أخرى وهم لم يتجاوزوا هذه بعد؟

إذًا، القول الثاني في الحروف المقطعة:

يرى أنها ذُكرت للفت انتباه الرجل العربي واستفزازه لسماع القرآن، وأيضًا لتحدّيه واستفزازه، حتى يوقن أنه عاجز عن الإتيان بمثله، فيكون ذلك سببًا في إسلامه.

حتى العرب أنفسهم كانوا من شدة إعجابهم باللغة، يختبئون ليلًا ليسمعوا النبي ﷺ وهو يصلي، ثم يلتقون في الصباح ويعاتبون بعضهم قائلين: "ما الذي جاء بك هنا؟"

فيرد الآخر: "لم أستطع منع نفسي، جئت لأستمع إلى هذا الكلام العربي الجميل."

فيقولون له: "إياك أن تأتي مجددًا."

لكنهم في اليوم التالي يعودون، وفي اليوم الثالث يعودون أيضًا، في مشهد عجيب جدًا.

الحروف المقطعة تتكرر كثيرًا في السور المكية، وعادةً ما يأتي بعدها مباشرة ذكر القرآن، وكأنها تؤكد أن هذا الكتاب منزل من عند الله العزيز الحكيم.

مثال:

﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

﴿طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

دائمًا تجد هذا الترابط، لأن هذه الحروف تثبت للإنسان أن القرآن من عند الله.

ثم قال تعالى:

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

لماذا قال "تلك" وليس "هذه"؟

في اللغة، "تلك" تُستخدم للإشارة إلى البعيد، وكأن الله يبين لنا أن القرآن في مقام عالي أوي لا يمكن الوصول إليه "كتاب عزيز"

القرآن في مكانة عالية، لا تستطيع أن تصل إليه أو تأتي بمثله. كل آية فيه دالة على وحدانية الله، وكل آية تفحم العقل وتدل على الرب الواحد اللطيف الخبير.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي أنه كتاب واضح، ليس فيه غموض أو ألغاز، بل يوضح العقائد، والأخلاق، والمعاملات، والعبادات، ويبين ماذا يريد الله من العبد، ويخبرنا بأحوال الآخرة، وما يحدث بعد الموت، وكل شيء فيه واضح لا التباس فيه.

عشان كده، كلمة ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ دي استدل بها أهل السنة على أن الأصل في الكتاب أن تجري الألفاظ على ظاهرها. ودي قاعدة عظيمة يستدلون بها في باب أسماء الله وصفاته. لما ربنا يقول عن نفسه إن له يد أو له يدان وله وجه أو له كذا وكذا من الصفات، فربنا قال إن الكتاب كتاب مبين. و ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ لا يكون مبينًا إذا كان هناك غموض في الألفاظ دائمًا. فالأصل أن الألفاظ تجري على معناها الظاهر، لأن ده من البيان. ليه ربنا يحدثنا بالألغاز؟ فيقول "يد" ولا يقصد اليد، ويقول "عين" ولا يقصد العين، ويقول "وجه" ولا يقصد الوجه، ونقعد إحنا كل حاجة نقولها ونقول: "ليس مراد ظاهرها، ليس مراد ظاهرها، ليس مراد ظاهرها" بدون دليل!

فكيف يكون القرآن كتابًا مبينًا إذا كانت كل الصفات غير مرادة على ظاهرها؟ فلا يحب، ولا يغضب، ولا يضحك، ولا ينزل، ولا يأتي، وليس له يد، وليس له وجه! إذًا، الله يكلمنا بالألغاز؟ وهذا يتنافى مع كونه كتابًا مبينًا، والكتاب المبين معناه أن الرجل العربي لما يسمع الكلمة يفهمها على طول، مش محتاج تفسير.

الراجل العربي يسمع "وجاء ربك"، هيفهم إيه؟ جاء ربك. لما يسمع مثلًا "بل يداه مبسوطتان"، هيفهم إيه المعنى الظاهر؟ يداه.

إذا كان الموضوع كله كنايات وألغاز، لم يكن كتابًا مبينًا. فالأصل إجراء الألفاظ على معناها الظاهر، إلا أن يأتي دليل يدل على أن المعنى الظاهر غير مراد. وطالما ما فيش دليل، يبقى الأصل أني أتعامل بالمعنى الظاهر.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ ، ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾! خد بقى حتة في العقيدة، عايزين نطلع من السورة دي بكل حاجة، كل أحلامك نحققها في السورة الجميلة دي.

إنا أنزلناه قرآنا عربيًا... يا سلام! قرآنا عربيًا، طب ليه ربنا بيقول لك "إنا" مش "أنا"؟

ربنا أحيانًا يعبر عن نفسه بالجمع، أو يعبر عن نفسه بالإفراد، ولا يوجد تعارض. لما ربنا يعبر عن نفسه بالإفراد، يريد بيان التوحيد، ولما يعبر عن نفسه بالجمع، يريد بيان العظمة، لأنه تعبير الفرد بالمجموع هو من التعظيم. زي ما أقول لك: السلام عليكم، "عليكم" ده نوع من التقدير. لما أقول لك: "سعادتكم" مش "سعادتك"، لما أقول لك: "قررنا نحن علاء حامد"، أنا عايز إيه؟ أفخّم نفسي شوية. فربنا بيتكلم عن نفسه أحيانًا بالإفراد، زي ما قال لسيدنا موسى في مقام التوحيد:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾

ولكن لو اتكلم عن نفسه بالجمع، يقول:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

هل هو بيتكلم جمع؟ اللي هو أكثر من واحد؟ لا، ولكن الواحد يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع لبيان القدر والتعظيم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾

﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ دليل لأهل السنة على فوقية الله، وأن الله تعالى في العلو، وأنه في ذاته، ذات العلا، فوق عرشه، فوق سماواته، وأنه في العلو سبحانه وتعالى، تمام؟ خلافًا لأهل البدعة. ولو لم يكن في العلو، لما قال ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ ، فإنزال الكتاب دلّ على فوقية الله على خلقه، وأنه في العلو سبحانه وتعالى.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

الأدلة كتير بقى:

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾

الموضوع له أدلة كثيرة عند أهل السنة على فوقية الله.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ **! إذًا، القرآن هو دعوة لإعمال العقل، دعوة لتقدير العقل، دعوة لاستعمال العقل في موضعه الصحيح، لأن القرآن في الحقيقة مليء بالأدلة العقلية:**

- **الأدلة العقلية على التوحيد.**
- **الأدلة العقلية على البعث.**
- **الأدلة العقلية على الرسالة.**

زي ما شوفنا: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ **ده دليل عقلي على القرآن، تمام؟ ودليل على الرسالة:**

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

صح؟ دليل البعث؟ مثلًا:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾

تمام؟ فدليل التوحيد العقلي:

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

دعوة لاستعمال العقل في التأمل، في النظر، في التدبر، في التفكر. لكن للأسف، البعض استعمل العقل عكس المطلوب منه! يُعمل العقل في الحكم على النصوص، يقول لك: "النص ده مش جاي معي"، يبقى نؤوله، يبقى ننكره، يبقى نضعفه! لا، ده مش دور العقل.

الأول، بنشوف: لو القرآن، خلاص هو قرآن، حد بيدور وراه؟! لو سنة، بنشغل العقل في معرفة الصحيح والضعيف، بعد ما عرفنا إن ده حديث مقبول، يبقى على طول، ما فيش غير أني أقبله، أقبل الحكم، أقبل العقيدة وأصدقها، وأعمل بالحكم. إنما بعد كده أقول: "أدخل عقلي"؟!

لا، أصل دي مش مقنعة، طب نأولها؟ نبدلها؟ فنغيرها؟ إحنا كده أهنّا العقل! العقل أصلاً المفروض يوصلني إلى أن ربنا على كل شيء قدير، ما فيش حاجة اسمها تقولي في حاجة في العقيدة مش موافقة للعقل، أنا مش بقيس على قدرتي، أنا بقيس على قدرة الله، والله على كل شيء قدير. والعقل بيقول إن ربنا حكيم، فمش هدخل عقلي في الأحكام وأقول: "هو عاجبني ومش عاجبني"، ده جاي من عند الحكيم، أنت فاهم أو مش فاهم دي مشكلتك الشخصية!

العقل مش مكانه إنه يحكم على الأحكام بعد ثبوتها، أو يقبل العقائد أو يرفضها بعد ثبوتها! لكن دعوة للعقل في إثبات النص، اللي هو نص ثابت، ثم التفكر في النص، والتأمل فيه، والتأثر به، والعمل، واستنباط الأحكام.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

ثم قال تعالى: "نحن" نرجع تاني لـ "نحن" للتعظيم:

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ خلينا نتكلم على مستويين:

القصص عمومًا: عموم القرآن، وقصص القرآن هي أحسن القصص.

خصوصًا قصة يوسف: قصة يوسف هي أفضل قصة في القرآن بلا شك، تمام؟ وده له أسباب هنقولها دلوقتي، لكن خلينا الأول نتكلم في العموم، وبعد كده في الخصوص.

لماذا قصص القرآن هي أحسن القصص؟

وأنها أفضل من أي قصص تانية، سواء قصص أهل الكتاب المحرفة طبعًا، أو قصص البشر، أو أي قصص خلاف القصص اللي جاية مع الوحي.

تعال نقارن ما بينهم في كذا حاجة:

١ـ الاختصار وعدم الاستطراد :

قصص القرآن يتميز بالاختصار وعدم الاستطراد في التفاصيل التي ليس لها فائدة، أما قصص البشر، فبيحصل فيها استطراد رهيب! ممكن تلاقي مثلًا قصة في القرآن

سطرين، لو اتحولت لقصة مكتوبة أو مسلسل، بتقعد عشر حلقات! السطرين دول يتوسعوا في كلام وأخذ ورد واستطرادات.

تلاقي القرآن يعرض عن كل التفاصيل التي لا تفيد في الغاية اللي عايزينها، لأن الغاية مختلفة.

قصص الناس اللي يكتبوا قصص، عايزين يعملوا حبكة درامية، ويشدوا الناس، ويعملوا جذب ومشاهدات، حتى لو حطوا تفاصيل مالهاش لازمة. أما القرآن، فالقصة مختصرة جدًا، سطرين تلاتة، نقعد نتكلم فيهم أيام وليالي من عظم الكلام اللي فيها، يبقي الإعراض عن التفاصيل التي ليس لها فائدة، والتركيز على المحتوى والخلاصة والدافع الذي يخدم القضية اللي هنتكلم فيها.

٢- الصدق :

الفرق في الصدق بين قصص الله والنبي ﷺ أنها حق لا ريب فيه، أما قصص الناس، فمعظمها مليء بالأكاذيب. ممكن أصل القصة يكون كذب من البداية، وأحيانًا يكون أصل القصة صحيح، لكن يتم ملؤها بتفاصيل لم تحصل، فقط لأجل الحبكة الدرامية. زي ما تشوف في المسلسلات، لما يعملوا مسلسل عن صحابي أو عن سيدنا يوسف، كمية أحداث محرفة، ولا حصلت أصلًا، بس لازم يضيفوا علشان الحبكة الدرامية!

فقصص الله كله صدق، مفيهوش حرف زيادة أو شيء لم يحدث، أما قصص الناس، فمليانة بتفاصيل ليس لها فائدة.

٣- التركيز على القيم والإصلاح :

نجد أن قصص الله سبحانه وتعالى ركزت على ما ينصلح به العبد في دينه ودنياه. القصص في القرآن تركز على:

- الحقوق والواجبات
- معاني التوحيد (مثل) ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ فهو دائمًا يربطك باسم من أسماء الله الحسنى.
- بالدار الآخرة ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾
- بالأعمال الصالحة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

كل هذا يربطك بأعمال القلوب، بأسماء الله وصفاته، وبالتذكير بالدار الآخرة.

غاية القصة في النهاية توحيد الله، والدار الآخرة، وإصلاح القلوب، وفي النهاية القصة تستهدف قلبك، وتعطيك العبرة والموعظة، لأن الله قال:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾

أما القصص الأخرى، فهي حديث يفترى، وغايتها الشهوات. فنجد أغلب القصص تدور حول (الشهوات ، الجنس ، المخدرات ، القتل ، الدعارة ، المشاكل الزوجية)

وفي النهاية، أنت لا تفهم الغاية من القصة! مجرد مأساة طويلة، وفي النهاية، قد لا تجد عبرة، بل العكس! أحيانًا تجد أن القصة تجعلك تتعاطف مع الشر، أو أن الشر هو الذي ينتصر في النهاية!

طيب، قولي مسلسل شفته فزاد إيمانك؟ مستحيل!

قولي فيلم شفته زاد ارتباطك بالدار الآخرة؟

قولي أغنية سمعتها أو رواية هابطة قرأتها، فزادت محبتك لله والتوحيد؟

لا! إنما ستزداد معلومات كثيرة عن الدعارة، والجنس، والجرائم، والمشاكل الزوجية، وقبح الزواج، وحلاوة "المشي الشمال"، والطلاق الجميل!

وده اللي بتطلع به! وده بياخدنا لـ (الفرق الرابع)...

٤ ـ الفرق الرابع بين قصص القرآن وقصص الناس.

هنفترض أن قصص غير الله هتنتهي نهاية سعيدة فرضًا، مع أن ده مش بيحصل دايمًا، وهتنتهي بأن الخير انتصر على الشر، مع أن ده مش موجود دلوقتي. تمام؟ طيب، تعالَ نشوف إزاي وصلنا هنا وإزاي القرآن بيوصلنا لنفس النتيجة.

قصص الناس: أنا أقول لك على مصيبة بتحصل في قصص الناس، بس أنت ما بتأخدش بالك من ده. لو شفنا مسلسل، خلينا نقارن بين مسلسل ، لأن المسلسل قصة. اللي بيحصل إن إحنا تسعة وعشرين حلقة. تسعة وعشرين حلقة! جرائم، مخدرات، تفاصيل التفاصيل في الأكل، في الزنا، في الخيانات الزوجية، في الإفساد، في الشر، في السجون. تمام. بعد كده، آخر حلقة البطل بيخلص، آخر حلقة يضرب ويجيب حقه،

والتاني ده اتسجن، وده قتل نفسه، وبتاع، فنفرح به، واتأثرنا، والخير انتصر على الشر. حلو، طيب.

نضرب مثالًا لمسلسل واقعي حصل: مسلسل "الأسطورة" لمحمد رمضان. المسلسل انتشر انتشارًا ضخمًا جدًا، وفي الآخر فعلا الخير انتصر على الشر في آخر حلقة. طيب، الشباب بعد مسلسل محمد رمضان حصل إيه؟ حصل إنهم طلعوا بالحلاقة بتاعته، بالألفاظ اللي قالها، بالصياغة اللي حصلت في المسلسل كله، وما فيش أي حد طلع من المسلسل تاب بسبب آخر حلقة. ليه؟ أقول لك بقى ليه؟ عشان ده يبين لي روعة القرآن، لأن الإنسان يتأثر بما يتعرض له أكثر، ولو كان خطأً. فلو أنا بشوف تسعة وعشرين حلقة شر، وحلقة خير، أنا هطلع بالشر، مش هطلع بالخير.

فهمت حاجة؟ لو أنا بتفرج على تسعة وعشرين حلقة مخدرات، ودعارة، وخيانات زوجية، وبتاع، وفي الآخر الخير انتصر، فرضًا، أنا هطلع بإيه؟ هطلع بحفظي للخيانات وعايز أعملها، حفظت المخدرات وعايز أشربها، حفظت الألفاظ وعايز أقولها، ده اللي بيحصل! لازم تطلع مسلسلات بالأفيهات، والشمال، والسلاسل، والمخدرات. ما حدش طالع بالخير اللي حصل في آخر حلقة، بس!

ولكن طريقة القرآن البديعة: الإعراض عن تفاصيل الشر، والتركيز على تفاصيل الخير. تعالَ كده أقول لك مثال: سورة أو قصة موسى عليه السلام. إزاي اتعرضت؟ في سورة القصص، ربنا قال إيه؟ قال: (نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). هيتطرح دلوقتي، إيه اللي هيتقال؟

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)

الآية دي، لو اتعملت مسلسل، هتأخد تسعة وعشرين حلقة! تسعة وعشرين حلقة تفاصيل: هو كان بيقتلهم إزاي؟ النسوان كان بياخدهم إزاي؟ بيعذبهم إزاي؟ ويغتصبهم إزاي؟ ويقعدوا بقى ستمائة حلقة في مشهد الاغتصاب! لكن القرآن خلّص الشر كله في الآية دي.

طب تعالَ لي بقى في الخير. يلا بقى، واحدة واحدة:

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ)

واستطراد رهيب جدًا في تفاصيل الخير. طيب، كل تفاصيل الخير بقى. مثال تاني: قصة يوسف عليه السلام:

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)

هو ده مشهد الشر في الآية دي. وبعد كده، لو المشهد ده اتعمل في مسلسل، هياخد حلقتين! تفاصيل بقى: عملت إزاي؟ ولبست إيه؟ وبصّت له، وبصلها، مشكلة بقى! ده الفرق!

من الفروقات أيضًا:

» (الغاية)

غايات القصة في القرآن: القلب، صلاح الإنسان، صلاح دينه، صلاح دنياه، علاقته بالله، علاقته بالدار الآخرة.

غايات القصص الأرضي: الشهوات، والمشاهدات، بغض النظر بقى عن القيم والثوابت. إنما اللي بيجيب مشاهدات هو ده اللي يتعمل! زمان، مثلًا، كان الطبيعي إن الأفلام اللي بتجيب مشاهدات هي اللي الخير انتصر فيها على الشر.

دلوقتي ما بقاش كده! خلي بالك، دلوقتي ترند الناس إن في الآخر الشر يفضل، ونتعاطف معاه. فالمسألة مبنية على الأهواء، ما فيش قيم، ما فيش ثوابت. بالتالي، أنا ممكن أودّيك وأجيبك زي ما أنا عايز!

» (الأثر)

في النهاية، أنت شفت أفلام كتير، ومسلسلات كتير، وحكاوي وقصص كتير، لكن للأسف، ما حصل فيك التغيير اللي تحبه، إنك تتعلق بدار الآخرة، وصلاح قلبك، وصلاح دينك، وإقبالك على العبادة.

وقل لي: تأثير سورة واحدة من القرآن في نفس الاتجاه على صلاح قلبك، وإقبالك على العبادة، عشان تعرف ساعتها إن فيه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ فهمت حاجة؟

طيب، تعالَ بقى نخش على قصة يوسف عليه السلام بالذات، إن القصة تُظهر أحسن القصص في أحسن القصص، يعني أحسن قصة في القرآن بلا شك.

هي طبعًا تفاصيلها كبيرة جدًا، قصة كاملة من أولها لآخرها بكل تفاصيلها، تمام؟ طبعًا القصة مؤثرة جدًا، يعني بكل المعايير.

فكده البعض يقول لك إيه؟ هقول لكم على كام حاجة كدا، هقولها على سبيل ذكر بعض اللطائف.

قال بعضهم في أحسن القصص: ما اشتملت على حاسد ومحسود، وعاشق ومعشوق، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وحابس ومحبوس، وخصب وجدب، وحزن وفرح، وفقر وغنى، ومنام ويقظة. والبعض قال لأنها اشتملت على الحب والحسد، الفراق واللقاء، الصبر والندم، العفو والبغض.

والبعض قال إنها أحسن القصص: لأنها اشتملت على جميع أنواع التنقلات من حال إلى حال: من المحنة إلى المنحة، ومن الذل إلى العز، ومن الرق إلى الملك، ومن الفرقة والشتات إلى الاجتماع والائتلاف، ومن الحزن إلى السرور، ومن الجدب إلى الرخاء، ومن الضيق إلى سعه.

(بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) الله أكبر (وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)

يعني إيه "غافلين"؟ ليه ربنا وصف النبي ﷺ بأنه كان من الغافلين؟

ربنا فسرها في آخر سورة الشورى، فقال: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ). "ما كنت تدري ما الكتاب" يعني ما كنت تعرف التفاصيل. يعني النبي ﷺ ، كلمة "غافل" تعني أنه لم يكن يعلم، وهذا لا يُعاب عليه، بل لم تصله الرسالة بعد.

وكلمة "ضال" تحتمل معنيين:

الضال: الذي لا يعرف الحق، كما يقال: "ضل الطريق".

الضال: المعرض عن الحق.

فلما ربنا وصف النبي ﷺ بأنه كان "ضالًّا"، فالمقصود هو المعنى الأول، أي الذي لم يكن يعرف الحق، وليس معرض عن الحق. وبناءً عليه، النبي ﷺ لم يكن جاهلًا بالحق تمامًا، لكنه كان يعرف بعض الحق.

بدليل انه ﷺ كان في الجاهلية على التوحيد، على طريقة إبراهيم -عليه السلام-. لم يسجد لصنم، لم يشرب الخمر، ولم يزنِ، ولم يرتكب أفعال الجاهلية. كان يعلم بعض ما بقي من ملة إبراهيم، لكن لم يكن يعرف تفاصيل العبادات، مثل: كيف يصلي؟ كيف يصوم؟ ما الذي يحدث بعد الموت؟

يعني لم يكن يعرف تفاصيل الدار الآخرة أو تفاصيل العقيدة، مثل: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، لكنه كان مؤمنًا إجمالًا، وكان على التوحيد والاستقامة، وكان يبتعد عن المحرمات إجمالًا. لكنه لم يكن يعرف التفاصيل الطهارة، التيمم، الغسل، وغير ذلك. إذن، هذا هو معنى "الغافل" أو "الضال" في حقه ﷺ .

ثم تنتقل القصة إلى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) الله أكبر! مباشرةً دخلت السورة في الهدف:

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)

(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

هنا نلاحظ أن السورة بدأت بمشهد واحد فقط، مشهد يعقوب ويوسف -عليهما السلام- ، ثم بدأت القصة بداية أخرى:

(لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ).

ما أهمية هذا المشهد الأول؟

عندما نحلله، نجد أنه هو عمود القصة كلها، لأنه **يوضح كيف ربى يعقوب -عليه السلام- يوسف، وكيف أسس شخصيته وأصّل المبادئ فيه.**

أول ملاحظة:

يوسف -عليه السلام- رأى منامًا، وأول شخص فكر أن يحكي له كان والده!

وهذا ملفت جدًا، لأن معظم الشباب اليوم لو رأى منامًا، قد لا يحكيه لأبيه، إما لأن الأب مشغول، أو قد يسخر منه، أو قد لا يهتم أصلاً.

لكن يعقوب -عليه السلام- لم يكن هكذا. كان حانيًا، مستوعبًا، محتويًا، متفهمًا، يسمع ليوسف، ويحترمه ويصدقه.

لذلك، عندما فكر يوسف -عليه السلام- فيمن يخبره بمنامه، اختار والده أولًا، وليس صديقًا أو أي شخص آخر!

وهذا يدل على مدى القرب بين يوسف وأبيه، وأن الأب يمكن أن يكون أقرب من الصديق إذا أحسن معاملة أبنائه. وهذه هي بداية تكوين الشخصية السوية ليوسف -عليه السلام-.

أبٌ سوى فاهمٌ دوره التربوي، يعطي كل مشاعره وحنانه وقلبه واحتواءه وعطفه للابن، لا يتعامل بأسلوب عسكري، لا يصدر أوامر وكأنه في الجيش. ونلاحظ هنا أنهما يجلسان وحدهما، صحيح؟

بدليل إنّ لا أحد سمع عن المنام، وقال له: (لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ) ، رغم أن الأب لديه عدة أبناء، فهناك أحد عشر غير يوسف عليه السلام، ومع ذلك لديه طاقة وسعة ليجلس مع كل واحد منهم بمفرده.

لو أن شخصًا لديه اثني عشر ابنًا، فقد يكتفي برؤيتهم على الغداء، في الاجتماعات، أو خلال السفر.

أما يعقوب عليه السلام، فكان لديه الاستعداد للجلوس مع كل واحد منهم، لسماعه لقصة طويلة، والصبر عليه، وتقديم المواعظ والنصائح، وتحليل كلامه، ويفهمه الخطأ من الصح.

هذا ما نفتقده في بيوتنا!

نفتقد الجلسة الخاصة بين الأم وابنتها وابنها، بين الأب وابنه وابنته، الجلسة الخاصة!

أغلبنا يعتقد أنه تمام اوي إذا كان كويس بشكل عام، حتى الأشخاص الذين يرون أنفسهم نماذج جيدة، لكن حين يقارنون أنفسهم بيعقوب عليه السلام، سيجدون أنهم ما زالوا بعيدين.

الأم الكويسة فعلا هي التي تغلق الباب وتجلس مع ابنتها، وتتحدث معها بارتياح، تسألها عما حدث في المدرسة، وما قالته صديقاتها، وتوجهها بلطف: "انتبهِ لهذه النقطة، سيكون أفضل لو فعلتِ ذلك، من الأفضل كذا..."

تستخرج ردود أفعالها، لتتعرف على شخصيتها أكثر وتربيها بشكل أفضل.

والأب يجلس مع ابنه قائلاً: "احكِ لي، ماذا حدث؟"

فيشعر الابن بالأمان، يأتي ليحكي لوالده دون خوف، لأنه يعلم أن والده لن يصرخ عليه، أو يضربه، أو يهينه، أو يسخر منه. الأب يحبه، فيخبره بما حدث في النادي، في الجيم، مع أصدقائه.

والأب يستمع بحب، يتلطف معه، يلاحظ الأشياء الجيدة التي يقوم بها ويثني عليه، وفي الوقت ذاته يحذره من الأخطار، فيحب الابن الحديث مع والده لأنه يشعر أنه داعم له وصديقه المقرّب.

(المجلس الخاص)... الخاص وليس العام!

كل ابن له وقته الخاص مع والده، ليتفهمه جيدًا.

هذا النموذج الصحيح في التربية، ومن لا يطبقه، فهناك طريق طويل أمامه للوصول إليه.

لقد تكررت هذه المجالس في حياة الأنبياء والصالحين.

مجلس خاص بين إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل:

(يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟)

فيرد إسماعيل:

(يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

مجلس خاص بين لقمان وابنه:

(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...)

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)

هذه القعدة الودّية، القعدة اللطيفة، اللي ما فيهاش أوامر

جلسة حب، وأُنس، وجمال بين الأب وابنه.

ومن أهم صفاتها الرُّقِيّ في التعامل!

التخيل هنا مذهل!

الابن ينادي والده بـ "يا أَبَتِ"، ويرد الأب عليه: "يا بُنَيَّ".

لم يقل له: "يا ولد!" بل "يا بني، أنت مني وحبيبي".

كيف تطلب من ابنك أن يحترمك وأنت تقلل منه طوال الوقت؟

كيف تريد منه أن يعاملك بأدب وأنت تشتمه بأبشع الألفاظ عند أقل خطأ؟

ابنك يسمعك طول اليوم تقول له: "يا كلب، يا حيوان"، أو لابنتك: "يا جزمة، يا غبية، يا حمارة"، ثم بعد ذلك تطلب منه أن يحترمك، ويقف عند الحديث معك، ويقبّل يدك، ويناديك بـ "يا أبتي"؟!

الابن مرآة الأب! الأبنة مرآة الأم !

إذا كانت الأم سليطة اللسان، نمّامة، أنانية، فكيف ستكون ابنتها؟

إذا كانت تعامل زوجها بأسوأ أسلوب، فكيف ستعامل ابنتها زوجها في المستقبل؟

ثم تأتي الأم لاحقًا محاولةً إصلاح علاقة ابنتها بزوجها، فتكون كمن يخدع نفسه!

ابنتك هي مرآتك!

إذا أردت من ابنك أن يكون محترمًا، فعليك أن تكون محترمًا أولًا!

ابنك صفحة بيضاء، يجب أن يرى بيئة مليئة بالاحترام داخل المنزل.

إذا رأى والده يحترم أمه، يخاطبها بأرقّ الكلمات، إذا رأى كيف يتعامل مع أخته بحب، ويلاطفها، فسيصبح كذلك.

أما إن نشأ في بيت يسمع فيه الإهانات والشتائم، ورأى الأب يصرخ في وجه ابنه، والابن يرفع صوته على والده، فسيعتقد أن هذا هو الطبيعي!

لكن في البيت الذي يتعامل فيه الجميع باحترام، سيستغرب إذا رأى غير ذلك، سيتساءل: "لماذا لا يحترم الناس آباءهم؟ لماذا لا يحترم الأبناء آباءهم؟"

فلن تجد بيت يُقال فيه "يا أبتي"، إلا البيت الذي قيل فيه "يا بني".

يلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام بيحكي فعلًا حاجة غريبة. لو أبٌ ثانٍ غير يعقوب عليه السلام كان أخذ الموضوع بسخرية، وكان ممكن يقول كلمة مالهاش لازمة لابنه وهو بيقول له كده. يقول لك: "أقول لك إيه؟! انت هتقعد تقول لي كواكب وشموس إيه يا عم؟ منام إيه! هي ناقصاك؟ بقول لك إيه، مش ناقصة مناماتك هي! خلاص! طب ما أنت أحبطتني، أمال لو كلمتك بقى في أحلامي وطموحاتي؟"

وانت بتكسر فيَّ، أقول لك يا بابا نفسي ابقي ..." هيقول لي: "يا ابني، انت مالكش لازمة!" والبنت تقول لي: "يا بابا، نفسي أعمل كذا وبتاع..." هيقول لها: "إنتِ بنت، وآخرك إنك هتقعدي في البيت وتدخلي المطبخ!"

طيب، كده عايز ابنك يبقى بني آدم إزاي؟! ده مجرد ما بيحكي لك حكاية، أو يقول لك حلم من أحلامه أو هدف من أهدافه، بتمسكه تهزّقه. مش هيقول لك تاني ومش هتعرف هو بيعمل ايه بعد كده، وهيكبر ومش هتعرف هو فين، خرج فين، وجه منين؟ اشتغل إيه؟ وجاب الفلوس دي منين؟ ولا هيقول لك! خلاص... كان من زمان، كنت زمان أنت لم تعطيني الأمان إن أنا أتكلم معك أصلًا!

أنت ما احتوتنيش، ده أنت المفترض كنت تقدر كلامي حتى لو بقول عبط، أنا آسف! أنا لو بقول عبط، كنت تقدر كلامي، أنا كنت صغير ما بفهمش. أنا لازم لما أقدّر كلام ابني، أقدّره على مستواه هو، مش مستوايا أنا. معلش، ما أنا ممكن بنتي تيجي تقول لي كلام فعلًا مالوش أي لازمة، هو بالنسبة لي ممكن أقلبها سخرية، بس هي بتحكي، وهي متعصبة، وبجدية، ومحموقة، وبتقول: "حصل كده وعملت لي كده وبتاع..." لازم أتعامل بمستوى الكلام ده، بمستوى فهمها هي، مش مستوى فهمك انت، لأنها شايفة الموضوع كبير، وشايفة الموضوع مهم جدًا.

انت شايف الموضوع تافه؟ هو فعلاً تافه بالنسبة لك أنت ، لكن ما كانش تافه بالنسبة لها، فلو أنت قلت لها إن الموضوع ده تافه، مش هتيجي تحكي لك تاني. وهتعرف لما تلاقي ولادك ما بيجوش يحكوا لك حاجة، أعرف إن انت ما دّتهمش الأمان وما قدّرتش كلامهم.

ألست عليهم كذا مرة قفلوا منك، حكوا لك كذا مرة يمكن حاجات عبيطة حصلت معاهم في المدارس، كان المفروض رد فعلك يكون: "إيه اللي حصل؟ احكي لي، طب إزاي

يحصل كده؟ لا لا لا، ما ينفعش أبدًا! وانتِ عملتِ إيه؟ وتعالي، وهاتي حضن، حبيبتي، أنا مقدّر قوي الموقف اللي انتِ أخذتيه، وانتِ صبرتي كتير واستحملتي كتير، مع إن أكتر الكلام يعني هوًّا، بس أنا بتكلم بدماغه هو، مش دماغي أنا!"

ابنك ساعتها هييجي يحكي لك كل حاجة، هيقول: "أبويا ده لما بحكي له، بيقدرني، بيرفعني فوق، فعلًا بيحترم كلامي!" هو لا إراديًا هيلاقي نفسه عايز يحكي لك. معلش، انت لو ابنك جالك حكى لك نفس منام يوسف عليه السلام ، وانت مش عارف قصة يوسف عليه السلام، هتألّس عليه وتقول له: "خش نام!"

دي مشكلة! احنا مش عارفين نتعامل مع أولادنا.

الاحتواء... احتويهم! إني أنزل لمستواه، بس خلاصة الكلام: (أنزل لمستوى أفكاره)، وأتعامل بأهمية الموضوع على حسب أهميته بالنسبة له، مش أهميته بالنسبة لي أنا، وأدي له وقت، ما استخسرش فيه وقت، ده أغلى حاجة عندي.

ما أقولش، أنا مش فاضي، أنجز في الكلام يا ابني، أنا مش فاضي لك؟ لا! اتكلم يا ابني، خد راحتك، اقعد بقى، سيب أي حاجة في إيدك، ونقعد، إيه اللي حصل؟ وأقعد معاه نصف ساعة، يحكي لي، وأحكي له، وأربيه، وأنصحه، وأدي له من خبراتي. خلاص يا ابني، شبعت، آه والله كفاية، اتوكل على الله. لو في أي حاجة عايز تحكي لي، تعالَ لي، أنا قلبي مفتوح في أي وقت لك يا ابني، أي وقت تيجي، أنا صاحبك.

يعني أنا ابن أبويا كده مش هيحتاج بقى يضربه، مش هيحتاج يهزأه، مش هيحتاج يقول له: "يا ابني اسمع الكلام ده!" أبوه لو قال له أي حاجة، هيجري يعملها! صاحبك... أمه لو قالت له أي حاجة، هيعملها!

حب بقى... يعني اشتغلوا على الحب يا جماعة، اشتغلوا على الحب شوية!

يوسف عليه السلام بيتكلم بطمأنينة في موضوع خطير، طبعًا قاله: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾

هنا يعقوب عليه السلام، حسّ أن الموضوع كبير أوي أوي أوي! أولًا، هو فهم الرؤية على طول، والرؤية معناها من أخطر ما يمكن... من أخطر ما يمكن! وهو ترجمها، وعرف إن الاحدى عشر كوكب دول إخوته، والشمس والقمر الأب والأم.

سجدوا له؟ طبعًا السجود هنا تكريم، زي سجود الملائكة لآدم ليس سجود عبادة، ما ينفعش حد يسجد لحد عبادة، لكن في شرع من قبلنا كان ينفع حد عاوز يكرم واحد، يعني يقدّره أو يعبر عن احترامه له، يسجد له. لكن في ديننا، اتلغى الموضوع ده. النبي ﷺ قال: "لو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها، وذلك لعِظَم حقه عليها."

لكن خلاص، ما فيش حتى سجود التكريم ده، اتلغى عندنا.

يوسف عليه السلام هو كمان، طبعًا أدرك خطورة الموقف، كلام كبير جدًا... الشمس والقمر! طبعًا في اختلاف في الشمس والقمر.

يعني مين الشمس؟ ومين القمر؟

في ناس قالوا إن الشمس هي الأم، والقمر هو الأب، وناس قالوا لا، الشمس هي الأب والقمر هو الأم، مسألة فيها خلاف، وإن كنت أميل بأن الأم هي القمر، والأب هو الشمس... ليه؟

١- أولًا، النوع بدأ بالشمس مش القمر، فعادةً الأب هو اللي بيقدِّم.

٢- الشمس فيها إضاءة وحرارة، والقمر فيه إضاءة بس. والأب هو اللي بيبقى عنده الإضاءة والحرارة، يعني عنده المشاعر والتربية وكل حاجة، وفيه الحزم والشدة اللي هي الحرارة. في عنده سلاح تاني، الأم عادةً يغلب عليها الإضاءة بس، اللي هي الحنية والرحمة، والشدة فيها بتبقي أقل شوية. تفسير الشمس بالأب أقرب، لاجتماع الإضاءة مع الحرارة، وتفسير الأم بالقمر أقرب، لأنها إضاءة، وحرارة أقل، أو مفيش حرارة.

٣- فائدة تانية، لو قلنا إن الشمس هي الأب، هنلاقي دايمًا القمر إضاءته انعكاس للشمس، صح؟ كذلك الأب هو عمود البيت، هو نور البيت كله... لو نور! البيت كله ينور الأم تنور؟ تمام، فالأب فعلًا يقدر يصنع الأم، ويصنع بهجة البيت، وممكن يخرب عليهم كلهم! فكل ما الأب كان أكثر استنارة، كل ما الأم تستنير أكتر. يبقى الأم رد فعل يا جماعة، مسؤولية الأب مهمة جدًا يعني.

قال: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾

أول حاجة: درء المفاسد الأول... درء المفاسد! قال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

خلينا الأول نتكلم عن الرؤيا وأنواعها بسرعة، وكل رؤية ممكن أعمل معها إيه؟

الرؤيا على ثلاثة أنواع، أو ما يراه الإنسان في المنام على ثلاثة أنواع:

١- النوع الأول: هي الرؤيا الحق، اللي هي من الله، وعادةً دي بتكون رؤية واضحة جدًا، تفاصيلها واضحة ومنطقية، تمام، وبيبقى فيها سكينة وطمأنينة، فدي رؤيا حق. طيب، لو هي رؤيا من الله فعلًا، تحتمل احتمالين:

- إني شُفت حاجة خير.
- أو شُفت حاجة شر.

لو شُفت حاجة خير، أعمل إيه؟ النبي ﷺ قال: "إذا رأى أحدكم ما يحب، فلا يخبر به إلا من يحب." زي ما سيدنا يعقوب بيقول ليوسف عليهما السلام: ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ عشان الحسد.

طب إذا رأى أحدكم ما يكره؟ قال: "فلا يخبر به أحد." خالص، لا يخبر أحد أبدًا، لا بتحبه، ولا ما بتحبوش، انسى إنك شفتها، ده الحل!

وأوصى ﷺ بأكثر من وصية قال: "لا يخبر بها أحد." قال: "يتحول عن جنبه الآخر." فلو أنا لسه على السرير، أغيِّر نومتي، أنام على جنبي التاني. قال: "وليستعذ بالله..." يستعيذ بالله من شرها، يقول: "نعوذ بالله من شر هذه الرؤيا"، ويتفل عن يساره ثلاثًا، ولا يُحدِّث بها أحدًا، ولا يطلب تفسيرها أبدًا.

إن من أسباب حصول الرؤيا تفسيرها، فإذا فُسرت وقعت، فلو شُفت رؤيا مش حابيها، أوعى تسأل تفسيرها أبدًا! بعض الناس بيسأل في اي منام بيشوفه، منام مش حلو، ما تحكيش لحد، واستعِذ بالله من شره، واتفل عن يسارك ثلاث، غير نومتك، وانساه بقى خالص، انساه ولا كأنك شوفته!

٢- النوع الثاني: إن حاجة بتشوفها، بس هي من الشيطان، ودي في الغالب بتكون حاجة مش مفهومة، ملخبطة كده، ومحزنة، ما تعرفش تحكيها كويس، بس هي مزعجة بس.

٣- وفي أحيانٍ ثالثة: حديث النفس. يعني واحد عنده امتحان، حلم بالامتحان، دي مالهاش تفسير. واحدة بكرة فرحها، نامت حلمت بفستان الفرح وجوزها. واحد عنده عملية بكرة، نام حلم بالدكتور والعملية. وده حديث نفس، أكيد طبعًا، أي حد مشغول بحاجة، هيلاقي نفسه بيفكر فيها لوحده.

فهمنا؟

علشان كده، سيدنا يعقوب عليه السلام قال له: ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾

هنا كذا فائدة..

الفائدة الأولى: إن سيدنا يعقوب يعلم أبناءه جيدًا، يعرف أولاده كويس جدًا، بجد! ده دليل إنه مهتم بيهم كلهم، خلي بالكم، بس... بس طبعًا يوسف عليه السلام هو اللي بيُقبِل عليه أكتر، فأكيد اللي بيُقبِل عليه أكتر، بياخد اهتمامه أكتر، لكنه مهتم بيهم كلهم.

مش معنى إن ولاده مش أحسن حاجة دلوقتي انه مهملهم، لأ هو مهتم ومركز معاهم كلهم، وبيديهم اهتمام كلهم، بدليل إنه عارف شخصياتهم كويس جدًا. قال له "لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا"، لأنه عارف دماغهم كويس جدًا، وعارف بيفكروا إزاي.

كده نتعلم من يعقوب عليه السلام إنه لو أنا أعرف إن فيه شخص شرير، أو بيحسدني، أو بيمكر بيَّ، فمن المصلحة إني أخفي عنه الخير اللي عندي، ما استطعت. في حاجات ما أعرفش أخفيها، طبيعتها الظهور، لكن كل حاجة أقدر أخفيها من النِّعَم، أخفيها قدر المستطاع...، بدون ما أشق على نفسي، لكن ما أروحش أقول له ابتداءً من نفسي كده، ده من الرحمة بي، لأن النفوس مش سليمة.

ما هو ممكن يحسدني.

طبعًا، أسوأ حاجة بقى إنك تنشر كل حاجة بتحصلك على الميديا! فهي لا تمييز... وهتوصل لكل الناس، فضلًا عن الشير، فضلًا عن الناس اللي بتشوفك في كل اتجاه،

فاللي بيشوفك، اللي بيحبك، واللي بيكرهك، واللي عايز لك الخير، واللي عايز لك الشر، واللي بيحسدك، واللي ما بيدعيلك.

ودي طبعًا من أغبى الأمور، إن إحنا ننشر كل حياتنا الحلوة على الميديا، ويا ريتنا حتى بننشر الوحش معها! لأ احنا بننشر الحلو بس.

فطبعًا الثاني يقول لك: "ده عايش في ملك، أنت مفيش حاجة وحشة تحصل لك، فتعالى خد لك عينين تلاتة، يلا ارقد في السرير بقى!"

فأنا عايز أقول لك: أخبر به من تحب، أوعى تخبره على الميديا!! هي على الميديا هتوصل للي بتحبه بس؟ هتوصل للكوكب كله. يبقى الكلام ده يتقال كده بيني وبينك.. فيس تو فيس قدامك، مش على الميديا. نتعلم كده

قال له: (فيكيدوا لك كيدًا) قالها له كده عشان يوسف -عليه السلام- ما يكرهش إخوته، على اعتبار أن إخوته بشر، البشر حتى لو كانوا مش صالحين دلوقتي قد ينصلح حالهم، والإنسان غير الصالح هو ضحية شيطان وأهواء، هو مذنب برضو، بس سيدنا يعقوب بيعرفه عداوة الشيطان نفسه.

نقله نقلة أعلى، كأنه عايز يقول له: "إخوتك مش هم دول أعداؤك الحقيقيين، لأن هما ممكن بكرة يتغيروا، وعدوك الحقيقي يا بني هو الشيطان، أنت عايز تركز عداوتك؟ ركز مع الشيطان، ممكن بكرة ربنا يهدي إخوتك."

وهو حس المعنى ده من الرؤيا ، ما هم هيسجدوا ليوسف إزاي إذا كان بيحسدوه؟! لكن طالما هيسجدوا له يبقى ربنا رضي عنهم، يبقى هينصلح حالهم، فما حبش يخلق عداوة بينه وبين إخوته ويقول له: "إخوتك وحشين."

ده في أمهات بيوقعوا بين ولادهم، ده في عائلات بتوقع بين بعض، شايفين يعقوب -عليه السلام- ربى ابنه أن قلبك يبقى تمام مع إخوتك؟ مشكلتك مع الشيطان. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

علشان كده كان سهل عليه إنه يسامح أخوته في الآخر. قال:

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾

يوسف -عليه السلام- عبر عن الموضوع ده في آخر القصة لما قال:

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾

سبحان الله، تربية عجيبة!

فإذاً، أول حاجة بيؤصلها يعقوب -عليه السلام- في يوسف -عليه السلام- هي عداوة الشيطان. فدي خلاصة التربية بقى، وأصلًا فيه حاجتين بس: عداوة الشيطان ومحبة الرحمن.

يوسف -عليه السلام- كل الإبداع اللي عمله في القصة ناتج عن الأصلين دول، أنه اتربى على عداوة الشيطان ومحبة الرحمن.

أدي عداوة الشيطان، اهي. طب تعالَ لمحبة الرحمن بقى، جت إزاي؟ بدأ يحببه في الرحمن بطريقتين:

١- أولًا: ذكر الإنعام.

٢- ثانيًا: ذكر الصفات.

أو نقدر نسميها: ذكر النفع المتعدي اللي بيجي لك من ربنا، وذكر الصفات الذاتية لله.

لأن أي شخص أو أي شيء يُحب في الدنيا، يُحب لحاجتين لا ثالث لهما، وهما نفس الحاجتين دول:

إما لصفاته الذاتية.

أو لصفاته المتعدية.

يعني، دلوقتي هو هيقول له: (يجتبيك ربك)، دي صفة متعدية، لأن ده نعيم، إنعام متعدد، لكن لما يقول (إن ربك عليم حكيم) ، فهي صفة ذاتية في الله، بس أي حد عليم بنحبه، أي حد حكيم بيتحب.

أضرب لك مثال؟ هتفهم دلوقتي إزاي:

أنت دلوقتي بتحب الوردة ليه؟ عشان شكلها حلو، هل استفدت حاجة؟ لا، بس هي شكلها حلو. وممكن تحب صورة على الموبايل حتى من غير ما تلمسها، إزاي؟ هي شكلها حلو، دي بتتحب!

طيب، أنت في الشارع، شوفت ولد قمر، جميل، مكلبظ، خدوده حمرا ، فأول ما شوفته حبيته، ليه؟ عشان شكله، صح؟ طيب، أنت استفدت حاجة كده؟ لا.

بعدين الولد ده كبر، وطلع ذكي، حبيته أكتر، خلاص؟ برضو استفدت حاجة؟ لا، بس هو يتحب عشان هو ذكي.

بعدين الولد بقى أشطر واحد في المدرسة، حبيته أكتر. بقى مؤدب، حبيته أكتر. ختم القرآن، حبيته أكتر وأكتر. بقى بارًّا بوالديه، حبيته أكتر.

أنا لغاية دلوقتي مش مستفيد حاجة، بس كونه فيه صفات حلوة، فهو يُحب لأجل الصفات الحلوة.

طيب، الولد كبر وبقى صاحب شركة كبيرة، وأغنى راجل في المنطقة، حبيته أكتر. أنا لغاية دلوقتي ما استفدتش حاجة.

جيت في يوم من الأيام، بقيت فقير واتديَّنت، فالولد قال لي: "خلي عنك، أنت من وأنا صغير وأنت بتحبني"، وخد ده، وسدد لي ديوني كلها.

هيحصل إيه بقى؟ المحبة هتضرب فوق قوي!

هنا بدأ ينتقل من مجرد صفاته الذاتية، إلى النفع المتعدي منه إليَّ.

تخيل كل يوم يديني نفس المبلغ؟ تخيل لو وقف معايا وقفات كتير؟ تخيل شغَّلني أو شغل ولادي؟ ابنه اتجوز بنتي وأكرمها؟ يعني بدأ يجيني منه نعم. أحبه قد إيه؟ هيبقى حب رهيب! فهل ينفع في يوم أعصيه؟

ده لو قال لي أي حاجة حلال أعملها، مش ممكن أبدًا أقول له: "لأ".

راجل محترم ... ده لو ما بيعملش معايا حاجة، أنا هاتكسف منه لأنه راجل محترم!

أمال بقى لما قلت لك إنه عمل معايا إيه؟! ما أقدرش أعصيه...

عشان كده سيدنا يوسف -عليه السلام- طول القصة ثابت، ما بيتغيرش. قال:

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾

صح؟ جبل ما بيقعش في أي معصية.

بيحب ربنا أوي، بيدعو إلى الله في السجن، رغم أنه في السجن، يقول:

﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾

يدعو إلى الله في السجن ليه؟ عشان اتربى على المحبة.

يعقوب -عليه السلام- أصل المحبة دي من نفس الفكرتين دول:

كلموا عن صفات ربنا الذاتية، وكلموا عن نفعه المتعدي ليوسف -عليه السلام-.

قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ ، يجتبيك ربك.. يعني يختارك، يصطفيك.

وهو عرف أنه اصطفاء، وعرف أنه اصطفاء للنبوة كمان.

قال: ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يصطفيك ، ﴿وَيُعَلِّمُكَ ﴾

خد بالك! يعقوب -عليه السلام- ما قالوش: "يا ابني أنا اللي علمتك!"

مع أنه هو اللي معلمه فعلًا، هو المعلم بتاعه، هو شيخه، هو أستاذه.

ما قالوش: إيه رأيك في تربيتي؟ "أنا ربيتك يا ابني، ولحم كتافك من خيري!"

الأب الصالح ما يعملش كده. الأب الصالح يربط أبناءه بالله.

يقول لهم: "ربنا اللي بيعلمنا وبيعلمكم، ربنا اللي بيعطيني وبيعطيكم."

يربط الولاد بالله، عشان يحبوا ربنا، عشان ما يعصوهوش بعد كده، عشان يقدر يسيبهم وهو مطمئن حتى في الخلوات.

إنما لو ربطته بيا، هيقدرني وأنا موجود، لكن لو أنا غبت؟ هيعمل اللي هو عايزه! فهمت حاجة؟

دي مشكلة ولادنا. قدامنا ملايكة. يقولك: "ابني ده متربي، ابني ما يعملش كده أبدًا!"

يا حاجة! ابنك في المدرسة مطلع مطوة، معوّر بيها واحد!

تقولك: "ابني لا، ما يعملش كده، ده أمور قوي!"

ما هو قدامك ما بيعملش حاجة! لانك ربتيه على أنه بيقدرلك انتِ ، ده أنتِ مش هتصدقي أنه بيشرب! مش هتصدقي أنه بيزني! مش هتصدقي أنه بيعمل العادة السيئة! ليه؟

لأننا ما ربيناهوش على حب ربنا. ما اترباش على الخوف من ربنا في الغيب.

قال له : ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.. ربك!

ما قالوش "ربنا" حتى، قال "ربك"، كأنه بيعمل علاقة خاصة بين يوسف وبين ربنا.

قال له: ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ .. الله!

﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ كأن النعم كتير قوي، بس هو بيقول له: "ده أنت هتوصل لتمام النعمة!" الإنسان لو النعمة بس ١٠٠٪، أمال تمام النعمة إيه؟

﴿ وَيُتِمُّ ﴾ .. يعني أدرك أنه هيوصل للنبوة، ودي أعلى النعم.

لأن النعم درجات:

أني مسلم؟ دي نعمة.

أني مهتدي؟ دي نعمة كبيرة قوي.

أني أبقى من أولياء الله؟ ده كبيرة قوي قوي.

أوصل للنبوة؟ ما فيش حد بيوصل للنبوة خلاص، بعد النبي محمد ﷺ، بس لو وصل، فهي أعلى حاجة.

قال: ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾

كان بيقول له: "النعمة مش عليك لوحدك، ده النعمة عليك وعلى أبوك، وجدك، وأبو جدك!"

﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ ﴾

وكأن أي نعمة للأب هي نعمة للابن، وأي نعمة للجد هي نعمة للحفيد. يعني لما جدي يكون صالح، أنا مستفيد. لما جدي كان غني، أنا استفدت. لما جدي سمعته حلوة، أنا استفدت. فكل نعمة على الأب نعمة على الابن.

شوف ربنا أنعم عليك بكام نعمة! تمام؟

﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ﴾

ثم ربط باسمين من أسماء الله:

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ليه اختار "عليم حكيم" بالذات؟

خليني أرجع الأول لفايدة، وبعد كده أجي هنا وأختم.

قال له: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾

يعقوب -عليه السلام- فاهم السنن! يعرف أن الاجتباء لا يأتي إلا بعد ابتلاء. فإذا اجتباك الله هبت عليك الابتلاءات فاستعد، وأحسن استقبالها.

وقيل للإمام الشافعي: "أيهما أحب إليك، أن يُمكَّن الرجل أم يُبتلى؟"

قال: "لا يُمكَّن حتى يُبتلى! لا يُمكَّن حتى يُبتلى!"

ففهم ان هيحصل إبتلاءات ويوسف -عليه السلام- هيشوف في حياته ابتلاءات جامدة جدًا عشان يوصل للمنزله ده. فلما تحصل الابتلاءات دي فـ يوسف يسأل نفسه: "ليه بيحصل معايا كده؟"

هتكون الإجابة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وحاجة تانية:

لما يحصل الابتلاء، هيسأل، والإجابة: عليم حكيم.

ولما يحصل الاجتباء والاصطفاء ويوصل للنبوة، ممكن يسأل نفسه:

"اشمعنى أنا؟ ليه مش واحد تاني من إخوتي هو اللي كان مكاني؟"

هتبقى نفس الإجابة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ودي إجابة بتريحك في حاجات كتيرة جدًا.

زي سيدنا نوح -عليه السلام- لما سأل ربنا:

﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

قال له ربنا:

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

في حاجات كتير أوي ما عندناش فيها علم، لكن يكفينا الإجابة دي:

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

طب، يوسف -عليه السلام- طلع بتربية قوية! عداوة الشيطان، محبة الرحمن.

ودي اللي صنعت يوسف -عليه السلام-.

عايز تعرف الصناعة دي بانت إمتى؟ بانت في كل مشهد ليه! بانت لما كان في السجن، وهو بيحبب المساجين في ربنا.

رغم أنه في السجن، كان ممكن يقول: "ده ربنا اللي عمل فيا كده!"

لكنه كان شايف أن ربك عليم حكيم، وشاف أن ده خير إن شاء الله، وشاف أن ربنا جميل!

قال: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

قال للمساجين: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾

قدر يقاوم شهوة النساء اللي هي محبوبة لأي راجل، بحبه لله.

قال: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾

قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾

تعالى بقى في آخر القصة، شوف التأثير الرهيب لتربية يعقوب على يوسف!

رغم أن اللقاء الذي حصل بين يعقوب ويوسف في الآخر كان بعد أربعين سنة، قال:

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾

ده بعد أربعين سنة ، أول مرة يقابله من أربعين سنة من المجلس ده، لكنه لم ينسَ أي كلمة حصلت في القعدة الودية دي. علشان كدا بقولك، المجلس الخاص مع أولادنا هو الذي يثبت، لكن الكلام العام يُنسى. قال:

﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ ﴾

انظر، قال "ربي" ولم يقل "ربك".

﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾

لم يقل "أدخلني السجن" أبدًا مع الله.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

الذي هو ماذا؟ لماذا قال "إنه هو"؟

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾

هذه هي خلاصة الحلقة الأولى، كيف صُنع يوسف عليه السلام. فوائد إيمانية تربوية عقدية.

المحاضرة الثانية
مخطط شيطاني

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء الثاني من لقاءات دورة تعلمت من يوسف عليه السلام، في تدبّر هذه السورة الخطيرة الرائعة.

تكلّمنا في مقدمة المرة الماضية، وأخذنا أول ست آيات بفضل الله سبحانه وتعالى، وأعتقد أننا أدركنا حجم وعظمة هذه السورة. في اللقاء السابق، أدركنا شرف هذه السورة والعظمة المتوقعة منها.

هذه السورة لا تتناول فقط المسائل المشهورة في القرآن مثل التوحيد، والدار الآخرة، والعمل الصالح، والحديث عن الرسل، بل نحن نتكلّم هنا عن تربويات عجيبة، ودقائق في المعاملات، وعلاقات الأب بأبنائه، والأبناء ببعضهم البعض، والإخوة مع بعضهم البعض.

في هذه السورة، ستجدون كل أحلامكم. هي سلوى لكل محزون، وفيها كل ما تتمناه حرفيًّا.

إن شاء الله، ستتأكّدون أكثر اليوم من هذه الملاحظة، بأن هذه السورة فعلًا فيها العجب العُجاب من الفوائد. فأنا كلّما تعمّقتُ فيها، أكتشف أن الموضوع أكبر وأعمق، لذلك سيأخذ وقتًا طويلًا قليلًا، لأن السورة خطيرة جدًّا.

سأحاول أن أقدّم لكم أكبر استفادة ممكنة حسب الوقت المتاح. لكن، ما يهمنا ليس الكم، بل الانتفاع والاستفادة، لأننا سنتحدّث عن أمور ستؤثّر في بيوتنا، ومع أولادنا، ومع زوجاتنا، وستغيّر نظرتنا للحياة. الموضوع كبير.

يلا بنا، لا نضيّع الوقت. في المرة الماضية أخذنا من الآية ١ إلى الآية ٦، واليوم بإذن الله سنأخذ من الآية ٧ إلى الآية ١٤.

كالعادة، نبدأ بالتلاوة، ثم نستعين بالله، ونرجو منه التوفيق أن يُلهمنا رشدنا، ويساعدنا في استخراج الفوائد الممكنة.

يلا بنا:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) ﴾

هذه الآيات الكريمة التي سنتلوها ونتدبّرها اليوم بإذن الله سبحانه وتعالى، من الآية ٧ إلى الآية ١٤.

تكلّمنا في اللقاء السابق عن المقدّمة، وقلنا إن القصة في الحقيقة قائمة على هذه المقدّمة. القصة كلها تدور حول هذه المقدّمة.

لماذا اختار الله سبحانه وتعالى، دونًا عن كل مشاهد الحياة التي كانت قبل إلقاء يوسف في الجب، أن يروي لنا مشهدًا واحدًا فقط؟ هذا شيء ملفت، أن الله يحكي لنا مشهدًا واحدًا فقط، ثم يبدأ مباشرة في القصة.

لأن هذا المشهد، كما قلنا، هو مربط الفرس في القصة، هو سرّ يوسف عليه السلام. كيف صُنع يوسف عليه السلام؟ كيف تكوّنت كل هذه الروعة التي سنراها في القصة بعد هذا المشهد؟

ده جت منين؟ إزاي يوسف عليه السلام ثبت في بيت امرأة العزيز؟ إزاي رضي بقضاء الله في السجن؟ إزاي لم يُفتتن بالدنيا في الملك؟ كل ده من تربية يعقوب عليه السلام، ثم تربية الله له بعد كده.

لكن السنوات المعدودة اللي قضاها مع يعقوب عليه السلام واهتمام يعقوب عليه السلام به في السن ده فرق معاه كتير جدًا جدًا جدًا. عشان كده بنطلع بفايدة قبل ما نبدأ النهاردة،

فايدتين: (فايدة للمربي وفايدة للمتربي)

فايدة للمربي بنقول له فيها: ما تضيعش وقت، وما تسوّفش التربية.

يعني مثلًا ممكن واحد يبقى ابنه صغير فيقول لك: "لما يكبر أقول له"، يعني مش مشكلة، قد لا يكون معك وقت.

يعقوب عليه السلام كان يستثمر كل لحظة في تربية يوسف عليه السلام، وصله لمعانٍ ضخمة وهو سنه صغير. لكن بيعتمد مع التكرار ومع التبسيط هتوصل له المعاني وهيعتقدها. وهو توسم فيه النباهة ، فلا تؤخر.

البعض منا يُهمل أولاده سنين، يعني ممكن الولد يبقى عنده عشر سنين ولسه أهله ما علّموهش حاجة، معتبرين إن هو لما يكبر!! طب افترض حصل أي حاجة، زي ما حصل مع يوسف عليه السلام لا قدر الله، والابن تعرض لحاجات، يعني بعد كده هيعيش إزاي؟ يعني هيعيش حياته من غير ما يتربى على المعاني دي؟

فسبحان الله، الفترة القصيرة اللي استثمرها فعلًا يعقوب استثمار رائع جدًا في يوسف عليه السلام أثّرت في حياته كلها، لدرجة إن كلامه العادي ده متأثر بمجلس يعقوب عليه السلام، وهو بيقول في السجن:

﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٨]

نفس الكلام اللي اتعلمه من يعقوب عليه السلام، وهو في الملك لما يقول:

﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف:١٠٠]

نفس التربية اللي اترباها من يعقوب عليه السلام.

الرسالة التانية إلى المتربي: (عمومًا سواء صغير أو كبير)

واحد دلوقتي ربنا هداه والتزم، سواء صغير أو كبير، لا تضيع فرصة تربوية متاحة قدامك. ما تعرفش بكرة هيحصل إيه.

بمعنى، مثلًا أنا دلوقتي التزمت ربنا هداني، تمام؟ في مسجد جنبي، مسجد سُنّة، وبيدّوا دروس فيه، وفيه حلقة قرآن، وفيه تحفيظ. المسجد جنبي، والشيخ موجود على طول، والأخت مثلًا تقول لك: "الحلقة موجودة، والدار موجودة جنبنا، أي وقت بقى أروح"، فتبتدي تكسل وتضيع الفرصة المتاحة دي.

أو مثلًا البعض منا يكون التزم وهو في إعدادي أو ثانوي أو كلية، والكلية فيها إخوة كثير، أو الكلية فيها أخوات كثير، كان فيه حلقات، كان فيه دعوة، كان فيه دار متاحة.

قعد صاحبنا يسوّف ويقول: "أنا كده كده في الكلية، طب لما أتخرج، طب لما الجيش يخلص، كده كده المسجد موجود، والشيخ موجود"، ثم فجأة دخل الجيش، أو وجد أن العمل يستلزم سفرًا، فسافر وعاش برّة، أو تزوّج ولم يتمكن من الحصول على شقة في منطقته فانتقل، ثم لم يجد أي فرصة من الفرص دي متاحة، لا دار موجودة، ولا مسجد فيه دروس، ولا شيخ متاح دائمًا، ويا عيني ضيّع فرصة التعلّم، وقعد طول حياته يتخبط.

فبنقول يا جماعة: (يعتبر سيدنا يعقوب نموذجًا للمحضن التربوي)

المحضن التربوي، يعني إيه؟ المحضن التربوي يعني مكان بيحتضنك تربويًا.

المكان ده على فكرة ممكن يكون الأب، ممكن يكون الأم، ممكن يكون الأخ، ممكن يكون شيخ، ممكن يكون صديق سبقك في الطريق، ممكن يكون دار، مسجد... اللي يلاقي يا جماعة، اللي ربنا يكرمه في أي فترة من حياته، خاصة في بداية التزامه، بمحضن تربوي متاح ينتفع منه سريعًا، فإنه لا يدري ماذا سيحصل غدًا.

ودلوقتي إحنا شايفين إن في مساجد اتمنع منها دروس، وفي دور قرآن اتقفلت، وفي مشايخ مابقوش متاحين.

اللي لحق يستثمر الفترة الذهبية بتاعت الدروس اللي كانت في المساجد، والدور اللي كانت مفتوحة، دلوقتي عدى. لكن اللي قاعد يكسل زمان بيقول: "هي راحت فين الدروس؟ طب إنت كنت فين لما كانت الدروس موجودة؟."

أنت متاح لك دلوقتي محضن تربوي أونلاين حتى. دروس متاحة أونلاين، دورات أونلاين، بعضكم للأسف يدخل دورات ويكسل يتابع فيها، يكسل يكمل.

يا أختي، يا أخي، ما تدري بكرة يحصل إيه؟

دلوقتي إحنا عندنا رفاهية إنّي بطلع لكم لايف، إنّي بديكم دروس أونلاين، إن في دورات متاحة، ما حدش عارف بكرة هيحصل إيه.

فالحقوا، يا جماعة.

طب سيدنا يوسف لو كان قال: "أنا لسه صغير، وبابا موجود، ورانا إيه؟ بكرة أتعلم منه، ألعب شوية، خليني في اللعب شوية، كده كده بابا موجود"، طب افترض بقى إنه فجأة حصلت القصة، كان هيصرف منين؟

أنا عايز أقول لك:

"ادخر على قد ما تقدر، لأنك لا تدري متى ستحتاج اللي ادخرته"

ببعث رسالة خصوصًا للشباب والبنات اللي بيسمعوني دلوقتي، اللي هم في الكليات، بقول يا شباب، ويا بنات، يا ناس، يا بتوع الكليات بالذات، دي الفترة الذهبية، صدقوني.

أنا جاي لكم من المستقبل. تمام؟ أنا بفضل الله ربنا هداني في الكلية. تمام؟ يعني قبل الكلية أو يمكن في أول الكلية، يعني الحمد لله. أنا بقول لكم عن تجربة، فترة الكلية هي الفترة الذهبية، صدقوا أو لا تصدقوا، الفترة الذهبية في حياتكم لطلب العلم، لحفظ القرآن، للدعوة إلى الله، أن تعمل لنفسك نظامًا.. تعمل لنفسك جدولًا، لأنك قاعد فاضي، مش هقول لك فاضي يعني، قصدي ما وراكش حاجة، قصدي لك نظام في مواعيد، بتروح الكلية ثلاثة أو أربعة أيام بالكثير في الأسبوع، عارف نظامك لمدة خمس سنين، عندك إجازة، عندك نصف سنة، عندك أوقات فراغ.

أحيانًا، لو كليتك مش صعبة قوي، بيبقى الفراغ كبير جدًا، رجاءً، أوعى تسوّف حاجة لبعد الكلية، أنا بقول لك أهو، أنا جاي لك من المستقبل، وهتلاقي في الكومنتات دلوقتي ناس بيقولوا لك: "الشيخ بيقول لك صح"، يعني اسمع كلام "عمو علاء"، لأن بعد الكلية، يا جماعة، الوضع أصعب بكتير، بالنسبة للرجالة في جيش، وجواز، وشغل، وخطوبة، والدنيا، والنساء هتتجوز، وحمل، ورضاع، والدنيا هتبقى مشغولة جدًا.

يا جماعة، والله، اللي يتيسر له طلب علم أو حفظ قرآن، يخلص اللي يقدر عليه في الكلية، ينجز في الكلية، طيب، أنا عديت الكلية، مش مشكلة، بس أنا ببعت رسالة

لطلاب الكلية بالذات عشان ألحقهم، وبعد كده بقول للناس اللي بعدهم: بعد الكلية، نفس الفكرة، عندك مسجد، عندك دورة أونلاين، عندك أخت تتابعك، عندك محفظة متاحة، الحق، ما حدش عارف بكرة هيحصل إيه.

خلاص، يبقى إحنا فهمنا خطورة المحضن التربوي.

» أنا أعرف إخوة - اللهم بارك - بدأ التزامهم على طول من أول ما بدأوا في الكلية، وما شاء الله، طلب علم، واجتهاد، وحفظ قرآن، وبعد ما خلصوا الكلية، وسافروا واتطحنوا في السعودية أو في الإمارات أو غيرها، واشتغلوا، طيب، الأخ ده لما بيرجع، بلاقيه أحسن من الأول، يعني، هو ما اتغيرش، ليه؟ لأنه أسس صح.

» العكس تمامًا: في إخوة مثلًا كانوا في الكلية مكسلين، يقول لك: "شيخنا، الكلية ، بعد الكلية بقى أبقى أحفظ قرآن وأحضر دروس، أنا مش فاضي دلوقتي، بعد الكلية"، اضطر يسافر، دخل الجيش، اضطر يسافر مرة أخرى، وحاله اتدهور جدًا، ما بقاش ملتزم تقريبًا، بقى مجرد مظهر، أقصى شيء يعمله أنه يصلي في المسجد ويعيش على الهامش، ما عنده همة لأي شيء، لأنه ما لحقش يأسس نفسه وما استثمرش الوقت كويس، دخل أطحن في الحياة، ولم يستطع أن يفوق لغاية دلوقتي.

فيوسف عليه السلام بيقول لنا: الحق نفسك!

ويعقوب عليه السلام بيقول للمربي: الحق اللي حواليك!

يعني، ما تضيعش وقت مع اللي حواليك، برضو، اللي تحت إيديّ، قد لا أجده غدًا؟ عشان كده، ممكن تلاقوني مثلًا بعمل دورات كتير، صح؟ ممكن أحيانًا تبقى دورتين وتلاتة، وبتضايقوا إن أنا عامل ضغط عليكم، بطلع لايف، وبعمل برنامج!

يا جماعة، ما حدش ضامن بكرة، أنا النهاردة عندي لسان أتكلم، عندي وقت، عندي معلومة عايز أقولها، أنا متاح الآن، لكن أنا مش عارف بكرة هيحصل إيه. معلش، نستحمل بعض، لأن العمر الله أعلم.

أنا عندي مشروعات دعوية كثيرة، وأفكار كثيرة، ومش عارف أعملها كلها إمتى، العمر قصير، وأنتم متاحين قدامي، مش معقول أني أضيع الفرصة دي، والحمد لله عندكم إقبال، وهمة، ورغبة، فكيف أضيع الفرصة؟

معلش، أنا بس أنا بحاول أستثمر الوقت، لأنني لا أعلم ماذا سيحدث غدًا.

طيب، يلا بنا نبدأ.

في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]

تبدأ القصة معنا بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾

أول حاجة نقف معها هي كلمة "آيات"، آيات يعني عِبَر، يعني دلالات.

دي بداية ونهاية السورة أيضًا:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]

السورة دي، يا جماعة، فيها كمية آيات وعِبَر ودلالات غير عادية.

أنا ممكن أقول لكم دلوقتي مثلًا عشرة أمثلة، وفي أكثر.

فنجد في هذه السورة :

١ـ آيات ودلالات على وحدانية الله جل في علاه، من خلال تفاصيل القصة، ومن خلال دعوة يوسف عليه السلام في السجن.

هنلاقي في السورة دي دلالات على:

كمال الله وأسمائه وصفاته. حكمة الله. فضل الله. علم الله. قوة الله. غلبة الله.

٢ـ فيها دلالات على صدق الرسل وصفاتهم الجميلة: وإحنا هنستمتع مع رسولين في هذه السورة، ونرى فيهم الكرم، والإحسان، والصبر، والعفو، والاستعانة بالله، والشكر، والتفويض، وقوة الرجاء، وعدم اليأس من روح الله.

٣ ـ سنرى في هذه السورة حسن عاقبة الصبر وحسن عاقبة التقوى:

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

٤ ـ سنرى في هذه السورة دلالات وآيات على قبح عاقبة الحسد والكبر والحقد، وأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله.

٥ - سنرى في هذه الآيات دلالات بيّنة على الدار الآخرة والثواب والعقاب.

٦ - سنجد في هذه السورة دلالات واضحة على شرف العلم، وشرف الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

٧ - في هذه السورة دلالات واضحة وآيات على طرق الدعوة إلى الله بالحسنى، واستعمال الموعظة الحسنة والحكمة في الدعوة إلى الله.

٨ - سنجد في هذه السورة دلالات واضحة على أن

﴿اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

٩ - السورة فيها دلالة على أن النبي ﷺ رسول من عند الله، لذلك تُختتم السورة بقوله تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

فحكاية النبي ﷺ للقصة هي في ذاتها دليل على صدقه ﷺ .

١٠ - أخيرًا، فيها دلالة على أن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، لأنه لا يمكن أن تأتي هذه القصة إلا من عند الله سبحانه وتعالى.

ثم بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿آيات لِلسَّائِلِينَ﴾، أي لن ينتفع بهذه الآيات إلا السائلين، وكأن الفائدة هنا :

"الذي يسعى للحق ويريده ويطلبه »» يصل إليه"

أي: اسأل عندما تريد أن تعرف شيئًا، فالذي يسأل يكون صادقًا في رغبته في المعرفة، والصدق يظهر من السؤال. هناك أشخاص يقولون: "نفسي أحفظ القرآن"، لكن هل سألوا عن شيخ؟ لا. هل بدأوا الحفظ؟ لا.

وشخص آخر يقول: "لا أعرف عملي هذا حلال أم حرام"، هل سأل؟ لا.

إذًا، لماذا لا تسأل؟ البعض لا يملك الصدق .

"فالسؤال هو بابك للوصول إلى الحق"

لهذا، ربنا سبحانه وتعالى علمنا أهمية أسئلة الصحابة العظيمة، فقال: يسألونك عن الخمر والميسر، يسألونك عن الأنفال، يسألونك عن اليتامى، يسألونك عن المريض.

فالصحابة كانوا يسألون ويتعلمون ثم يعلمون من بعدهم.

إخوة يوسف قالوا:

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾

إخوة يوسف من أم واحدة، أما يوسف وأخوه بنيامين فمن أم أخرى، وكان هذا أحد أسباب الحسد بينهم.

يوسف وبنيامين كانا أبرّ منهم بأبيهما، وكانوا مهذبين، أصحاب خلق، مما جعل يعقوب عليه السلام يحبهما أكثر من بقية أبنائه، وليس لأنهما من أم أخرى أو لأنه كان يحب والدتهم أكثر أو لأن يوسف أجمل.

بل كان هناك فرق في الأخلاق والمعاملة، وسنرى ذلك لاحقًا.

هناك فرق بين من يقول ﴿يَا أَبَتِ﴾ ومن يقول ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فمن الطبيعي أن أي أب سيحب الابن الأول أكثر.

وسنناقش لاحقًا مسألة الحب، وهل يلزم العدل فيها أم لا.

لكن مشكلتهم الآن أن يعقوب عليه السلام كان يحب يوسف وبنيامين أكثر منهم، وهذا ما أدى إلى الحسد.

الحسد داء عضال:

» الحسد إذا تملك من شخص أهلكه، فهو الذي أهلك إبليس، إذ حسد آدم على المنزلة التي أعطاه الله إياها.

» الحسد هو الذي أهلك ابن آدم الأول، حينما حسد أخاه فقتله.

» الحسد هو الذي أهلك اليهود، فقد حسدوا العرب على النبي ﷺ ولم يرضوا أن يؤمنوا به بسبب الحسد.

المشكلة أن الحاسد يريد الميزة التي عند المحسود، لكنه لا يفكر في السبب الذي أوصله لهذه الميزة، ولا يرى العيوب التي لديه والتي منعته من الوصول إليها.

يريدها فقط بلا سبب!

مثلًا، شخص يحسد آخر على تفوقه الدراسي، فلماذا يحسده؟ لأنه يريد التفوق بلا جهد!

هذا الشخص المجتهد ذاكر بجد، لم يضيع وقته، لم ينشغل بالملهيات، لم يسهر على المقاهي، بينما الحاسد يفعل كل العكس، ثم يتساءل: "لماذا هو الأول وأنا لا؟"

إذن، الحاسد أعمى عن كمالات المحسود التي أوصلته لهذه المرتبة، وأعمى عن عيوبه التي منعته منها.

فلو كان إخوة يوسف عليه السلام عقلاء، لكان عليهم أن يتساءلوا:

لماذا يحب أبونا يوسف أكثر منا؟ وكان الجواب سيكون واضحًا:

» لأن أخلاقنا ليست جيدة، بينما يوسف وبنيامين أكثر أدبًا وبرًّا.

إذن، الحل بسيط: كونوا مثلهم، وسينالكم نفس الحب!

لكنهم لم يفكروا بهذه الطريقة، بل فكروا في قتله. وهذه هي مأساة الحسد.

فالحاسد هو شخصية كسولة. هو يريد أن يأخذ مزايا الناس بدون أن يبذل أي مجهود! أو إذا لم يستطع أن ينال المزايا، يريد أن تزول من هؤلاء جميعًا، وما حدش يبقى عنده الميزة دي طالما أنا مش عندي تبقى مش عندكم كلكم. ثم هو يعمى عن فضل الله، فربنا يصطفي من يشاء، وهو أعلم بالقلوب سبحانه وتعالى.

لذلك، إخوة يوسف لم يتوبوا من الحسد حتى شهدوا فضل الله تعالى. خُد بالك، مهم جدًا: لم يتوبوا من الحسد حتى شهدوا فضل الله تعالى.

يوسف عليه السلام ذنبه إيه؟ أن ربنا أكرمه بحب يعقوب؟ ذنبه إيه أن ربنا اصطفاه لمنازل عالية؟ يبقى لما تيجي تقول: "في مِنَّة عند شخص، وأنا مش عاجباني إنها عند الشخص ده"، أنت كده مش بتتعامل مع الشخص، أنت كده مش عاجبك ربنا، أنت كده مش راضٍ بقِسْمَة الأرزاق اللي ربنا قسمها. خُد بالك، الحاسد حسده معناه حاجة واحدة: أنه غير راضٍ عن قِسْمة الله للأرزاق.

قال تعالى:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]

ده ربنا اللي بيقسم الأرزاق وهو عليم حكيم. رجعنا تاني للاسمين العظيمين: العليم الحكيم.

الحاسد إمتى هيهدى؟ لو علم أن الأمر كان من الله، فينشغل عن المحسود، ويتعامل مع الله مباشرة، يطلب منه ويسأله من فضله.

زي ما ربنا قال عن النساء والرجال ، آية واحدة تحل مشكلة النسوية كلها، والنساء اللي طالعين لنا عايزين ينافسوا الرجال في مجالاتهم. طب يا جماعة، كل واحد له مجاله:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]

كل واحد ينافس جنسه. بص الآية بتقول إيه:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]

طب وبعدين؟ نقعد نبص لبعض؟ لا! الحل في الآية : ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾

الموضوع بسيط، بدل ما تحسد الناس، اسأل ربنا: "يا رب، اديني زي فلان". أنت مالك بقى ومال فلان؟

واحدة عندها أولاد، بتحسديها ليه؟ قولي: "يا رب، ارزقني بالخلف الصالح"

واحد عنده أموال، بتحسده ليه؟ قل: "يا رب، ارزقني مثله وبارك له فيما أعطيته"

الحاجة التانية: بص، إنت مقصر في إيه؟

لازم تذاكر! ، لازم تطلب الهداية! ، لازم تحفظ قرآن!

بتحسده ليه؟ ركز على نفسك! اعمل حاجتين:

- تعامل مع الله مباشر.
- وانظر في تقصيرك واشتغل على نفسك.

عشان كده، إخوة يوسف ما اتحلّوش من الحسد ده إلا لما قالوا الكلمة العظيمة دي:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]

يااااه! بعد أربعين سنة أخيرًا فهمتوا؟ أخيرًا فهمتوا أن ربنا هو اللي اصطفى يوسف! طب من الأول، كنتم بتحسدوه ليه؟ كنتوا طلبتم من ربنا وخلاص، تعاملتم مع الله وخلاص.

فلما انصلح حالكم، أبوكم حبكم، وبعدما توبتم، الأمور كلها تحسنت.

العجيب أن أخوة يوسف كانوا يحسدوه على شئ معنوي في قلب يعقوب، الإنسان لا يملك قلبه ، أيضا ظلوا يحسدونه حتى آخر القصة!

يعني حتى وهم أمام يوسف، لما اتهم بنيامين بالسرقة، قالوا:

﴿فَإِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧]

يا نهار أبيض! لسه الحقد جواكم؟! عشان كده، الحسد نار تأكل صاحبها حتى لو المحسود اختفى! يعني حتى لو قتلت المحسود، مش هتهدأ!

والدليل؟ بعد سنين طويلة، يوسف مش قدامهم، لكن لما أبوهم افتكره وقال:

﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]

برضه ما عجبهمش! قالوا:

﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]

إيه ده؟! حتى مجرد الذكرى بتحسدوها؟ »» الحسد خطير جدًا!

﴿قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]

خُد بالك من حاجة! قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾، مش "أخونا يوسف وأخونا بنيامين!"

عزلوه حتى في اللفظ! مش قادرين حتى يعترفوا إنه أخوهم!

﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾

طيب، سؤال: هل حب يعقوب ليوسف أكثر من إخوته مشروع؟

يعني هل أخطأ يعقوب في ذلك؟ الجواب: لا، الإنسان لا يلزم أن يساوي بين أبنائه في المحبة، لأن المحبة شيء خارج عن طاقة الإنسان، ولا يمكن أبدًا أن يستطيع إنسان

أن يحب من يحسن إليه مثل من يسيء إليه. كيف يحب الذي يقول: ﴿يا أبتِ﴾ مثل الذي يقول: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؟ لا يمكن أبدًا. إذًا، المحبة شيء لا يقدر عليه الإنسان.

» لذلك حتى بين الزوجات، النبي ﷺ لما سُئل: من أحبُّ الناس إليك؟ قال: "عائشة". إذًا، العدل بين الزوجات ليس لازمًا أن يكون في الحب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. المقصود هو العدل في المحبة، فبعض الناس يقول: "التعدد لا ينفع لأن الله قال إنكم لن تستطيعوا العدل"، لكن الآية تقول: لن تستطيعوا تحقيق العدل التام الذي يصل إلى درجة المحبة، لأن الميل القلبي خارج عن إرادتك، وهذا معفوٌّ عنه. لكن الإنسان يقدر أن يعدل في الأمور المادية مثل السكن والمبيت والمأكل والمشرب، وهكذا.

» نفس الفكرة مع الأولاد، فالواجب على الوالدين أن يعدلوا في العطايا، وأيضًا أن يعدلوا في المعاملة قدر المستطاع. لكن الأصل أن العدل في العطايا، والمقصود بالعطايا هو الهبات الزائدة عن الحاجات. النبي ﷺ جاءه صحابي وأراد أن يخص بعض أبنائه بعطية، فقال النبي ﷺ: "لا تُشهدني على جور"، يعني هذا ظلم، وقال: "اعدلوا بين أولادكم"

في ماذا يكون العدل ؟

» في العطايا، أي الهبات الزائدة عن الحاجات. بمعنى أنه لا يلزم العدل في الحاجات الضرورية. مثلًا: عندي ابن مريض وابن سليم، أكيد سأصرف على المريض أكثر، فلا يصح أن يقول الابن السليم: "أعطني مالًا مثل الذي صرفته على أخي المريض"، لأ هنا أخاه محتاج. أو عندي ابن في كلية هندسة، وابن في كلية تجارة، وابن في كلية طب، فمصاريف كل واحد منهم تختلف، لأن ظروفهم مختلفة، ولا يصح أن يقول أحدهم: "لقد صرفت على أخي أكثر مني"، لأن ظروفهم مختلفة.

أو مثلًا: أحد الأبناء تزوج في وقت كان الذهب رخيصًا، والآخر تزوج في وقت كان الذهب أغلى، فلا يصح أن يطالب الابن الثاني بالفارق. هذه أمور لا يلزم فيها المساواة، فكل شخص وظروفه، وكان من الممكن أن يكون أي منهم مكان الآخر.

لكن نتحدث عن الهبات المطلقة، أي التي ليست متعلقة بالحاجات الأساسية. مثلًا: إذا اشتريت هدايا أو وزعت عيديات، فهذا يجب فيه العدل. كما يجب العدل بين الأولاد

الذكور والإناث، لأن هذا ليس ميراثًا. فبعض الناس يقول: "الذكر يأخذ ضعف الأنثى"، لكن هذا في الميراث، وليس في الهبات، لأن هنا العلة في الحب.

النبي ﷺ لما جاءه رجل وقال له: "أنا أعطي ابني ولا أعطي الآخر"، قال له: "أتحب أن يكون لك في البر سواء؟" قال: "نعم"، فقال: "فاعدل بينهم".

إذًا، المسألة متعلقة ببر الأبناء، وهذه العلة مشتركة بين الذكور والإناث، فلا يفرق بينهما في الهبات. أما الميراث، فله علة أخرى مختلفة.

إذن، يجب المساواة بين الأبناء في الهبات حتى يشعر الجميع بأن الأب يعاملهم سواسية، فلا تحدث مشاعر الغيرة والتمييز بينهم، والتي قد تؤدي لاحقًا إلى مشكلات كبرى .

سيدنا يعقوب -عليه السلام- لم يُقصِّر أبدًا في هذه المسألة، وكان ملتزمًا بالعدل بين أبنائه في العطايا.

» وطبعًا، يجب على الوالد أن يحاول العدل بين أبنائه حتى في الحركات. مثلًا: إذا قبَّل أحدهم، فليقبِّل الآخر، إذا سلَّم على أحدهم، فليسلِّم على الآخر، إذا ابتسم في وجه أحدهم، فليفعل مع الآخر. صحيح أن هذا قد لا يكون دقيقًا تمامًا، لكن عليه أن يجتهد قدر المستطاع، لأن الأبناء يلاحظون هذه الأمور بدقة.

من لديه أبناء سيُدرك ذلك جيدًا. الأطفال يلاحظون كل شيء، حتى في الأمور الصغيرة. مثلًا: قد تقول لابنتك وهي ترتدي ملابسها: "تسريحتك جميلة"، ولكنك لم تقل ذلك لأختها، فستشعر بالفرق. أو تقول لواحدة: "فستانك رائع"، ولا تقول للأخرى، فستشعر بالتمييز. انتبه جيدًا، وزع الكلام بالتساوي، وزع القُبَل، وزع السلام، وزع الأحضان.

هذه الأمور البسيطة قد تؤدي إلى مشكلات كبيرة بين الأبناء بعد وفاة الأبوين، حيث يتحول الأشقاء إلى أعداء فورًا بسبب غلطة كان يعملها الأب أو الأم من زمان. فالذي تقدر عليه في العدل اعمله.

لكن القلب، ماذا أفعل فيه؟ هذا خارج عن إرادتي. النبي ﷺ طلب من ربنا العفو عن هذا الأمر، فلما عدل بين الزوجات قال: "يا رب، هذا قسمي فيما أملك، فلا تكلفني بما لا أملك"، قلبي لا أستطيع التحكم فيه.

طيب، أنا لو أحب بنتًا أكثر من بنت، أو ولدًا أكثر من ولد، ولكن لسبب واضح، فهذا مؤدب، وذاك أقل شوية. هناك سبب، خاصة إذا كان حبي في الله. فحب يعقوب ليوسف دخل في الحب في الله، لأنه كان يحبه لأمر يتعلق بالله؛ أخلاق وديانة وعقيدة وسلوك وطلب علم. هذا حب في الله فعلاً، وبالتالي لا يُلام يعقوب على أنه يحب يوسف وبنيامين أكثر من باقي الأبناء. وبالتالي، الأبناء ليس لهم حق أن يقولوا: "لماذا يحبهم أكثر منا؟". بل كان الواجب عليهم أن يبحثوا عن السبب ويحلوا المشكلة.

قالوا: ﴿أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ وبعد ذلك قالوا: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]. ركّز في الكلام، قالوا: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]. ما الذي يريدون قوله؟ يريدون أن يقولوا: كيف يحب اثنين ويترك عشرة؟ ايو يعني فين المشكلة؟ المفروض أننا أكثر، المفروض أننا أقوى، فالمفروض يحبنا أكثر!

كذلك، الحسد جعلهم يرون ما ليس بميزة كأنه ميزة، وفي نفس الوقت أعماهم عن الميزة الحقيقية. أنت تقول: "نحن عشرة"، وهم اثنان، لكن أين الميزة في العدد؟ لماذا يجب أن يحبكم أكثر؟ لأنكم أكثر عددًا؟ هذا ليس منطقًا. الحسد يعمي الشخص عن حتى المقاييس المنطقية. ولو ركّزنا في السورة، لوجدنا أن هذه العصبة كانت سببًا في كل شر، فاجتماعهم لم يكن أبدًا على خير، وكل اجتماعاتهم كانت تؤدي إلى شر في النهاية.

وهذا ينقلنا إلى أزمة واقعية، وهي أزمة اعتقاد الأفضلية المطلقة بسبب العدد. فالعدد الأكبر ليس دائمًا هو الأفضل.

الرجل صاحب الجنتين قال: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]. طالما عندي عدد أكبر، إذًا أنا على الحق!

فالدول والأشخاص أصبحوا يقيمون الصح والغلط بناءً على المال والعدد، وليس بناءً على القيم والمبادئ. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]. أي أنهم يعتقدون أن كثرتهم دليل على أنهم الأفضل، وأن المؤمنين على خطأ.

وهذا تفرّع عنه واقعنا اليوم، فيما يمكن أن نسميه "المتابعين والفولورز واللايكات والمشاهدات"، التي بدأت تفرض علينا أشخاصًا في المجتمع، فقط لأنهم يعرفون كيف يجلبون مشاهدات. هناك من يفرض نفسه بشهرته، وليس بقيمته الحقيقية.

شخص على "تيك توك" مثلاً، طوال الوقت يستخدم ألفاظًا بذيئة ويتحدث مع الفتيات، فيصبح نجمًا! لماذا؟ لأنه الأشهر! فتاة أصبحت مشهورة لأنها تعرت، إذًا هي الآن "ممثلة"، ستظهر في المسلسلات والأفلام! شخص آخر أصبح "بطلًا شعبيًا" فقط بسبب الشهرة، وليس بسبب القيم أو الأخلاق.

هذا يعيدنا إلى المشكلة نفسها: ﴿نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، وهو مرض عالمي لن ننتهي منه، حيث تُقاس الأفضلية والمكانة حسب عدد المتابعين والمشاهدات، وليس حسب قيمة الشخص وأخلاقه وسلوكه وتربيته وعقيدته .

قالوا: ﴿نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ فحكموا فورًا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨]! يا نهار أبيض على هذه الكلمة! هل تُقال هذه الكلمة على نبي؟ كيف يحبهم وهم يقولون عنه هذا الكلام؟

كلمة ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ تأتي بمعنيين:

- الأول، الضلال بمعنى البعد عن الحق والإعراض عنه، كما في: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. أي شخص لا يريد معرفة الحق ولا الالتزام به، فهذا يسمى "ضالًّا".
- المعنى الثاني: الضلال بمعنى الذهاب عن حقيقة الأمر، أي أن الشخص لم يعرض عن الحق، ولكنه لم يدركه، مثل من يضل الطريق، فهو لم يقصد الطريق الخطأ، لكنه دخل فيه بالخطأ.

الآن لدينا احتمالان، وكلاهما صعب، ولكن الأول أصعب بكثير. ولهذا اختلف العلماء في تفسير كلام أبناء يعقوب، لأنه إن كانوا يقصدون المعنى الأول، فهذا كفر! فمن قال عن نبي إنه "ضال" بالمعنى الأول بقصد انه معرض عن الحق، فقد كفر، لأنه سبَّ نبيًّا، وهذا كفر أكبر.

حتى اللي هيقول بالقول ده هيقول إن إخوة يوسف لم كفروا. ليه؟ بيتأولوا بقى الحتة دي، يقولوا قد يُعذروا بالجهل. يعني يُعذروا بالجهل إنهم جهلوا أن ما ينفعش يتقال كده عن النبي. جهلوا ذلك. فاللي بيقول إن "ضلال" دي معناها الضلال اللي هو المعنى الأصعب، اللي هو الذهاب عمدًا عن الحق، فيقول هذه الكلمة كفر، لكن منع من تكفير إخوة يوسف الجهل. وده من أدلة اللي بيقولوا بالعذر بالجهل.

القول الثاني: بيقول لك لا، صعب جدًا يكون أبناء يعقوب عليه السلام يجهلوا مسألة زي دي. أبناء نبي، كيف يجهلوا مقام وشرف الأنبياء، وأن من الكفر سبّ الأنبياء؟ فحملوها على المعنى التاني. قالوا: ما بيقصدوش الضلال اللي هو تعمُّد ترك الحق، إنما يقصدوا الضلال إنه زهل عن حقيقة الأمر. كان عايز يقول له: أبونا، يعني إيه؟ كأنه عايز يقول له: مش شايف كويس، مش واخد باله، مش حاسبها صح، مش قصدهم يعني إنه متعمد، لا، يعني الرؤية مش واضحة، فضل يعني ذهب عن حقيقة الشيء.

ونفس الكلام هيتقال في آخر السورة: ﴿إنك لفي ضلالك القديم﴾. نفس الآية، نفس الفكر. تمام، فلو قلنا إن المعنى التاني، هنقول الكلمة دي ساعتها مش هتبقى كفر، بس هتبقى سوء أدب شديد جدًا مع نبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى. تمام؟

فهما في الحقيقة، يعني في كلامهم جمعوا بين ضلالات كتيرة قوي: عقوق والدين، عقوق الأب، حسد الأخ، غيبة الأب! وقعوا في سوء ظن، نسبه، يعني العجب بالنفس، حاجات كتيرة قوي، مصايب كتيرة قوي. في الآخر يقول لك: "إنت ما بتحبناش ليه؟" طيب أحبك إزاي؟ وانت كده؟ صلح نفسك وأنا أحبك! ودي بقى قاعدة في أي حد .

في ناس ما بينا وبين أصحابنا وقرايبنا وجيراننا، يقول لك: "إنت بتعامله أحسن مني!" ما أنت شايف هو راجل معي، وجدع معي، ومؤدب ومحترم، وإنت دايمًا أخلاقك صعبة، ألفاظك صعبة، ومعاملتك مش كويسة، صلح نفسك وهتلاقيني كويس معاك.

﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾. كمان !

فهنا بيُثار مسألة القصة بقى اللي حصلت دي، بعد ما هنقول بقى ﴿اقتلوا يوسف﴾ هنا بيجي سؤال، ورد السؤال في الحتة دي: هل أبناء يعقوب عليه السلام صاروا أنبياء بعد ذلك؟ البعض قال فيه قول بكده، بس الصحيح: لا. إن ربنا قال: ﴿إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾

كلمة "الأسباط" يعني نسل يعقوب، الاثنا عشر فرعًا من يعقوب عليه السلام بيتسموا الأسباط. فالبعض لما شاف "الأسباط"، قال: أبناء يعقوب نفسهم صاروا أنبياء. والصحيح: لا. النبوة كانت في الفروع دي، يعني كانت في أبناء يعقوب بس مش أبناؤه نفسهم. ليه؟ الإجابة: لا يُتصور أبدًا أن النبي يكون قبل النبوة على هذا الحال

السيئ، فيكون خائن، غادر، عنده محاولة قتل، عنده سوء أدب، عنده غيبة. الأنبياء قبل النبوة بيكونوا من أصلح الناس حتى قبل النبوة، فلا يُتصور أن ده يكون حال نبي قبل النبوة أبدًا. فلا يمكن، ربنا قال عن سيدنا إبراهيم:

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾

يعني من قبل النبوة كده، ومعلوم أن جميع الأنبياء كانوا أحسن الناس سيرة في قومهم قبل النبوة. واضح؟ فـ اذًا مسألة: هل كان أبناء يعقوب عليه السلام بعد التوبة صاروا أنبياء؟ لا. لكن النبوة كانت في نسلهم بعد كده. وهم صاروا صالحين بس، بس ما صاروش أنبياء.

طيب تعال نكمل. قالوا بعد كده إيه بقى؟ ﴿اقتلوا يوسف﴾. يا الله، اقتلوا يوسف! ده اللي وصلوا له! فانظر إلى مآل الحسد: ﴿اقتلوا يوسف﴾. تخيل بقى إنك ممكن توصل لهذا المآل: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا﴾

﴿اطرحوه﴾ يعني إيه؟ يعني انفوه، مكان بعيد جدًا، ودوهم مكان بعيد جدًا. تمام؟ بحيث إنه يهلك برضو، محدش يلاقيه، فيهلك.

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا﴾

ابن إسحاق بيقول: لقد أجتمعوا على أمر عظيم، من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضَّرع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني، ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده، ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله، في من أحبه طفلًا صغيرًا، وبين ابنه على ضعف قوته، وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده، وسكونه إليه. يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمرًا عظيمًا.

﴿اقتلوا يوسف﴾! يعني هو ده الحل؟! طيب، تعالوا بقى نناقش الموضوع ده، عشان الموضوع ده خطير قوي.

أولًا، الاقتراح الأول: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضًا﴾، يعني نشوف مكان بعيد بحيث إنه يموت من الجوع بقى، ما حدش يلاقيه فيموت. طيب، بعدين؟ ﴿يخلُ لكم وجه أبيكم﴾

سؤال: هل أنتم متخيلين؟ إنكم تعملوا كده، يخلُ لكم وجه أبيكم؟!

يعني أنت متخيل أنك لو قتلت يوسف عليه السلام، أو يعقوب عليه السلام شك للحظة أنكم عملتم كده، إن هيصفو قلبه لكم!!! وهل كانت دي المشكلة! يعني إزاحة يوسف عليه السلام هتخليه يحبكم؟ حاجة غريبة. فهنا بدأت الخطة الشيطانية على أبناء يعقوب نفسهم. الشيطان لعب عليهم لعبة جامدة جدًا.

أولًا، زيَّن لهم حاجتين:

أول حاجة، زين لهم، أن مجرد ما يوسف يطلع من المشهد، أو والدكم مش هيلاقي غيركم، هيحبكم. وده كذب، خدعة رهيبة جدًا. مين قال إنه هيحبك؟ وأنا هحبك عشان أنت اللي موجود وخلاص؟ طب ما أنت بأخلاقك، بل الأمر هيبقى أسوأ، لأن أنا ممكن أشك إنك أنت اللي قتلته، غير الحزن اللي هيبقى في قلب يعقوب عليه السلام، اللي هيمنعه إنه يفكر في أي حد خلاص، هيذهل عن كل شيء، بسبب حبه وافتقاده ليوسف عليه السلام. دي أول خدعة اتخدعوا بها.

السؤال التاني: هل لو أنتم فعلًا بتحبوا يعقوب عليه السلام، والنية أني أنا بحبه وعايزه يحبني، في حد عاقل يحب حد هيعمل فيه كده؟! إذًا ده مش حب، ده اسمه أنانية. في فرق يا جماعة بين الحب والأنانية. في واحد بيقول لك: "أنا بحبك"، بس هو في الحقيقة بيحب نفسه فيك.

الناس نوعين يا جماعة في الحب:

في واحد بيحبك فعلًا، اللي بيحبك بيحب لك الخير، اللي بيحبك بينصحك، اللي بيحبك بيدافع عنك، اللي بيحبك ما يسببلكش أذى ولا شر.

﴿إني أنا أخوك فلا تبتئس﴾، دي بتوصل لدي. لكن اللي بيحبك، وعنده استعداد عشان يحقق شهوته من الحب ده، إنك تتأذى، إنك تتحرم، إنك تزعل، مش مهم، المهم أنا أوصل لك، يبقى هو مش بيحبك، هو بيحب نفسه فيك، أناني، ولازم نميز بين الاثنين. القاعدة بتقول لك: اللي بيحبك لا يأذيك.

عشان كده نرجع ونقول الكلام ده في حب امرأة العزيز ليوسف. امرأة العزيز ما كانتش بتحب يوسف، امرأة العزيز كانت أنانية، بتحب نفسها، والدليل على كده، أنه أول ما ما قَدِرتش توصله، قالت:

﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يُسجن أو عذابٌ أليم﴾

وقعد سنين في السجن، ما سألتش عليه، مش فارق معها، لأنها في الحقيقة كانت بتحب شهوتها بس، وما كانتش بتحب يوسف في الحقيقة. ودي رسالة بنقدمها لكل بنت: كل بنت، الولد اللي بيخليكي تعملي حرام، مش بيحبك، بيحب نفسه. الولد اللي كنتِ محترمة ومؤدبة، وما لكِيش في السكة دي، وما تكلميش ولاد، قعد يلعب عليكِ، ويتك على مشاعرك، ويخليكِ تكلميه، واقنعك إنه كويس، وإنه هييجي لكِ، وإنه هيعمل، فكلمتوا بعض، وحبيتوا بعض، ومشيتوا مع بعض، ومسك إيدك، ووقعك في حرام في الكلام وفي اللمس، ده مش بيحبك، ده بيحب نفسه.

جرّبي كده تسيبيه، هيتحول لوحش كاسر، يتمنى موتك! اللي بيحب واحدة ما يوقعهاش في حرام، اللي بتحب واحد ما توقعوش في حرام. تحبها؟ هييجي من الباب. اللي بيجي من الباب ده هو اللي بيحبك.

وممكن يكون البعيد بيحبك أكتر من القريب، والقريب هو اللي عايز يأذيك. إحنا شايفين إخوة يوسف عايزين يؤذوه! العزيز قال: ﴿أكرمي مثواه﴾.

فاللي جاي لكِ بالدوغري، ده اللي نرجو إنه يحبك فعلًا من قلبه، حتى لو مش باين عليه دلوقتي، واللي جاي لكِ بالعِوَج، ما بيحبكيش، ده بيحب نفسه، بيحب نفسه.

وشوفنا كتير، ناس، مجرد ما البنت سابته، هدَّدها بالفضيحة، مجرد ما قالت له: "أنا مش عايزة أكمل"، هدَّدها بالصور. شوفت مآسي في الموضوع ده، بنات صالحات وقعوا في الغيَّة دي، جت تسيبه؟ قال لها: "هطلع لك الصور اللي ما بينا، هقول لأخوكِ، هقول لأبوكِ". أي حب هذا؟ !

ده إحنا شوفنا بقى، مهازل! اللي قتل واحدة عشان رفضت تتجوزه في الآخر، قتلها في الشارع، قتلها قدام الناس في الشارع! ده حب؟! لازم تعرفي مين اللي بيحبك: اللي بيحبك بيجي بالدوغري، اللي بيحبك بيجي من الباب، لكن اللي بيجي بالملتوي، اللي بيوقعك في حرام، ده بيحب نفسه، ابعدي عنه تمامًا!

دي أنانية، ده حب زي حب أبناء يعقوب ليعقوب، وحب امرأة العزيز ليوسف، والحب ده عقوبة، نهايته سودا، ربنا بيعاقب الأناني ده. أولًا، بيعذبه، يفضل معذَّبًا بالمحبوب، ومش بينوله مراده أبدًا، حتى لو وصل له، بيفضل يتعذب به، ويشقى، ومش بيستريح أبدًا، لأنه ما حبوش فعلًا، إنما هو أناني، بيحب نفسه.

﴿يخلُ لكم وجه أبيكم﴾

خد بقى الخدعة اللي جاية:

﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾

دي بقية الخطة الشيطانية، اللي هو الشيطان، عشان يزين لك المنكر، هو منكر، وأنت عارف أنه منكر، بس هو بيهوّنه عليك بأنه يمنّيك بتوبة قريبة:

﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾

فكرة التوبة المستقبلية لتهوين المعصية الحالية، ولو عظُمت!

يلا يا عم، مش مشكلة، هنخربها في المصيف، ولما نرجع، ربنا يهدينا! مش مشكلة، نخربها قبل رمضان، ولما رمضان ييجي، هنبقى كويسين! مش مشكلة، في الكلية، وإحنا لسه صغيرين، وأول ما نطلع من الكلية، بقى ربي دقنك، وانتِ البسي النقاب، وتوبي بقى! يعني نعيش ساعة ، ها؟! مش مشكلة الفرح، اخلعي الحجاب، والبسي ضيق، ليلة الفرح، تاني يوم بقى، صلوا بقى، وقوموا الليل! ماتت في الفرح.. ايه رأيك ؟!

ده حلم ده. الشيطان ماكنش يحلم بكده؟ هو يتمنى إن أنت تموت على المعصية. فدي أقصى أحلامه، إنه يقعد يمنّيك فتعمل معصية، وهو يمنيّك بتوبة بعدها. فطبعًا المثالية بالنسبة له إنك تموت على المعصية. ده كده مية مية. طب ما متش على المعصية؟ بعد كده هيبتدي بقى يسوف لك التوبة أكتر، أو يلهيك عنها، أو من كتر ما أنت ما حاولتش، ربنا نفسه يحول بينك وبين التوبة:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]

وزي ما بيمنّي كتير من المسلمين، يقول لهم: "كل المسلمين هيدخلوا الجنة وكده كده ربنا غفور رحيم". كم من معصية حصلت بسبب الأمنية دي "ربك غفور رحيم، وربك رب قلوب، كلهم داخلين الجنة ."

وده بيبرز لنا أهمية التوازن بين الخوف والرجاء، وأهمية إن الإنسان يسمع عن النار، ويسمع عن ما عند الله من العقاب، ويسمع عن عقوبة الله ويخاف. التوازن مهم عشان نمشي صح. لو الخوف زاد قوي، هيأس. ولو الرجاء زاد قوي، هفجر. فلازم نتوازن بين الاتنين. فإياكِ الشيطان يخدعكِ الخدعة اللي خدع بها إخوة يوسف عليه السلام.

أنا هسألك سؤال: هل حصل لأبناء يعقوب أي حاجة من الحاجتين دول؟ الإجابة: لا.

فهمنا الخطة؟ أولًا: لم يخلُ لهم وجه أبيهم، بل الأمر زاد سوءًا، وبقى بيكرههم أكتر، لكن هو صبر عليهم وخلاص. وده من عجيب صبر يعقوب عليه السلام. إزاي صبر بعد كل ده؟

ثانيًا: لم يكونوا بعدها قومًا صالحين. أنا عايز أقول لك إنهم فضلوا أربعين سنة بعديها مش صالحين. أربعين سنة بعدها مش صالحين! لولا ستر ربنا، كانوا ماتوا على كده. ربنا سترها معهم في الآخر لما يوسف عليه السلام سامحهم، فتأثروا وتابوا. بس غير كده، لأ. أربعين سنة ربنا صبر عليهم، وكان ممكن يموتوا في أي لحظة من الأربعين سنة دول. فلم يحصل لهم لا خلوّ لوجه أبيهم، ولا صاروا من بعده قومًا صالحين، وإنما نجحت خطة الشيطان.

خلينا نقول فوائد جانبية – يعني دايمًا في كل آية كده هقول لكم فوائد جانبية:

الفائدة الأولى: أصعب خيانة هي خيانة أقرب الناس إليك.

لذلك الشاعر يقول:

"وظُلم ذوي القربى أشد مضاضةً * من ضربة السيف المهندِ"

لما الضربة تجيلك من قريبك، أصعب بكتير من لما تيجي من بعيد. خاصةً من الأخ اللي أنت أصلاً المفترض يكون سندك في الحياة.

بص أخت موسى عليه السلام:

﴿وَقَالَتْ أُخْتُهُ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]

بص لهارون مع موسى:

﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

الأخ سند، الأخت سند. ده المفروض، الأخ والأخت كده. فلما أخويا يحسدني، أمال سبت للغريب إيه؟ لما القريب يخونني، أمال الغريب يعمل فيّ إيه؟ فالضربة بتبقى موجعة أكتر.

الفائدة الثانية: في قول ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ فائدة خطيرة جدًا، وتربوية جدًا لكل أب، بل لكل أم. بتقول لك: ماذا يريد منك الأبناء؟

الابن لما بيبقى عايز أبوه، هو مش عايز هدايا. أنا مش عايز هدايا. أنا مش عايز تقول لي: "إحنا مربيينك، ومعلمينك وموديّنك أحسن مدارس". الهدف الأساسي اللي عايزه الابن من الأب والأم هو ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ ، أن يحس أنك جنبه، أن يشوفك، أنك تقعد معه، أن تفرغ له وقتًا تقعد معه لوحده، تدي له مشاعرك، تدي له اهتمامك، تدي له إحساسك، تسمعه، تتكلم معه، تهزر معه.

الفائدة الثالثة: الحب الصادق لا يفتر ولو غاب المحبوب.

يعقوب عليه السلام بعد أربعين سنة: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ على يوسف عليه السلام. وده الحب الصادق.

أحيانًا الواحد فينا يكون عنده مجموعة من الأصحاب، بحبهم قوي، وأرجو من الله أن يكون حبًا صادقًا. لا نتقابل من بعد الكلية، والحياة خدتنا. ممكن نقعد سنة ما نتقابلش، ولو اتقابلنا في أي لحظة، بنتكلم كأننا كنا مع بعض من ساعة. لا عتاب، لا لوم، مفيش أي حاجة.

بندخل في الموضوع على طول:

"أهلًا، إزيك يا أحمد؟ عامل إيه يا حبيبي؟"، ونبدأ نتكلم كأنه كان معي منذ قليل. حب رهيب في الكلام، ولم يتأثر الحب أبدًا بالفراق. الحب الصادق لا يتأثر بالفراق. عادي جدًا، حتى لو بعدنا عن بعض، نرجع عادي، وكأن شيئًا لم يكن.

قال قائل منهم: لا تقتلوا يوسف. يُقال إن القائل له أكبرهم سنًا، وكان أعقلهم شوية، وأحسنهم حالًا، فيه خير يعني. وهو نفس الشخص الذي قال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ فهو دائمًا الشخصية التي فيها خير عنهم شوية، هو أحسنهم حالًا وأرقهم قلبًا، وإن كان طبعًا قد شاركهم في الموضوع، لكنه على الأقل كان أحسنهم حالًا. فلما رأى أن الموضوع دخل في القتل، حاول أن يقدِّم اقتراحًا يخفف به الأمر قليلًا. هو ضرر أيضًا، لكنه أحسن حالًا من الاقتراح الأول.

قال: ﴿لا تقتلوا يوسف وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾

غيابة الجب: يعني بئر عميق، ليس بئرًا عاديًا، بل نضعه في عمق البئر حتى لا نراه، فنمضي، ولا يستطيع الخروج إلا أن يلتقطه بعض المسافرين. هذه هي الفكرة: أن يمر بعض السيارة (أي القوافل) فيلتقطوه في النهاية.

قال قائل منهم: ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ أحيانًا يُضطَر الإنسان لاختيار مرّ، لكنه أقل مرارة من غيره، وأحيانًا تكون كل الخيارات المتاحة شرًا، فيكون الإنسان الحكيم هو الذي يختار أقلها شرًا. فقد تجبر الظروف الإنسان أحيانًا على أن يكون كل المتاح أمامه شرورًا، فيكون من الحكمة أن يحاول الوصول إلى أقل شر ممكن.

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ قال الأخ: نرميه في غيابة الجب، ولكن الله أراد أن يرفعه على العرش، فغلبت إرادة الله إرادة الإخوة. فمن غيابة الجب إلى كرسي العرش!

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ انتبهوا، الله حكيم. الله سبحانه وتعالى يعلم أن يوسف -عليه السلام- لو بقي في هذه البيئة فلن يرتقي. طالما هو في جو المكر والحسد والظروف الصعبة هذه، فلن يرتقي، فانتزعه انتزاعًا من هذا الواقع، لأنه طول ما هو في حالة المكر هذه، فلن يستطيع أن يصفو للانطلاق. فانتزعه إلى بيت يُكرَم فيه، بيت العزيز، ثم إلى السجن وخلوة مع الله تعالى، ثم إلى المُلك والتكريم، فارتقى يوسف عليه السلام .

فأحيانًا يخلّصك الله سبحانه وتعالى من عوائق قلبك وأنت لا تدري.

قد يكون هناك شخص كان يتمنى دخول كلية معينة، لكنه دخل كلية أخرى، أو كان يتمنى العيش في مكان معين، ولكن حصلت ظروف اضطرته للانتقال إلى مكان آخر، أو كان لديه حلم معين لكنه تغير، ثم يكتشف بعد سنوات أن الله انتزعه من واقع كان فعلًا يعطّله، ولما ذهب إلى الواقع الجديد، ارتقى وانتقل إلى مستوى آخر تمامًا.

فأحسن الظن بالله.

﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾

هناك ريبة واضحة هنا! يكاد المريب أن يقول: خذوني!

أولًا، الطيبة الزائدة المفاجئة مريبة.

ثانيًا، كثرة التأكيدات مريبة.

﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ لام التأكيد ونون التوكيد الثقيلة، تكرار التوكيد كله مريب. هناك شيء خاطئ! لماذا كل هذا التأكيد؟

خاصةً أن أول كلمة قالوها تدل على نواياهم: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ لأنهم أرادوا الخيانة، فكان أول ما تفوّهوا به تأمنا ، وكأنهم شعروا داخليًا انه سيشعر بخيانتهم، فقالوا: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ ، كأنهم يحاولون إقناعه بشيء هم أنفسهم غير مقتنعين به.

وكما سيقولون لاحقًا:

﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾

لماذا تقولون ذلك؟ إذن أنتم تشعرون بالذنب بالفعل!

حتى أنهم قالوا له: أرسله معنا، لكن لماذا ﴿غدًا﴾ وليس اليوم؟ لأنهم يعلمون أن الموضوع صعب، ويحتاج إلى وقت طويل لإقناع يعقوب عليه السلام ، وكانوا يحاولون كسب الوقت حتى يتمكنوا من إقناعه.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

إذن، لماذا كل هذه التأكيدات؟

قال يعقوب عليه السلام : ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾

خذ قاعدة:

عندما يُقسِم لك أحد على شيء، لا تصدقه حتى تعرض كلامه على أمرين:

»» الأول **العرض على الشريعة:**

إذا كان كلامه مخالفًا للشريعة، فلا تصدقه ولا تقبل نصيحته أبدًا.

مثال: شخص يقول لك: "أنا أنصحك، هناك برامج على الإنترنت تجعلك تكسب المال بسرعة"، وأنت تعلم أن هذه البرامج تعتمد على المقامرة، فهو هنا لا ينصحك، بل يخدعك، فلا تصدقه.

مثال: فتاة تقول لصديقتها: "أنتِ تأخرتِ في الزواج، فخففي الحجاب قليلًا، وتزيني حتى تجدي عريسًا". هل هذا موافق للشريعة؟ لا. إذن، لا تقبلي نصيحتها.

واحد ينصحك بالربا، ينصحك يعني: "حل مشكلتك، خذ قرضًا يا عم وحل مشكلتك"، كلام مخالف للشريعة، لا تقبل منه بص أبدًا.

»» الثاني العرض على حال الشخص:

إذا كان الشخص معلومًا عنه الحسد أو الخيانة، أو إني أعلم أنه لا يحبني أو يكن لي العداء فلا تصدقه في نصيحته أبدًا.

الشيطان أقسم لآدم عليه السلام، قال:

﴿وَقاسَمَهُما إِنّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحينَ ﴾ ﴿فَدَلّـٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف]

قال:

﴿أَرسِلْهُ مَعَنا غَدًا يَرتَع وَيَلعَب ﴾ [يوسف: ١٢]

هنا نأخذ فائدة جانبية، وهي أن حتى أبناء الأنبياء يحبون أن يلعبوا. ومع ذلك، قالوا: ﴿أرسلْه معنا غدًا﴾، أي أنهم لا يلعبون كل يوم، وهذا هو التوسط في النظرة التربوية. فأطفالنا يلعبون، لكن ليس طوال النهار لعبًا، بل هناك وقت للعب ووقت للجد. فلا يكون الأمر إفراطًا في اللعب، ولا تفريطًا بمنعه تمامًا.

ليس معنى أن هذا ابن الشيخ أنه لا يجوز له اللعب. بعض الناس ينظرون إلى أبناء الشيوخ نظرة مختلفة، فإذا رأوا ابن شيخ يلعب، قالوا: "كيف تلعب وأنت ابن الشيخ فلان؟" لا، بل ابن سيدنا يعقوب عليه السلام كان بيخرج ليلعب عادي.

وهنا يجب أن تكون هذه نظرتنا لأبنائنا. فمثلًا، قد تكون الأم محفِّظةً ومعلمةً فتمنع أبناءها من اللعب، فتقول لهم: "لا تلعبوا، كونوا جادين"، وهذا خطأ. أو قد يكون الأب شيخًا وله مكانة بين الناس، فيستحيي من لعب ابنه، فيمنعه من اللعب. لا، دعه يلعب.

وهذا يفتح لنا بابًا آخر، وهو أننا أحيانًا نضغط على أولادنا منذ صغرهم ليكونوا شيوخًا. كان بعض الناس قديمًا يفرحون إذا رأوا طفلًا في الرابعة أو الخامسة من عمره يصعد المنبر ويلقي خطبة. لكن هذا طفل، وهذا سنٌّ طبيعي للعب. فلا تلبسوه لباس العلماء ولا تكسوه كسوتهم وهو طفل، بل دعوا كل مرحلة تأخذ حقها الطبيعي، حتى لا ينشأ الولد بانفصام بين عمره الحقيقي وما يُنتظر منه. فلا ينبغي أن يكون أولاد المشايخ مختلفين عن غيرهم، ولا أن نسقط أحلامنا على أبنائنا قبل أوانها. فليأخذ الطفل حقه في اللعب والتربية السليمة، وعندما يبلغ السن المناسب للجدّ

ويلبس لباس العلماء، حينها نفعل ذلك. فكل شيء له وقته، مع مراعاة التوسط في الأمر.

قال يعقوب عليه السلام:

﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف:١٣]

تخيّلوا الجريمة التي ارتكبها أبناء يعقوب في حق أبيهم! كان يحزنه فقط أن يذهب ابنه في مشوار، فيبقى قلبه منشغلًا به حتى يرجع، فكيف إذا فارقه أربعين سنة؟! أي ألمٍ تحمّله يعقوب عليه السلام؟

نحن الآن عندما نسمع قصة سيدنا يوسف عليه السلام، نشعر بالألم لأننا نتمنى رؤيته، فكيف بمن رعاه وكان يرى جماله فقد أوتي شطر الحسن ؟ كيف بمن جالسه، وتعلم منه الأدب والأخلاق والعقيدة؟ وكيف بمن كان أبًا له؟ وكيف إذا كان الفراق أربعون سنة ؟!

إن جمال يوسف، ظاهرًا وباطنًا، لا يمكن تحمله. لذلك يقول بعض العلماء: "من لم يرَ جمال يوسف، لم يعرف ما الذي حصل ليعقوب!"، وقالوا عن النسوة: "من لم يرَ جمال يوسف، لم يعرف ما الذي أصابهن!"، فكان الجمال الظاهري والباطني سببًا في تلك الفتن والابتلاءات.

فكيف تحمّل يعقوب عليه السلام هذا الأمر؟ نسأل الله أن يرزقنا مرافقة الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ ينقلنا لصبر النبي ﷺ. فالنبي يعقوب عليه السلام حُرم من ابنه أربعين سنة، وعانى حتى فقد بصره، لكنه عاد إليه في النهاية. أما النبي ﷺ، فقد دفن ستة من سبعة من أبنائه! كان له سبعة أبناء، فُقد منهم ستة: ثلاثة صبيان، وثلاث بنات، ولم يبقَ إلا فاطمة. كما دفن زوجتين: خديجة، وزينب بنت خزيمة. أي صبر كان عند النبي ﷺ؟!

قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾.

فائدة جانبية للأبناء: إذا كان والدك يمنعك أحيانًا من أمرٍ ما، فاعلم أن في ذلك حكمة وحب لك. أيضًا لا تطيل الغيبة على والديك فأنت لا تدري كم يحزنهم ذلك .

وأخيرًا، فائدة أخرى وهي: لا تخبر الناس بنقاط ضعفك، فإنهم إن علموها استثمروها ضدك، ولا تخبرهم بما يؤلمك، فإنهم إن أرادوا إيذاءك عرفوا الطريق.

سيدنا يعقوب قال لهم: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾، فأخذوا منه هذه الكلمة وجعلوها المبرر لكيدهم، ولم يكونوا حتى يعرفون كيف سيبررون فعلتهم، فكأنه لقّنهم الحجة من غير قصد.

وهذا ينقلنا إلى الفائدة الأخيرة اليوم، وهي أمر مهم: يعقوب عليه السلام لقّنهم الحجة التي عادوا بها إليه، دون أن يدري.

قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]، هما رجعوا وقالوا له: ﴿أكله الذئب﴾

هنا تُثار مسألة تُسمى: "البلاء موكّل بالمنطق"

فهل هذه المسألة منطبقة على يعقوب عليه السلام أم لا؟

أولًا، نشرح المسألة، ثم نرى إن كانت منطبقة أم لا. هل هذه المسألة أصلًا موجودة في الشريعة؟ وهل هي صحيحة أم خاطئة؟

الإجابة: هذه الجملة صحيحة، ولها أدلة من الشريعة.

فقد زار النبي ﷺ رجلًا مريضًا، فقال له: "لا بأس، طهور"، أي أنه عليه الصلاة والسلام أحسن الظن بالله، ونظر إلى المرض على أنه طهور من الذنوب. لكن الرجل رد قائلًا: "بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور"، أي أنه رأى مرضه على أنه سبب موته. فقال له النبي ﷺ: "فليكن إذًا"، فمات الرجل بهذه الحمى.

لماذا حدث ذلك؟ وما علاقة المنطق بالبلاء هنا؟ وأين السببية؟

السببية »» هي أن المنطق يدل على ظن الإنسان بربه.

اكتبوا هذه النقطة جيدًا، فهي مهمة جدًا: العلاقة بين المنطق والابتلاء تكمن في أن المنطق يدل على ظن الإنسان بالله.

فالإنسان عندما يقول كلامًا حسنًا، فإن ذلك يعكس حسن ظنه بالله، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي". أما إذا قال كلامًا سلبيًا، فإن ذلك يعكس سوء ظنه بالله، فيعامله الله وفق ظنه.

مثلًا: شخص داخل الامتحان، فيقول: "إن شاء الله ربنا يكرمني، وأنا عندي حسن ظن بالله أنه سيوفقني"، فيوفقه الله.

آخر يقول: "أنا هسقط، أنا هشيل المادة، أنا مش هجاوب"، فيرسب، لأنه ظن بالله سوءًا.

أين السبب هنا؟ السبب هو أن الكلام عكس ما في القلب من حسن الظن أو سوء الظن.

ولهذا كان النبي ﷺ يحب الكلمة الطيبة، ويحب الفأل الحسن، لأن الكلمة الطيبة تدل على حسن الظن بالله، والكلمة القبيحة تدل على سوء الظن بالله، والله يعامل العبد على حسب ظنه به.

»» لذلك، انتبهوا لكلامكم، فكلامكم مهم!

لا تقل لأولادك مثلًا: "هذا الولد شكله سيكون فاشلًا"، لأنه قد يصبح كذلك بسبب ظنك بالله! بل قل كلامًا طيبًا: "ابني كويس، وسيصبح إنسانًا صالحًا، وربنا سيهديه"، حتى لو كان حاله الآن غير ذلك، لأن ظنك بالله أنه سيكون أفضل.

لا تقل عن نفسك: "أنا فاشل، لن أنجح، لا يوجد أمل"، فهذا كلام خطير!

ولكن يجب التفريق بين "البلاء موكّل بالمنطق" وبين بعض المفاهيم الباطلة مثل "قانون الجذب"

بعض الناس الذين يتبعون علوم الطاقة (وهي من الضلال المبين) يربطون هذا الموضوع بـ"قانون الجذب"، ويقولون: "كلامك يجذب أقدارك"، فيربطون الأمر بغير الله، ولهذا فإن علوم الطاقة تقود الإنسان في النهاية إلى الشرك، فهي نوع من الشرك الحديث!

إنهم يجعلون الإنسان يعتقد أن كلماته هي التي تصنع قدره، فيرتبط قلبه بالطاقة بدلًا من الله، ويضربون أمثلة على ذلك، لكن هذه الفكرة خاطئة تمامًا.

ليس هناك شيء اسمه "قانون الجذب"، بل هناك أمر واضح في الشريعة:

»» كلامي يعكس ظني بالله. إن كان حسنًا، فهو دل على حسن ظني بالله. وإن كان سيئًا، فهو دل علي سوء ظني بالله.

والله يعاملني على أساس ظني به، وليس بناءً على قانون جذب أو علوم طاقة أو غيره.

يجب أيضًا التفريق بين "البلاء موكّل بالمنطق" وبين التشاؤم.

البلاء موكّل بالمنطق الشخصي، أي أن كلامك أنت هو الذي يؤثر عليك، وليس كلام الآخرين.

مثلًا: لو استيقظت في الصباح، وقال لك أحدهم: "اليوم لن يكون جيدًا"، فهذا لا علاقة له بك، فلا تتشاءم من كلامه.

لو مررت بمحطة اسمها "محطة مظلوم"، فهذا لا يعني أن يومك سيكون سيئًا.

لو ذهبت إلى مصلحة حكومية، وكان الموظف اسمه "عَطلة"، فهذا لا يعني أن عملك لن يُنجز. هذا هو التشاؤم، وهو خطأ.

أما "البلاء موكّل بالمنطق"، فهو مرتبط بكلامك أنت، لأن الله يعاملك بناءً على ظنك به، ولو أني ربطته بغيري فهذا تشاؤم .

إذن، هناك فرق واضح بين ثلاث أمور:

»» البلاء موكّل بالمنطق: يعني أن كلامك أنت يعكس ظنك بالله، فيعاملك الله به.

»» التشاؤم: هو أن تتشاءم من كلام أو أفعال الآخرين، وهذا غير صحيح.

»» قانون الجذب (الباطل): هو الاعتقاد بأن الكلمات تجذب الأقدار بشكل مستقل عن إرادة الله، وهذا شرك حديث.

بذلك، نكون قد فصلنا هذه المسائل عن بعضها بوضوح.

طيب، السؤال الآن: هل يعقوب عليه السلام ابتُلي بالمنطق؟

الذي أراه وأعتقده: لا. لا تنطبق مسألة "البلاء موكّل بالمنطق" على سيدنا يعقوب عليه السلام. لماذا؟

لأنه لم يقل كلمة سيئة، بل قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]

هو لم يقل: "سيأكله الذئب"، هناك فرق بين الجملتين.

مثلًا، لو رأيت ابني واقفًا على الطاولة وقلت: "الولد سيقع، الولد سيقع"، فهذا منطق سيئ. لكن إن قلت: "يا رب سلِّم، يا رب سلِّم"، ثم ذهبت لأمسكه، فهذا ليس منطقًا سيئًا، بل دعاء. أو لو قلت له: "خلي بالك، لا تقع"، فهذا تحذير وليس توقعًا للسيئ.

وبالمثل، سيدنا يعقوب لم يكن يتوقع حدوث السوء، بل كان يحذر منه. هو لم يقل: "سيأكله الذئب". إنما قال: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾

إذن، في رأيي – والله تعالى أعلم – يعقوب عليه السلام لم يُبتلَ بسبب منطقه.

والدليل أن الخطة كانت مدبَّرة من قبل أن يتكلم، أي أن ما حدث لم يكن نتيجة كلامه.

لكن، ما يمكن قوله هو أنه لقّن أبناءه الحجة التي استخدموها لاحقًا ضده، فقالوا له: ابنك حصل له كذا وكذا، واستعملوا نفس عبارته كتبرير.

المحاضرة الثالثة
فصبر جميل

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلاً ومرحباً بكم في لقاء جديد من لقاءات "تعلمت من يوسف عليه السلام" أو "مدرسة يوسف عليه السلام".

الحقيقة، الحلقة الماضية كانت لقاءًا دسمًا جدًا، ثريًا جدًا. أنا أتوقع أن كل اللقاءات ستكون بنفس القوة لأن الصورة مذهلة بكل المقاييس. كلام ربنا سبحانه وتعالى فوق الخيال في الانتفاع والاستفادة. نحن نقف مع الحرف، ونقف مع الكلمة، ونستخرج فوائد ونتعلم تربية، عقيدة، سلوك وفكر.

فدعونا نستمتع بهذه السورة المباركة ونصبر مع بعضنا حتى ننتهي منها لأنني أظن أن هذه السورة ستكون نقلة كبيرة جدًا جدًا في حياة كل من يتابعها ، أي شخص، مهما كان كبيرًا أو صغيرًا، أب، ابن، بنت، أخت، أخ، ظالم، مظلوم، متزوج، غير متزوج، هي سورة لكل الناس، سلوى لكل محزون.

اليوم، بإذن الله تعالى، سنحاول أن ننتهي من الآيات من الآية الخامسة عشرة، إلى الآية الواحدة والعشرين، حوالي صفحة من السورة. نجتهد لكي نستخرج الفوائد الممكنة من هذه القطعة من القرآن. لكي لا نضيع الوقت، كالعادة نبدأ بالقراءة، ثم نطلب من الله التوفيق والإعانة والسداد ونتوكل على الله فيفتح الله علينا.

عادة نقرأ من تفسير "المصباح المنير" مختصر تفسير ابن كثير. هذا كتاب نافع جدًا، لكن الفوائد نستخرجها من مصادر عديدة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا

يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ، وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ . قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ . وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ . قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ. وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ . وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا. وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سورة يوسف: ١٥-٢١]

هذه الآيات الكريمة من سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تبدأ معنا بمشهد ذهاب إخوة يوسف به بعد أن طلبوا من أبيهم أن يرسله معهم ليرتع ويلعب، وكذبوا بالطبع على أبيهم. كان يعقوب عليه السلام في خوف شديد على يوسف عليه السلام وكان يحاول ألا يرسله معهم.

{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ . قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ }

المرة الماضية، فتحنا موضوعًا وأريد أن أكمل فيه جزئية صغيرة عن سؤالين:

- هل قاعدة "البلاء موكل بالمنطق" قاعدة صحيحة أم لا؟

- والسؤال الآخر: هل قاعدة "البلاء موكل بالمنطق" تنطبق على يعقوب عليه السلام أم لا؟

»» وقلنا أن قاعدة "البلاء موكل بالمنطق" هي قاعدة صحيحة، وأن المنطق سبب قد يجلب نتيجة وقد لا يجلب. مثل أي سبب، الله جعل المنطق سببًا لبعض الأقدار التي تحصل للناس. فإن كان منطق الإنسان حسنًا، استجلب أمرًا حسنًا، وإن كان سيئًا قد يستجلب قدرًا سيئًا.

وقلنا أن علاقة المنطق بالبلاء هي أن المنطق يدل على ظنك بالله تعالى. فإذا قال الإنسان كلامًا إيجابيًا، حسنًا، فيه بشارة، فهذا يدل على حسن ظنه بالله وأنه يثق بأن الله سيكرمه ويراضيه. (أنا عند ظن عبدي بي) . أما إذا كان المنطق سيئًا، فهذا يدل على سوء ظنه بالله. والله يعامله بحسب ظنه فيه. فكلما أساء الظن بالله، فالله يعامله بحسب ظنه فيه.

» ضربنا مثالاً على ذلك في المرة الماضية عندما زار النبي ﷺ مريضًا كان مصابًا بالحمى. قال له النبي ﷺ : (لا بأس، طهور إن شاء الله)، وهو قول إيجابي يحمل بشارة بأن المرض سيكون كفارة للسيئات وتطهيرًا للمريض. لكن الرجل أجاب: (بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور).

النبي ﷺ قال له: "فلتكن إذا". يعني، هذا هو ظنك بالله، هذا هو الكلام الذي خرج منك. خلاص، الله سيعاملك وفقًا لكلامك. فمات هذا الرجل من هذا المرض. والعكس، النبي ﷺ كان يحب الفأل، يحب الكلمة الحسنة. هو نفسه استعمل المنطق، وسبحان الله نفعه كثيرًا.

» في غزوة بدر، عندما أمسك الصحابة بعض الناس من جيش مكة وسألوهم: "من في الجيش المكي؟" قالوا لهم: "عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل"، وذكروا أسماء من أكابر الفرسان في قريش. فقال النبي ﷺ كلمة إيجابية: "هذه قريش قد ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها"، يعني قريش أرسلت لكم أفضل فرسانها لكي تغلبوهم غدًا. وفعلاً، غلبوهم في اليوم التالي.

» في غزوة أخرى، جاء صحابي إلى النبي ﷺ وأخبره عن عدد الإبل والسيوف والفرسان والعدة التي يملكها الكفار، وكان يهوّل من قوة جيش الكفار. فقال النبي ﷺ كلمة إيجابية: "هذه غنيمة المسلمين غدًا بإذن الله". وفعلاً كانت غنيمة المسلمين بفضل الله سبحانه وتعالى.

» دخل النبي ﷺ على السيدة عائشة وكان عندها حمى، فكانت تسبّ الحمى. فقال لها: "لا تسبّي الحمى". قال إن الحمى كفارة، وأن الله يبتلي بها الصالحين، وهي كفارة للسيئات . فحوّل وجهة نظرها لتقول الكلام الطيب والإيجابي.

قلنا سابقًا، أنه لا يوجد شيء يسمى "قانون الجذب". قانون الجذب هذا اختراع من أصحاب علوم الطاقة الذين يريدون ربط الإنسان بالسبب نفسه، وكأن الإنسان هو الإله وليس الله. في النهاية، علوم الطاقة خلاصتها أن الإنسان هو الإله، وليس الله الإله. أنت الذي تجذب أقدارك، أنت الذي تصنع أقدارك، السر فيك، أنت الجامد، اشحن الشاكرات ومسارات الطاقة ستجعلك فوق البشر، وستحصل على قدرات خاصة. هذا هراء، وهذا هو الشرك الحديث كما تحدثنا في المرة السابقة.

لكننا نقول أن قاعدة المنطق مرتبطة بالله، لأن كلامي يعبر عن حسن ظني أو سوء ظني بالله، وعلى أساس ذلك يعاملني الله، فيكون قدري طيبًا أو قدري سيئًا .

نلاحظ اليوم أننا في الآيات سنجد هذا الأمر في جملتين إيجابيتين جدًا.

الجملة الأولى عندما قال الرجل الذي أدلى دلوه: {يَا بُشْرَى هَٰذَا غُلَامٌ}[سورة يوسف: ١٩]، هذا كلام إيجابي. فعندما رأى سيدنا يوسف، قال: "يا بشرى"، فكان يوسف عليه السلام بشرى لهم، وبشرى لأهل مصر كلهم، وكان طوال حياته بشرى لأي شخص تعامل معه، أليس كذلك؟

الجملة الثانية التي سنسمعها اليوم، عندما قال عزيز مصر لامرأته: {أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا} [سورة يوسف: ٢١] .

انظر إلى الكلام الإيجابي، {عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا}، أي إن شاء الله سيكون خيرًا لنا، وربما ينفعنا، وربنا ينفعنا به. وسبحان الله، لقد انتفعوا به أيما انتفاع، بل انتفعت به مصر كلها. الكلام الإيجابي أثّر في الناس.

هنا نلاحظ أن سيدنا يعقوب عليه السلام لم يقل كلامًا سلبيًا في الأساس. فهو لم يقل: "سيأكله الذئب"، بل قال: {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} هناك فرق بين أن تقول "سيأكله الذئب" وبين "أخاف أن يأكله الذئب". إذا قلت "سيأكله الذئب"، فهذا سوء ظن بالله، لكن أن تقول "أخاف أن يأكله الذئب"، فهذا يعبر عن مشاعر، وليس تأكيدًا لحدوث شيء.

مثلما ترى ابنك واقفًا على طاولة، وتقول: "سيقع"، فهذا خطأ. لكن الصحيح أن تقول: "أنا خائف أن يقع. يا رب سلم". هذا ليس كلامًا سلبيًا، بل تعبير عن خوفك. وبعد ذلك تقول: "يا رب سلم، إن شاء الله لن يقع". ثم تذهب لتنقذه. لذلك، دائمًا تدرّب على الكلام الإيجابي.

ومن الواضح أن سيدنا يعقوب لم يقل كلامًا سلبيًا، بدليل أن سيدنا يوسف لم يأكله الذئب. لو كان البلاء موكلاً بالمنطق لكان الذئب أكله، لكنه لم يحدث. إضافة إلى أن خطة تضييع يوسف عليه السلام كانت مدبرة قبل أن ينطق يعقوب عليه السلام، لذلك هو فقط عبر عن خوفه ولم يقل كلامًا سلبيًا.

الآن سأضيف نقطة مهمة لم أذكرها في المرة الماضية. وهي أن يعقوب عليه السلام عندما قال: "وأخاف أن يأكله الذئب"، لقّن الأبناء الحجة التي استخدموها عند عودتهم. كانوا لا يزالون يفكرون في ماذا سيقولون له عندما يعودون، فقالوا: "هذه حجة جيدة، سنستخدمها عندما نعود."

بدون أن يشعر، قال كلامًا لقنهم الحجة التي رجعوا بها. وهنا نضع فائدة عظيمة: "حكاية الشر أمام أهل الشر » تعينهم عليه". مجرد ذكر الشر أمام أهل الشر يساعدهم على ارتكاب الشر.

فلذلك، الإنسان يحترس من ذلك. هم كانوا أشرارًا في الوقت ده. هو حكى لهم أو لمّح بشر. وده كلام عفوي طالع منه. هم لقطوا خيط الشر ده من كلامه.

إيه الفايدة اللي أطلع بها؟

لازم أطلع بأن ده يرجعنا للكلام اللي قلناه في أول درس خالص: إن طريقة القرآن في عرض القصص إنها بتختصر مشاهد الشر ومش بتقولها بالتفصيل، وتتوسع جدًا في مشاهد الخير. لأن أنا لو حكيت لك مشاهد الشر، الأشرار هياخدوا التفاصيل دي ومش هياخدوا بجانب الخير، هيتعلموا تفاصيل الشر ويروحوا ينفذوها.

وقلنا إن القصص الأرضي، المسلسلات، الأفلام، الروايات، عكس القرآن. تستفيض جدًا جدًا جدًا في مشاهد الشر. نقعد تسعة وعشرين حلقة شر، وبعد كده نتكلم في الخير في حلقة أخيرة! اللي بيتفرج على المسلسل أو الفيلم أو بيقرأ الرواية، في منهم أشرار. فالحقيقة هم طلعوا من المسلسل أو الفيلم بأفكار جديدة شريرة أعانتهم على الشر.

عشان كده بنسمع كتير جدًا، إن بعد مسلسل معين واحد قتل مراته بنفس الطريقة اللي قتل بها البطل مراته في الفيلم. بنسمع عن بعد المسلسل، في واحد خلّى الناس تضحك علي واحد في الحارة عنده، بنفس الطريقة اللي البطل ضحك بيها أهل الحارة على واحد في المسلسل. صح؟ بنسمع إن في واحد سرق بنك بنفس الطريقة اللي اتعلمها في الفيلم الفلاني. في واحدة قتلت جوزها بنفس الطريقة اللي شافتها في المسلسل الفلاني.

يبقى إيه؟ يبقى إذًا من الغباء ومن الخطورة الشديدة إن الأعمال الفنية، بغض النظر عن حكمها يعني، تعرض لنا مشاهد الشر بدعوة إن إحنا بنعرض واقع وإن إحنا

بنحذر الناس منه، وفي الآخر حلقة هتلاقوا إن إحنا عملنا حاجة لطيفة وحذرنا من الشر ده! نقول: هذا غباء. لأن مجرد إنك حكيت الشر، مش كل الناس هينتفعوا بالموعظة الأخيرة.

دي أصلًا، بالفعل في أشرار لم يكونوا يعرفوا طريقة الشر دي واتعلموها. بل في ناس بتنتحر بسبب الأفلام والمسلسلات. لأن الفيلم أو المسلسل علّمه طريقة الانتحار. أول مرة يعرف إن لو بلع "الغلة" يموت. ما عرفهاش غير من المسلسل. أول مرة يعرف إن لو علّق الحبل بالطريقة الفلانية ونط من على كرسي يموت. ما كانش يعرفها غير من المسلسل.

إذًا، إحنا عندنا نفوس مستعدة جدًا إنها تتقبل الشر، المفترض نخبي عنهم المشاهد دي حتى لو هي واقع، حتى لو هي كتير. طب ما فرعون كان واقع، وقارون كان واقع، ليه ربنا ما حكلناش تفاصيل الشر اللي عملوه في قومهم؟ تمام، فدى فايدة مهمة جدًا .

وده بينقلنا إلى قوله تعالى في سورة النور:

{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: ١٩]

كل كلمة في الآية مهمة. ربنا نهى الناس إنهم يشيعوا الفاحشة، بس مش يعملوها. إنك تحكيها، ما تحكيهاش. كثرة كلام النساء مع بعض، مثلًا في الخيانات: ده جوزي عمل، وده عمل .. كثرة مشاهدة النساء للخيانات اللي بتحصل في المسلسلات، خلت كل واحدة تشك في جوزها. خلت جوزها يعرف يخونها بطريقة معينة اتعلمها من المسلسل، وهي شاكّة فيه وهو شاكّك فيها.. سواد. !

فشيوع الفاحشة خطر جدًا. ربنا حذر الناس إنهم ينشروا الفاحشة، مش يعملوها. ينشرها بس. يحكيها. تبقى على الجرايد والمسلسلات وكده. يقول لك: بينشرها. ده ربنا يحذر اللي بيحب كده بس: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} . أمال اللي بيشيع الفحشاء نفسه؟ أمال اللي عملها نفسه؟

تمام، عندنا تلات درجات:

- واحد بيحب يشيع الفاحشة، ده ليه عذاب أليم.
- أمال اللي أشاعها؟
- أمال اللي عملها؟. مشكلة كبيرة. لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

لذلك، الشرع نهى أن يُحكى عن الفواحش، لأنها بتهوّن الفاحشة بعد فترة على القلوب، وتصير القلوب مستعدة لفعل الفواحش.

فتعلمنا فائدتين بنكمّلهم: خلي كلامنا يا جماعة إيجابي دايمًا. دايمًا نتعود على الكلام الإيجابي.

المشكلة عندنا يا جماعة، التريند دلوقتي هو الكلام السلبي. بقى إيه؟ بقى شطارة. بقى حلاوة، بقى استظراف، بقى دم خفيف إننا نقول: "إيه، الدنيا سواد. الدنيا ضلمة. البلد رايحة في ستين داهية. إحنا رايحين في ستين داهية. التعليم بايظ. العيال هيضيعوا. العيال هيفشلوا. المستقبل مظلم. البنت مش هتتجوز. الشباب هيضيع"

النبي ﷺ قال: "من قال هلك الناس فهو أهلكهم" وفي رواية "هو أهلكَهم"، يعني هو سبب هلاكهم من كثرة الكلام السلبي ده.

فخلينا يا جماعة دايمًا نتعود على الكلام الجميل.

نقول: "إن شاء الله ولادنا هيبقوا بخير. وإن شاء الله ربنا هيهديهم". "لا، ده بنتي هي كده، بس لا، دي هتبقى أحسن بنت في الدنيا. لا، ابني مش دلوقتي كده، بس بكره هتشوف هيبقى عامل إزاي."

لا، البلد بخير، وكله هيبقى تمام إن شاء الله. الدنيا بخير وربنا كريم وربنا حافظنا، وربنا يولي من يصلح. قولوا كلام كويس. هتخسر إيه لو قلت كلام كويس؟ الكلام السلبي مش هيغير الواقع، بل هيعقده أكتر. فنعود للكلام الكويس. وأي حد يقول كلام مش كويس، تقول له: "بلاش يا عم تقول كده يا أخي، قل كلام كويس." يعني إحنا ما استفدنا إيه من كلامك السيئ ده؟

الحاجة التانية، ما نحكيش الشر أمام أهل الشر. ربنا قال بعد كده: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} [يوسف: ١٥]. فلما ذهبوا به... يا الله! تعالوا نقرأ ابن كثير وهو بيقول نقلاً عن الإمام السدي: لما ذهبوا به عملوا إيه؟ قدام الأب كانوا بيكرموه وبيهزروا معه، وحبيبي يوسف ، وده حبيبنا وبيطبطبوا عليه، ويلا بنا نلعبه

ونفسحه. مجرد ما غابوا عن عين أبيهم، كما يقول السدي: "لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى إلا أن غابوا عن عين أبيه" ثم شرعوا يؤذونه بالقول والشتم، وبدأوا بالضرب، يضربونه. ثم جاءوا به إلى الجب، يعني البئر الذي اتفقوا على رميه فيه. فربطوه بحبل ودلوه فيه.

بص بقى الألم بقى! فكان إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه، تعلق بأخوه، يروح ضاربه بالقلم ويشتمه، هو مش متخيل، مش مستوعب: "بتعملوا إيه!" قال: وإذا تشبث بحافات البئر ضربوه على يده، ثم قطعوا الحبل في منتصف الطريق، فسقط في ماء البئر فغمره الماء، ولكنه تشبث وصعد على صخرة في وسط البئر ووقف عليها. يا للقسوة! يا للقسوة! تخيلوا ماذا يصنع الحسد والحقد؟ ضربوه، شتموه... كريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. اتضرب واتشتم. أخواته، بيتعلق فيهم وبيقول لهم: "أنتم بتعملوا إيه؟ بترموني ليه؟ يا أخي فلان، الحقني!" يروح ضاربه وشتمه. طب انت، الحقني! رح ضاربه وشتمه. يقول له: "انت طب يا فلان، انت أخويا!" رح ضاربه وشتمه. نزلوه بالحبل، يروح متخبط في البئر، يتشبث بالحافة، يقوموا ضاربينه على إيديه لغاية ما وقع. يقطعوا له الحبل في النص، حتى ما يكملوش المسافة، يروح ساقط في المية.إيه ده! أي قسوة! بص الحقد ممكن يوصل العمل لدرجة إيه؟ يعمل إيه في أخوه! تمام! كيف كان... يعني يا أخي ده اعتبره إنسان غريب، كيف كان شعور طفل صغير وهو بيلقى في بئر من إخوته؟ ومدى القسوة في ذلك الصنيع! كيف حاله وهو بيلجأ لواحد واحد وهو يلطمه ويشتمه ويضربه؟ كيف حاله بعد ما مشوا وسابوه؟ سابوه في ظلام الليل، سابوه في ظلمة البئر ، بلا أنيس ولا جليس، ولا ضوء إلا ضوء القمر. وهو يتخيل هيعمل إيه؟ هيطلع إزاي؟ هيأكل إزاي؟ هيشرب إزاي؟ ليه أخواتي عملوا فيا كده؟ طب أبويا فين؟ طب أخويا الصغير؟ طب هشوفهم تاني ولا مش هشوفهم؟ طب أنا الواقع بتاعي هيبقى عامل إزاي بعد كده؟ أي قسوة!ما المصير المجهول الذي ينتظرني؟ ظل يوسف على هذه الحالة حتى أنزل الله عليه السكينة. طبعًا أكيد كان في هلع في البداية، وشعر بخوف شديد. ولولا السكينة التي نزلت عليه من الله، لمات يوسف من شدة الخوف والرعب والهم والحزن. ولكن رحمة الله واسعة. بمجرد ما بدأ يوسف يضطرب، هنا نزلت السكينة. أول ما الدنيا تضطرب يبدأ عون الله سبحانه وتعالى:

{فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [التوبة: ٢٦]

نزلت رحمة ربنا على سيدنا يوسف على هيئة إلهام ووحي. قال: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} [يوسف: ١٥] أسفل الجب، {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} الآن في اللحظة دي التي اشتدت فيها الظلمات واظلمت الدنيا، ظهر الفجر. اللي اشتد فيها العسر جاء اليسر. جاء اليسر على هيئة إيه؟ على هيئة حاجة غريبة. إلهام من الله. ربنا قال: {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ} يعني إيه "وأوحينا"؟

الوحي يا جماعة له معنيان:

- المعنى الأول هو: الرسالة التي يرسلها الله للأنبياء. دي اسمها وحي، ده المعنى الشرعي. لكن في معنى أعم للوحي. لأن إحنا لا يمكن يكون سيدنا يوسف في الوقت ده نبي، لأنه صغير، غلام. والنبوة لا تكون للغلمان، لا تكون إلا للرجال. {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ} [يوسف: ١٠٩]. طب يعني إيه الوحي هنا؟ فلا شك أن هنا الوحي مش هو الوحي اللي بيجي للأنبياء، لأن هو مش نبي دلوقت. الوحي هنا بالمعنى التاني.

- المعنى اللغوي بقى: كلمة "وحي" في اللغة تعني الإعلام في الخفاء. فكل إعلام في الخفاء يسمى وحيًا. ربنا ذكره كتير في القرآن. قال: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص: ٧].

ربنا قال: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا} [النحل: ٦٨]. بل نسب الوحي للناس العادية. يعني الوحي بالمعنى اللغوي ممكن أقول لك: "أنا أوحيت إليك." يعني قلت لك في الخفاء.

زي ما ربنا قال: { فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ} سيدنا زكريا {فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ}، لأنه ما كانش بيتكلم فشاور لهم، فالإشارة هي طريقة خفية في الإخبار. ربنا سماها وحيًا: {فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ١١]

بل ربنا نسب الوحي للشيطان . قال : {وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ} [الأنعام: ١٢١] ، لأن الشيطان بيوسوس بطريقة خفية. فكل طريقة في الإعلام كانت بطريق خفي تسمى وحيًا.

» سيدنا يوسف وصل له إعلام من الله بطريقة خفية. إيه هي؟ الإلهام .

الإلهام هو شيء يقذف في قلوب أولياء الله تعالى، فيشعرون أنه حق وانه من الله قطعًا. يعني لا يلتبس عليهم، عادة لا يلتبس عليه. تمام. الإلهام شيء يقذف في قلب الولي الصالح، فيجد في نفسه فعلًا ويشعر أنه من الله ويصدقه. ويغلب على ظنه فعلًا أن هذا من الله سبحانه وتعالى، يقذف في قلبه فعلًا. وده اللي حصل لسيدنا يوسف. ده الإلهام اللي حصل له. ده الوحي. قذف الله في قلبه السكينة، ونزل على قلبه طمأنينة عجيبة، وألقى الله في روعه خاطر أنه سيخرج من البئر، وأنه سيعافى وأنه سيمكن، بدرجة أنه سيأتي يوم يلتقي فيه بإخوته ويخبرهم بما فعلوه وهم لا يشعرون أنه يوسف وهو يكلمهم.

{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}

دي بتختصر حاجات كتير، ما كون أن بقول لك لتنبئنهم يبقى أنا مش هموت. يبقى أنا أطلع من البئر. يبقى أنا سأُسلم وأعافى. يبقى أنا سأمكن. فالكلمة نفسها اختصرت كلام كتير. {لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} هتقول لهم ده، هتقول لهم اللي حصل ده، وهم لا يشعرون. وفعلا صدق الله. وصدق وعد الله. ورغم كل الأسباب اللي بتقول مستحيل "امتى وازاي؟!" ولكن {اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}

وآخر القصة يوسف عليه السلام يقف قدام إخوته وهو قدامهم، شايفينه بعينيهم ومش عارفينه. وهو بيقول: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ} ساعتها بس بعد كده عرفوه. الجملة خلصت وهم مش عارفينه. وده معنى قوله: {لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}. سبحان الله وهم لا يشعرون. فعلا قالوا له: {أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ}. حاجة عجيبة والله. وصدق الله تعالى.

ده التفسير الأول لقوله: {لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} يعني سيأتي يوم ستخبرهم فيه بما حصل منه، وفي الوقت اللي بتقول لهم، وهم لا يشعرون أنك يوسف في هذه اللحظة.

في قول تاني في الآية: {لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}، أن جملة {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} دي جملة مستقلة. يعني ربنا قال: {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا} خلاص كدا قصة يوسف خلصت، ودلوقتي . {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} يعني هم الآن لا يشعرون بأن الله أوحى إليك في غيابة الجب. تمام. ده على قولين، وما فيش تعارض

ما بينهم. فهما لا يشعرون الآن بما يوحى إليه، وساعتها فعلا هو أخبرهم بما حصل وهم لا يشعرون.

فأخبره تعالى أن هذه المؤامرة لن تنتهي بك إلى التلف يا يوسف، بل ستنتهي إلى فرج ومخرج. ينبغي أن هذه الحادثة تجعل الإنسان يغير نظره إلى أقدار الله المؤلمة. فالجُب كان الوسيلة للعرش، وضرب الإخوة وشتمهم كان الوسيلة للإكرام والسجود ليوسف في آخر القصة. فكم من قدر يبدو الآن أليمًا وصعبًا ولا يحتمل، ومن رحم هذا القدر سيأتي أعظم الفرج، ولو بعد حين. ممكن نشوف آلام الأمة دلوقتي في غزة وسوريا واليمن. لعل هذه الآلام هي اللي هنفتكرها بعد سنين ونقول إنها كانت بداية التمكين والارتقاء إلى العرش. فأحسن الظن بالله.

وده يرجعنا تاني لحسن الظن بالله. أي حاجة تحصل لك، مهما كانت، حتى لو شكلها ضلمة خالص، قل الكلمة الجميلة. قل: [لعله خير . قدر الله وما شاء فعل . بيصير خير إن شاء الله . ربنا على كل شيء قدير . ظننا بالله خير . ربنا جميل . ربنا يعوضنا كل جميل . ظني بالله إن الموضوع ده إن شاء الله هيكون بداية الخير] قل يا عم كلام حلو. انت هتخسر إيه؟ لو قلت كلام سلبي والقدر أصلا شكله صعب، هيزداد صعوبة. فدائمًا عود نفسك تحسن الظن بالله حتى في أصعب الأقدار.

في أسوأ من جُب؟ وهو لا عارف هياكل امتى وهيشرب إيه ولا هيطلع إزاي ولا هيقابل أبوه امتى ولا هيقابل الأخ امتى ولا هيموت ولا هيعيش. وفي النهاية يطلع دا أسعد حاجة حصلت له في الحياة، لأن دي بداية كل خير حصل ليوسف عليه السلام. فلو فضل وسط إخوته ولو عاش في حضن أبيه، ما كنش وصل للي وصل له. فكانت رعاية الله ليوسف أفضل من رعاية يعقوب ليوسف. سيدنا يعقوب اللي اعترف بكده، لما قال: {فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}

انا اثق ان رعاية الله ليوسف الآن وهو بعيد عني افضل من رعايتي له لو كان بين يدي. فإذا رعاك الله هيحول لك الضلمة نور. والشر خير. ثق بالله. واحسن الظن به

الوحي ده اللي حصل ليوسف يمكن أن يتكرر. لأن احنا قلنا الوحي مش خاص بالأنبياء، إنما خاص بالأولياء.

وكم رأينا احنا دلوقتي بقينا نشوف الموضوع ده لايف. نشوف دلوقتي في إخواننا في غزة سكينة عجيبة. يعني الله يرحمه الشيخ خالد اللي كان بيقول "روح الروح"،

ده إيه ده؟ غير أن ربنا قذف في قلبه سكينة عجب، وشوفنا نساء وشوفنا أطفال وشوفنا رجال نزل في وجوههم سكينة ونور وتفاؤل وحسن ظن بالله، والله عجب العجاب.

فهذا الوحي ليس خاصاً بيوسف ولا خاصاً بالأنبياء، إنما هذا الوحي بهذا المعنى يمكن أن يكون لأي أحد فينا. متى يحصل لك؟ يحصل لك على قدر ما في قلبك من إيمان، وعلى قدر ما في قلبك من نقاء، وعلى قدر ما في قلبك من رحمة وخير، تأتيك الطمأنينة والسكينة من الله في أحلك الظروف.

تعالوا ناخد بعض الفوائد. أنا قلت لكم كل آية كده بيبقى لها فوائد على جنب، تعالوا نقولهم ورا بعض:

الفائدة الأولى: نرى في قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا} الذي حصل الآن هو تطبيق عملي لقول النبي ﷺ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ). فليكن تعلق قلوبنا بالله، ولا نتعلق بالناس لا خوفاً ولا رجاءً، سواء اجتمعوا على الخير أو اجتمعوا على الشر، فالأمر بيد الله في النهاية.

الفائدة الثانية: كل مظلوم سينبئ ظالمه بما فعل ولو بعد حين، ولو يوم القيامة. فإن الله سيمكن كل مظلوم من ظالمه لينبئه بما فعل، وقد ورد أن المقتول يأتي يوم القيامة متشبثاً بقاتله، يجره إلى الله ويوقفه أمام ربنا ويقول: يا رب، سل هذا فيمَ قتلني؟! فسيمكن الله كل مظلوم من ظالمه لينبئه بما فعل، إما في الدنيا أو في الآخرة .

الفائدة الثالثة: علم الله تعالى أن المظلوم من أسباب راحته أن يُنَفِّس هذا الكلام إلى الظالم ويخبره بما فعل، فهذا يريح المظلوم. ولذلك جعل الله أهل الجنة يطَّلعون من الجنة على أهل النار، ليُذكروهم بمظالمهم، ويقولوا لهم: {هَلْ وَجَدتُّمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف: ٤٤] ، فيردون عليهم: نعم. بس عشان أهل الجنة يسمعوا كلمة "نعم" فتستريح أنفسهم.

فائدة أخرى: أسقطوه في بئر، فرفعه الله بهذا الإسقاط فوق عرش الملك.

فائدة أخرى: اجتمعوا على أمر، وهنا نتعلم أن الإجماع لا يعتد به إذا كان إجماع الفسقة أو غير أهل الفن. فهذا إجماع غير معتبر.

الإجماع حجة في الشرع، لكن من يكون أهل الإجماع؟ إجماع الثقات الصالحين من أهل الفن(أهل التخصص). يعني، مش بس يكفي أنه ثقة، لازم يكون من أهل التخصص .

إذا اجتمع الفقهاء على أمر فقهي، أو المفسرون على تفسير معين، أو الأطباء في أمر طبي، فهذا يعتبر. ولكن، إذا لم يكن الشخص صالحاً أو ثقة و من أهل التخصص، فلا يعتد برأيه، وجب الشرطين معًا

فائدة أخرى: تعرض يوسف عليه السلام لضيق ثم ضيق ثم ضيق، ثم سعة من أوسع الأبواب. ضيق البئر، ثم ضيق "وغلقت الأبواب"، ثم الضيق الأشد لما سُجن بضع سنين، ثم السعة في نهاية القصة. فلا تتعجل الحكم على أقدار الله، فالله حكيم. وقد يتأخر الفرج، ولكن حين يأتي الفرج سيبهرك.

لما بلغ الضيق منتهاه، فرجت من أوسع الأبواب. ولكن تُفرج لمين؟ لأهل الصبر. سيدنا يوسف وضع لنا قاعدة:

{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٩٠]

يبقى عندنا إيه؟ تلات رسائل أهو. عشان يحصل لك كده، هو مش أي حد بيحصل له كده. ممكن تفضل في ضيق على طول، لأهل الفجور . لكن لكي يأتيك الفرج، لازم يكون عندك » (تقوى ، صبر ، وإحسان) لأن الله سبحانه وتعالى قال: {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٩٠]

إذا كنت في بلائك عندك تقوى وصبر وإحسان، فأحسن الظن بالله، فإن الفرج سيأتي من أوسع الأبواب، كما قال الله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [يوسف: ١٥]

فائدة: معرفة جمال النهايات يصبِّرك على الابتلاءات. معرفة جمال النهايات يعينك على الصبر على الابتلاءات. وما الذي جعل سيدنا يوسف هادئًا، تصف القصة صبره سواء في السجن أو في بيت امرأة العزيز؟ لأنه كان عنده وحي من الله. جاء له وحي بأن هناك شيئًا ما سيحدث. لم يحدث بعد، ولكن بالتأكيد سيكون خيرًا. هو لا يعرف التفاصيل ولا كيف ستحدث، لكنه مؤمن بأن الخير قادم. هو مطمئن ومصدِّق ربنا سبحانه وتعالى.

ماذا نستفيد نحن من هذا؟ لدينا أيضًا وحي. وحي يخبرنا بأن نهايات التقوى خير. وأن عاقبة الملتزمين خير. وأن المهتدين، حتى لو عاشوا طول حياتهم في اضطهاد وابتلاء وقتل وتعذيب وسجون، فإن العاقبة هي الجنة. تصورك الدائم للنهايات واستحضارك لها يهوِّن عليك الابتلاءات.

ننتقل إلى الآية التالية:

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ}

يا سلام! يا سلام على التمثيل! ويا سلام على القدرة الخارقة على الخداع والمكر! القلوب ترقص طربًا والعيون تذرف دمعًا. ما أعجب هذا الإنسان! يعني الحيوان لا يستطيع أن يفعل ذلك. تخيل يقولون: "الإنسان الشرير هو أسوأ مخلوق على ظهر الأرض". لا مثيل له في المكر والخداع إذا كان ماكرًا مخادعًا. القلب يرقص طربًا، كيف استحضروا الدموع؟ لو كانوا نساء، لكان الدموع أصعب. فما بالك بالرجال؟ يعني الرجل بطبيعته، من الصعب أن يبكي بصدق. فإذا كان رجل قد ابتلي بابتلاء شديد، فإن إخراج دمعة منه ليس سهلًا. فكيف استحضروا الدموع وقلوبهم ترقص طربًا؟ سبحان الله! عندما يريد الإنسان أن يكون مخادعًا وماكرًا، سيفعل أي شيء. يمكنك أن تتوقع من المخادع والماكر أي شيء. لذلك لا تنخدع بأي دموع.

انظر إلى حال الباكي والقرائن المحيطة به، ودعك من ملامح وجهه. لا تنخدع بأي دموع. وفكر جيدًا في حال الباكي والقرائن المحيطة بالحدث. ولا تغرنك ملامح الوجه.

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ}

سؤال: هل فعلتم ذلك لكي يخلو لكم وجه أبيكم؟ صحيح؟ لماذا؟ لكي يحبكم، أليس كذلك؟ لأن المفترض أنكم تحبونه وأنتم تغيرون عليه لأنكم تحبونه وتريدونه أن يحبكم. صحيح؟

هل يوجد شخص يحب أحدًا ويفعل به هكذا؟ هل يوجد من يحب شخصًا ويعود إليه ليخبره تلك القنبلة في وجهه ويقول له: "أكله الذئب"؟

عندما يحب الشخص أحدًا، فإنه يخاف على مشاعره. يخاف أن يقول له كلمة تزعله. إذا كان هناك خبر صعب، يحاول أن يجد طريقة ليقوله له بلطف، وربما يطلب من شخص آخر أن يخبره لأنه لا يستطيع أن يخبره بنفسه.

فكر في الأمر: إذا كان ابنك قد تعرض لحادثة أو موقف صعب، كيف تخبر والدك؟ أنت لا تستطيع ببساطة أن تقوله في وجهه، يجب أن تلف وتدور حتى تجد الطريقة الأنسب لتقديم الخبر. فكيف يقولون: "أكله الذئب" بجرأة وبجاحة؟!

لذلك قلنا إنهم كانوا أنانيين في ذلك الوقت، لم يكن حبهم حقيقيًا، كان حبًا للذات. لقد دمروا قلب أبيهم. حتى لو كان يعلم بقلبه أن يوسف لم يُؤكل فعلاً، فإن الكلمة كانت قاسية. قاسية جدًا أن تُقال دفعة واحدة.

انظر كيف يصف الله الأمر. لم يقل: "وجاؤوا البيت" أو "رجعوا البيت عشاء". بل قال: {وَجَاءُوا أَبَاهُمْ} يعني أن الأب كان جالسًا من لحظة مغادرة يوسف وهو ينتظر عودته، قلقًا وخائفًا. هم رجعوا للأب المهموم.

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ}

لقد نزل الخبر كالصاعقة على يعقوب عليه السلام.

فائدة:

ليس كل ما يلمع ذهبًا، وليس كل من يدمع صادقًا.

لقد اختاروا وقت العشاء، تأخروا جدًا، تعمدوا التأخير لكي يختفوا في ظلمة الليل فلا تظهر ملامح وجوههم، وإنما تُسمع أصوات البكاء. لأن لو ظهرت ملامح الوجوه، لفلتت من ملامحهم علامات الفرح والطرب من الوجوه. فأرادوا إخفاء ملامحهم في الضوء الخافت لليل.

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ . قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ}

قيل إن معنى "نستبق" ليس السباق فقط، بل بمعنى نترامى، أي يلعبون الرمي، وهو تفسير ابن كثير.

{وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}

أولاً: كل كلامهم جعل يعقوب عليه السلام يشك في الرواية، ويشك في الموضوع من أوله. أول حاجة خليته يشك، ذهبنا نستبق وتركنا يوسف، مع أنك امبارح قلت لي واتحايلتوا عايزين يوسف عشان يرتع ويلعب، في الآخر خليتوه يحرس الشنط،

ورحتوا أنتم اللي تلعبوا، يبقى في حاجة غلط من الأول. ده لو كلامك صح أصلاً، حاجة غلط من الأول. يعني إيه، أنت بقالك يوم بتتحايل علي عشان آخده يلعب، خليته يحرس الشنط. تمام، يبقى أنت كذاب من الأول، يبقى أنا مش مصدق حتى الرواية دي. ده أول الشك. تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب.

وبعد كده ظهر الريبة في التأكيدات الكتير: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} يكاد المريب أن يقول خذوني، تمام؟ فإزاي يعني؟ يعني أنت ليه بتأكد كلامك؟ وليه باعت تقول: أنا عارف إنك مش هتصدقني؟ أنا عارف حتى لو أنا صادق، انت مش هتصدقني؟ عشان كده بيقول لك إيه:

كثرة التأكيد على الصدق تدل على الكذب.

لأن من يصدقك سيصدقك بلا تأكيد ولا حلف.

والقاعدة بتقول:

الكاذب منزوع الثقة بنفسه.

اللي قدامي بيصدقني، هو عارف أني صادق، مش هحتاج أقعد أؤكد ولا أقعد أحلف. ما أنا واثق في نفسي. لكن كثرة التأكيدات مع الاضطراب الحاصل توحي بالكذب. فبدأ يعقوب عليه السلام يشعر أن وراء الأمور أموراً وبدأ لا يصدق. تمام، وقالوا له: {فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}

ثم قال تعالى:

{وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}

يعني إيه دم كذب؟ يعني دم مكذوب. يعني ليس من دم يوسف عليه السلام. وإنما الذي حصل أنهم ذبحوا شاة صغيرة، ووضعوا الدم على قميص يوسف عليه السلام علشان يقولوا لوالدهم إن ده الدم بتاعه وإن الذئب أكله، دي آثار الأكل بتاع الذئب. تمام؟ ولكنهم نسوا أمراً، نسوا أن يمزقوا القميص أو يخرقوه. سبحان الله! أنساهم الله هذه البديهية. يعني بديهي جداً، فعايز تقول إن القميص ده الذئب أكله، فأي حد بديهياً هيفكر يقطعه شوية. كلهم غفلوا عن ذلك. كلهم غفلوا عن البديهية دي ليه؟ لأن ربنا أراد أن يرسل اليسر مع العسر ليعقوب عليه السلام. فسبحان الله، هو قميص فيه

رسالة مؤلمة، وهو نفس القميص فيه رسالة مبشرة، أنه مش ممزق. وهنا تأكد يعقوب عليه السلام أنهم يكذبون. {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}

ولكن مهما كان، حتى لو يعقوب عليه السلام يعلم أنه ما قُتِلَش أو ما أكلوش الذئب، لكنه يعلم أنه ضاع خلاص. يعني هي دي كذبة، بس هو في الآخر حتى وأنا عارف أنك بتكذب وعارف إنه ما أكلوش الذئب، وغالب على ظنه أنه حي، بس هو فين برضه؟ كونه مفقود.

واخد بالك هو في آخر القصة ليه قال: {ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ} بعد أربعين سنة من الحادثة دي بيقول لهم روحوا دوروا على يوسف. إذاً أنت بقالك أربعين سنة متأكد أنه حي. هو متأكد أنه حي بسبب إيه؟ بسبب كل القرائن دي، زائد حاجة مهمة جداً، المنام ، نسيتوا المنام ولا إيه؟ هو في المنام، يقول إن أنا هسجد له، وإخواته هيسجدوا له. طالما ما حصلش، يبقى هو عايش. لأن ده منام حق ، ولازم يحصل. وبالتالي يوسف عايش. حتى بعد أربعين سنة، طالما أنا ما سجدتلوش ولا إخواته سجدوا له، يبقى روحوا دوروا عليه هو موجود.

فتأكد بكل القرائن دي : نستبق ، التأكيد الشديد على كلامهم ، إن القميص كان غير مخرق ، المنام ،

كل ده خلاه يبقى متأكد إيه؟ إن هو عايش. بس هم ضيعوه، عملوا حاجة، هو مش عارف إيه هي، ومش هيعترفوا أبداً بأي حال من الأحوال ويصروا إن هو ده اللي حصل.

لكن المؤلم بقى، خد بقى الفايدة اللي انت ما بتاخدش بالك منها، اللي هتوجعك قوي. المؤلم أن القميص ده قميص يوسف بجد، اللي كان لابسه بالفعل. يعني كمان من شدة القسوة، نزعوا قميصه قبل أن يلقوه في البئر عشان ينفذوا الخطة دي. فالآن يوسف في البئر بلا قميص. بلا قميص. اترمى في المية بلا قميص، في البئر بلا قميص، يقاسي برد، يقاسي البلل، يقاسي حاجات كتير. يعني يا للقسوة! حتى لم يتركوا له قميصه، إنما نزعوا عنه القميص. وسبحان الله تركوه على هذه الحالة. ولكن أغفلهم الله عن تمزيق القميص لطمأنة قلب يعقوب عليه السلام.

وتأمل في كمال يقين يعقوب في الله، رغم إنهم بيحلفوا له ويقولوا له: احنا حصل وحصل ، لا، في منام، وأنا أثق في وعد الله، وأن الله لا يخلف وعده أبداً. عشان كده

قال لهم في آخر القصة إيه؟ {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} متأكد إنه حي. لأني أعلم من الله ما لا تعلمون. كمال يقين. سبحان الله!

ثم {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} يعني يسرت لكم أنفسكم، أعانتكم نفوسكم الشريرة على هذا الأمر.

قال لهم: أنا عارف أنكم بتكذبوا وعارف أنكم بتخدعوني، لكن ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ عصبة عشرة، سبحان الله، ومش هيعترفوا أبدًا أبدًا، مش هيعترفوا أبدًا أنهم عملوا كده. بيقولوا لا، مش كدابين، يعني يقول لك صدق. تمام، آه أكله الذئب. خلاص، أثبت بقى ان احنا كدابين، ما فيش إثبات. هيعمل إيه سيدنا يعقوب؟ هيعمل إيه؟ خلاص، الأمر انتهى. وهو يعلم أن يوسف مش هيرجع، هم مش هيقولوا هو فين، ومستحيل يتكلموا. والألم أكبر من حكايته. فلم يكن هناك إلا صبر جميل. أحيانًا الأمور تضيق أنك لا تملك إلا الصبر. أنت عارف يعقوب عليه السلام لو يقدر يعمل حاجة كان عملها، لأن الأنبياء مش من عادتهم أنهم يقصروا في الأخذ بالأسباب. هتعمل إيه؟

أحيانًا يا جماعة، خليني أقول لكم فائدة. عشان الفائدة دي خطيرة جدًا، خليني الأول أقول لكم إن الكلمة دي:

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

نفس الكلمة دي احتاجتها السيدة عائشة لما لقت أن كل حاجة وقفت مرة واحدة، في حادثة الإفك. لما وصل لمرحلة أن كل الأسباب اتاخدت عشان نبرأ السيدة عائشة، والنبي ﷺ عمل كل حاجة. الأب والأم ما فيش في إيديهم حاجة يعملوها. كل الدنيا وقفت ولم يعد هناك أي شيء يُفعل. ولكن ما زال هناك أمر ضخم يمكن أن يُفعل. إيه هو؟ الصبر الجميل. الصبر الجميل سلاح. الصبر الجميل سبب، مش ضعف. الصبر الجميل مش اللي هو هنعمل إيه نصبر وخلاص. لا، ده سبب قوي. لو أنك تفهم معنى الصبر.

السيدة عائشة لما كل حاجة وقفت، قالت ما حدش صدقني وأنا مش عارف أثبت حاجة. قالت: لا أجد لكم إلا كما قال أبو يوسف لبنيه: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} وأعرضت تمامًا عن كل الناس، الإعراض، وأخذت جنبًا وسكتت تمامًا. النبي ﷺ وهو واقف نزل عليه الوحي، ونزلت عليه الآيات التي تبرئ عائشة

رضي الله عنها وأرضاها، في الآيات العظيمة. وبتقول حصل له ما يحصل له عندما يأتيه الوحي. ثم سُرِّي عنه، وقال: ابشري يا عائشة، فقد برَّأك الله سبحانه وتعالى.

أنا بقول الكلام ده ليه؟ اكتبوا الفائدة دي بماء الذهب. أحيانًا بيتعرض على الواحد مشاكل أسرية. مشاكل بين واحدة وجوزها. مشاكل مع أولاد، مشاكل، مشاكل، بيكون أحيانًا مشكلة أنت مش عارف تعمل إيه، هو ما فيش حل فعلًا. فبتقول للطرف مثلًا أحد الأطراف يعني: اصبر. احنا هنعمل إيه يعني؟ يصبرك الموضوع صعب. اصبر، إن شاء الله خير. العاقبة خير، اصبر، إن شاء الله خير. بتشعر أن بعض الناس تحس إن أنت ما قلتلوش حاجة يعني. أنا لما قلت له اصبر. فكده لم تفيده بحاجة. يقول لك: يعني أنت ما عندكش حل؟ ما فيش حل عندك؟ تقول له: يعني اصبر، إن شاء الله خير. عاقبة الصبر خير. فيشعر أن أنت ما قدمتلوش حل، وده غلط.

أنت لو افتكر اللي بيقول لك اصبر ده، ربنا قال للنبي اصبر. قال له:

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}

أحيانًا بيكون حل المشكلة الوحيد أنك تصبر، وما لهاش حل. المشكلة اتعرضت على عمامك وخلانك، ودخلت الشيوخ ودخلت ناس، وما بتتحلش. وما لهاش حل، ما فيش مش عارفين نحلها إزاي.

في حل.

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

في حل صبر جميل.

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ}

سبحان الله، فعلا اللي بتنجح أو اللي بينجح لما بنصحه النصيحة دي، وفعلا بينجح فيها بإحسان وبيصبر صبر جميل، فعلا مشكلته بتتحل من عند الله فعلا، وبتخلص وبتفرج. بيجي يكلمني يقول لي: يا شيخ، والله اتحلت من عند ربنا. لا ما فيش حد نفعني، ولا شيوخ ولا ناس، ولا دخلت ناس، ولا أعمام ولا خِلان. سبحان الله، جت من عند ربنا.

هو ده اللي أنا كنت عايز أوصله له. بس أوعى تفتكر أن الصبر نوع من العجز. احنا بنصبر عشان احنا ما فيش حاجة نعملها وخلاص، فنصبر وخلاص. لا، الصبر سلاح مرعب. سلاح قوي جدًا لأن أنت لما بتصبر، بتصبر بالله.

{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}

{إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}

لما ربنا يبقى معك، يبقى المشكلة اتحلت، بس أنت اللي ما بتعرفش تصبر صح. صدقني لما تقفل يبقى اختبار ربنا لك في الحتة دي. زي ما قفلت مع السيدة عائشة، وزي ما قفلت مع سيدنا يعقوب. ما فيش أسباب، خلاص، ما فيش حاجة تتعمل. هو بقى هنا بيبدأ اختبار جديد. علاقة جميلة بينك وبين ربنا، هتتفتح لك طاقة عبادة جديدة.

صبر جميل ، عسى قل بعد {عسى} دي أي حاجة بقى. وهترجعنا للكلام الإيجابي. شوف لما يعقوب عليه السلام قال كلام إيجابي بقى. هنا كده ده منطق بقى يعقوب الجميل اللي قاله. وده ظنه في الله بجد. {عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا} رجعوا له كلهم جميعًا. شوفت الكلام الجميل، فلما تقفل منك اصبر صبر جميل، وقل يا رب ظني فيك كذا وكذا.

صبر جميل وقول لله يا رب ظني فيك واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة. وقابلني بعدها بفترة، هتلاقي كل حاجة بقت تمام. فاعلم لماذا يبتليك أحيانا؟ ولماذا أحيانا يغلق أبواب الأسباب؟ لكي يرى منك الله الصبر. الله يحب أن يرى منك الصبر. ولن تصبر حتى تُغلَق عليك الأسباب. يريد أن يرى دعاءك، يريد أن يرى رجاءك، يريد أن يرى كلامك الإيجابي الطيب. ليرى الله منك خيرًا. إذا رأى الله منك خيرًا ارتفع البلاء. سبحان الله، بيقول: {فصبرٌ جميلٌ} يعني إيه الصبر الجميل؟

قالوا الصبر الجميل هو صبر بلا شكوى. الصبر الجميل قالوا: هو الصبر بلا جزع في القلب، بلا جزع في القلب. الإنسان يُحسِن الظن بالله. ما يبقاش عنده يأس وبلا شكوى لغير الله. بلا شكوى لغير الله. {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله} [المجادلة: ١] اتحلت مشكلتها.

قال: وهو الصبر الذي بلا عمل جوارح يدل على السخط. صبر بلا عمل جوارح يدل على السخط. زي اللطم وشق الملابس وزي الحلاقة. دلوقتي، مثلا، البنات لما تزعل تروح حالقة شعرها زيرو. هذا جزع، هذا سخط، تعبير عن السخط. أو واحد حلق لحيته عشان يبين إنه زعلان مثلا. هذا سخط. فهو بيعبر عن السخط. أو العكس، رَبّى لحيته عشان زعلان، مش مربيها سنة ولا فرض، لا، عايز الناس تعرف إنه زعلان. يا أخي ده سخط، أي تعبير بالجوارح يدل على السخط ويتنافى مع الصبر الجميل. الصبر الجميل بلا سخط، وبلا شكوى لغير الله، وبلا عمل جوارح يدل على السخط.

{اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ} الكلمة دي تقلب الدنيا. الله المستعان يعني أَعتمد عليه، وأتوكل عليه، وأركن إليه، وأُفوِّض أمري إليه. {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ} الكلمة دي جامدة، جميلة يا جماعة، جميلة جمال مش طبيعي، عشان كده تلاقونا بنقولها كتير، خلاص اتعرف أن الملتزمين بيقولوا: {اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ}. مش عايز تقول الكلمة دي ككلمة إسطمبة كدا عند الملتزمين لا.. حتى الناس حفظوها مننا، يقولك: "أنا عارف يا شيخ هتقوللي الله المستعان"، كأننا بنقولها عشان نقفل المجالس. متقولهاش تقفل بيها المجالس، متخليش الناس متعرفش قيمتها، يعني أنا أتوكل على الله، وإن شاء الله خير، وهنعمل ونسوي، وتعمل وتاخد بالعزيمة وتحاول. متخليهاش تقفيل مجالس، متخليش الناس تتضايق منها. هيقولك: "متقوليش يا شيخ الله المستعان يبقى انت كده مش هتعمل حاجة". لا، الله المستعان يعني هتوكل عليه.

هي دي اللي نفعت سيدنا يعقوب، حسن ظنه بالله سبحانه وتعالى. توكله عليه عند انعدام الأسباب. رغم أن الأسباب كلها منعدمة، لكنه يثق في الله. {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} سبحان الله! ما أجملها من كلمة! وما أجمل عاقبة هذه الكلمة.

دايمًا تقول: "اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها"، "اللهم ما قضيته لي من أمر فاجعل عاقبته رشدًا". يعني ممكن يكون الشكل شر، بس ربنا يقدر يجعل الشر ده خير. يعني أي شر يا رب بشوفه، اجعل عاقبته خير.

خلينا نقول فايدتين كده سريع: صبر جميل.. بيقولك فايدة:

الصالحون يزدادون بالابتلاء جمالًا، حتى صبرهم جميل. كما يزداد الذهب لمعانًا بالاحتراق. يعني الصالح بيطلع البلاء أجمل ما فيه، بيطلع النسخة الحلوة اللي فيه.

فايدة بتقول: ديننا كله جميل، فصبر جميل، وهجر جميل، وسراح جميل. إذا كان هذا الصبر والهجر والسراح، فما بالك بالوصل والإحسان هيكون شكله إيه؟ إذا كان جمال في الصبر، وجمال في الهجر، وجمال في الفراق، فكيف بالتواصل؟

الحاجة الأخيرة في الحتة دي: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى" [البخاري ومسلم]. وسيدنا يعقوب قال على طول: {فصبرٌ جميلٌ} أول كلمة قالها. إذا تأخر الصبر نزلت المنزلة تمامًا. لازم الإنسان يوطن نفسه ويحضر إيمانه، عشان لو حصل -لا قدر الله- الإنسان يقدر بسرعة يقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيرًا منها". "إنما الصبر عند الصدمة الأولى."

ثم قال تعالى:

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ}

سيارة مش السيارة اللي احنا بنركبها، سيارة يعني قافلة تسير.

{وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ} [يوسف: ١٩]

جاءت قافلة تسير وهنا تدبير ربنا ليوسف عليه السلام. ليه السيارة دي عدت دلوقتي أو الفترة دي؟ حلو الكلام؟ فكر بقى معايا. ليه شافوا البئر؟ ليه رغبوا إنهم يملوا ماء من البئر؟ ده معناه أن الماء اللي معاهم نقص أو مش كافي يوصلهم. مين اللي أنقص ماء القافلة دي قبل ما يوصلوا لكي يروا هذا البئر ويرسلوا وارد يأتي بالماء؟ "اللطيف" الاسم اللي اختصر عليه قصة يوسف كلها لما قال:

{إن ربي لطيفٌ لما يشاء}

ولو أراد الله لك قدرًا، فسيُيَسِّر له الأسباب. سيقذف في قلوب الناس تستهلك الماء، ويمرّون من الشارع، ويرون البئر، ويشعرون بالحاجة إلى ملء الماء منه. لو أراد الله لك شيئًا، فسيكون، {والله غالبٌ على أمره} . هذه آخر نقطة سنأخذها اليوم إن شاء الله، قال: {فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ}

طبعًا، عندما أنزل الدلو، رأى يوسف عليه السلام، ويوسف، بمجرد ما رأى الحبل، أمسك به عليه السلام.

وكأن الفائدة هنا تقول لك:

تشبث بالأمل ولو كان ضعيفًا، فقد يكون فيه النجاة.

عندما تحدث لك مشكلة، لا تستهين بأي سبب ولو كان بسيطًا. إذا كان في يدك فسيلة، فاغرسها. أي شيء تفعله، فقد يكون الله ينتظر منك هذا العمل ليرى أنك صادق في طلب الفرج. تشبث بالحبل، سيأتيك الفرج من الله ويتدلى لك، ويوصلك إلى مكانك. إذا أراد الله عزّك، سيسخِّر لك الأسباب.

لطف الله مع يوسف عليه السلام لم يكن في هذه اللقطة فقط، بل في لقطات كثيرة. لماذا أحب عزيز مصر يوسف وأكرم مثواه؟ ولماذا رأى الملك منامًا وطلب تفسيره ولم يجده إلا عند سيدنا يوسف؟ وعرف بطريقة ما أن يوسف هو من يستطيع تفسيره، وقال: "أنا عايز أشوفه" ويطلع يحكي حكايته؟ حاجات كثيرة. لو جلسنا لنمسك خيوط قصة يوسف عليه السلام، سنكتشف أن عنوانها هو: {إن ربي لطيف لما يشاء}

قال: {يا بُشرى}، شوفتوا الكلام والإيجابية؟ سبحان الله، رأى الخير كله بعد ذلك. {يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ} ، رأى هيئته جميلة جدًا، قال: "ده هيعيش، وده كويس جدًا"، هيأخذونه ويبيعونه بثمن جميل جدًا.

{وأسرّوه بضاعة} مين اللي أسرّوه؟ ونفس الفكرة في كلمة "شروه". مين اللي شروه؟ شروه هنا بمعنى باعوه. كلمة الشراء في اللغة تأتي بمعنى البيع. {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله} [البقرة: ٢٠٧]، أي يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله. شروه هنا بثمن بخس، أي باعوه بثمن بخس.

مين اللي باعوه؟ على قولين:

- القول الأول: أن الذين باعوه هم الذين وجدوه في البئر، أخذوه وباعوه. لكن هذا ليس الأقرب، لماذا؟ لأنهم فرحوا لما وجدوه وقالوا: "هنكسب فيه كثيرًا"، فكيف يبيعونه بثمن بخس؟ ولمن باعوه؟ لعزيز مصر، وعزيز مصر ليس فقيرًا لكي يدفع ثمنًا بخسًا. إذن، ليس الراجح أن الذين شروه وأسرّوه بضاعة هم الذين وجدوه.

- لكن القول الثاني: هو أن الذي باع يوسف عليه السلام هم إخوته. كانوا يترددون على البئر وخائفين أن يخرج يوسف ويخبر الناس بمكانه. لما رأوا القافلة، قلقوا أن يقول يوسف: "أنا من الحتة الفلانية" ويرجعوه. فجاءوا للناس وقالوا: "الغلام ده

عبدنا وهرب منّا من أول اليوم"، ففرحوا أنهم وجدوه. قال لهم الناس: "احنا لقيناه وكنا طمعانين في تمنه"، فقالوا لهم: "احنا كده كده مش عايزينه"، فباعوه بعشرين درهم، وقالوا إنه عبدهم.

لماذا سكت يوسف عليه السلام؟ لأنه اختار أقل المفسدتين. لو قال الحقيقة، ربما يأخذونه ويقتلونه. ففضل السكوت. تخيل القسوة الشديدة! أن تُباع ولا تستطيع أن تقول: "أنا حُر"، أو "دولا إخوتي"، أو "أنا بتباع من إخوتي". لأنه لو تكلم، ربما يأخذونه ويقتلونه.

النبي ﷺ قال في الحديث: "قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره" [البخاري]. فكيف بمن باع أخاه؟! باعوه بعشرين درهم، ثمن بخس، دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين. وهذا يؤكد أن الذين باعوه هم إخوته. لأن الآخرين لم يكونوا زاهدين، بل كانوا طمعانين في فلوس كثيرة عندما يبيعونه.

سبحان الله! لهذا يقولون في الفائدة:

أن حقيقتك لن تُغيرها نظرة الناس إليك

هذا يوسف عليه السلام، في نظر الناس بضاعة، وعند الله ما زال هو الكريم ابن الكريم.

فائدة أخرى تقول:

لا تغضب إذا لم يعرف الناس قدرك.

فلك سلوى في يوسف عليه السلام. كان من أفضل البشر على وجه الأرض، وهو الآن يُباع بثمن بخس، دراهم معدودة. قدرك الحقيقي عند الله. ثمنك الحقيقي عند الله. الدنيا كلها ثمن بخس، فكيف بدراهم معدودة؟ هون عليك. إذا ابتُليت ولم يعرفوا قدرك. إذا بخسوك قدرك، فقد ابتُلي من هو أفضل منك وأكرم منك عند الله، فلك فيه الأسوة والقدوة، وسورة يوسف سلوى كل محزون. لقد جهل الناس قدر الله وما قدروا الله حق قدره، وجهلوا قدر يوسف فشروه بثمن بخس، وجهلوا قدر محمد. فإذا رأوك أن يتخذونك إلا هزوا. هل تتوقع منهم أو تنتظر منهم أن يعرفوا قدرك؟ هون عليك... لا تنتظر أن ينصفك الناس.. يكفيك إنصاف رب العالمين.

مرَّ رجل أمام النبي ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: هذا حري إذا تكلم لا يُسمع وإذا خطب لا يُنكح. فمر بعده رجل آخر فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: هذا حري إذا تكلم أن يُسمع وإذا خطب أن يُنكح. فقال: هذا الأول خير من ملء الأرض من هذا. يعني من الثاني عند الله سبحانه وتعالى.

فكم من مغمور في الأرض معروف في السماء..

ورب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه..

فلا يضرنك نظرة الناس إليك. العبرة كيف يراني الله سبحانه وتعالى.

شروه بثمن بخس، دراهم معدودة، عشرين درهم كل واحد فيهم أخذ درهمين في الآخر تخيلوا؟ وكانوا فيه من الزاهدين. يا الله!

» فائدة مهمة:

قد يبدو المشهد مشهد ذل وهوان ولكن الحقيقة أن الله أراد بهذا المشهد العز ليوسف عليه السلام. لا يُحكم على الذل والهوان بالظاهر، وإنما الذل والهوان في الباطن. وفي الحديث: (وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري). وفي الآية: {من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا} [فاطر: ١٠]. كان يوسف هو العزيز في هذه اللقطة وهم الأذلاء لأن العز والذل في القلب، والطائع يكسيه الله عزاً في قلبه، والعاصي يجعل الله الذل في قلبه حتى وإن بدا عزيزًا في الظاهر.

» الحسن البصري كان يرى الظلمة في أهل زمانه فيقول: هم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البرازين، يعني ركبوا أفخم المراكب، لا يزال ذل المعصية في قلوبهم. أبى الله إلا أن يذل من عصاه. العز كل العز في طاعة الله، والذل كل الذل في معصية الله.

» مؤمن آل يس كان عزيزًا وهو يُضرب وهو يُقتل، ربنا قال: {قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين} [يس: ٢٦-٢٧]. مع أنه ضُرب وقُتل، المنظر منظر مذلة كبيرة، ولكن هو العزيز وهم الأذلاء.

» أهل غزة في عز، عشان كده بنقول أهل العزة. إنهم ماتوا كرامًا، ماتوا رافعين رأسهم، ماتوا على عقيدة سليمة، ماتوا متمسكين بدينهم. المؤمن عزيز. الذليل هو

اليهودي، الذليل هو الصهيوني، الذليل هو العربي الذي خان وباع وغدر بهم، لأن العز والذل في القلب.

» ابن تيمية رحمة الله عليه لما كانوا يدخلونه في السجن ليذلوه، كان يقول: "المأسور من أسره هواه، والمحبوس من حُبس قلبه عن الله". وكان لما يقفلوا باب السجن يقول: {فضُرب بينهم بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} وكان يقول: "ما يفعل أعدائي بي؟! أنا جنتي في صدري، وبستاني في قلبي، أينما ذهبت فهو معي ."

اطلب العزة من طريقها الصحيح {من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا} [فاطر: ١٠]. وطريقها: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} [فاطر: ١٠] . والذل والصغار على من خالف أمر الله. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون.

تسلية للنازحين وللشهداء وللمبتلين من المؤمنين في كل مكان. أنت العزيز، هم الأذلة. {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ}انظر قبلها يقول: {وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ} فيا رب أنت عليم بما يعملون. لماذا لا تغيّر الواقع؟ لأنه عليم وحكيم، وقلنا أن هذه السورة تدور حول اسمين: (اللطيف والعليم والحكيم). وقال كذلك باختصار القصة: {إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم} القصة تدور حول الثلاثة أسماء: لطيف، عليم، حكيم. ربنا قال عليم، فلماذا لا يغير؟ لأنه حكيم. هذا يجيبك على أسئلة كثيرة في حياتك. لماذا يا رب؟ لماذا أدعو ولا يستجاب الآن؟ لماذا لا يتغير الآن؟ لماذا ترى الظلم ولا تغيره؟ أنا عليم. خلاص، لا تقلق. حكيم بقى.

قال: {قد أجيبت دعوتكما} [يونس: ٨٩]. متى؟ ليس شأنك. {تستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون} [يونس: ٨٩]. وقال عن أصحاب الأخدود: {قال النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد} [البروج: ٤-٩]. وهو على كل شيء شهيد، إذًا أن هم يحترقون في الأخاديد، وبعد ذلك انتقم من الظالمين. عادي. لكي تكون قصة وعبرة نستفيد منها، وليعلو شأن هؤلاء المؤمنين.

حكم كتير قوي إن يتأخر الفرج عليك. بس يطمنك طول ما انت عارف.

أقول لك مثال هيقرب لك الصورة أوي: انت دلوقتي بتُبتلى. ماشي فيه واحد دلوقتي بيأذيك، بيسرقك، رافع عليك سلاح، رافع عليك مسدس وبياخد منك، طيب في نفس الوقت في كاميرا.. كاميرا مراقبة كانت موجودة وانت بتتسرق، الكاميرا دي قاعد بيشوفها قريبك اللي في العمارة، كاميرا عمارة تمام؟ وقريبك في العمارة شاف اللص ده بيسرقك. قريبك ده مين بقى؟ قريبك ده وزير الداخلية؟ مثلا يعني، هو قريبك ده ملك؟ أو قريبك ده رئيس؟ أو قريبك ده حاجة كبيرة قوي وشاف وانت طبعا شايف الكاميرا. وعارف إنه شايف. هتبقى انت حاسس بأي مشكلة؟ عادي جدا. عايز تقول اللي قدامك: اعمل اللي انت عايزه. خلاص يا باشا، انت ضعت. والمسألة مسألة وقت. وهياخد حاجتك وهيجري. وهيجي قريبك يقول لك: ما تقلقش خلاص. سيبه . ادي له حاجته وسيبه يجري. هجيبه لك. هخليه يبوس رجلك. طبعا انت قاعد حاطط رجل على رجل، وقاعد مع إنك مبتلى. بس ليه؟ عشان قريبي عالم بالقصة وده جامد جدا وهيجيب لي حقي. طب إذا كان ده قريبك اللي هو بشر زيك، وده ممكن يموت تاني يوم أصلا وما يجبلكش حاجة، أو ممكن يغلط أو ممكن قلبه يتقلب عليك، رغم ذلك أنت مطمئن جدًا. فما ظنك وانت تعلم أن ربنا يعلم الآن الظلم الواقع عليك؟ يرى الآن الافتراء اللي حصل عليك. كم يكسوك هذا بالطمأنينة والسكينة؟ ربنا عالم. أنا كده إيه؟ يا رب فوضت الأمر لك. أنا قاعد بقى رايق ما فيش أي مشكلة. وأعلم أن الله سيأتي لي بحقي مهما كان. الله عليم بما يعملون.

{وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ}

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾

سبحان الله! اشتراه من مصر مين؟ عزيز مصر. قال لك: اللي اشتراه عزيز مصر يعني كان وزير. عزيز مصر يعني وزير في مصر. كان وزير. وسبحان الله! بص بقى من لطف الله أن اللي اشتراه ده مراته مبتخلفش عقيمة، عشان يرق قلبه لما يشوف جمال يوسف عليه السلام ويقول: أنا كان نفسي يبقى عندي ولد شبه ده، ده جميل أوي وشكله مؤدب. طيب إيه رأيك نتبناه؟ يبقى كأنه ابننا وإحنا ما عندناش ولاد، وإيه رأيك؟ والست وافقت واتعامل معاملة عجيبة يوسف عليه السلام. وهنا الدنيا فرجت معه شوية. بعد ما انتقل من حسد إخوته ومن الضيق اللي كان بيعيشه في

بيته هو نفسه، انتقل إلى إكرام عزيز مصر. بعيش في قصر بدل ما كان بيعيش في البدو. {وجاء بكم من البدو} بيعيش في مُلك، بيأكل أحسن أكل، بيشرب أحسن شرب، بيتعامل معاملة واحد عوضه عن معاملة يعقوب عليه السلام نسبياً يعني. واحدة بتعامله كويس، بيتعامل معاملة الملوك. في لحظة، سبحان الله! فجأة كل حاجة اتغيرت. ليه؟ ربنا قذف في قلب العزيز إنه حبه، بس ممكن ربنا ينصرك إنه يخلي قلب يحبك. ينصرك بعقم امرأة. تخيل، ربنا نصر سيدنا موسى بعقم امرأة فرعون. ونصر سيدنا يوسف بعقم امرأة العزيز. ممكن تقول: العقم ده إيه حكمته؟ ليه يا رب؟ ما تديني؟ ويطلع فيه حكمة تانية عجيبة. إن الرحمة اللي في قلبك دي دي حكمة من حكم ربنا. إن العطف اللي انت بتعطفيه على الأطفال واليتامى والمساكين. ورحمتك اللي بتسع كل الناس عشان أنتِ ما عندكيش ولاد. يمكن لو عندك ولاد كان قلبك يبقى قاسي شوية. أو يبقى ما كانتش اتفتحت لك أبواب الخير. ممكن العقم ده أدّى لك وقت في حياتك. بقيت اشتغلت في الدعوة حفظتِ قرآن، طلبتِ علماً، وعملتِ حج وعمرة، وعملتِ أنشطة، وعملتِ جمعية لا أحد يدري. عقم النساء صنع أنبياء. عقم امرأة فرعون، عقم امرأة العزيز. بسببه موسى، وبسببه يوسف عليه السلام. كل أقدار الله جميلة. قال {أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ} ، نرجع بقى تاني للكلام الإيجابي الجميل. عسى، يا سلام. قال: {عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ} فكان الكلام إيجابياً نفعه الله به {أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ} بهذه الطريقة البديعة، ربنا سبحانه وتعالى ساق كل الأسباب دي علشان يكون أمر الله. {وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ} وبعد كده تأويل الأحاديث يخلص المشهد.

{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

في كلام تاني عايز أقوله في الحتة دي بس أنا طولت، هضطر أوقف فوراً عشان ما أطولش أكتر من كده، بس في حاجات جميلة عايز أقولها في الحتة دي، بس هتخليني أطول شوية، هبدأ بيها المرة الجاية، وبعد كده نكمل من قوله تعالى: {ولما بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً}

جزاكم الله كل خير ، يا رب نحفظ المقطع ده ونتدبره ونعيش به.

ربنا يرضى عنكم ويحبكم.

المحاضرة الرابعة
الخطة الخماسية

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

مرحبًا بكم في اللقاء الرابع من هذه السلسلة المباركة والدورة الطيبة "تعلمت من يوسف عليه السلام – مدرسة يوسف عليه السلام".

وهذا هو اللقاء الرابع، ونحن نحاول أن نستوعب معًا كمَّ المنافع والفوائد الهائلة التي في هذه السورة المباركة.

الحقيقة، كلما تعمقنا فيها ازددنا انبهارًا بالسورة وازددنا إعجابًا بها وبتفاصيلها، لدرجة أن حتى من يحفظها أو من قرأ تفسيرها من قبل يقول: "أنا أشعر أنني أقرأ سورة يوسف لأول مرة"، أو "أول مرة أستوعب الكمَّ الهائل من الفوائد التي فيها."

فسبحان الله! عجبًا! هل القرآن لا تفنى عجائبه؟

»» نعم القرآن لا تفنى عجائبه، ولو ركزنا أكثر، لاكتشفنا المزيد فلا تظنوا أن ما نقوله هو آخر ما يمكن استخراجه من السورة استمروا في القراءة والبحث، وستجدون فيها أكثر مما نذكره بكثير.

في اللقاء السابق، تناولنا الآيات من قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾

إلى قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

واليوم، بإذن الله تعالى، سنحاول أن نكمل حتى الآية رقم ٢٩، من قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

إلى قوله تعالى:

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾

»» طبعًا هذا الجزء يكاد يكون أهم وأخطر جزء في السورة، وأرجو من الله أن نتمكن من إنهائه اليوم، لأنه مليء بالفوائد وسيفتح لنا العديد من المواضيع المهمة، فنسأل الله التيسير.

كالعادة، سنبدأ بقراءة المقطع ثم نستعين بالله ونسأله التوفيق والإلهام وأن ييسر لنا الفهم وأن يشرح صدورنا.

اللهم اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ . وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ . وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ . وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ . قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ . وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ . فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ . يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ .﴾

هذه الآيات الكريمة التي سنقف معها اليوم، بإذن الله تعالى.

في اللقاء السابق، عندما انتهينا من الجزء الماضي، كنت أود أن أذكر بعض الفوائد الإضافية، ولكن لضيق الوقت توقفت، لذلك سأذكرها الآن.

»» قول الرجل لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾

»»وكذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾

أعجبني جدًا قول ابن مسعود رضي الله عنه، الذي يُكتب بماء الذهب:

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "أفرس الناس ثلاثة"

ما معنى "أفرس الناس"؟ أي أكثرهم فراسةً وأدقهم في قراءة الأشخاص والحكم عليهم.قال :

١ - لرجل عزيز مصر حين قال لامرأته عن يوسف:

﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾

٢ - المرأة، حين قالت لأبيها عن موسى عليه السلام:

﴿يَا أَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

٣ - وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه.

ما هذا الجمال! جملة قالها ابن مسعود وتُكتب بماء الذهب، حيث ذكر ثلاثة أشخاص كانت لهم نظرة ثاقبة غيَّرت مجرى التاريخ.

وهناك قاعدة مهمة تقول: "المعدن النفيس لا يخفى على اللبيب"

»» فاكرين لما قلنا: "إذا جهل الناس قدرك فلا تبتئس" ، إنما بيع يوسف بثمنٍ بخس دراهم معدودة"؟

على الجانب الآخر، هناك أشخاص لُبَباء لُمَحاء منصفون عادلون لا يخفى عليهم المعدن النفيس حاول أن تتعامل مع هؤلاء فهم يعرفون قدرك، ولا يحملون في قلوبهم أحقادًا أو حسدًا بل نفوسهم نظيفة وصافية.

»» نقول من فوائد الآية التي فاتت:

"إذا وضع لك القبول في الأرض ،، فمن ذا الذي يقدر أن ينزعه؟"

إخوة يوسف أرادوا أن يكون يوسف مذمومًا مطرودًا بعيدًا عن قلب أبيه سبحان الله! أنزل الله قبوله في قلب امرأة العزيز والعزيز وكل سكان القصر، فكان يُعامل معاملة الملوك عليه السلام.

إذا وضع الله لك القبول في الأرض، فمن يستطيع أن ينزعه؟! دع الناس يتكلمون عنك، دع الناس يشوهون صورتنا، دع الناس يسبوننا، دع الناس يظلموننا بالكلام،

افعلوا ما تريدون، الأمر بيني وبين الله. لا أتكلم عن نفسي، أتكلم بلسان كل مظلوم، كل شخص يُظلم بتشويه أو بسب أقول: افعلوا ما تريدون.

يعني أنا من عادتي لا أشغل نفسي أبدًا بما يقال عني أبدًا أبدًا حقيقةً يكاد لا يكون لي أي رد فعل في هذه المسائل، لأني أتعامل مع الله فقط... فقط.

إذا كنتُ جيدًا، فإن ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، وإذا كنتُ غير ذلك، فسينتهي أمري بأمر الله تعالى. تمام؟

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾

الله لا يبارك في أي أحد إلا إذا كان يُبلغ فعلًا عن النبي ﷺ:

" نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا "

إذا كان الله سيجعل لك قبولًا، فلن ينزعه أحد:

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

صح؟ تمام.

وكما قال سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾

دائمًا أتعامل بهذه الآيات هذه حياتي في هذه الآيات أنا أمشي هكذا ولا ألتفت... لا ألتفت، لا ألتفت تكلَّم، اشتم، شوِّه، قل عني ما تريد... افعل ما تريد.

أنا مع هذه الآيات، وأن أخرج منها ابدًا ولن تسمع مني أي رد.

وهذا حال الأنبياء، قالوا لنوح عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

فقال: ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وقالوا للوط عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

فقال: ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يُكملون مباشرة، لا يقفون طويلًا مع الأذي.

يوسف عليه السلام تأذى كثيرًا من إخوته، وكان المقدَّر له أن يكون فعلاً مطرودًا، لا أحد يُحبه، لا أحد يعرفه، أبوه لا يراه، أخوه ابتعد عنه، إخوته لا يحبونه.

فإذا بالله يجعل له من يُحبه، ومن يُؤويه، ومن يحميه، ومن يفتح له صدره وبيته، ويعلمه من تأويل الأحاديث.

فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء حتى القلوب مُسخرة...

من الفوائد "رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ"

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

عوضه الله بدل الجو القاتل الجو الذي كان مليئًا بالحسد والحقد والذي لم يكن يوسف عليه السلام ليتمكن من النمو فيه أو الوصول إلى ما وصل إليه.

عوضه بحنان عزيز مصر، وعوضه بمعاملة الملوك في بيت العزيز.

سبحان الله، تمام؟ " أَنْتَ تُرِيدُ، أُرِيدُ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ"

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ ﴾

مكنا ليوسف هنا، مكنا كيف؟ إذا كان لا يزال في بيت العزيز؟

قالوا: التمكين هنا هو تمكين القلوب...

وبعد ذلك عندما يصل يوسف عليه السلام إلى العرش يقول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾

لكن هنا لم يقل: "مكنَّا ليوسف في الأرض"، لأن التمكين الأول هو تمكين القلوب، والتمكين الثاني هو التمكين المادي على الأرض.

وكأن هذا يُعلِّمنا متى سنتمكن فعلًا؟

متى نصل إلى التمكين الذي نحلم به؟ بعد أن نصل إلى تمكين القلوب.

هذا هو الترتيب المنطقي الموضوع لن يحدث بالقوة ولن يتحقق بالإجبار ولن يتحقق بفرض أنفسنا فجأة طالما أن الواقع يرفضك فسيظل هناك مقاومة.

يجب أن نقنع الناس وندخل قلوبهم ونتحدث إليهم ونصبر عليهم.

الواقع لن يتغير في يوم وليلة.

رأينا تجارب كثيرة في العشر سنوات الماضية، محاولات لتغيير الواقع فجأة، محاولات رغم كل شيء، لكن في النهاية نعود إلى الصفر ونبدأ من جديد.

»» لا بد أن يبدأ التمكين بتمكين القلوب

النبي ﷺ لم يُمكن له في الأرض حتى تمكن من القلوب، قلوب الصحابة وأتباعه، حتى صار الناس مستعدين لفعل أي شيء من أجل الإسلام وبعد ذلك رأينا الجمال في بدر وأحد والأحزاب وغيره.

فلابد أن نصبر على الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم ونتحلى بالدعوة والموعظة والحكمة ونتحمل في تبليغ الدين وتربية الأجيال،

ثم بعد ذلك يفتح الله لنا ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وكذلك: ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾

قال: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

الله غالب على أمره يعني إذا أراد الله أمرًا سيدبره وسيصل إليه سبحانه وتعالى، لن يمنعه أحد كل شيء يقول مستحيل؟ سيصل كل شيء يقول غير ممكن؟ سيحدث!

يوسف -عليه السلام- أُلقي في الجُب، فدبّر الله أمره وأوصله إلى العزيز ثم في مكيدة المرأة ثم في السجن ثم في منام الملك ثم في الرجل الذي قابله في السجن وسمع أنه

يُفسّر الأحلام هذا التدبير العجيب استمر حتى وصل إلى الملك فأُعجب به وجعله معه في المُلك وأسند إليه خزائن الأرض.

ثم دبّر الله بلطفه أن يعقوب وأبناءه تصيبهم المجاعة فيذهبون إلى مصر ليطلبوا الميرة أو الطعام فيلتقون بيوسف فيعرفهم وتستمر القصة حتى يلتقي يوسف بيعقوب ويرد الله إليه بصره.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

ضع تحتها كل شيء يخصّك، سواء كان أمرًا شخصيًا أو أمرًا يخصّ الأمة.

»إذا كان أمرًا شخصيًا، فاطلب من الله ما تراه بعيدًا جدًا، اطلب منه المستحيل الذي تعتقد أنه لا يمكن تحقيقه، اطلب منه ما لا تعلم كيف سيحدث وافعل ما عليك، حتى لو كنت ترى أن ما تفعله بسيط جدًا ولن يوصلك إلى النتيجة المطلوبة افعل ما عليك ولو حسب حساباتك لن تصل لا تهتم،

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾.

افعل ما عليك، سأطرح عليك سؤالًا وأجبني:

من فيكم الآن في مكان، بغض النظر عن ماهيته، سواء كان منصبًا، أو مكانًا دعويًا، أو أسرة، أو زواجًا، أو سفرًا، أو مستوى مادي، وكان يعتقد في يوم من الأيام أنه من المستحيل أن يكون فيه؟

»» بل هناك منكم من تغيّر حاله تمامًا، من ارتبط، من تحجّبت، من أصبح غنيًا، من رزقه الله أبناءً، من حصل على الدكتوراه، ويقول: "زمان، كنت أطلب هذا الأمر، وكان مستحيلًا بالنسبة لي، لم أتخيل أنني سأصل إلى هنا يومًا ما."!

قصص كثيرة يمكن أن تُروى، وهي ليست قصة واحدة أو اثنتين، بل مئات الحاضرين لديهم قصص خيالية!

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾.

انظروا إلى التعليقات كم شخص يكتب الآن: "أنا، أنا، أنا" ربما غدًا تكون أنت من يكتب هذا اطلب واطلب على قدر ما عند الله واثق في قدرة الله وافعل ما عليك ولو كان غرس فسيلة في الأرض! اسعَ فلا أحد يعلم.

على مستواك الشخصي، علّق قلبك بهذه الآية، مهما كان الأمر بعيدًا أو صعبًا، قل: "والله لو أراد الله سيكون، ولو أراد الله سيحدث."

أنا يا رب أطلب منك، وأنت الغالب على أمرك، وأنا سأبذل جهدي ولو شبرًا، وأنت بقدرتك ستكمل لي الطريق. توسل إلى الله وقل: "يا رب أنت غالب على أمرك يا رب ما أراه صعبًا فهو عليك سهل وهين، يا رب لا تحرمني بسبب ذنوبي وساعدني."

لهذا قال الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

الناس تتعامل مع الله بسوء ظن، يقولون: "هذا صعب"، "لا يُعقل"، "مستحيل"، "كيف سيحدث هذا؟!". لكن قصة يوسف -عليه السلام- كفيلة بأن تجعلك تطلب المستحيل.

هل يمكن أن تتكرر قصة يوسف؟ نعم، تتكرر مرات ومرات! أربعون سنة حتى يصل يوسف إلى تلك اللحظة فلماذا نحن مستعجلون؟

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ تطبقها على مستوى الأمة أيضًا.

الله وعد بتمكين الأمة، قال:

﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾.

والله سيتم هذا الأمر بعز عزيز أو بذل ذليل.

قد تقول: "الواقع مرير، الدنيا مظلمة، لا يوجد أمل، الصهاينة و الأمريكان ضدنا، متى ستنهض الأمة؟."

لكن، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾ الله ييسّر الأمور، ويغرس لهذا الدين، افعل ما عليك.

تقول: "أنا، ماذا أفعل؟."

يا أخي، افعل ما عليك، والله لا يُعطي بقدر الأسباب فقط بل بقدر النوايا أيضًا.

إنوِ الخير، وافعل ما عليك، والله كريم، وقد يبعث جيلًا يبارك الله فيه ويفتح به.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴾. لهذا قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

لا يلزم عندما يفعل أكثر الناس شيئًا، فيكونون على صواب ولا تجعل حجتك في عمل شيء خاطئ أن أكثر الناس يفعلون ذلك قاعدة مهمة.

مثلاً، لا تقل: "لازم نعمل فرح فيه غناء ورقص، ولازم ندخل بالطريقة الفلانية"، فتُسأل: "لماذا؟"، فتجيب: "ما هو كل الناس بيعملوا كده!". يعني نصغّر أنفسنا؟ يعني الناس تنتقدنا؟ وهل إذا كان أكثر الناس يفعلون شيئًا، فإننا يجب أن نفعل مثلهم؟

ولو أكثر الناس بيعملوا كده، لكن لا يلزم أن ألبس مثلهم فقط لأن كل البنات يرتدين ذلك.

طب ما هو ربنا قال: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]

أنا ما ليش دعوة بالكثرة بالعكس أنا ما وجدت الأكثرية في القرآن إلا مذمومة. وأكثر الناس سيدخلون النار فهل أمشي وراء الأكثرية؟!

أنا أتبع الحق، حتى لو أصبحت الأقلية أكثرية، لا أقيس الأمور بالأعداد.

لذلك، يقولون: "أنت الجماعة ولو كنت وحدك."

ويقولون أيضًا: "اتبع سُبُلَ الهُدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وسبل الضلال، ولا تغتر بكثرة الهالكين."

قاعدة جميلة، وهكذا نكون قد انتهينا من فوائد هذه الآية.

ننتقل الآن إلى الآية التالية:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢]

يوسف -عليه السلام- نشأ وكَبُر في بيت امرأة العزيز. وكان من الجمال بمكان، وكلما كبر، ازداد جمالًا، حتى بلغ مبلغ الرجال، وصار قويًّا، بلغ المنتهى في الحسن.

فلما قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾، اختلف العلماء في تفسيرها.

- فمنهم من قال: بلغ ١٨ سنة.
- ومنهم من قال: بلغ ٢٥ سنة.
- ومنهم من قال: بلغ ٤٠ سنة.

فالمسألة تتراوح بين ١٨ و ٤٠، والله أعلم.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾.

ما معنى ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ؟

- البعض قال: الحكم والعلم هنا يعنيان النبوة.
- والبعض قال: الحكم هو الفهم، والعلم هو العلم (المعلومات). فهناك فرق بين من يملك معلومات فقط، ومن يملك الفهم ويعرف كيف يطبقها الفهم والاستنباط مهمان، وقد يكون لدى أحدهم معلومات لكنه لا يعرف كيف يحوّلها إلى تطبيق عملي.
- البعض قال: المقصود بالحكم والعلم النبوة لأن النبوة وُصِفت بالحكمة في آيات كثيرة.
- والبعض قال: لا ليس المقصود النبوة لأن يوسف -عليه السلام- كان أصغر من سن النبوة.

فالذين قالوا إن النبوة لا تُؤتى في هذا العمر، رجّحوا أن المقصود بالحكم والعلم هنا هو الفهم، مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾، أي أن كل مُحسن ومخلص في عبادته، يكرمه الله بالعلم والفهم.

لكن النبوة لا تُكتسب بالاجتهاد ولا يمكن لأحد أن يسعى ليصبح نبيًّا فهي محض اصطفاء من الله، كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥].

ونحن نعلم أن النبوة خُتِمت بمحمد صلى الله عليه وسلم، لذلك رجّحوا أن "الحكم والعلم" في هذه الآية تعني الفهم وليس النبوة.

➢ هناك معنى خطير يجب أن نلاحظه هنا:

في قصة يوسف -عليه السلام-، لم يُوصف أبدًا بصفة "النبي" رغم أنه صار نبيًّا في مرحلة ما.

ما الرسالة التي يجب أن نفهمها؟ كل ما فعله يوسف -عليه السلام- في القصة لم يكن لأنه نبي بل لأنه رجل تقي صالح، محسن، ومؤمن.

- عندما قال لامرأة العزيز: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾، لم يقلها لأنه نبي بل لأنه إنسان صالح، وهذا شيء يمكن لأي شخص آخر فعله.
- عندما كان في السجن يدعو إلى الله، لم يكن يفعل ذلك لأنه نبي بل لأنه مؤمن صالح وهذا شيء يمكن لأي شخص فعله.
- عندما كان عادلاً ومحسنًا في الحكم لم يكن ذلك لأنه نبي بل لأنه رجل صالح ويمكن لأي شخص آخر أن يكون كذلك.
- عندما عفا عن إخوته وأحسن إليهم في النهاية لم يفعل ذلك لأنه نبي بل لأنه رجل كريم، ويمكن لأي شخص أن يفعل ذلك.

فده معنى خطير أوي يفتح لي بابًا رهيبًا في الاقتداء لأن بعض الناس لما بيسمع قصص الأنبياء، يبقى عنده مشكلة نفسيه يقول لك: "دول أنبياء! هنبقى زي الأنبياء إزاي يعني؟" فبيسمع القصص من باب التسلية، لكنه مستبعد تمامًا أنه ممكن يعمل زيهم، يقول لك: "ده نبي! إحنا هنبقى زي النبي؟"

لا، مهو خُد بالك، الأنبياء عندهم نوعان من الأعمال: أعمال بيعملوها مش من باب أنهم أنبياء، يعني النبي بيصلي مش عشان هو نبي، بيصلي عشان ده أمر، لو رجل صالح هيصلي برضو، لكن مثلًا رحلة الإسراء والمعراج، ماشي، دي عشان نبي، المعجزات عشان نبي. لكن أعماله الصالحة بيعملها من باب أنه رجل صالح، إذًا هي قابلة للاقتداء.

عشان كده ربنا قال: ﴿أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فلما أعرف أن سيدنا يوسف أوتي الفهم وأوتي العلم لأنه كان مُحسنًا، ده بيفتح لي باب: طب ما أعمل أنا كمان؟ آه،

»»هنحط قاعدة بنقول فيها: إن أكيد في كل المناقب دي الأنبياء وصلوا لدرجة مش هتعرف توصل لها، بس مش معنى كده أنك ما تقدرش توصل لدرجة قريبة منها.

يعني ممكن تقرب لها، مش هتوصل ليها بالضبط، طبيعي، بس مش معنى كده أنها ممنوعة منك، انت هتوصل لدرجة قريبة منها، كعلم، كفهم، كتقوى، كصبر، كإحسان الباب ده مفتوح للأنبياء ولغيرهم، هجيب فيه آخري؟ آه، مش هوصل للنبي بس الباب مفتوح، فهتعرف تجيب درجة عملاقة فيه.

تمام فلما أعرف أن ربنا ربط الفهم اللي أعطاه ليوسف والعلم بالإحسان، طب ما أنا ممكن أبقى محسن؟ طب ما أنا ممكن أعمل كده؟ صح؟ لو شفنا مثلًا ربنا سبحانه وتعالى وصف الأنبياء بإيه؟ في قوله تعالى عشان نعرف الجزء ده، ربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وربنا قال عن سيدنا لوط: ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٥]
ما قالش "من المرسلين"... وقال: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ . وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥-٨٦].
وقال عن سيدنا زكريا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

بص، كلها صفات متاحة! وهنلاقي في القصة دي أن سيدنا يوسف نفسه لما بيبرر اللي حصل له أو بيبرر حاجات كتير حصلت، ما قالش: "عشان أنا نبي"،

قال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

تمام، ربنا قال:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٦]،

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: ٥٧].

»» إذًا كل الصفات اللي موجودة في سورة يوسف لن تجد فيها أنه "من المرسلين" أو "النبيين" وإنما صفات أنت ممكن تعملها قد إيه ده بيفتح لي، قبل ما أدخل في السورة، آفاق رهيبة من الطمع في أني أوصل لدرجة كبيرة، أقرب من النموذج ده.

وسلام بقى، كمان جاي لنا الكلمة دي بالذات قبل المشهد الصعب اللي جاي، وهو مشهد امرأة العزيز، عشان ما يجيش شاب أو بنت يقولوا: "ما إحنا مش ممكن نبقى زي سيدنا يوسف! ده سيدنا يوسف يا عم!" لا، هو سيدنا يوسف ما قاومش امرأة العزيز عشان هو نبي، هو قاوم امرأة العزيز لأنه تقي، لأنه بيخاف من ربنا، لأنه بيلجأ إلى الله، زي ما هنشوف دلوقتي... لكن مش عشان هو نبي.

تمام، وفيه احتمال، زي ما قلنا، أن يكون أصلًا في المشهد ده، على قول اللي قال إن لا، هو ما كانش أوتي النبوة دلوقتي، إن سيدنا يوسف أصلًا فعلًا ما كانش نبي في الوقت ده فعلًا ما كانش نبي أصلًا ساعة فتنة امرأة العزيز ما ده بيأكد لنا أكتر إن اللي عمله مع امرأة العزيز مش عمله من باب النبوة إنما عمله من باب أنه رجل تقي محسن.

وبالتالي، ده بيخليني أقول: طب ما أنا ممكن أعمل كده! ممكن أقول للفتنة: "لا"، ما يجيش واحد يقول لك: "أصل إحنا بشر، لكن دول أنبياء!" لا، هو ما كانش بيعملها عشان دي نبوة.

»» تمام؟ وبالتالي أنا أجتهد بقى وأقلده فيها خلاص يبقى دي الفائدة الجميلة من الجزئية دي.

تعالوا نقول فوائد

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

هنشوف في يوسف عليه السلام إحسان عجيب:

إحسان مع إخوته لما سامحهم في النهاية

إحسان مع الرجل اللي كان معاه في السجن، اللي سابه وما قالش للملك عليه، وسابه بضع سنين، ولما قال له: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِى سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ ﴾ [يوسف: ٤٦]، راح قال له تفسير الرؤيا ولم يعاتبه وكمان زوّده وادّاله

الحل، حاجات زيادة عن الرؤيا... إحسان عجيب من يوسف عليه السلام!

خلينا نقول كام فائدة من الآية دي:

الفائدة الأولى: الإحسان يُعرف حين لا يراك الناس، أو الإحسان يُعرف في الغرف المغلقة،

لأن الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.
الإحسان إنما يُعرف حين لا يراك الناس، الإحسان يُعرف في الغرف المغلقة، وليس أمام الشاشات، وليس أمام الكاميرات، وليس أمام الناس، فكل الناس مُحسن أمام الناس!

وده بيرجعنا لبرامج الإحسان الهائلة اللي بنشوفها.

»»الفنان الفلاني عامل برنامج بيوزع فلوس في الشارع، والمذيع الفلاني عامل برنامج بيوزع هدايا للناس في الشارع وبيصور، واليوتيوبر الفلاني عامل جوائز للمتابعين وعامل خير كتير لناس كتير.

كل ده جميل، لكن الإحسان الحقيقي هو حيث لا يراك الناس. سهل جدًا، أي حد ممكن يعمل كده. أنا لو معايا فلوس هعملك بكرة برنامج أوزع فيه كل يوم ١٠٠ ألف جنيه في الشارع عادي مش هيحصل حاجة يعني. أنا غني كده كده، وهعمل إعلانات وهتعوضني وخلاص.

لكن أنا مش بتهم الناس دي في نيتهم، الله أعلم بنيتهم بس أنا بقول: هل الناس دي فعلًا محسنة؟ هما لو عندهم عمل تاني زي ده أو أكتر بعيد عن الكاميرات، محدش يعرفه، فأرجو من الله أنهم يكون عندهم الجانب ده. تمام؟ لا تحكم على أحد أنه محسن حتى تعرف حاله في الخلوات.

المشكلة بقى إن إحنا من كتر تأثير الميديا علينا، اتأثرنا تأثير عكسي.

»»إزاي؟

بقينا لما نشوف حد مش بيظهر عمله الصالح بنتهمه إنه معندوش عمل صالح! متخيلين وصلنا لإيه؟

تاني يجي حد مشهور مثلًا بيدي درس أو عامل مقطع، ييجي حد يقوله: "إنتوا قاعدين تتكلموا بس قدام الشاشات، لا بتتبرعوا، ولا شفناكم عملتوا حاجة لغزة، ولا بتعملوا حاجة لفلسطين، ولا بتساعدوا الناس الغلابة"!

معلش، هو أنت عرفت منين إني مبعملش؟!

مشوفتكش مصورتش نفسك!

إحنا خلاص بقينا مرضى لدرجة إن إحنا نفسنا اتأثرنا بالنموذج ده بقينا عندنا مشكلة من جميع الأحوال.

اللي بيصور نفسه يقولوا له: "يا عم، إنت بتصور نفسك؟! اعملها في السر"!

طب لو عملتها في السر، يقولوا: "إنتوا ما بتعملوش حاجة! ولا شفناكم عملتوا حاجة لقضايا المسلمين، ولا بتتبرعوا، ولا بتساعدوا أهل غزة. إنتوا بس بتتكلموا وخلاص"!

حاجة عجيبة والله! زي قصة جحا وابنه والحمار، الناس مش عجبها حاجة .

عشان كده، متعملش عشان الناس مالكش دعوة بالناس اتعامل مع ربنا وخلاص.

فلا تتهم أحدًا... كم في الزوايا من خبايا، وكم في الناس من بقايا! أنت لا تدري، والله العظيم المحسنين دول ماليين الدنيا، وناس والله ما هتعرف أبدًا ولو قعدت تكهربه مش هيقول لك بيعمل إيه!

وكل يوم بنكتشف ناس تيجي واحدة ست تقول لك: "فلان ده عمل لي كذا، وفلان ده ساعدني في كذا"، وتكتشف بعد سنين إن كان فيه واحد إحنا شايفينه إنسان عادي، لكنه عامل خير رهيب أضعاف أضعاف اللي صور نفسه.

- ✓ فالإحسان حيث لا يراك الناس.
- ✓ الإحسان في الغرف المغلقة.
- ✓ الإحسان إنك تكون قاعدة قدام الشاشة وما بتعمليش حاجة غلط.
- ✓ الإحسان إنك تبقي قدامك فرصة تكلمي الولد وما تكلمهوش.
- ✓ الإحسان إن يكون عندك ضمير في الحاجة اللي بتعمليها.
- ✓ الإحسان إن يكون عندك ضمير في كل حاجة بتؤديها.

فايدة جميلة من الآية:

*بعض العلم لن يصلك حتى تكون محسِنًا.

يعني اقعد بقى احضر دروس وخلص متون واقرأ كتب بس في مساحة من الفهم، في مساحة من العلم لا تؤتى بكثرة المعلومات وإنما تؤتى بالعلاقة بينك وبين الله.

كلما كنت أكثر إحسانًا وأكثر تقوى، فتح الله لك أبوابًا لا تفتح بكثرة المذاكرة، ولا تفتح بكثرة المحاضرات، وإنما تفتح فقط للمحسنين.

فمع اجتهادك في طلب العلم اجتهد في العبادة واجتهد في إصلاح القلب واجتهد في الإحسان إلى الناس واجتهد في الإحسان بينك وبين الله.

فإن هناك أبوابًا لا تفتح إلا للمحسنين.

قوله تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ)

معنى جميل في حياتك:

لا تتعجل النتائج، وانتظر حتى تستوي وتبلغ أشدك.

لا تتصدر قبل أن تبلغ أشدك فإن التصدر السريع قرين الخطأ الكثير.

في أي مشروع في حياتك، لا تتعجل قطف الثمرة قبل أن يبلغ المشروع أشده.

وأخيرًا، فائدة:

*خذ العلم من الأكابر الذين بلغوا الأشد.

يعني الناس الكبار، تمام؟ أربعين سنة وأكثر، فعادة يكون لهم نصيب من الخبرات ومن الاحتكاك العلمي والدعوي، فتكون نصائحهم أفضل من الصغار بلا شك.

نلحظ في هذه السورة أن الله أثنى على يوسف عليه السلام بأشياء غير جماله.

رغم أن جمال يوسف عليه السلام كان ميزة هائلة فيه، لكن كل ما أثنى الله عليه به كان خارجًا عن الجمال وكأن الرسالة:

"يوسف عليه السلام له جمال آخر أعلى من جماله الحسي، وهو الإحسان، والإيمان، والتقوى، والعمل الصالح".

ثم قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾

امرأة العزيز كبرت، وكبر يوسف عليه السلام.

طبعًا لما رأت العزيز، امرأة رائعة جميلة فاتنة بكل المقاييس، أكيد.

ويوسف عليه السلام بلغ الأشد، وصار فتى، وطبعًا لا يوصف جمال يوسف.

فحصل أنها فتنت به...

باختصار، هي فُتنت به وبدأت المرحلة الصعبة والمحنة الجديدة ليوسف عليه السلام إنَّ امرأة العزيز تُراوده والمراودة تعني المحاولات التي فيها لطف التي فيها رفق ولين هي محاولات ماكرة تحاول الوصول إليه بشكل ما تريد أن تُقنعه بأن يفعل معها كذا وكذا... مراودة... تجد فيها مراوغة صبر ومحاولات وكأن الموضوع يتكرر والتلميح يتكرر.

ولكن هذه المرة، جابت آخرها ، فغلَّقت الأبواب وقالت: "هيت لك"، أي انتهى الأمر وكان يوسف عليه السلام دائمًا مُعرضًا عن محاولاتها السابقة، وكأنه دائمًا يتغافل عنها، وكأنه دائمًا يصدّها. ولكن هذه المرة، لم تستطع أن تتحمل، فقد وصلت شهوتها إلى درجة جنونية، لدرجة أنها قامت بهذا الفعل العجيب!

لقد غلَّقت الأبواب في بيتها، في بيت زوجها، وقالت: "هيت لك". هذا أمرٌ صعبٌ جدًا على العقل أن يتصوره، أن تفعل امرأة عاقلة مثل هذا! ولكن هكذا الشهوة، إذا تمكنت من الإنسان، يفقد كل الحسابات المنطقية، ويفعل أشياء لا يصدق أحدٌ أنَّ شخصًا عاقلًا يمكن أن يفعلها.

قال الله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [يوسف: ٢٣].

إنها محنة جديدة، لتظهر من يوسف عليه السلام عبودية جديدة، محنة شديدة... وما أشدها من محنة!

لماذا كانت هذه المحنة شديدة جدًا؟

لأن يوسف عليه السلام لم يكن في وضعٍ عاديٍّ، تعالوا نعد الأسباب التي جعلت هذه المحنة قاسية جدًا عليه:

١ -يوسف عليه السلام شديد الجمال.

٢ -أعزب، فهو بالتأكيد راغب في الزواج، وله شهوة، فالأنبياء بشرٌ لهم شهوات. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

٣ -هو في بيتها أي تحت سلطانها، فهو في وضعٍ ضعيف وليس لديه سلطة يُمكنه بها أن يقاوم بسهولة.

٤ -غلَّقت الأبواب أي أن الخلوة تامة والأبواب مغلقة وفي درجة كبيرة من الأمان.

٥ -يوسف عليه السلام بعيد عن أهله، في بلدٍ غريبة، ولا يعرفه أحد. والطبيعي أن الشخص عندما يكون بعيدًا عن بلده، يكون أجرأ على المنكرات مما لو كان بين أهله وأقاربه.

٦ -المرأة قوية ومتسلطة تُنفِّذ ما تريده.

٧ -زوجها ضعيف ولين بل فيه درجة من الدياثة.

٨ -المرأة فائقة الجمال.

٩ -المرأة هي الطالبة.

١٠ -المجتمع يساعد على ذلك بل يُؤيد ذلك.

ولهذا، رأينا بعد ذلك أن النساء في القصر اشتركن مع امرأة العزيز في نفس الفعل، فقد قال يوسف عليه السلام:

﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

»» إذن، كل الظروف كانت مهيأة ليوسف عليه السلام كي يقع في هذه الفتنة، ولكنّه خرج منها طاهرًا نقيًّا.

لا يوجد مبرر للوقوع في الفتنة!

بعد أن استعرضنا هذه العشرة أسباب يتبين لنا أنه لا يوجد أي شخص يمكنه أن يبرر لنفسه الوقوع في المعصية. لا يوجد أحد اجتمعت عليه ظروف مثلما اجتمعت على يوسف عليه السلام ومع ذلك ثبت وصبر وخرج منها.

ولذلك لا يصح أن يأتي شابٌ أو فتاة ليبرر أي علاقةٍ محرَّمة أو أي عادةٍ سيئةٍ بقوله:

"يا شيخ، الظروف صعبة"!

"يا شيخ، الدنيا مليئة بالفتن"!

"يا شيخ، البنات متبرجات، والإنترنت والتيك توك والفتن تحيط بنا"!

كل هذا ليس مبررًا لأن يوسف عليه السلام اجتمعت عليه كل الفتن الممكنة، ومع ذلك قاومها ونجا.

يقول البعض: "لكن الشيخ، أنا معذور، أنا لا أستطيع الزواج!"، أو "البنات هنَّ من يفتنون الشباب!"، أو "الرجال هم السبب في الفتنة!"، أو غير ذلك من الأعذار.

لا لا يوجد عذر فلدينا نموذج واضح: يوسف عليه السلام، اجتمعت عليه كل هذه الظروف، ومع ذلك قال ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٢٣].

إذن، الاختبار الحقيقي هو في الصمود أمام الفتن، لا في كثرة الفتن!

لماذا فتنت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام؟

وقبل الإجابة، دعونا نطرح سؤالًا آخر: من المفترض أن يفتتن بمن؟

هل الرجل هو الذي يفتتن بالمرأة؟

أم أن المرأة هي التي تفتتن بالرجل؟

ما رأيكم؟ من المنطقي أن يفتتن بمن؟ المرأة تتفتن بالرجل؟ أم الرجل هو الذي يفتتن بالمرأة؟

ليس المفروض أن الرجل هو الذي يفتتن بالمرأة، ولا أن المرأة هي التي تفتتن بالرجل.

خذوا هذه القاعدة المهمة:

"من يفتن بالآخر هو من يفتح الأبواب، ومن لا يفتن هو من يغلق الأبواب".

»» إذن كل الإجابات التي تفترض أن الرجل دائمًا هو الذي يفتتن، أو أن المرأة دائمًا هي التي تفتتن، هي إجابات خاطئة.

من يفتح الباب هو من يقع، ومن يغلق الباب هو من ينجو.

»»على سبيل المثال قد يكون هناك شاب في دفعتكم شاب وسيم وأنيق من عائلة كريمة أعزب وغني ولكنّه تقي تمر الفتيات من حوله لكنه لا يُلقي لهن بالًا ولا يهتم ولا يتابعهن في هذه الحالة الفتيات هنّ من يفتتن به وليس العكس!

وفي المقابل، قد يكون هناك شاب آخر، يفتح الأبواب بنفسه:

يُتابع حسابات الفتيات على وسائل التواصل ويُراقب حالاتهن اليومية ويشاهد الأفلام والمسلسلات ويتأثر بالمحتوى غير اللائق يُشاهد المواد الإباحية.

يُسقط كل ما يراه في الإعلام على واقعه.

هذا الشاب، حتى لو لم تكن هناك فتاة تهتم به، سيظل يرى أن "الدنيا بايظة"، وأن "البنات كلهن سيئات"، فقط لأنه فتح الباب بنفسه!

إذن، القاعدة واضحة:

»» إذا فتحت الباب، ستقع في الفتنة.

»» إذا أغلقت الباب، لن تؤثر عليك الفتنة.

في قصة يوسف عليه السلام، من الذي فتح الباب؟

إنها امرأة العزيز، كانت تراقبه في الذهاب والإياب، تحاول التحدث معه، تفكر فيه كثيرًا، وحولها صديقات غير صالحات (النسوة اللاتي كنّ يُبررن الفاحشة). كانت مجالسهن تدور حول الرجال والعلاقات والخيانات، فتأثرت بتلك الأحاديث، وأصبح تفكيرها منشغلًا بيوسف.

أما يوسف عليه السلام، فكان على العكس تمامًا:

✓ لم يكن يُراقب النساء.
✓ لم يكن يجلس مع من يتحدثون عن الفواحش.
✓ لم يكن يُتابع أخبار النساء في القصر.
✓ لم يكن يُعطي امرأة العزيز أي اهتمام زائد.
✓ لم يكن يتساهل في الحديث معها.

»»لذلك، لم يكن متأثرًا بها، ولم يكن لديه ميل لها، لأنه أغلق الباب تمامًا!

كيف تعلمنا امرأة العزيز هذا الدرس؟

النسوة قلن لها: "كيف تُحب فتاها؟"، استغربن كيف يمكن أن تحب عبدًا يعمل لديها، بينما هي من علية القوم! كان كلامهن مجرد حديث نظري.

لكنها كانت تعرف كيف توقعهن في نفس الفتنة، قالت كلمة واحدة غيّرت كل شيء:

﴿ ادْخُلْ عَلَيْهِنَّ ﴾

فلما إيه؟ فلما رأينه!مجرد الرؤية، غيرت كل شيء!وقعن في الفتنة كما وقعت هي.

أحببنه كما أحبته هي بدأن يراودنه كما راودته هي ونسين كل كلامهن السابق عن الفروقات الاجتماعية والمكانة.

»»إذن الفتنة لا تبدأ عندما يتحدث الناس عنها، بل عندما يُفتح الباب لرؤيتها أو التفاعل معها.

لا تفتح الباب على نفسك!

كما قال النبي ﷺ: "لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه".

✓ لا تفتح باب النظر.
✓ لا تفتح باب متابعة المحتوى غير الأخلاقي.
✓ لا تفتح باب العلاقات المحرمة.
✓ لا تفتح باب التواجد مع أصدقاء يثيرون الفتن في قلبك.

إن كنت تجلس مع أصدقاء يتحدثون عن العلاقات أو يشاهدون محتوى غير لائق، أو يُشجعون على الحرام ستشعر أنك ناقص حاجة وستبحث عن أي علاقة تُشبع هذا النقص.

»» أما إن كنت تجلس مع شباب يحفظون القرآن، يعملون في الدعوة، يُركزون على أهدافهم في الحياة، فستشعر أنك بحاجة إلى أن تصبح مثلهم، وسترى أنك أنت المقصر.

الدرس الكبير من القصة

قال الله تعالى:

﴿ وَرَاوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ ﴾ [يوسف: ٢٣].

امرأة العزيز فتحت الباب للفتنة، فراودت يوسف.

أما يوسف، فأغلق الباب في وجهها، فلم ينجذب إليها، ولم يقع.

»»إذن المشكلة ليست في المجتمع فقط، بل في من يختار أن يفتح الأبواب ومن يختار أن يُغلقها.

لا تفتح الباب، وستبقى نقيًا.

اللي بيشوف مسلسلات يعرف فعلا ان المستوى ده مسيطر عليه تمامًا الأفكار دي

كل المسلسلات بتدور حول العلاقات الحرام والزنا والخيانة والجنس والألفاظ الإباحية والايحائية

ايه ده ؟ انتم بتعبروا عن ايه اي واقع هذا ؟ !

هم أصلًا لا يفكرون إلا في هذه الأمور، ثم بعد ذلك يأتون إلى الشيوخ ويقولون: "أنتم... أنتم ما وراؤكم غير النساء"!

نساء؟! أي نساء؟!

نحن بالكاد نتزوج بصعوبة، وأنتم من أفسدتم كل شيء في مسلسلاتكم، وأغانيكم، وأفلامكم، ثم تلقون باللوم علينا!

نحن الذين نقول لكم: "غضوا أبصاركم، اتقوا الله".

ثم يقولون لنا: "أنتم تتحدثون عن نكاح الجهاد وما شابه"!

يا أخي، إن كنت على رأسك بطحة، فلا ترمِ التهم على غيرك! مجتمع بغيض.

قال الله تعالى:﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣].

"هيت لك" تعني: "أنا لك، افعل ما تشاء".

وفي قراءة أخرى: ﴿ هُيِّئۡتُ لك ﴾، أي: "تهيأت لك".

ثم قال يوسف عليه السلام:

﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

خمس خطوات أنقذت يوسف من الفتنة

يوسف عليه السلام فعل خمسة أشياء أخرجته من هذه الفتنة، احفظوها جيدًا، وسنقف عند كل نقطة منها:

١.اللجوء إلى الله والاستعانة به

أول ما فعله يوسف عليه السلام هو أنه قال: "معاذ الله".استعاذ بالله لجأ إليه، استنجد به.

٢.تذكُّر حقوق المخلوقين تذكّر أن سيده العزيز هو من ربّاه وأحسن إليه، فقال:

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾، أي: "سيدي الذي رعاني وأكرمني، فكيف أخونه في زوجته؟"!

وتذكّر أيضًا أن هناك حقوقًا لمخلوقين آخرين: الأب، العم، الأخ، الخال، وغيرهم، وكلهم سيحاسبونه يوم القيامة.

٣ .تذكُّر عاقبة الذنب قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، أي أن الزنا والوقوع في الفاحشة لن يؤدي إلا إلى الندم والخسارة.

٤ .العمل الصالح السابق (سوابق الإحسان)

قال الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

هذه النقطة لم تحدث في لحظة الفتنة، بل قبلها بسنوات!

يوسف كان بينه وبين الله إحسان وإخلاص وعبادة صادقة، فحفظه الله يوم الفتنة.

قال النبي ﷺ: "تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة".

٥ .الأخذ بالأسباب والفرار من المعصية

لم يكتفِ يوسف بكل ما سبق، بل هرب بنفسه من مكان الفتنة.

قال الله تعالى : ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥].

فرّ من أمام امرأة العزيز، فرّ من الفتنة، جريًا حقيقيًا!

معاذ الله هي دي البداية

البداية الصحيحة اللجوء إلى الله

أي بداية أخرى غير هذه، هي بداية خاطئة.

بعض الناس عندما يكون في معصية، يقول:

"يا شيخ، الدنيا بايظة معي، البنات في كل مكان، المواقع الإباحية، العادة السرية، الصحوبية، لا أستطيع التوقف"!

فأقول له: "حسنًا، أول شيء: استعن بالله، ادعُ الله، صلِّ، واطلب من الله أن يُعينك".

فيرد قائلًا: "يا شيخ، وبعد ذلك؟! أعطني شيئًا عمليًا"!

هذا الشخص لن يخرج من المعصية!

لأنه لم يتجاوز أول خطوة وأهم خطوة: اللجوء إلى الله.

فاكرين لما شرحنا "والله المستعان" وقولنا انها ليست مجرد جملة نقولها وننهي بها كلامنا، بل هي سلاح رهيب يغير العالم!

لماذا تقفز إلى الحلول العملية، قبل أن تقول: "يا رب، أعني"؟!

حتى امرأة العزيز نفسها شهدت ليوسف بهذه الحقيقة!

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدۡتُهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ [يوسف: ٣٢].

هي نفسها اعترفت أنها لم تستطع التأثير عليه لأنه استعصم بالله!

وعندما اجتمعت عليه كل النسوة، لجأ إلى الله مجددًا وقال:

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

أي: "يا رب، إن لم تصرف عني كيدهن، سأقع، فأنا بشر، لكن بك وحدك أنجو".

إذا كنت في كلية وكل من حولك غارق في العلاقات المحرمة، وتحاولن أن يجروكِ معهم في المستنقع نفسه، فقولي:

"يا رب، اصرف عني كيدهم، فأنا ضعيفة بدونك".

إذا كنتَ أمام شاشة، وأمَامَكَ موقع إباحي بضغطة زر، فقل:

"يا رب، اصرف عني كيد هذه المواقع، وكيد هذه الإعلانات، وكيد الشهوات".

اللجوء إلى الله ليس كلامًا نظريًا، إنه منهج حياة.

ابدأ بـ"يا رب"، وستجد أن الله يفتح لك أبواب النجاة.

قل: "يا رب، استعصم، الجأ إلى الله أولًا، كن صادقًا مع الله".

مشكلتنا الأساسية: "نحن لا نحسن أن نستعصم".

اكتبوها: "نحن لا نحسن أن نستعصم، لا نحسن أن نقول: معاذ الله"!

لو قيلت هذه الكلمة بصدق كل شيء سيكون سهلًا بعدها لكن مشكلتنا أننا لا نحسن ذلك!

نحن ماديون، نريد أن نرتبط بالأسباب، ونتوكل على الأسباب بدلًا من الله.

لذلك تجدنا نقول للشيخ: "خلص، قل لي شيئًا عمليًا"!

لكن إذا بدأت الطريق خطأ، فلن تصل أبدًا، ليس فقط في هذه الفتنة، بل في كل شيء الدعاء الذي يُغير الحال

قل: "يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا".

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ — هذه الكلمة غيرت واقع يوسف عليه السلام، لأنها قيلت بصدق، بثقة، ومن القلب.

النبي ﷺ استخدم نفس الفكرة لإنقاذ شاب أراد الزنا: اللجوء إلى الله.

تذكير الشاب بحقوق الخلق.

شاب جاء إلى النبي ﷺ وقال: "ائذن لي في الزنا"!

الشاب لم يكن يريد فعل الحرام بدون إذن، بل كان يقول: "يا رسول الله، اسمح لي، أعطني استثناءً، فأنا لا أستطيع"!

وكأنه يقول: "ظروفي صعبة"! كما تُصور لنا الأفلام والمسلسلات التي تبرر:

» الراقصة التي "اضطرت" أن تصبح راقصة.

» الفتاة السيئة التي "أجبرها" المجتمع على ذلك.

» البلطجي الذي أصبح كذلك لأنه "لم يكن لديه خيار آخر".

لكن النبي ﷺ لم يمنح الشاب استثناءً، لأن الله لا يكلّف نفسًا إلا وسعها!

إذا أمرك الله بالعفة، فهذا يعني أن العفة في وسعك.

إذا أمرك الله بالحق، فهذا يعني أن الحق في وسعك.

ثم قال له النبي ﷺ: "أترضاه لأمك؟"

قال: "لا"! " لأختك؟"

قال: "لا"! "لعمتك؟ لخالتك؟"

قال: "لا"!

فقال له النبي ﷺ:

"وكذلك الناس، لا يرضونه لأمهاتهم، ولا لأخواتهم، ولا لعماتهم، ولا لخالاتهم".

هل أنت مستعد لمواجهة هؤلاء يوم القيامة؟

هل تستطيع مواجهة أب الفتاة التي أخطأت معها؟

هل تستطيع مواجهة أخيها، عمها، خالها؟

إذا لم ترضه لأهلك، فلا ترضه لغيرك!

حتى الكلمة الدارجة التي يسخر منها البعض: "أليس لديك أخوات بنات؟"!

هي كلمة صحيحة!

لماذا تمشي مع فتاة في حين أنك لن ترضى أن يمشي أحد مع أختك؟!

الرجل الذي يمنع أخته من العلاقات لكنه يلهو مع بنات الناس ليس رجلًا!

النبي ﷺ حل مشكلة الشاب بدعوة واحدة!

بعدما وعظه، لم يكتفِ بذلك، بل وضع يده على صدره وقال:

"اللهم كفر ذنبه، وحصّن فرجه، وطهّر قلبه".

فقال الصحابة: "فما عاد هذا الفتى يلتفت إلى شيء"!

دعوة واحدة فقط، غيرت حياة الشاب!

تمامًا كما قال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾

هل تستطيع حل مشكلتك بدعوة صادقة؟

قد تقول: "أنا أدعو، لكن لا أشعر أن الله يستجيب لي"!

أحيانًا تتأخر الإجابة بسبب وجود مانع من موانع الإجابة، مثل أكل الحرام.

أن الله يريد أن يسمع دعاءك أكثر فيجعلك تستمر بالدعاء لكي تشعر بقيمة النعمة عندما تُعطى لك.

لو استُجيبت لك من أول مرة، لما عرفت قيمتها!

»»لذلك: ادعُ وكن صادقًا ولا تستعجل.

لازم تتعب قوي عشان توصل إلى النتيجة، فلما توصل لها تمسك بها وما تفرطش فيها وممكن ربنا بيأخر عنك إجابة الدعوة علشان يوصلك لحاجة أعلى من اللي أنت طلبتيه.

»»يعني مثلاً واحدة فيكم مثلاً في علاقة فبتدعي ربنا: "يا رب، يا رب، يا رب، ابعد أنا مش قادرة يا رب"، فشوية ما لقيتيش إجابة،
فتقول: "طب أصلي الفجر وأدعي ربنا في صلاة الفجر، أنا ما بصليش الفجر، أنا حاسّة إن هي دي مشكلتي صليتِ الفجر ودعيتِ، وبرضو لسه.

قلتِ: "طب أنا هصوم وأدعي وأنا صايمة " صُمنا "طب أطلع صدقة".

تقول: "طب أنا أطلع عمرة وأدعي ربنا هناك". اطلعي عمرة. "طب أنا يمكن علشان لبسي هو اللي بيجيب لي المشاكل دي، طب أعدّل لبسي".

وبعد كده ربنا يستجيب للدعوة، فتكتشفي أن تأخير الإجابة كان عشان يوصلني للمرحلة دي. أنا بقيت أصلي الفجر، وبقى عندي صدقات، وبقى عندي ورد صيام، والحجاب اتحسن، يا رب، أنا فهمت ليه ربنا أخّر عني الإجابة. فأحسنوا الظن بالله، بس المهم أن تلجأ له صح.

أمتى بقى هيستجيب؟ دي مش مشكلة، بس المهم إن أنا ألجأ صح وأستعين به صح، وعلى الله، زي ما بيقولوا.

تمام، تعالوا نقول كم فائدة كده سريعة في الآية:

الفائدة الأولى:

غلِّقت الأبواب، ولكن لم تدرِ أن الأبواب المغلقة لا تمنع وصول الدعوات إلى الله. غُلِّقت الأبواب، ولكن لم تعلم أن الأبواب المغلقة لا تمنع وصول الدعوات إلى الله.

الفائدة الثانية:

قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] بتقول لك: كن حاسماً، خاصة في باب العلاقات المحرمة، لا تكن ليناً ولا تترك الباب موارباً. بعض الناس في موضوع العلاقات ده بيبقى لين. يعني إيه؟ يعني اتفتح الباب وعارف إنه باب شر، وعارف إن فيه حد بيلف عليه، لكنه مش بيحسم، مش بيقفش، مش بيخلّص، بيقعد يوارب ويسيب حتة كده مفتوحة. الباب ده بالذات ما ينفعش فيه مواربة، لازم الحسم والشدة والسرعة والحزم.

قالت: "هَيْتَ لَكَ"، قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣]. مفيهاش كلام في النص أو أي احتمال لتفاهم تاني. وخلينا نقول فائدة قبلها: لما قالت "هَيْتَ لَكَ"، دي كلمة قالتها امرأة العزيز، ولكنها حال في شاشات التلفاز، وشاشات الموبايل، والمسلسلات، ومواقع التواصل عموماً. كل هذه الأشياء تقول لك كل يوم: "هَيْتَ لَكَ!". فما موقفك منها؟ طول ما أنت بتقلب، يعني تطلع لك بتقول لك: "هَيْتَ لَكَ!". ما موقفك منها؟

الفائدة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [يوسف: ٢٣]. هنا بقى يقصد مين؟ يقصد سيده، قال: ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾، "ربي" يعني سيدي، الراجل اللي ربّاني، أحسن مثواي.

لأن ده بيفكرك بالعلاج التاني، وهو: قبل ما تُقدِم على المعصية، افتكر أن هناك حقوقاً للخلق البنت اللي أنت ماشي معاها دي، لها أب، لها أخ، لها عم، لها خال. البنت اللي خانت أبوها وخانت تربيته لها، ومشت في حرام، وخانت وصيته لها، هل نحن مستعدون ليوم القيامة وللمفاجآت؟

لما ييجي الناس دي يقول لك: "أنا لي عندك حق، هات حسنات بقى يا باشا". تفتكر لما ييجي أب، أو أخ، أو عم، أو خال، أو أي شخص يحاسب واحداً على خيانة في عرضه إيه اللي يرضيه من الحسنات؟ أظن أنهم لن يُبقوا لهذا الشخص حسنة واحدة. شيء مرعب.

﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ نتعلم من يوسف عليه السلام الوفاء. الوفاء، كما قال النبي ﷺ: "مَن أَسْدَى إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ". فمستحيل أخونه، ده المفروض أكافئه.

تمام، قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، دي بترسم لنا ملمحاً خطيراً، وهو عاقبة الذنب يعني، من الحاجات اللي بتشجعني يا جماعة إن أنا أبطل الذنب، هو التفكير في عاقبة الذنب.

ما تبصّش للمتعة الآنية، اللي هي: "أنا همشي معها فهتبسط"، "هتفرج على الإباحية فهتبسط"، "هعمل العادة فهحس باللذة والنشوة."

أيوة، ممكن تقول لي بعد كده بيحصل إيه؟ ها؟ ممكن تقول لي بعد كده بيحصل إيه؟ طبيعي، عادةً الموضوع بيقلب بندم.

بعد ما تخلصي الكلام مع الشاب، بتقعدي طول الليل متضيقة من نفسك، كارهة نفسك، بتبصي لأبوك وأمك وحاسة إنك عاملة حاجة غلط، حاسس إنك خنتي التربية.

أنت بعد العادة السيئة، بتبقى قرفان من نفسك، مش طايق نفسك، مش عارف تعمل إيه، "طب أنا يعني لسة هغتسل وهصلي إزاي؟ وعايز أتوب؟ وكل مرة كده؟."

أنتِ بعد ما بتتفرجي على حاجات مش كويسة على النت، بتبقي قرفانة من نفسك، وحاسة إنك وضيعة، وحاسة إنك رخيصة قوي، "إيه اللي أنا بعمله ده؟."

كل ده بيحصل؟ هل ممكن حضرتك تفكر، بدل ما تفكر في لذة الذنب الوقتية، تفكر في الذكرى بتاعة ما بعد الذنب اللي كل مرة بتحصل؟

وتقول لنفسك: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفلح الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣]، كل مرة كده؟

فضلاً عن مشاكل تانية يعني في مشاكل تانية في الفاحشة دي بالذات الموضوع مش بيعدي بسلام الموضوع بيؤدي إلى أن القلب اتجرح خلاص فأنا هاجي أرجع لربنا مش عارف أرجع زي الأول.

ما هو الموضوع بيضرب في حاجات كتير، تيجي ترجع تصلي، الصلاة مش زي الصلاة اللي قبليها.

أجي أقرأ القرآن أحس أن الخشوع راح مني أحس أن التدبر راح مني أحس أن العلم راح مني أحس أن البكاء راح مني.

»» تمام طب تعال ننزل في الحياة، خد بقى "الظالمون."

نجد عدم التوفيق في حياتي، مش عارف إيه اللي بيحصل لي، أنا باخد قرارات غلط، أنا حاسس إن ربنا مش موفقني، أنا حاسس إن الدنيا مش ماشية معايا... "عدم التوفيق"، غير الخوف الملازم لك دائماً من سوء الخاتمة، الخوف الملازم لك دائماً من الفضيحة.

»» خد بالك امرأة العزيز اتفضحت بعديها بدقائق! ما تعرفش إمتى الستر هينكشف عنك لغاية دلوقتي مستور لغاية دلوقتي ما حدش عارف حاجة إمتى ربنا يفضل ساترك؟ ما حدش عارف ولما الفضيحة تحصل، هتبقى بجلاجل زي ما بيقولوا.

طب ما نتوب؟ نتوب يعني نتوب! ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

ورصيد الستر ممكن يخلص في أي وقت ولو الفضيحة ما حصلتش في الدنيا هتحصل في الآخرة وكله هيعرف كل حاجة وفي الآخر هيكون الموضوع مصيبة.

لما يتشاور على الواحد، ويتقال: "ده الغادر"، "دي الخائنة"، فضلاً عن أن الموضوع ده بالذات ممكن يسبب مرض القلب، ممكن يسبب موت القلب! وممكن يحرم الإنسان من طاعات كتير.

ممكن يخليه، أنا آسف يعني مع احترامي، فدايماً بسأل: بنت نازلة "فول ميك أب"، ومناكير، وشعر، وبنطلون ضيق، دي أكيد ما بتصليش! شوف الحالة اللي هي وصلت لها، رغم إنها ممكن تكون في البيت بتصلي، بس أكيد لما نزلت كده، أكيد مش هتصلي. تقول لك: "مش هصلي بقى خلاص". يبقى إذاً، ده خلاها ما تصليش.

شاب عمل العادة السيئة مثلاً، فمكسوف يغتسل قدام أهله كل شوية، يغتسل؟ قال لي: "مش هغتسل"، طب الصلاة؟ "مش مشكلة، بقى بالليل بقى، أروح أصلي كله وخلاص."

واحدة قعدت تكلم شاب لغاية ما المغرب والعشاء ضاعوا عليها! مش ده بيحصل؟ لو أنا قاعد في كوكب المشترى، قولوا لي! لو الكلام ده بيحصل، قولوا لي: "بيحصل."!

»» المعصية تجلب معصية وإذا رأيت عند الرجل معصية، فاعلم أن لها أخوات، وعقوبة الذنب... الذنب بعده.

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

فضلاً بقى عن مصيبة بتحصل في الموضوع ده بالذات العلاقات الحرام سواء الحب الحرام أو كثرة العلاقات الحرام الولد اللي عرف بنات كتير في الحرام أو حصل زنا أو كده بيحصل عنده فساد في التصور يفتكر إن الحياة كلها زي الأفلام والمسلسلات.

فتجيء المسكينة بعد كده تتجوز جوازة عادية الجواز العادي بسيط علاقة كويسة محترمة وواحد بيعاملها كويس لكنها تحس إنها مش راضية عايزة حاجة زي الأفلام والمسلسلات!

ما فيش الكلام ده يا جماعة.

وهو يا عيني راح بعد كده بعد ما شاف أفلام إباحية كتير قوي راح اتجوز واحدة طيبة، عادية، جميلة، بتراعيه، وبيحصل بينهم ما يحصل بين الرجل والمرأة، لكنه حاسس بحاجة غلط! الغلط في دماغك أنت! من كتر اللي شفته، ده اللي غلط، ده مش موجود، ده تمثيل، دي "أفورة!"

يجي ينزل على الأرض، يحس إنه مش راضي، فيتهم الزوجة إن في حاجة غلط، أو يفتكر إن في حاجة غلط، فيرجع تاني للإباحية. وتشتكي زوجته إنه بيتفرج على الإباحية بعد الجواز، فتُهان، تحس بكسرة قلب وإهانة. مش عايز أخش في تفاصيل لأنها محرجة، لكن كل ده تحت...

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

حاجات كتير قوي، ممكن أقعد أتكلم فيها عن عواقب الذنب، ممكن توصل لإيه؟

غير بقى إن بعد الزواج، بيحصل مقارنات بالماضي تلاقيها اتجوزت راجل كويس، فقعدت تقارنه بفلان وفلان وفلان العشرين واحد اللي عرفتهم زمان! وهو قاعد يقارن بفلانة وفلانة وفلانة، المائة واحدة اللي عرفهم زمان.

ويترتب على ذلك عدم الرضا، ويبقى هو متجوز ومش راضي! طب إحنا عملنا في نفسنا كده ليه؟

»»ممكن تفهم بقى اللي أنا قلته؟ ممكن تفهمي اللي أنا قلته وتبطلوا؟

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

أسعد الناس هم أهل العفاف بأي حال كانوا، أي واحدة بيتجوزها، بيبقى مبسوط بيها، والعفيفة أي واحد بتتجوزه، تبقى مبسوطة به، وربنا بيراضيهم وبيكرمهم.

﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف: ٢٣].

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف: ٢٤].

خلاصة المسألة: هذا "همٌّ" غير "همِّها."

همّ المرأة: كان همّاً مع العزم على الفعل لذلك أخذت به.

أما همُّ يوسف عليه السلام: فالراجح من أقوال أهل العلم، أنه كان مجرد خاطرة، ودفعها بالتوكل على الله تعالى.

وخواطر النفوس حتى لو خواطر في شيء حرام تجري حتى على الأنبياء لأن الخاطرة في حد ذاتها ليست ذنباً وليست منقصة ولا تنقص قدر الإنسان إنما الذي ينقص قدره هو أن يسترسل مع الخاطر فيتحول إلى إرادة وعزيمة، ثم...

لذلك لا يُلام يوسف عليه السلام أنه هم بها يعني جاءته خاطرة لأنه كما قلنا، شابٌ، رجلٌ، طبيعيٌ، وفجأة وجد نفسه في موقف صعب، فجاءته خاطرة، لكنه دفعها فوراً بالتوكل على الله هذا يحصل لنا كثيراً، عشرات المرات في اليوم والليلة.

طب بص؟ لا ما تبصش طب نعمل ده؟ لا ما نعملش طب أرد عليه؟ لا، ما تردش عليه.

خواطر تحصل لنا، وندفعها، كما حصل مع يوسف عليه السلام فصار مأجوراً في همِّه، وصارت هي آثمة في همِّها.

»» لماذا؟ لأن همَّه اقترن بـ بُغض المعصية والاستعانة بالله وإيقاف الخواطر بالتوكل على الله.

أما همُّها، فاقترن بـ العزم، والإرادة، والفعل، والتطبيق بالفعل، فصارت هي معاتبة، وهو غير معاتب.

فمتى يُؤاخَذ الإنسان على الهَمِّ؟ إذا تحوَّل إلى عزم، حتى لو لم يفعل المعصية في النهاية.

كما قال النبي ﷺ: "إن في واحدًا لم يؤته الله مالًا ولا علمًا، فقال: لو أن لي مالًا كمال فلان، لعملت بمثل عمله، فهو بنيته، فهما في الإثم سواء".

»» لماذا؟ لأنه لم يكن مجرد خاطرة بل همٌّ اقترن بالعزم والإرادة والرغبة الحقيقية في الفعل لكنه لم يستطع التنفيذ لعدم توفر المال فقط.

لكن هذا يختلف عن قول النبي ﷺ:

"إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسها، ما لم تتكلم أو تعمل به".

ويفهم من ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام "من هم بمعصية فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة"

أي أن الخاطرة العابرة لا يُؤاخذ بها العبد، أما إذا تحولت إلى عزم وإرادة وأفعال قلبية، يُحاسب عليها.

ولهذا، همُّها كان إثمًا، وهمُّه كان في ميزان حسناته.

وهذا يدل على أن الإنسان له ميل طبيعي للنساء حتى الأنبياء فلذلك تأتي التوجيهات الشرعية لحفظ هذا الميل من الانحراف.

فالذي يقول لك: "عادي، اعملوا مدارس مختلطة أنتم ليه عندكم هوس؟"

هو الذي عنده مشكلة، وليس نحن!

لأن الميل بين الرجال والنساء شيء طبيعي لذلك جاء الشرع ليضع حدودًا تحفظ هذا الميل من أن يقود إلى الحرام:

القول بالمعروف ،الحجاب الشرعي ،عدم اللمس ، عدم الخلوة لماذا؟

لأن هذا الميل قد يؤذينا إذا أُطلق بلا ضوابط. لكن مع الالتزام بالحدود، يتحوَّل هذا الميل إلى دافع للزواج، بدلاً من أن يقود إلى المعصية.

﴿ وهمَّ بها ﴾ أي كما قلنا، جاءته خاطرة، ثم دفعها بالتوكل على الله.

﴿ وَلَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِۦ ﴾ ما هو البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام؟

لم يُذكر في الكتاب والسنة، وكل ما لدينا هو أخبار من بني إسرائيل، مثل:

أنه رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو يعض على يديه من الندم، يقول له: "ستندم لو فعلت هذا"!

أو أنه رأى جبريل عليه السلام في هيئة يعقوب.

أو أنه رأى آيات مكتوبة على الجدران والسقف تحذره من الزنا.

لكن ليس عندنا دليل صحيح عن ماهية هذا البرهان، وكل هذه مجرد احتمالات.

لكن المؤكد أن يوسف عليه السلام رأى برهانًا من الله، عصمه وثبَّته على ترك المعصية.

»» ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

وهذه هي المرحلة الرابعة في خُماسية النجاة، فقد قال:

✓ ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾
✓ ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

✓ ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾
✓ ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾
✓ ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾

»» وبهذا اكتملت خُماسية النجاة ليوسف عليه السلام.

نكتفي بهذا، ونكمل في المرة القادمة بإذن الله!

جزاكم الله خيرًا.

المحاضرة الخامسة

كيد النساء

بسم الله والحمد لله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلاً ومرحباً بكم في اللقاء الخامس من لقاءات هذه السلسلة المباركة سلسلة "تعلمت من يوسف عليه السلام" نتدارس هذه السورة الطيبة المباركة العظيمة الجميلة ونعيش بقى مع آياتها واحنا اتفقنا إن إحنا يعني هنستفيض شوية ومش هنسلك مسلك الاختصار في السورة دي لأن مش هنشرحها كل يوم وهي عميقة أوي والتعامل معها سطحي مش هيطلعنا بالفوائد المرجوة فخلونا نصبر مع بعض وأكيد إحنا مستفيدين بكل كلمة بنقولها لدرجة إن إحنا المرة اللي فاتت زي ما شفتوا حتى ما لحقناش نكمل الآيات اللي اتفقنا إن إحنا هنخلصها ووقفنا عند :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾.

فيعني إن شاء الله هنكمل النهاردة الجزء اللي باقي من المرة اللي فاتت وناخد بقى جزء جديد فاعتقد إن إحنا المفروض النهارده نخلص لو ربنا كرمنا والوقت وسع يعني إن شاء الله هنخلص لغاية الآية ٢٥.

طيب أنا المرة اللي فاتت قرأت لغاية قوله تعالى:

﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾.

»» خلاص فهقرأ النهاردة الجديد بس لأن أنا قرأت الجزء ده المرة اللي فاتت عشان ما أعيدش القراءة تاني لكن الشرح أنا هبدأ من أول الجزء اللي كان ناقص مننا المرة اللي فاتت وبعد كده نكمل الجزء الجديد تمام؟ تبقى القراءة الجديد بس.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ. قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ. قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾.

هذه الآيات الكريمة من سورة يوسف عليه السلام هي المفترض كان ده موضوع الحلقة النهارده لكن قلنا هنرجع وراء شوية لأن إحنا ما كملناش المحتوى بتاع الحلقة اللي فاتت فناخد وقت مش قصير يعني ممكن نحتاج أول نص ساعة في الدرس إن إحنا نكمل اللي فات قبل ما ندخل في الجزء الجديد.

آخر حاجة قلتها لكم المرة اللي فاتت وهي الكلام على البرهان وقلنا باختصار:
لولا أن رأى برهان ربه قلنا إن ما عندنا دليل في الكتاب ولا في السنة على ما هو البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام هو أصلاً إيه البرهان؟
»»البرهان يعني ربنا جعله يرى شيئاً أو في شيء معين حصل جعل يوسف لا يفعل يعني ربنا أعانه على قرار أن لا يفعل ذلك. فالمعنى: لولا أن رأى برهان ربه لفعل، ولكن ربنا قال: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾.
ما هو البرهان؟ قلنا ما في شيء يحسم المسألة دي وكل اللي موجود عندنا فيها مجرد إسرائيليات أخبار من أخبار بني إسرائيل اللي هي بنتعامل معها زي ما النبي ﷺ قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". قال: "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، طالما الخبر يحتمل التصديق ما نقدرش نصدقه أو نكذبه طالما هو معقول المعنى.

» طيب هم بيقولوا إيه؟ إن بني إسرائيل في الأخبار

- إنه رأى صورة يعقوب على الجدار عضّاً على أنامله من الندم ففهم إنه لو عمل كده سيندم، تمام؟
- وقيل إنه رأى جبريل عليه السلام على صورة يعقوب عليه السلام.

• وقيل إنه رأى مكتوب آيات على الجدران تنهى عن الفحشاء والزنا والكلام ده تمام، فالله تعالى أعلم.

»» لكن نقول إنه رأى برهاناً من الله سبحانه وتعالى فهذا البرهان أعانه وساعده وربنا ساعده بهذا البرهان إنه ما يعملش المعصية دي.

» ودا يعني بيدينا فائدة:

أن أنت إذا صدقت فعلاً زي ما شفنا كده، قال: "معاذَ اللهِ"، لو إنسان صدق في التوبة من معصية ما.. صدق مع الله في أن هو ينجو من ذنب ما.. فإن الله يعينه، فإن الله يعين ويسدده سبحانه وتعالى. تمام؟ ده الكلام الأولاني.

» فربنا سيجعل لك أيضاً براهين، يعني مش ضروري البرهان ده يبقى زي ما أنت شفت، لكن أكيد ربنا سبحانه وتعالى ممكن يجعل لك برهان ما يعني ممكن إنسان يكون عايز يهم بمعصية ما فسبحان الله ربنا يبعت له اللي ينصحه في الموضوع ده أو يكون البرهان ده مثلاً أنه كان ناوي وعازم لكن سبحان الله كان عنده رغبة في أن هو ما يعملش الذنب وربنا يبعت له رسالة في هيئة أنه يشوف حد حصل له حسن خاتمة أو شاف حد حصل له سوء خاتمة

»» المهم يعني أنه ممكن يحصل برهان من الله سبحانه وتعالى يعينك على ترك المعصية إذا صدقت مع الله في ترك المعصية. تمام

زي ما قلنا: ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ ﴾

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

كذلك: يعني بهذه الطريقة ربنا صرف عنه السوء والفحشاء.

» يعني إيه السوء والفحشاء؟

السوء هو كل ما يسوء الإنسان، والفحشاء تبقى معصية بس أسوأ أنواع المعاصي. بيقولوا السوء هو مقدمات الزنا يعني يوسف عليه السلام ربنا صرف عنه السوء والفحشاء. الفحشاء اللي هي الزنا نفسه وأما السوء فهو يعني مقدمات الزنا ده دليل على أن ربنا عصمه من كل حاجة في المعصية فلا عمل مقدمات الزنا لأن

»» للأسف بعض أخبار بني إسرائيل المحرفة بتزعم أن يوسف عليه السلام عمل حاجات يعني بس امتنع في آخر لحظة بدأ يعمل أشياء لكن في آخر لحظة امتنع عن ذلك وهذا نقول هذا كذب دي من الأخبار اللي نكذبها يعني إحنا بنقول الأخبار من بني إسرائيل اللي إحنا بنتوقف فيها لا نصدقها ولا نكذبها اللي هي إيه: فيها خبر جميل

بس ما عندناش دليل على كذب ولا على صدق لكن لو عندي خبر أصلاً فيه دليل على كذب الخبر ده نكذبه فلو حد قال إن يوسف عليه السلام عند بني إسرائيل إن هو خلع ثيابه مثلاً أو إن هو لمس المرأة أو إن هو جلس منها مجلس الرجل من امرأته وبعد كده توقف نقول هذا كذب لا نصدقه أبداً

عندنا دليل من القرآن لقول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ ﴾.

فالسوء هو مقدمات الزنا والفحشاء هو الزنا فيوسف عليه السلام لم يفعل أي شيء وإنما أقصى ما حصل همّ عدى عليه زي ما قلنا سحابة صيف ودفعه بالاستعاذة بالله والاستعانة به فلا يلام على الهم ولا يلام على الخاطر بل هو مأجور أنه همّ بسيئة فلم يفعلها تمام، بنقول: ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾.

يعني لولا أن رأى برهان ربه لفعل وهو رأى البرهان وبالتالي لم يفعل كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. دي بترجعنا للخماسية اللي اتكلمنا عنها المرة اللي فاتت، قلنا خماسية النجاة. خماسية النجاة قلنا إن يوسف عليه السلام نجا بخمس حاجات عملهم دول اللي فرقوا معه جداً :

١ -أول حاجة: لجأ إلى الله تعالى، قال: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾

٢ -تذكر حقوق المخلوقين في المعصية دي بالذات لأن حقوق المخلوقين رهيبة فيها والتبعات مرعبة في حقوق المخلوقين. قال: ﴿ إِنَّهُ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

٣ - وبعد كده تذكر عاقبة الذنب، إن عاقبة الذنب دائماً ظلمة وندم ووحشة وفساد قلب وو... قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

٤ -سوابق الخير دي الحل الرابع عند يوسف عليه السلام سوابق الخير .

٥ - والفرار من أرض المعصية وصحبة المعصية بس دي هناخدها كمان شوية.

»» خلينا في ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ الحل الرابع: سوابق الخير ده مش حل وقتي إنما ده حل استباقي يعني إيه حل استباقي؟

» يعني فيه حلول للمعصية يا جماعة؟ حلول قبل ما تحصل أصلاً يعني مش دايماً المعصية بنواجها في وقتها فيه حلول بعملها قبل المعصية وهي علاقتي مع ربنا

عموماً بتنفعني في ساعة الأزمة. "تعرَّف إلى ربك في الرخاء يعرفك في الشدة".
فكلما تكون علاقتك بربنا في الرخاء جيدة تجد العون من الله في الشدة
» يونس عليه السلام لما وقع في الشدة ربنا قال: ﴿ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ كان من المسبحين يعني مش مسألة إن سيدنا يونس سبح جوه الحوت وقال: ﴿ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

لا الموضوع من قبل كده وكان من المسبحين تسبيح كثير قوي مع ربنا.
» فناخدها قاعدة يا جماعة: هي الفتن كده كده هتيجي، تمام؟ طب أنا دلوقتي ما فيش فتن حواليا الحمد لله مثلاً أنا دلوقتي وضعي كويس والتزامي مستقر.

وما فيش فتنة نساء ما فيش فتنة مال ما فيش ولد بيكلمك بيحاول معاكي ما فيش حاجة أنا متعرض لها حالياً طيب، من الحكمة في الوقت ده أني أجيب أقصى ما أستطيعه في العلاقة مع الله ليه؟
آه، مش بحضّر مثلاً بعمل أكثر من المطلوب دلوقتي لأن أنا مش بعمل لدلوقتي أنا بعمل لاحتمال قادم كمان يعني أنا بعمل ما يكفيني للآن وبحوش للمستقبل لأن ما حدش عارف بكرة هيحصل إيه فلازم الإنسان دايماً يشغل نفسه بطاعة ويكثر من الطاعات .

» فلذلك مثلاً مثال من الطاعات: إنسان يكثر من النوافل طب أنا لو أكثرت من النوافل يترتب على كده إيه؟ "ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه". حلو النوافل دي هتعمل لي إيه بقى؟ تنفعني جداً في المعصية دي بالذات "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به".
يبقى بالتالي ربنا يحميك أنك تسمع فواحش تسمع منكرات تسمع كلام فاحش حد يغويك. "وكنت بصره الذي يبصر به". ربنا يعينك في غض البصر ويعينك على عدم مشاهدة الإباحية ويصرف عنك حب الأفلام والمسلسلات. "ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها". فلا تمشي للمعصية ولا تمس أحداً مساً محرماً والكلام ده تمام .

فاحنا بنعتبر أن الإكثار من العبادة والتقوى وحال القلب في حال الرخاء هو المواجهة غير المباشرة مع الفتن التي ستأتي لا محالة ولكن هذا موضوع استباقي. فاشغل نفسك دائماً بحب الله تعالى وبالإخلاص وبالعمل الصالح. "تعرَّف إلى ربك في الرخاء يعرفك في الشدة" ثم انشغال النفس عموماً قد يمنع ورود الفتنة عليك لأن أنا طول

ما أنا مشغول ما فيش مساحة حد يخش لي. "ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ."

» طيب خلينا نقول فوائد:

➢ من الفوائد: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ إخلاصك قد ينقذك من نفسك الأمّارة بالسوء ليه ربنا ذكر ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ }؟ خدوا بالكم، الآية دي فيها قراءتان: القراءة الأولى ﴿ إنه من عبادنا المُخلَصين﴾، القراءة الثانية ﴿ إنه من عبادنا المُخلِصين﴾ الحقيقة أن القراءتين متلازمتين لما كان مُخلصاً أخلصه الله تعالى لذلك بعض السلف بيقول: "يا نفس أخلصي تتخلصي".

» إيه علاقة الإخلاص بالتخلص؟ تعالوا نفكر مع بعض كده يعني إيه الإخلاص؟
»الإخلاص هو أن يمتلئ القلب بإرادة وجه الله تعالى تخرج كل الإيرادات الثانية فلا يريد دنيا، ولا يريد منصب، ولا يريد مالاً، ولا يريد شهرة، ولا يريد ثناءً من الناس، إنما كل أعماله صالحة لوجه الله تعالى فقلب امتلأ بإرادة وجه الله تعالى فده بينفعني في إيه؟ ده ينفعني أن دايماً أي معصية، الشيطان بيقدر يدخلها لك من إرادة ما يخش لك يخليك تسرق أو ترتشي عشان أنت عايز الفلوس يخليك تزني أو تمشي مع بنات عشان أنت تريد اللذة دي أو المتعة يخليك مثلاً تبيع دينك عشان الشهرة فبالتالي لو الإنسان قلبه امتلأ بحب الله سبحانه وتعالى أو إرادة وجه الله سبحانه وتعالى فده بيجعل الشيطان مالوش مدخل يعني هو مش عارف يخش لك منين فإذا كل ما يخش لك من إرادة بيجد أنك ما عندكش إلا إرادة وجه الله سبحانه وتعالى. فإرادة وجه الله سبحانه وتعالى متمكنة من القلب وبالتالي لا يوجد منفذ للشيطان أنه يدخلك لمعصية لأن المعاصي مدخلها ابتداءً أن فيه إرادة تانية غير إرادة وجه الله ثم أنا لما أجي أهم بالمعصية وأنا قلبي ممتلئ بالإخلاص وإرادة وجه الله بلاقي أن اللي هعمله دلوقتي ده متعارض مع إرادة وجه الله لأن المعصية دي ممكن تخسرني ربنا ممكن تخسرني دار الآخرة وبالتالي أنا مش هاقدم عليها لأن المعصية تتعارض مع إرادتي لوجه الله تعالى .

فيبقى ده بيحميك من اتجاهين:

✓ من أنه بيجعل الشيطان مالوش مدخل، لأنه مش بيلاقي إرادة تانية يدخل منها. لأن إرادة الدنيا مش موجودة، إرادة الشهرة مش موجودة، إرادة الشهوات مش موجودة فمش عارف يخش لك منين.

✓ ثانياً أنت حتى لو فكرت بنفسك الأمارة بالسوء مش بالشيطان أنك تعمل معصية هيصدك إرادة وجه الله تعالى هتقول: أنا لو عملت المعصية دي هخسر ربنا وأنا ما عنديش استعداد أخسر ربنا فكل ما الإنسان كان مخلصاً أكثر لله وملأ قلبه بحب الله وإرادة وجه الله لم يكن للشيطان إليه سبيل. واضح؟

➢ طيب بعد كده بنقول من الفوائد: "إذا أردت أن تحارب ذنوب الخلوات فعليك بعبادات الخلوات". دايماً كل حاجة قدامها حاجة إذا أردت أن تحارب ذنوب الخلوات، فعليك بعبادات الخلوات. فإنسان استكثر من عبادة الله في الخلوة، فإنه يكون أقوى الناس على مقاومة ذنوب الخلوة تمام قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ وده الحل الخامس اللي قلناه هو الفرار من أرض المعصية وخلينا هنا ننتبه لعدة مسائل.

» المسألة الأولى: يوسف عليه السلام رغم كل اللي عمله جري برضو يعني ممكن واحد يقول لك: "ما خلاص هو إن شاء الله استعاذ بالله وتذكر الخالق. عمل أربع حاجات حلوة قوي." لا لسه فيه وطالما لسه في حاجة تعملها اعملها لأن انت لو ما عملتهاش تكون مقصر وملام فطالما أمكنني أن في سبب أقدر أخده ناخده فالفرار من أرض المعصية، فرار من أهل المعاصي، الفرار من ظروف المعصية إذا كانت متاحة، بتقعد فيها ليه؟ بعض الناس يقول لك: "أنا لا، أنا الحمد لله هنا تمام." فيحط نفسه وسط المعصية فيقعد في الأماكن في الكلية مثلا يقعد في الأماكن اللي فيها البنات والولاد يقول لك: "ما تخافش علي يا شيخ، أنا تمام." أو يروح مثلا أماكن في نوادي معينة فيها اختلاط، وفيها رقص، وفيها موسيقى، وفيها وفيها، يقول لك: "ما تقلقش يا شيخ، أنا تمام." أيوة ماشي من يضمن ذلك؟ الفتن خطافة طالما أمكنك الفرار ليه ما بتفرش؟ يقول لك: "ما تقلقش أنا بأكلم بنات وبتاع بس ما تخافش علي." ليه؟ ما أخافش عليك ليه؟ تمام يعني الأمر وارد على أي حد. إذا كان يوسف عليه السلام جاله الخاطر، ما بالك احنا ممكن يحصل لنا ايه؟ فأنا ليه أحط نفسي في مكان بيساعد علي المعصية؟ طالما أمكنني الفرار ليه أجيب نفسي هنا؟ تمام ليه أختار أن أنا أحط نفسي هنا؟ يعني وده شيء أحيانًا بنلوم عليه مثلا الشباب اللي بيهرول علشان يروح يشتغل في أوروبا أو كده قل يا أخي يعني ما ينفعش ده يكون أول حل لك أبدًا ولا أن انت تسارع للموضوع ده، وده قصص لا تنتهي وبرضه أحيانًا بنلوم بعض الشباب اللي يتسرع ويروح يجري على كليات مثلا في روسيا أو كليات في

أوكرانيا أنا من خلال خبرتي وخلال اللي شفته نسبة انحراف الشاب في السكة دي لا تقل عن تسعين في المائة. يعني أنا من كل عشرة بلاقي واحد لسه على الخير، وتسعة راحوا خالص خالص. يعني مش هقول لك راحوا عادي، ده راحوا زنا وخمور وحاجات صعبة جدًا تمام، ويمكن كمان أفكارهم اتغيرت من ناحية المسلمين.

فاللي عايز أقوله يا جماعة، يعني أنا طالما أمكنني الفرار من أرض المعصية، أروح برجليا ليها ليه؟ فاستبقا الباب بتقول لك فر من أرض المعصية وفارق أهل المعصية. ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ بتقول لك خذ بالأسباب حتى لو كانت ضعيفة .

يعني إيه؟ أنا عندي سؤال دلوقتي. سؤال: هو يوسف عليه السلام بيجري على الباب ليه؟ هو مش الباب مقفول؟ هو بيجري على الباب ليه؟ هي غلقت الأبواب هو بيجري على الباب ليه الباب مقفول أصلا. صح؟ لكن هو بيعمل إيه؟ أنا طالما أمكنني أجري حتى ولو للباب مع احتمال كبير أن أنا مش هعرف افتحه أجري وخلاص طالما في مسافة لسه أقدر أجريها، اجريها. حتى لو أنت مش عارف هيحصل إيه بعد كده بس طالما أمكنني أن أنا أعمل خطوة بعيد عن المعصية، اعملها حتى لو أنت شايف أن هي دي هتعمل إيه؟ ما أنا برضو لسه قريب على الأقل بعدت شوية فيوسف عليه السلام بيجري لباب وهو عارف إنه مقفول بس يقول: لعلي على ما أوصل ربنا يكرم ربنا يعني يراضيني ويرى أن أنا أخذت خطوة فيعطيني خطوات سبحان الله، بورك له في السبب الضعيف .

فسبحان الله، برضه في حاجة بتلفت انتباهنا مش هي ربنا قال غلقت الأبواب يعني المكان اللي هي كانت فيه كان أبواب، صح؟ ليه زوجها جه من الباب ده؟ اشمعنى الباب ده؟ الباب اللي سيدنا يوسف جري عليه، صح؟ ليه الباب ده بالذات؟ دي بركة ربنا في السبب الضعيف برغم أن يوسف عليه السلام أخذ بسبب ضعيف لكن ربنا بارك له فيه .

فالعزيز جه من الباب اللي يوسف عليه السلام جري إليه، وهو ده اللي اتفتح هو يوسف عليه السلام كان يعرف أن العزيز جاي؟ لاء كان يعرف أن الباب ده هيتفتح؟ لاء. ثم إن امرأة العزيز لو كانت تعرف أن العزيز جاي ما كانتش عملت كده أصلا. واضح إن أصلا العزيز جاي في وقت مش بيجي فيه في العادة واضح إن ربنا ألهمه لسبب ما أو في حاجة حصلت جعلت العزيز يعود في هذا الوقت رغم أن ده مش من

الأوقات اللي هو أصلا بيرجع فيها إلا لو كان ده وقت رجوعه الطبيعي ما كانتش امرأة العزيز أصلا عملت كده.

فربنا سبحانه وتعالى رجع العزيز للبيت في الوقت ده ورجعه من الباب ده بالذات في اللحظة اللي يوسف عليه السلام جري فيها ناحية الباب فهمت حاجة؟ "إن أنت اعمل اللي عليك". وحوالين ما أنت بقى، عملت اللي عليك، ربنا هيدبر لك تدابير كتيرة جدًا عشان اللي انت عملته ده، ربنا يكرمك به سبحان الله يعني عجب والله. الإنسان بيقعد يفكر كده في موقف يقول: "ده اشمعنا الباب ده اتفتح؟ هو الراجل رجع هنا ليه؟ اشمعنا رجع دلوقتي؟" واخدين بالنا؟ فانتبه لهذه مسائل مهمة جدًا.

فاستبقا الباب، دي بتديني بقى فكرة إن انت فر من أرض المعصية يعني الفرار ده يا جماعة هيبقى عامل ازاي؟ ممكن إن احنا نحط تحتيه كذا حاجة بقى منها الفرار من أرض المعصية أو من صحبة المعصية.

١ -أولاً: ما تقعدش مع ناس بيتكلموا في الفواحش بعض البنات يقعدوا مع بنات، هي بنت مؤدبة محترمة وبتاع بس قاعدة وسط بنات قاعدين يتكلموا دي مصاحبة، ودي فركشت ودي عملت، ودي بتاع، ودي عندها على موبايلها كذا ودي بتفرجهم على حاجات مش كويسة فالبنت يا عيني حاسة إنها ناقصها حاجة ولد قاعد مع أصحابه هم كلهم مصاحبين وكلهم بيشربوا وكلهم خربنها وكلهم بيتفرجوا على الإباحية أكيد أنت ستتأثر لازم تفر من المجتمع ده.

٢ -فر من الإباحية: فلو على موبايلك فيه أفلام امسحها فيه صور امسحها لو أنت بتخش على مواقع نزل الابليكيشن تعمل بلوك للمواقع الإباحية وتعمل حجب للمواقع الإباحية فر من أي مكان بيجتمع فيه ناس على معصية ما تروحش برجلك للمكان اللي فيه بنات وولاد ما تروحش برجلك للفسح اللي بيبقى فيها أماكن مختلطة وموسيقى ورقص وبتاع هتتجاب هتتجاب فابعد عن كل ده، استبقا الباب، اعمل اللي عليك. تمام طيب.

» استبقا الباب بتقول لك بتدي لك تعريف للرجولة الحقيقية الرجولة الحقيقية هي في هذا السباق من المعصية وليس السباق إلى المعصية مش الراجل هو اللي بيجري على البنات الراجل هو اللي بيجري من البنات تعريف جديد للرجولة.

بعض البنات للأسف بيستهويها قوي الرجل "بتاع البنات" يعني إيه؟ على طول كل البنات عارفينه وهو عارف كل البنات وهو يعني إيه بينقي بقى على مزاجه فده بالنسبة لبعض البنات بيبقى نموذج جميل بقى بالنسبة لهم "ده راجل". والشاب اللي هو ما بيكلمش بنات خالص ده بيعتبروه خايب، فده مش حاجة جذابة خالص يعني فده تعريف جديد للرجولة ده مش الراجل أوعي تعرفي واحد وتفتكري إن أنتِ فرحتي إنك كسبتيه من وسط البنات كلها هو عارف البنات كلها وأنتِ ما شاء الله اللي حبك انتِ وخطبك انتِ هي مسألة وقت ومجرد ما يشبع منكِ هو مش هيقدر يبطل وهيتنطط تاني ويدور على غيرك أو هيبقى أنتِ وغيرك في نفس التوقيت، لأنه مش متعود على العفة ومش متعود إنه يكتفي بواحدة أبداً.

خدي الراجل لو ما يعرفش بنات لو مالوش علاقات ده هيبقى فعلاً أنتم الاثنين هتستمتعوا ببعض فعلاً إنه مالوش سوابق مالوش حاجات بيقارن بها فانت بالنسبة له أحسن واحدة لأن انت الوحيدة وهو بالنسبة لك أحسن واحد لأنه الوحيد. فدايماً الخبرات السابقة دي مش بتفيد، بل أحياناً بتضر .

قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف: ٢٥]. عايزك تتخيل المشهد، امرأة العزيز بتجري وراه، يعني بس مش هو جري لاء بتجري وراه عشان أقول لك إن الفتن لو جريت هي هتجري وراك برضوا حاول تجري بسرعة ومش عارفة تجيبه إزاي راحت شدته من قميصه. فالقميص اتقطع من ورا قميصه اتقطع تماماً. الإنسان يستغرب إزاي أولاً امرأة قدرت توصل ليوسف عليه السلام رغم المفترض إنه يكون أسرع منها؟ وإيه القوة اللي شدت بها القميص لدرجة إنه اتقطع في إيديها؟ وهذا يدل إن المرأة فقدت صوابها وبقت أشبه بالمجنونة اللي هي بتجري على شهوتها ومش بتفكر في التبعات ولا في العواقب لدرجة إنها حتى ما سمعتش صوت جوزها وهو داخل. المفروض إن الوزير لما بيخش بيعمل جلبة وبيعمل دوشة أي حد بياخد باله ما حستش بنفسها زي ما ربنا وصف قوم لوط قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، يعني هم مش شايفين المعصية بتعمي الإنسان أحياناً عن حتى الحسابات المنطقية.

أحياناً الواحد بيستغرب، إزاي واحد اتحرش بواحدة في ميكروباص مثلاً، وكان بيتخيل إيه يعني؟ هل كان بيتخيل إنها هتستجيب له؟ هل هيتخيل إنها هتبقى مبسوطة قوي وتنزل تكمل معاه؟ يعني هو ما كانش متأكد إنه هيضرب ضرب مبرح بعد دقيقة

واحدة وهي هتصوت؟ فين عقله ساعة ما عمل كده؟ ساعتها بيبقى الإنسان بيتعمى عن كل حاجة منطقية الإنسان لو تمكن العشق من قلبه مش الحب الطبيعي لاء وصل لمرحلة من الجنون بالطرف الآخر بيبقى كل حساباته مش منطقية وده بنشوفه للأسف مع بعض بنات وشباب لما بيبتدوا بقى يعني هي بقى واقعة في حب حرام وهو واقع معها في حب ومش عارف إيه والعلاقة اتطورت قوي رغم أن العقل بيقول إن العلاقة دي مش ممكن تستمر هم مش لايقيين على بعض خالص وما ينفعوش لبعض وبالتالي لما تقدم لها مثلاً أهلها ما وافقوش عليه "يا بنتي مش مستواك، الولد كذا، سمعته كذا". هي طبعاً عامية عن كل العيوب، عامية عن كل حاجة هي لا ترى أي عيوب فيه لأن إيه؟ لأنها بتحبه حب جنوني. وأهلها يرفضوا، فتبتدي تتخانق معهم وتخسر أهلها وعايزه تهرب من البيت وعايزة تتجوزه في السر كلها قرارات مجنونة فرع عن المحبة المحرمة اللي وصلنا لهنا.

لو أنت راكب عربية بسرعة عالية جداً صعب تفرمل في الآخر حتى لو فرملت هتخبط برضوا.

الإنسان ما ينفعش يوقع نفسه في علاقة للدرجة دي ويتطور الحب للدرجة دي لدرجة إن الحب يخليه هو قائده بمعنى خليني أقول لكم تفصيلة سريعة كده هل الحب حلال ولا حرام؟ إحنا بنقول إن الحب طبعاً فيه أنواع من الحب تخيل أنا أتجاوز الأنواع كلها ونتكلم في حالة معينة دلوقتي لو واحد يحب زوجته يحبها عادي بيحب أولاده يحبهم عادي بس خلينا الأول نتكلم في دي حتى حب الزوجة، لو هي زوجتك، حتى في قدر معين من الحب ما ينفعش إن انت تتجاوزه وهو إن انت تحب زوجتك أكتر ما بتحب ربنا لو حبك لها تجاوز حب ربنا هيترتب عليه إن أمرها مقدم على أمر ربنا.

دايماً لازم أي حاجة بتحبها في الحياة أي حاجة مشروعة إنك تحبها في الحياة، لازم يظل حب الله وحب الرسول عليه الصلاة والسلام أكتر منها في قلبك .

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" [صحيح البخاري]. حتى حب الزوجة، حتى حب الأب، حب الأم، حب الأولاد. ربنا قال كده في سورة التوبة: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

مينفعش حب أي حاجة يتجاوز حب الله سبحانه وتعالى وإلا لو تعارض أمر ربنا مع أمر المحبوب هتقدم أمر المحبوب لأنه الأعظم في قلبك.

نرجع بقى للمسألة الأولانية، حب ما بين واحد وواحدة وهم مش محارم، يعني لا أمه ولا أخته ولا زوجته، واحدة عايز يتجوزها هل الحب ده حلال ولا حرام؟ هنقول إن إذا حصل هذا الحب لسبب ما مش سبب محرم لسبب ما كان يعني له علاقة قديمة بها يعني وهم صغيرين مثلاً، فهو عارفها وعارف إنها جميلة عارف إنها بنت ناس أهلها كويسين، فلما كبر ممكن يحبها نوعاً ما لغاية دلوقتي ما فيش حاجة غلط هو نوى إنه يتزوجها فراح يطلبها والكلام ده والدنيا مشيت مزبوط خالص وتزوجها لغاية دلوقتي الحب ده مش حرام لأنه لم يأتِ من طريق حرام ولم يترتب عليه حرام.

أو واحد مثلاً سمع عن واحدة أو واحدة سمعت عن شخص سمعت عن كرمه وأخلاقه وأدبه وهو سمع عن أخلاقها وديانتها فحصل نوع من الحب. تمام، لغاية دلوقتي ما فيش حاجة غلط، لأنه موصلش للحب ده من حرام ولا ترتب عليه حاجة حرام إيه حل الحب ده؟ إذا كان في فرصة للارتباط إذا لم يكن فيه فرصة، والموضوع مستحيل فالأفضل إنك ما تسترسلش مع الحب ده وأنهيه تماماً.

طيب، إمتى يكون الحب محرم؟ إذا كان بدأ بمحرم أو كان سببه حرام او ترتب عليه حرام كأن يكون شاب كلم واحدة ومشي معاها وشافها وشاف فيها عورات وتلذذ بالكلام معاها في التليفون فحبها الحب ده حرام لأنه جه من طريق حرام أو يكون مثلاً حبها الأول ولسه ما عملناش حاجة حرام ثم بسبب هذا الحب حاول يوصل لها وكلمها ومشى معها ومسك إيديها وهي بتكلمه بالليل هنا تحول الحب إلى حرام لأنه وصل إلى حرام.

» يبقى دي مسألة الحب إمتى يكون حلال وإمتى يكون حرام فلا شك إن حب امرأة العزيز ليوسف عليه السلام حب حرام لأنه بدأ بحرام بالنظر إلى يوسف عليه السلام وترتب عليه حرام وهو العشق الذي ترتب عليه المراودة ومحاولة الوصول إلى الزنا.

»» دايماً في درجة خطيرة من الحب المفروض ما نوصلهاش أبداً وهي العشق العشق بيعتبروه هو درجة مذمومة من الحب التي تجعل المحب منقاداً للمحبوب تماماً لا يستطيع أن يخالفه في شيء ويفعل من أجله أي شيء ويصل إليه بأي طريق حلال أو حرام إفراط في الحب اللي وصلت له امرأة العزيز صارت لا تبالي، عايزة توصل

له وخلاص لكن المسلم متزن لا هو جاف ما بيحبش ويقول لك أنا بحب ربنا بس لا، لأ، ربنا قال: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

ولا هو بيحب حب إفراط جداً زي ما الأفلام والمسلسلات والأغاني عايزه تصور لنا إن الحياة كلها ما فيهاش غير حب الرجل للمرأة بس ولازم نوصل لأقصى درجة من الحب ويبقى أشعارهم بتخلي الراجل يقول عن المرأة إنها "معبودته" يقول لها "أنا بعبدك وباصلي لك وانتِ قبلتي" إيه الكلام ده؟ ما ينفعش نوصل له.

فإحنا بنحب باعتدال لأن في الآخر الغالب علي ومسيطر عليّ حب الله، وحب الدين، وحب الطاعة، وحب الآخرة حب الزوجة وحب الأولاد ده أحد أنواع الحب اللي أنا محتاجها في الحياة وبمارسها في الحياة باعتدال لو الحب قوي لدرجة إنه يخليني لو زوجتي قالت لي "اعمل شمال" هعمل شمال أو ولادي قالوا لي "شمال" هعمل شمال فضلاً بقى عن غير الزوجة إن أنا أحب واحدة، فتقول لي "كلمني" أكلمها، "امشي معايا" أمشي معها، "عايزه أشوفك" أنزل لها أقابلها خلاص بقى أنا مش فارق معايا الطاعة ولا إني ما بحبش.

فالإنسان متزن في العلاقة دي ربنا قال إن هي وصلت لمرحلة من العشق تجعل الإنسان يفقد صوابه ويعمل أي حاجة حرام لكي يصل إلى المحبوب. ﴿ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف: ٢٥] .

جابت منين القوة عشان تجري؟ وجابت منين القوة علشان تشده؟ هنا بقى العمى ممكن يخلي الإنسان يعمل أي حاجة.

ثم قال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾. عايز قبل ما أقف عند "ألفيا سيدها لدى الباب"، نتكلم في نقطتين سريعًا:

١ -النقطة الأولى: تأملوا كيف حكى القرآن هذا الموقف كله بدون كلمة تجرح أو كلمة تسبب إحراجًا للإنسان أو يستحي أن يقولها وهو يحكي موقفًا حرجًا مثل هذا نتعلم منه العفة حتى في حكاية الأمور هذه وطريقة القرآن الرائعة في الإعراض عن التفاصيل التي تسبب إحراجًا لأننا الآن للأسف نرى برامج في التلفزيون تظهر فيها امرأة تتحدث عن الثقافة الجنسية وتبرر ذلك بأننا نثقف البنات والشباب في التليفزيون كده عادي الكل يسمع الصغير والكبير، ويتحدثون

في تفاصيل التفاصيل بلا حياء فهذا طبعًا، منكر. لا يصح أن يتحدث الإنسان بهذه التفاصيل علنًا يمكن لامرأة أن تتحدث مع أخرى على انفراد .

» النبي ﷺ عندما كان يتحدث مع المرأة الحائض، وقال لها ما تعمله بعد الحيض قال لها: "أمسكي قطنة وتطهري بها". فقالت: يا رسول الله، كيف أتطهر بها؟ فاحمر وجه النبي وقال: "سبحان الله، سبحان الله تطهري بها". فأخذتها السيدة عائشة رضي الله عنها على جنب وشرحت لها ما تفعل بالتفصيل هناك أشياء لا يمكن أن تُقال علنًا بل يجب أن تُفهم بشكل خاص.

»» هذه التفاصيل مهمة جدًا حتى يوسف عليه السلام عندما دافع عن نفسه، استحيا أن يذكر التفاصيل قال: "هي راودتني عن نفسي"، ولم يزد كلمة، لم يقل: "فعلت وشدتني ولبست..." استحيا أن يقول التفاصيل حتى في عرض قضيته كان شديد الحياء والأدب وما نراه الآن في الأفلام والمسلسلات فيه وقاحة تلميحات جنسية، وألفاظ إباحية صريحة، فضلاً عن التفاصيل في العلاقات والخيانة يقولون: "نحن نعرض الواقع". كما قلنا، هذا منكر بلا شك.

» من الفوائد المهمة: بعد أن مرَّ هذا المشهد أسألك: كيف ترى يوسف عليه السلام؟ وكيف ترى امرأة العزيز؟ الآن، أنت ترى يوسف عليه السلام جميلاً بسبب العفة وتشعر بأنك تحبه كثيرًا وزاد حبه في قلبك وترى امرأة العزيز وقحة وبغيضة متصورها الآن بشيء لا تطيقه هكذا يرى أهل الإيمان العفة لها جمال بعض الناس يستغربون عندما نقول: "المنتقبة جميلة"، فيسألون: "هو أنت شايف إيه عشان تقول جميلة؟" الشخص الذي أدمن رؤية العورات لن يفهم ما هو الجمال في النقاب لن يفهم أن النقاب جميل رغم أننا لا نرى شكل المرأة وهذا لا يهم لكن العفاف جميل المرأة التي تستحي وهي تتحدث معك نراها جميلة قد لا نعرف شكلها لكن خطواتها جميلة نظراتها جميلة لأنها تستحي أن تنظر للرجال لباسها وحياؤها وعفتها يمنحونها جمالاً ليس الجمال الحسي الذي لا يفهمه إلا أهل الشهوات بل الجمال المعنوي الذي لا يفهمه إلا أهل الإيمان.

حتى عندما تلبس امرأة النقاب يقول لها أحدهم: "بقى شكلكِ جميل". من يقول هذا؟ أهل العفاف يقول لها: "أصبحتِ جميلة جدًا" شكلك مثل القمر فين شكلك؟ الشكل كله اختفى! يقول لها: "والله، شكلك أحلى بالنقاب". أين شكلك؟ ما احنا ما بنتكلمش على الجمال الحسي، بل نتحدث عن جمال لا يفهمه كثيرون الجمال الذي تشعر به الآن في

يوسف عليه السلام أنت الآن لا تفكر في جماله الظاهر رغم أن يوسف عليه السلام أوتي شطر الحسن لكن لم نركز الآن على جمال يوسف الظاهر، بل نحن نراه جميلًا في كل شيء جميلًا لأنه عفيف جميلًا لأنه فرَّ من المعصية هكذا نرى كل عفيفة وكل عفيف لهم جمال ولهم حب في القلب يعني ليس قصدي أن الرجل الغريب يحبها بل زوجها فيما بعد سيحبها حبًا قويًا ليس فقط بسبب شكلها، بل لأن هناك أشياء كثيرة تعوّض أي نقص في الشكل: الأخلاق، العفة، الحياء، والأدب. هذه الأشياء تجعل المرأة جميلة، وتعوّض كثيرًا عن نقص الشكل.

والعكس غير صحيح، الوقاحة وقلة الحياء لا يعوضها الجمال، حتى لو كانت أجمل امرأة في العالم فافهموا كيف تكونوا جميلات.

فائدة خطيرة:

"عفتك قد تنقذ غيرك"

امرأة العزيز هل زنت في النهاية؟ لا لماذا؟ لأن يوسف عليه السلام رفض فكان بين امرأة العزيز والزنا أن يوافق يوسف عليه السلام، لكنه حاشاه أن يفعل ذلك .

هذه الرسالة نقدّمها لكل شاب وفتاة يحبون بعضهم البعض أو متعلقين ببعض أو لديهم علاقة حرام ويقول لي: "أنا بقى لي كثير معها، أعمل إيه؟" أقول له: "سيبها". أقول لها: "سيبيه". فيقول: "طب أنا كده ظلمتها طب هيزعل". لكن افهم، العفة التي ستفعلها الآن ستنقذ غيرك.

أحياناً تكون البنت دي عمرها ما كلمت أولاد بس أنت أول ولد كلمته عشان هي اتعلقت بك فلو أنت اختفيت من حياتها هي هترجع عفيفة تاني هي مش وحشة، هي متعلقة بك أنت بس فلو خرجت من حياتها أو ارتبطت بها يبقى أنت حليت لها المشكلة يا ترتبط بها يا تخرج من حياتها. وأنتِ كذلك، هو كان أخاً وعفيفاً وكل شيء، بس مشكلته أنتِ بس فلو أنتِ خرجتِ من حياته أو ارتبطتم هتحلوا المشكلة. غير كده، أنتِ بتساعديه على الاستمرار فلو اكتشفنا أن مفيش ارتباط هيحصل، وما فيش حل غير الفُرقة حتى لو بقى لنا سنين عارفين بعض، احنا ما ظلمناش بعض بالبعد فاللي هيسيب التاني هو اللي هيكون أحسن للتاني واللي عايز يكمل هو اللي هيكمل في الظلم أنت ما ظلمتهاش لما سبتها أنتم الاثنين أصلاً كنتم بتظلموا نفسكم لما كنتم في العلاقة الحرام دي كونك طلعت من الظلم فانت غير ملام.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾

ربنا وصف الزوج بالسيد لعظم حقه عليها يعني شوف المرأة كيف تنظر لزوجها، زوجها سيدها ربنا وصفه كده لعظم حقه عليها بس الزوج اللي هو الزوج يعني، اللي بيراعي المرأة وبيكرمها وبينفق عليها وبيحسن إليها وبيربي وشايل بيته قوامة حقيقية والمرأة ترد ده بأنها تحترمه وتوقره فدي العلاقة السوية بين الرجل والمرأة. الراجل يحسن ويكرم وينفق ويعامل بإحسان ويربي ويحب وينصح والمرأة توقر وتقدر وتقدم العرفان والامتنان والعناية والرعاية يطلع بيت سوي أي خلل في المنظومة دي يؤدي لخلل في البيت.

قال تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

بص بسرعة باعت القضية عشان كده اتكلمنا إن حب امرأة العزيز ليوسف حب أناني هو في الحقيقة اكتشفنا إنه حب لذاتها وحب لنفسها دليل إن هي مع أول فرصة ضحت بحبها تماماً وقالت: "يتسجن". عشان ما عرفتش توصل له فتبين إن هي مش بتحبه هي بتحب نفسها.

قالت: ﴿ إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. اتهمته هو اللي عمل كده.

قال: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ ﴾ دافع عن نفسه بكلمة مهذبة عبر عن كل القضية حتى ما رضيش يقول "أرادت أن تزني"، الكلمة صعبة ما حدش يقدر يقولها أو يسمعها، فما بالنا بنسمع في الأفلام والمسلسلات كلمة زنا ودعارة واغتصاب بقى عادي إن الكلام ده نسمعه.

قال تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

يعني لو اتقطع من قدام يبقى هي صدقت وهو كذب لأنه لو اتقطع من قدام يبقى هو اللي كان بيهجم عليها وهي بتدافع عن نفسها فقطعت القميص من قدام طب لو اتقطع من ورا؟ يبقى هي اللي كانت بتجري وراه وهو بيجري منها، يبقى هي اللي كذبت وهو الصادق.

طيب، نناقش كذا مسألة.

» المسألة الأولى: مين هو الشاهد اللي من أهلها؟

في قولين، القول الأول: إن الشاهد ده طفل صغير تكلم في المهد طيب، الحديث اللي ذكر الموضوع ده كان حديث "أربعة تكلموا في المهد"، وذكر منهم شاهد يوسف عليه السلام هذا الحديث ضعيف لكن الذي ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه في سند صحيح أنه كان رجلاً من أهل المرأة، يعني من أقاربها، رجل عادي الحقيقة إن الظاهر من السياق إنه رجل عادي لأنه

أولاً : حكم بحكم منطقي جداً أي حد ممكن يحكم به.

ثانياً: لما جاء يحكم بدأ بها هي الأول، فكان متحيز لها في البداية، حتى بدأ بها: "إن كان قميصه قد من قبل"، فصدقت وهو من الكاذبين، "وإن كان قميصه قد من دبر"، فكذبت وهو من الصادقين. فبدأ بها من باب المحاباة والحكم اللي حكم به كان منطقي، أي حد ممكن يحكم به لأنه مرتبط بقرائن عادية فالراجح والله أعلم إنه رجل عادي من أهلها، ما كانش طفل ولا حاجة.

ثم لو كان طفلاً كانت هتبقى معجزة كان هيتحاكى بها الناس يعني النسوة في المدينة كانوا هيقولوا امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، ولا كان هيبقى حديث المدينة عن الطفل الذي تكلم في المهد؟ ده كان هيبقى حديث الدنيا كلها، فهتبقى معجزة أشبه بمعجزة كلام عيسى عليه السلام في المهد كان الموضوع هيقف والناس هتقف مع المعجزة دي واضح إن الموضوع عدى عادي، واتكلموا وكملوا كلامهم فالظاهر إنه رجل عادي من أهلها.

تمام، هو حكم بإيه بقى؟ قال زي ما قلنا كده، حكم بالقرائن.

والقرينة هي حاجة بتخليك عندك غلبة ظن أن الحكم كذا، فلذلك يقول يجوز الحكم بالأدلة ولو لم يكن هناك أدلة صريحة متوفرة، يمكن للقاضي أن يحكم بالقرائن، يعني الحاجات اللي تخلي عنده غلبة ظن هو حكم بالقرينة أنه ما فيش دليل صريح في الموضوع ، فقال: القميص بتاعه لو اتقطع من قدام يبقى هو اللي كان بيهجم عليها يبقى هي صادقة وهو اللي كذاب لو القميص اتقطع من ورا يبقى هي اللي بتجري وراه يبقى هو صادق وهي اللي كذبت. تمام؟ وبالفعل:

﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٨]

فتبين أنها هي المُدعية وهي التي كذبت، وأن يوسف عليه السلام هو الذي كان صادقًا في ذلك الراجل، زوجها، لما عرف المأساة دي قال: إنه من كيدكنَّ، إن كيدكنَّ عظيم. الجملة دي مش من كلام ربنا الجملة دي من كلام العزيز نفسه.

»» احنا قلنا يا جماعة: الشاهد شاهد من أهلها، يعني في واحد من أهلها حكم في القضية وقلنا الحاكم اللي حكم في القضية رجل عادي من أهلها وده الراجح. مكنش طفل صغير، وإن الحديث في المسألة دي حديث ضعيف خلاص؟ طيب نرجع تاني. مين اللي قال: إنه من كيدكنَّ، إن كيدكنَّ عظيم؟ الجملة دي كلها قالها العزيز هذه ليست من كلام الله. علشان بعض الناس بتعتبر إن الجملة دي أصل في وصف النساء أن كيد النساء كلهم كيد عظيم، وده غير صحيح.

بعض الناس حتى بيقارن النساء بالشيطان ربنا قال عن الشيطان:

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقال عن النساء: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، وده مش صحيح.

لأن اللي قال عن الشيطان كيده ضعيف هو الله فكيد الشيطان ضعيف إذا قورن بمكر الله وإذا قورن بعون الله لأهل الإيمان لكن اللي قال إن كيدكنَّ عظيم ده العزيز، وبيقولها لزوجته في هذا المجتمع البغيض اللي المرأة فيه متسلطة فدي مش قاعدة، ده كلام العزيز يوصف المرأة في هذا المجتمع إمتى المرأة بيبقى كيدها عظيم؟ لما تكون في هذا المجتمع مجتمع واضح فيه أن الرجال ضعفاء هذا الرجل واضح أنه كان لينًا، كان ضعيفًا كان فيه شيء من الدياثة بدليل أنه ما خدش قرار صارم في الموضوع بل في الآخر سجن يوسف بالفعل فده دليل أن المرأة متسلطة عليه هو نفسه .

» فالمجتمع اللي المرأة بتتسلط فيه على الرجل بيبتدي بقى المرأة تكيد والراجل بيبقى ضعيف فيعاني من كيد المرأة، لأن الأدوار بتتبدل بدل ما الراجل يبقى هو القائد، بقت المرأة هي القائد وكمان المرأة، يا ريتها قائد وهي سوية أو تقية أو نقية لأ، هي فيها فجور وفيها فسق وفيها شهوات وحب رجال.

ايه المتوقع في المجتمع ده؟ متوقع ايه؟ عارف اللي انت بتشوفه في المسلسلات؟ هو ده هو ده المجتمع لما تكون هذه صورة المرأة، المرأة اللي هي الفاجرة، المرأة السيئة، المرأة اللي بتستعلي على الرجل، المرأة المتسلطة، المرأة اللي عايزه تعمل

كل حاجة، المرأة اللي ليها علاقات متعددة هو ده اللي بنشوفه في المسلسلات، هو ده صورة المرأة والمجتمع لما تكون في الصورة دي، يبقى فعلا كيدها عظيم

» أما المجتمع السوي اللي الراجل فيه راجل، والست فيه ست، والراجل بيقوم بدوره صح، والمرأة عارفة مكانها صح فالمرأة ما بتكونش بالصورة دي وإلا فعندنا زوجات النبي ﷺ والصحابيات، فين كيدكنَّ عظيم في الموضوع ده؟

» هقول لكم قاعدة تانية. المرأة من طبعها أن فيها استعداد للكيد خد بالك، المرأة عندها استعداد للكيد تعرف تطلع السلاح ده يعني هو سلاح موجود، لكن تستطيع أن تهذبه بل تستطيع أن تستعمله استعمالًا جيدًا المرأة، مثلًا، عندها حتة الكيد دي موجودة يعني أي امرأة، في جواها كده الأوبشن ده موجود ممكن الكيد ده نطلعه في أي لحظة لكن المرأة التقية النقية تستطيع أن تستعمل هذا الكيد في الخير.

فمن الخير اللي ممكن تستعمله المرأة؟ أنها تكيد لتحافظ على زوجها أنها تتفنن في أنها تتودد له وتعمل شوية حاجات كده حلوة بس كيد خفيف تحافظ بيه على زوجها وتخليه يحبها أكتر. تمام؟ وبتحميه من غيرها فبتعرف المرأة تعمل حاجة زي كده. فده اتجاه كويس.

وأحيانًا القدرة دي بتخليها تقدر تطلع حلول ما بتجيش على بال الراجل خالص. النبي ﷺ في صلح الحديبية ما كنش عارف يعمل ايه الصحابة مش عايزين يحلوا إحرامهم دخل على السيدة أم سلمة وسألها: أعمل ايه؟ شغلت دماغها كده وقالت له: بص، اطلع واحلق انت وانحر وحل إحرامك بس المشكلة هتتحل وفعلاً سمع كلامها والمشكلة اتحلت.

فالمرأة لها كده طلعات، لو حطيتها صح تبقى ممتازة إنما لو بقى المرأة ما كنش تقية، ما كنش نقية، كانت زي ما بيقولوا كده "سوسة" زي ما بيقولوا كده إيه؟ زي ما بيقولوا بالمصري كده "قرشانة."

ربنا يكون في عون أي حد لو ركزت مع حد مش هتحل منه النساء مع بعض والنساء مع الرجال ده مشكلة كبيرة جدًا فالمرأة ربنا أعطاها الخاصية دي فيها إما تستعملها في الخير أو تستعملها في الشر إذا كنا في مجتمع سوي وصالح فالكيد ده بيبقى ممكن المرأة تستعمله في الخير ما بيبقاش كيدها عظيم، يبقى كيدها نافع أصلًا أما في المجتمعات الغير سوية يبقى كيدها عظيم، تبقى مأساة المرأة لما تستعمل كيد وهي

تكون غير تقية في مجتمع فاسد، والزوج فيه ضعيف أو الرجال ضعفاء أو المرأة متسلطة على الرجال تبقى مأساة والله المستعان يعني. ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾

بعد كده قال له إيه؟ قال له: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾. شوف يعني رد فعله رد فعله كان يعني مش على قد المشكلة خالص يوسف أعرض عن ما تتكلمش خالص في الموضوع ده كل مشكلته في الفضيحة بس يعني مش مشكلته إن امرأته عملت كده، لا، ما عندوش مشكلة بنشوفه حتى في المجتمع دلوقتي بنشوف في الأفلام والمسلسلات إن واحدة متجوزة وليها واحد صاحبها وممكن صاحبها ده يجي يزورها في البيت زي ما شفنا كده في المسلسل كان في تريند طالع: "ده هاني". ده هاني يعني واحد صاحبها جاي يقعد معها في البيت وجوزها مش موجود ولما رجع جوزها لقى صاحبها موجود لاء، "ده صاحبي عادي، ده هاني" مالك انت زعلان ليه؟ الطبقة دي والمستوى ده عندها الموضوع ده فعلًا عادي لو وصلنا لكده في المجتمع ده وبقى عادي زعلان ليه؟ ما كل الستات بيعملوا كده في الطبقة دي هو عدى الموضوع وخلاص، مش مشكلة ما هم كلهم كدا.

قاله بس مش عايزين مشاكل مش عايزين فضيحة قاله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ ؟!؟!؟! بس كده يعني هو ده رد فعلك؟! استغفري لذنبك ده أخرك؟ مفيش أي رد فعل هتعمله؟! وإيه قيمة الاستغفار باللسان إن لم يكن معه توبة حقيقية هي مش شكليات هي هتستغفر، بس فين التوبة؟ هي لم تتب تمامًا، فما قيمة استغفار اللسان إذا لم يكن معه إقلاع عن الذنب مع العزم على عدم العودة.

والكلام الكبير اللي احنا بنقوله في التوبة وبالفعل حتى لو استغفرت لذنب، هي كملت إيه فيه بعد كده؟ تمام. هو عايز يقول يعني شكليات. طب: ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾. يعني هو كده شد عليها وبتاع وللأسف كان لين ومكنش غيور على امرأته.

»»هنلاحظ أن في حاجة ماشية معانا في القصة، أن في أثر لدعوة يوسف عليه السلام في المجتمع بالرغم من أن هو كان مفترض عبد في بيت المرأة، إلا أنه لم يتوقف عن الدعوة أبدًا بصوا في كذا حاجة بتقولنا أن الدعوة وصلت للمجتمع وأن الدعوة وصلت حتي للطبقة دي. "استغفري لذنبك"، مين علمهم الاستغفار؟ مين علمهم أن ربنا بيغفر؟ لما قالوا: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾. مين علمهم أن في حاجة

اسمها ملائكة وأنها شكلها حلو وجميل تمام؟ مين علم امرأة العزيز أنها تقول: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾؟

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

مين اللي علم المجتمع الحاجات دي؟ يوسف عليه السلام لذلك بيقولوا إن هو كان شغال دعوة معهم كلهم إذا كان دعا إلى الله في السجن، أمال كان بيعمل إيه وهو في بيت امرأة العزيز وهو يعامل بإكرام؟! فكان أثر دعوته على العزيز وأثر على المرأة وأثر على الملك نفسه حتى قيل إن بعضهم كان مسلمًا يعني احنا مش متأكدين إنهم أسلموا ولا ما أسلموش بس منهم اللي أسلم ومنهم اللي تأثر بمعاني الإسلام عمومًا، فاهمين الفكرة؟

ثم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾.

الموضوع خطير، أنا عايزك تتصور الموضوع كان عامل إزاي نسوة في المدينة اللي هما عليه النساء اللي هما زي امرأة العزيز كده دي مرات وزير ودي أبوها حد كبير دول صفوة المجتمع، كريمة المجتمع زي ما بيقولوا دول لما بيقعدوا مع بعض في كل مجالسهم عن العلاقات الحرام وعن العورات ودي اتجوزت ودي زنت ودي اتطلقت، ودي ماشية مع فلان وكلامهم مش من باب إن هم عندهم عفة ولكن من باب إن هم بيقعدوا يتكلموا على الناس وخلاص بدليل مش مشكلتهم إن امرأة العزيز كانت عايزة تزني مع واحد غريب خالص هي مشكلتهم إن الغريب ده عبد عندها فلو كان شريف أو كان من علية القوم ما كانش هيبقى عندهم مشكلة أصلًا في الموضوع تخيلوا هو بيقولوا "تراود فتاها" إنا نراها في ضلال مبين مش عشان هي عايزة تعمل الفاحشة دي لكن هي عايزة تعملها مع واحد مش من مستواها وكأن لو من مستواها ما فيش مشكلة لكن المشكلة يكون مش من مستواها.

فاهمين الفكرة؟ كده نلاقي مثلًا الناس دول الممثلين والفنانين والأغنياء قوي بيقبلوا على نفسهم حاجات ما بيقبلوهاش في مستويات تانية. فلو حد بمستوى تاني عملها بيتشهر به واحدة بنت طلعت مثلًا على التيك توك...

رقصت ولا عملت، اتعمل لها فضيحة واتعمل لها قضية طبعًا أنا مش باعترض على إن هي تتعاقب يعني لكن ما هو نفس الحاجة دي بتعملها الممثلة في التيك توك بتاعها

لما دي تعرف إن هي عملت زنا أو كده تبقى فضيحة بجلاجل طب ما هي الفنانة دي اتعارف عنها كده برضوا أو عملت كده في فيلم أو صورت كده نفسها في وضع كده لا، عادي، مشكلة الطبقات بس، ما فيش قاعدة ما فيش مبدأ إنما المسألة مطاطية حسب اللي شايفينه حلو بنقوله حلو، واللي شايفينه وحش هنقول وحش حتى لو نفس الحاجة.

هي المشكلة إنها بتعمل مع واحد مش في مستواها. ﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ يعني وصل إلى شغاف القلب، يعني عمق القلب، شغفها حبًا يعني تمكن الحب من قلبها لدرجة يعني هتزني مع عبد عندها، إزاي تعمل كده إلا لو الحب سيطر عليها جدًا جدًا.

خلينا نقول فوائد :

الفائدة الأولى:

امرأة العزيز غلّقت الأبواب حتى لا يخرج الخبر خارج الباب، فأخرجه الله تعالى إلى كل المدينة رغم أن العزيز قال ليوسف عليه السلام "أعرض عن هذا"، عشان هو كان خايف من الفضيحة.وهو يوسف عليه السلام ما اتكلمش. لكن سبحان الله، شاء ربنا أن الفضيحة توصل لأقصى المدينة وكأن الرسالة بتقول لك: أنت اليوم مستور وقد تُفضح غدًا في كل المدينة أنت اليوم مستور لكن قد ينفذ رصيد سترِك، ستُفضح غدًا.

الفائدة الثانية :

لو رفع الله ستره عنا لصِرنا حديث المجالس.

الفائدة الثالثة:

ما قالوش اسمها قالوا امرأة العزيز ليه امرأة العزيز؟ عشان الموضوع يتشهر أكتر إن احنا لو قلنا فلانة عملت، غير لما نقول مرات فلان عملت الموضوع ياخد انتشار أكتر والتريند يعلى الناس بتحب إيه؟ الترندات فيعلي التريند بأنه يربطه بالمشاهير وأخبار المشاهير دايمًا بيحبها الناس قوي.

الفائدة الرابعة خطيرة

بتقول لك: "من وضع نفسه في محل الشبهات فليتحمل سوء الظن." اكتبوا دي: من وضع نفسه في محل الشبهات فليتحمل سوء الظن. انتِ دلوقتي واقفة مع ولد غريب في الكلية والشكل مريب، ناس اتكلموا عليكم. استحملي، انتِ حطيتي نفسك في وضع ريبة خالص ما ينفعش كنتِ واقفة الوقفة دي أو تعملِ كده انت بقى نيتك سليمة، بس ما ينفعش تحطي نفسك مواضع ريبة.

النبي ﷺ عدى عليه الصحابة وواقف مع مراته صفية رضي الله عنها عدوا عليه عاديرفاتأكد إنهم ما فهموش غلط، فقال: "على رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ" (صحيح البخاري). إحنا هنشك فيك يعني؟ بس هو دافع عن نفسه ليه؟ سوء الظن، فانت ما تحطش نفسك موضع شبهة وبعد كده تلوم الناس على سوء الظن.

واحدة لابسة زي ما بيطلعوا في المسلسلات وبتقول لك: "إنتم ليه بتقولوا عليّ مش كويسة؟ طب ما انت اللي حطيتي نفسك مواضع الشبهات." واحدة لابسة كده طبيعي تبقى مش كويسة لما واحد يحاول يتحرش بها، طب ما انتِ جزء من السبب. مش بعذر اللي عمل كده بس السبب مشترك ما ينفعش واحدة مثلًا في الكلية لابسة لبس مغري جدًا والولاد بيحاولوا يكلموها، فبتقول: "يا جماعة إنتم تعملوا معي كده ليه؟" اللي حط نفسه في موضع شبهة فليتحمل تبعات الشبهة دي.

فالإنسان يتقي مواضع الشبهات عشان يحافظ على سمعته وكرامته ولا يسمح لأحد إنه يتكلم عليه.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

»» الظاهر من كلام النسوة إنهم بيعاتبوا امرأة العزيز على إنها بتعمل كده مع الفتى، بس الحقيقة بقى خد المفاجأة، إنهم كمان مش العتاب هو المقصود أنتم عارفين إيه المقصود من كل ده؟ المقصود من كل ده إنهم عايزين يشوفوا يوسف عليه السلام إنهم سمعوا عن جماله الخارق، وصلهم الخبر إنه جميل لدرجة مش طبيعية، وعايزين يشوفوه طب نشوفه إزاي؟ يبقى لازم نستفز امرأة العزيز، ونقول: "إزاي دي وحشة؟ إزاي تعمل كده معاه؟" يعني مش للدرجة دي. فنستفزها فتطلعه لنا فنشوفه، وهو ده اللي إحنا عايزينه.

فهمتوا الفكرة؟ الظاهر من الكلام الإنكار عليها، الباطن إنهم عايزين يعملوا زيها.

وده بيفسر لنا النبي ﷺ لما مرض في مرض الوفاة، وده هيجي لنا في آخر درس من السيرة لما مرض قال: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ" (صحيح البخاري). السيدة عائشة قالت: "يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قرأ لم يُفهم " ، يعني بيعيط وبيبكي كتير في الصلاة فما حدش بيفهم منه. فخلي حد تاني يصلي. ياه، ما كانتش دي قصدها، هي مش عايزة أبوها يصلي بالناس في مرض موت النبي ﷺ ليه؟ عشان الناس ما تتشائمش بأبو بكر الصديق فيقولوا: "لما صلى أبو بكر، مات رسول الله." فدائمًا يتشائموا به".

مش عايزاه هو اللي يصلي في آخر الأيام دي النبي ﷺ فهم كده على طول أنتِ بتقولي ما يصليش عشان بيبكي والناس ما بتسمعوش منه، بس ده مش قصدك. انتِ قصدك إنه ما يصليش عشان الناس ما تتشائمش به فقال لها: "إنكن صواحب يوسف." قال لها الجملة دي إزاي تفهمها؟ "إنكن صواحب يوسف" يعني انتِ بتعملي نفس اللي عملته النسوة في المدينة قصده إيه؟ مش قصده إنها بتعمل حاجة مش كويسة قصده بتقولي كلام وقصدك كلام تاني بتقولي كلام، بس مش هو ده اللي انتِ عايزاه عايزة حاجة تانية. فقال لها: "مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، أبى الله ورسوله إلا أبا بكر." ومش هيحصل اللي أنتِ بتقوليه. وفعلا ما حصلش. النبي ﷺ مات وأبو بكر بيصلي بالناس. وما تشائمش الناس بأبي بكر الصديق.

هي فعلا واللي قرروه حصل لما سمعت بمكرهن عملت إيه؟ أرسلت إليهن واعتدت لهن إيه؟ متكأ. بعتت لهم، طيب تعالوا بقى زوروني، وعملت مجلس ومتكأ وقعدة حلوة وأكل وشرب وكل حاجة، متكأ وسبحان الله كأنها فاهمة أتت كل واحدة منهن بسكين كل واحدة بسكين لوحدها مش سكين مشترك، كل واحدة معها سكين لوحدها.

﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١].

خلينا نقول بعض الفوائد :

أول فائدة

بتقول: ودت الزانية لو زنت النساء جميعا أي حد بيعمل حاجة غلط يتمنى كل الناس تعملها زيه عشان ما حدش يلومه. قال: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ. ﴾ عشان كده اللي بيشرب سجاير بيعزم على الناس مع إنه يعني هو مش كريم للدرجة دي إيه اللي يخليه يعزم بالسجاير بالذات؟ مع إنه ما بيعزمش بالسندوتشات مثلا! عشان دي

معصية مش عايز أعملها لوحدي البنت لما بتصاحب ولد، قولوا لي بيحصل ولا لا؟ البنت لما بتصاحب ولد بتحاول تجيب لصاحبتها ولد تخلي صاحبها ده يشوف صاحبه عشان يصاحب صاحبتها الثانية العفيفة اللي هي مش مصاحبة ليه؟ عشان ما تحسش إنها لوحدها تمام؟ الولد لما يبقى بيتفرج على فيلم إباحي بيبعته لأصحابه ليه؟ البنت لما بتسمع أغنية بتبعتها لصاحباتها ليه؟ عشان ما تحسش إنها الوحيدة اللي بتعمل حاجة غلط.

فنصيحة يا جماعة: لو انت بتعمل حاجة غلط، اعملها لوحدك لو انت في معصية، فما تنشرهاش اعترف أنك غلط، وأي حد بيعملها قل له: "ما تعملش أنا يا سيدي غلطان وبعملها وبقول لك ما تعملهاش." أحسن من أنك تنشرها بين الناس أو تبقى عايز تموت تأنيب الضمير لأ خلي تأنيب الضمير موجود، لأن دي حاجة صحية وحاجة جميلة.

(قالت اخرج عليهن) خرج يوسف عليه السلام بجماله الباهر، (فلما رأينه) عشان كده بنقول إن المدخل دائما أو بداية الشر: إطلاق البصر أول الشر إطلاق البصر. النساء كانوا في حالة ثبات وأمان من فتنة يوسف لغاية ما شافوه (فلما رأينه). طول ما أنا مش شايفك ما فيش مشكلة خلاص طالما أنا ما شفتش الفيلم الإباحي، مش بتابع البنت مش بخش على البروفايل بتاعها وأتابعها، وأشوف صورها، وأشوف أخبارها، وأشوف الحالات بتاعتها طول ما أنت مش بتابعي الولد وتشوف الحاجات اللي بينزلها وبتابع حالاته، مش هيحصل أي حاجة طب ما أنا قافل باب النظر قفلت كل الأبواب اللي وراه لأن بداية الشر النظر (فلما رأينه)، بدأ كل الشر. بدأ كل الشر. تمام؟

(أكبرنه)، أكبرنه وقطعن أيديهن خدوا بالكم من كلمة "أكبرنه"، يعني إيه؟ "أكبرنه" يعني عظموه قوي هابوه، حصل هيبة كده في نفسهم. ليه؟ بسبب النور اللي باين عليه يوسف عليه السلام، الاستقامة الظاهرة على يوسف عليه السلام.

خدوا بقى الفايدة فايدة خطيرة:

"استقامتك تظهر على وجهك وتحميك." استقامتك تظهر على وجهك وتورث هيبة في قلب من يراك وبالتالي تحميك من وصول الفتنة إليك أو خلينا نقولها بمعنى تاني: "سمعتك تحميك." والعكس صحيح بنت لبسها بيمنع أي حد يكلمها. انتهى الكلام ما تفكرش، باين عليها، مش بتاعة الكلام ده شاب حيّ وأدب وأخلاق، نظره في الأرض

وسمته وطريقة كلامه، ما فيش بنت هتفكر تكلمه هو سمعته سبقاه. يا جماعة ما لكمش دعوة بفلان، ملوش في السكة بتاعتكم دي ابعد عن البنت دي، مش هتتعاكس ولا حد هيفكر يخش لها على الخاص ولا حد هيفكر هي سمعتها بتحميها.

فنقول اللبس له علاقة يقول لك: لا، لبس البنات ما لوش علاقة، الولاد هم اللي يخلوا بالهم الاتنين غلطانين أنا بقول لك: سمتك بيديني انطباع أنت إيه اللي ييجي معك؟ (أكبرنه)، هابوه، تمام؟ من شدة جمال يوسف عليه السلام قطعن أيديهن هم من كتر النظر له حصل العشق عشان كده بقول لك: أنت طالما ما عملناش حاجة حرام عمري ما أوصل للعشق.

يعني حتى لو زي ما قلنا الصورة اللي واحد حب واحدة عشان سمعتها، مش هيحصل العشق، يعني مش للدرجة دي أو حب واحدة عشان كان عارفها زمان إنها كانت جميلة وكانت كويسة وأهلها كويسين مش هيوصل للعشق المحرم اللي يخليه يعمل أي حاجة شمال عشانها لكن طالما وصلنا للعشق، تبقى في حاجة حرام حصلت. تواصل كتير، نظر كتير، لمس كتير. يبقى إحنا كده ممكن أي حاجة تحصل بقى.

من شدة الانبهار بيوسف عليه السلام وجماله الشديد، وهم بيقطعوا الفاكهة قطعوا أيديهن ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١].

"قطعن أيديهن" مش معني قطعوها زي ما انت فاهم، مش للدرجة دي قطعن يعني حصل جرح بس، جرح خفيف، زي خربشة كده بالسكينة وإلا مش ممكن يكونوا قطعوا أيديهم يعني في الفترة دي محسوش بالألم بالفعل بسبب شدة جمال سيدنا يوسف عليه السلام. لكن بعدها ابتدوا يحسوا بالألم

فلذلك الفائدة:

"من لم يرَ جمال يوسف لم يعلم ما الذي أصاب النسوة." تمام؟ وده بينقلنا إلى أن النسوة تحملوا للحظات وما حسوش بالألم بسبب جمال يوسف عليه السلام وده بيدينا فائدة: الآن تفهم كيف يتحمل أهل الإيمان المتاعب لطاعة الله تعالى لأنهم مشتاقون لنظرة لوجه الله تعالى.مجرد الشوق إلى لقاء الله وتخيل لذه النظر لوجهه الله جعلت أهل الإيمان يتحملون ما لا يتحمله أحد، ويصبرون على ما لا يصبر عليه أحد.

إذا كان النسوة صبروا على تقطيع السكين لجمال يوسف عليه السلام، فكيف يصبر أهل الإيمان لأجل رؤية وجه الله سبحانه وتعالى؟ حين نرى الله، ننسى كل الآلام. فائدة خطيرة جدًا:

اكتبوها بماء الذهب: "ثباتك حتى الآن لا يعني قوة الإيمان." قد يكون المشكلة أن الفتنة لم تأتِ بعد يعني النساء كانوا ثابتين لأنهم ما كانوش شايفين حاجة أول ما شافوا يوسف عليه السلام، كلهم وقعوا.

مش معنى أنني ثابت للآن أنني قوي الإيمان يمكن الفتنة هي اللي ما جتش بعد. فاشتغل على نفسك وما يغركش أنك لغاية دلوقتي ثابت لأنك ما تعرفش بكرة هيحصل إيه.

قالت ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

سبحان الله، يعني كلمة "حاشا لله" يعني تنزيه لله عن كل نقص وعيب من شدة جمال يوسف عليه السلام "ما هذا بشرًا إن هذا إلا ملك كريم." استقر في أذهان الناس أن الملك دائمًا جميل فوصفوا يوسف بجمال ملك كريم.

استغلت الفرصة على طول امرأة العزيز: (قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) [يوسف: ٣٢].

وكأنها تريد أن تبرر تقول: الآن عرفتم ليه أنا وقعت؟ وليه أنا راودته عن الزنا؟

فايدة: أسوأ من الذنب تبرير الذنب أن هي تقول: "أعمل إيه؟ ما هو البنات... ما انت شايف البنات يا عم الشيخ! نعمل إيه؟" البنت تقول لك: "أعمل إيه؟ ما هو الميديا كلها مسلسلات وأفلام أنا مش قادرة. أعمل إيه؟ هو اللي دخل وكلمني وقال لي كلام حلو، وأنا برضوا بشر، تأثرت".

أسوأ من الذنب تبرير الذنب وأسوأ من تبرير الذنب التمادي فيه وده اللي حصل مع امرأة العزيز، بررته وكملت بعد كده. ؟

قالت: ﴿ ذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ﴾ بص بقى الوقاحة: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]. كيف يعني استطاعت امرأة تقول كده ولو أمام نساء؟ تخيل

واحدة بتقول قدام نساء: "أنا راودته عن نفسي"، يعني حاولت أخليه يزني بي إيه ده؟! كيف يكون هذا؟! الواحدة تستحي تكلم جوزها كده ما بالك تكلم ناس غريبة؟

وقالت قدام رجال الدولة في الآخر قالت: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ صعب جدا يعني المجتمع ده بيصل لدرجة من الوقاحة غير محتملة غير متخيلة سبحان الله، في المجتمع ده بتبقى الألفاظ دي عادية خلاص ما خلاص، بيغيب تمامًا الحياء الألفاظ دي، لم يعد يستحي منها.

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]. شف بقى الكلام: "فاستعصم" يعني استعصم بالله سبحانه وتعالى لجأ إلى الله، فما عرفتش أوصل له استعصم يعني كان فيه قوة في اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى. سبحان الله يعني.

بعد كده قالت: ﴿وَإِلَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]. حاجة عجيبة جدا هي عايزة الموضوع ده حتى بالأمر! الحاجات دي ما تجيش بالأمر يعني ما ينفعش الموضوع ده بالذات يجي بالإكراه ما هو لازم يبقى فيه رغبة شف عمى! غير أنها عايزة توصل له حتى لو بالإكراه، حتى لو مش طايقني، حتى لو مش عايز، هيعمله مكره وخلاص.

عجب! وقاحة وجرأة وغياب كل شيء منطقي. هكذا الهوى يعمي الإنسان ويصمه .

﴿وَإِلَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ يعني مفيش رغبة ولا أي حاجة.

﴿ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، يعني هسجنه وهيتذل سبحان الله، هي قالت: "وليكونن من الصاغرين" فكان السجن طريقه إلى العز ليه؟ لأن

» القاعدة هي: "لا يعز من عاديت ولا يذل من واليت".

» القاعدة: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠].

» القاعدة: "وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي".

» القاعدة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

وبالتالي ربنا أراد بالطريقة اللي حاولت تذله بها أنه صار بعد كده مكان عزيز مصر نفسه وسار على كرسي العرش وهي اللي اتذلت في الآخر لما وقفت قدام كل الناس واضطرت تعترف

وقالت: ﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف: ٥١].

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣]،

السجن جميل إذا كان فيه حفاظ على دينك، والحرية قبيحة إذا كان ثمنها الدين لا بأس أن تضيع الحرية، ولكن لا يضيع الدين ويوسف عليه السلام، يختار الآن أخف الضررين، لأن الضرر الأعظم دائمًا هو ضياع الدين وضياع العفة.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي.
تضيع الدنيا، ولكن لا يضيع الدين لأنه عصمة الأمر.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]،

لجأ إلى الله فاستجاب له ربه:

﴿ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

خلينا نترك الجزء ده كده مش هنتوسع فيه دلوقتي، وهبدأ:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦].

لكن هرجع للجزئية دي وأقول لكم شوية فوائد فيها المرة الجاية لما نبدأ عشان كفاية كده مش هطول أكتر من كده نقف هنا ويبقى عندنا شوية فوائد باقية من المرة دي هنكملها المرة الجاية بإذن الله تعالى مع بداية

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦].

جزاكم الله كل خير على حُسن الاستماع

أرجو أننا نحفظ الجزء بتاع النهاردة ربنا يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال نرجو من الله أن نكون قد انتفعنا بهذا اللقاء.

المحاضرة السادسة
داعية السجن

الحمدُ لله، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه، صلى اللهُ عليهِ وسلَّم أما بعد،

أهلاً ومرحبًا بكم في لقاءٍ جديدٍ، أو اللقاءِ السادسِ من "تعلمت من يوسف عليه السلام" أو "مدرسة يوسف عليه السلام"وعلى نبينا الصلاةُ والسلام.

نحاول أن نأخذ في كلِّ مرةٍ مجموعةً من الآياتِ نعيشُ فيها ونتدبرُها الحقيقةُ السورةُ إلى الآن نحنُ في حالةِ انبهارٍ من كمِّ الفوائدِ بفضلِ اللهِ سبحانه وتعالى التي نجدُها في السورةِ في كلِّ آيةٍ لدرجةِ أن الواحدَ يشعرُ كأنهُ لأولِ مرةٍ يقرأُ السورةَ أو لأولِ مرةٍ يسمعُ تفسيرَها وكلما تعمقتَ أكثر ستجدُ أكثر.

يعني لا أريدك أن تقفَ عند علاء حامد أو غيرِه فالموضوعُ فعلاً أكبرُ من كلِّ شخصٍ يمسكُ سورةً أو يريدُ أن يتدبرَها لأنه كما قيل: "القرآنُ لا تفنى عجائبُه" فكلُّ شخصٍ يحاول بعلمٍ وفهمه وقواعد سيجدُ أن اللهَ يفتحُ عليه فتوحاتٍ وهذه السورةُ يمكن أنني شرحتُها سابقًا وكان هناك شخصٌ يحضرُ معي الدورةَ الجديدةَ هذه فقال لي: أنا حضرتُها معك سابقًا فذكرني بالموضوعِ هذا قال لي: ما قلتَهُ سابقًا غيرُ ما تقولُهُ الآن من أمثلةٍ ووقائعٍ وفوائدَ عمليةٍ وتدبريةٍ قال لي: لم تقلها لأنني ربما الشخصُ الذي حضرها معي سابقًا حضرها منذ عشر سنين تقريبًا فقال لي: أنت في الماضي كنت تسقط إسقاطاتٍ أخرى تمامًا وأنا أشعرُ أنني أسمعُها منك لأول مرة.

هكذا يعني، لو أن هذه السورةَ شرحتها أو غيري شرحها بعد عشر سنواتٍ سيجد لها طعمًا مختلفًا ومشاكل جديدةً وواقعًا جديدًا وإسقاطات جديدةً مثل السيرة النبوية أيضًا لو شرحت تحتاج فعلاً أن تعاد شرحها كل فترة لأن الواقعَ يتغير.

المهم أريدك أن تتأكدَ أن القرآنَ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ بل الزمانُ والمكانُ لا ينصلحانِ إلا بالقرآن واعرف أن القرآنَ سينفعك اليومَ وغدًا وبعد عشر سنين وحتى

بعد مائة سنة كلما نزلت عليه في أي مشكلةٍ معاصرةٍ ستجد الإجابة في القرآن وسبحان الله يعني عجب والله.

المرة اللي فاتت وقفنا عند قوله تعالى: { ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ }.

المفروض النهارده هنبدأ من الآية رقم ستة وعشرين ونحاول أن نصل إلى الآية واحد وأربعين .

طبعًا أنتم عارفين أنني في حتة تركتها المرة اللي فاتت هنرجع ليها شوية من أول ما قال يوسف عليه السلام: { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }.

سأقول بعض الفوائد وبعد ذلك ننطلق في الآيات التي سأقرأها الآن لكنني سأقرأ الجديد فقط وبعد ذلك عندما أشرح سأرجع آيتين أو ثلاثة لأقول بعض الفوائد التي تركتها المرة الماضية وبعدها نكمل الآيات الجديدة.

يلا بنا. أنا أتمنى أنني ما كنش بقرأ لنفسي يعني يعني أنا بقرأ ليه أصلاً الآيات؟ علشان تعرفوا القراءة الصحيحة وعلشان تحفظوا يعني أكيد عشان تراجعوا القراءة بتاعتكم وأنا أكيد بقرأ عشان نحفظ ومش معقول بعد كل هذا التفسير ما تحفظش أظن بعد الدرس تحتاج يمكن عشر دقائق بالكتير لتحفظ الآيات التي فهمتها خلاص فارجوا أن ما ينفعش نعدي السورة دي من غير ما نكون حفظناها أنا بتعمد في القراءة أنني أمد المنفصل طبعًا أنتم واخدين بالكم أنني بمد المنفصل على اعتبار أن أغلب من يحفظوا بيحفظوا بالمد المنفصل فبمشي على الأغلبية عشان أريحهم في الحفظ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

{ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم

مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ ۚ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) }.

[سورة يوسف: 26-41]

»» في هذه الآياتِ الكريمةِ من سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قلنا إننا هنبدأ نرجع شوية لأن كان في بعض الفوائد التي لم نقولها في الآيات السابقة.

من أول قول يوسف عليه السلام: { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }.

»» فقلنا في هذه الآية أن يوسف عليه السلام اختار مصلحة الدين تضييع الحرية ولا يضيع دين المرء فالسجن في طاعة الله محبوب والحرية في معصية الله مكروهة فإن السجن الحقيقي هو سجن الروح، والأسر الحقيقي هو أسر النفس.

وأما إذا كانت الروح في طاعة الله فهي حرة وإن كانت سجينة الحقيقة مشهد يوسف عليه السلام مشهد العز شوف هو عزيز استعصم بص حتى تشعر أن هي في ملكها وفي قوتها وفي جبروتها والكلام ده هي الذليلة ومش عارفة تعمل إيه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمرته ليسجننه ودي دايمًا طريقة الضعيف زي طريقة فرعون وهو ذليل قدام موسى عليه السلام وهو بيقيم عليه الحجة تلو الحجة.

قال: { رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ }.

قال: { إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ }.

قال: { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ}.

قال: { لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}.

فدائمًا الضعيف لما بيلاقيش حاجة يعملها بينتقل إلى التهديدات والسب والشتم والاستهزاء والسخرية.

{ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ }.

فأول ما توصل في أي مناقشة للاستهزاء أو فضلًا عن البطش اعرف أنك أنت الضعيف الآن وأن الذي لا يزال يتكلم وله علو الحجة.

{ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ }. تمام

{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }.

اعرف أنك ما زلت القوي لذلك أنت لا تحتاج في أي نقاش أن توصل للاستهزاء وهذه ليست الطريقة المفترض أن نتعود عليها يعني بل عندي من قوة الحجة والبيان ما لا أحتاج معه إلى الاستهزاء فعادة الاستهزاء هي طريقة الضعفاء فضلًا عن البطش والكلام ده.

» فيوسف عليه السلام عزيز أنا قلت لكم إن المشهد ده بيفكرني على طول بعزة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عليه الذي يقال إنه قضى أغلب عمره في السجون رحمه الله عليه بسبب ظلم الولاة في زمنه وبسبب الوشاية التي كانت بتحصل عليه من أعدائه لأنه كان يعيش في زمن كان فيه معتزلة وفيه صوفية وفيه مخالفون له جدًا في طريقة أهل السنة كانوا مقربين من الولاة فكان دائمًا يشوى به إلى الولاة وكان يتعرض لسجون كثيرة جدًا.

ابن القيم رحمه الله عليه يوصف ابن تيمية رحمه الله عليه وهو يقول: "علم الله.. علم الله ما رأيت أحدًا..."، بصوا الكلام اللي هقوله ده يا جماعة يُكتب بماء الذهب، اللي هيقوله ابن القيم، ابن القيم ده دلوقتي يكتب بماء الذهب قال: "علم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه على ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضد ذلك ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك والله كان أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا وأقواهم قلبًا وأسرهم نفسًا تلوح نضرة النعيم على وجهه وقد شاهدت من قوته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا فقد كان يكتب في اليوم الواحد ما يكتبه الناس في أسبوع".

وقد شوهد في المعارك يعني مع التتار وغيرهم في الحرب وكان له من الشجاعة أمرًا عظيمًا بعد كده يقول ابن القيم جملة عجيبة: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتينا إليه في محبسه فما هي إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة".

»» فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

وكان ابن تيمية يقول لما دخل المحبس: "ما يفعل أعدائي بي؟! أنا جنتي في صدري وبستاني في قلبي أينما ذهبت فهو معي إن حبسوني فحبسي خلوة وإن نفوني فنفي سياحة وإن قتلوني فقتلي شهادة في سبيل الله تعالى".

وكان يقول حين أغلقوا عليه باب السجن: { فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ }. وكان يقول: "المحبوس من حبسه هواه والمأسور من أسره قلبه عن الله".

أمر عجيب الإنسان يتأمل فيه إذا كان هذا ابن تيمية فكيف الحال بيوسف عليه السلام؟! يعني كيف يكون سجن يوسف عليه السلام وهو في طاعة الله؟! أكيد كان في عز وخير فتح الله له من أبواب السكينة والطمأنينة والرحمة والسعادة والاحتساب والصبر ما جعل السجن نعيمًا في حقه خاصة أنه يعلم أنه دخل في سبيل الله وفارًّا من معصية الله سبحانه وتعالى.

»» وتأمل كيف حمى الله يوسف عليه السلام، قال: { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } فالعرض والشرف أغلى من كل شيء رسالة لكل واحدة أو كل واحد ممكن يتساهل في سمعته أو في كرامته من أجل وظيفة أو من أجل جامعة أو من أجل أن يتواجد في مكان معين.

لا مساس بالسمعة ولا بالشرف مهما كانت المغريات فاوعي تتنازلي عن حجابك علشان شغل اوعي تتنازلي عن سمعتك لو مكان في اختلاط واللي بيتواجد في المكان ده بيطلع عليه كلام مش كويس مهما كانت المغريات سمعتك أغلى من شغلك شرفك أغلى من الأموال كلها وأموال الدنيا تقعدي في بيتك حتى عزيزة مكرمة راضية بنصيبك أحسن من أن تعرضي نفسك لأي شيء فيه مساس بالسمعة أما إذا كان في شيء ما فيهوش تعرض للشرف ولا للعرض ولا للسمعة وفيه انضباط، فالأمر بإذن الله واسع.

قارن بقول يوسف عليه السلام: { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } .
قارن الآن بشباب النهارده، شاب يقول لك: "أنا أدفع نص عمري علشان أقابل الفنانة الفلانية أنا أدفع عمري كله بس أمشي مع البنت اللي أنا بحبها أو تكلمني أو تشوفني أنا أقابلها بس وأقعد معاها وإن شاء الله أتسجن بعد كده".

ده الفرق بين يوسف عليه السلام وما بين شبابنا دلوقتي يوسف عليه السلام بيقول: { السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ } .

بينما شاب من شباب اليوم يقول لك: "ناولني الحرام وإن شاء الله حتى تسجنني بعدها" شتان بين شبابنا وشباب يوسف عليه السلام.

من الفوائد:

١ـ قال: { رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }. تأمل في عفة يوسف عليه السلام وهو يقول:{ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ }، حتى اللفظ ما رضاش يقوله! مما يدعونني إليه، ما رضاش يتلفظ بكلمة الزنا فهكذا الشرفاء عفتهم حتى في لسانهم والتعبير رغم احتياجهم طالما أمكن التورية يستعملون التورية ولا يستعملون اللفظ الصريح.

٢ـ قال: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}.

فائدة/ أنت بدون الله لا شيء، لو لم يثبتك الله، فوالله لن تثبت.

قال: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}. إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده الشاعر يقول كده:

"إذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجني عليه اجتهاده".

يعني كل الأسباب اللي بتاخد بها هتقلب بنتيجة عكسية طالما توكلت على غير الله.

حتى الأنبياء لا يستغنون عن الله طرفة عين فما الظن بي وبك ونحن أحوج إلى عون الله وتوفيقه؟ لضعف النفس ولقوة الفتن ولكثرة الشهوات من صدق في اللجوء إلى الله نجاه الله تعالى.

قال: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ }.

عشان كده بيقولوا: "كل من عصى الله جاهل" وليس المقصود الجاهل اللي ما يعرفش الحكم ولكن المقصود هنا الجاهل بقدر الله الجاهل بقدر نفسه الجاهل بالهول الذي ينتظره يوم القيامة.

الجمع بين الجهالات دي يتجرأ على المعصية عكس هذا يدل على شرف العلم بالله فكل من كان الإنسان أعلم بالله كلما كان لله أخوف.

قال النبي ﷺ: "أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية" فكلما عرفت ربنا أكثر بأسمائه وصفاته وإنعامه وإحسانه وما يليق به أصبحت أبعد عن معصيته وكلما عرفت ما عند الله من الثواب والأجر والجنة وما عنده من العقاب والغضب أصبحت أكثر فراراً من عقابه وأكثر حرصاً على إرضائه.

وكلما عرفت قدر نفسك من الحاجة والفقر والذلة والمسكنة شعرت أنني لا أستطيع أبداً التجرؤ على الله وكلما جهلت قدر نفسي ظننت أنها مستغنية أو قوية أو تستطيع أو أن أحداً لا يستطيع علي أو أن ما في يدي لا يزول كلما كنت أكثر جهلاً وتجرأت على المعصية الجهل هنا ليس عدم العلم بل هو ضعف العلم بالله بالنفس وبحقيقة الدار الآخرة.

عشان كده ربنا قال: { مَنْ عَمِلَ سُوءًا بِجَهَالَةٍ }.

يعني إيه بجهالة؟ جهالة هنا تعني جهل بقدر الله.

كما قالوا: "ما عصي الله تعالى إلا بالجهل". قال: {وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ}.

عشان كده كلما تعلمنا عن الله كلما كان حالنا أحسن.

عشان كده بقول لك إن أحيانًا المعصية مش لازم تواجهها بشكل مباشر يعني ممكن يكون في معصية معينة احنا بنعملها فإنتِ مثلًا بتاخدي دورات تفسير أو دورات سيرة أو بتتعلمي علم معين فقربك من الله أو قربك من النبي صلى الله عليه وسلم أو من الدار الآخرة بيخليكي تعلمين أكثر عن الله وتصبحين أكثر علمًا بالرسول صلى الله عليه وسلم وأكثر علمًا بالدار الآخرة.

فتيجي ترجعي للمعصية تلاقي نفسك مش عايزه ترجعي لها خلاص مع إنك ما معملتيش خطة محددة لمواجهة المعصية دي لكن العلم بالله هو اللي نفعك أنا عايز أسألكم سؤال: حصل معكم ده ولا لأ؟ يعني مثلًا كان في معصية معينة كنا بنعملها زي الأفلام أو الأغاني أو علاقات مش كويسة وطول الوقت مش عارفين نخرج منها لكن سبحان الله اتعلمت شوية دخلت دورات اتعلمت عن الله وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الدار الآخرة بطلت الحاجات دي مع أنه ما كانش فيه خطة واضحة لها بس سبحان الله ما بقتش عايز أرجع لها وخلاص

هو دى الفكرة حصل معك ولا لا؟ كل ما كان الإنسان أعلم بالله كل ده عشان كده في حاجة اسمها المواجهة غير المباشرة مع المعصية إنك تعرف ربنا أكتر تعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أكتر تعرف الدار الآخرة أكتر ترجع للمعصية تلاقي نفسك مش عايز تعملها خلاص. فهمتم؟

قال الله تعالى:{فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [يوسف: ٣٤] فاستجاب له ربه بيقول لك دي فاء السرعة يعني الاستجابة كانت سريعة جدًا لقوة الاضطرار فاستعصم كل ما كان الإنسان دعاؤه أكثر اضطرارًا وأكثر ذلة ومسكنة كانت الإجابة سريعة جدًا من الله سبحانه وتعالى.

قد يكون تأخر الإجابة لضعف الطلب خد بالك فاستجاب له ربه فصرف عنه إيه؟ {كَيْدَهُنَّ} الله! كيدهن هو المراودة ما بقتش من امرأة العزيز بس لا ده من ساعة ما النسوة شافوه وكل واحدة بتحاول توصل له لوحدها وكلهم من سيدات المجتمع دي جوزها وزير ودي جوزها واحد كبير في البلد وجوزها من الأغنياء والأثرياء ودي بنت حد تقيل قوي كله دلوقتي بقى شغال على يوسف عليه السلام تخيلوا بقى مكر نسوة بالأخلاق دي في مجتمع ما بيعاقبش النوع ده من النساء ومعهم قوة وسلطة وجمال ومال وكل ده لعبد في النهاية لكن ربنا إذا أراد أن يحفظك والله ما يقدر عليك حد والله ما يقدر عليك حد فمن كان الله معه فمن يقدر عليه؟

٣- فدي فائدة: "من كان الله معه، فمن يقدر عليه؟ ومن صدق في اللجوء إلى الله نجاه الله، ولو اجتمع عليه من بأقطارها".

فتأمل كيف نجى الله تعالى يوسف المفترض أنه ضعيف عبد وهو في سلطان المرأة نجاه من نسوة كل واحدة فيهم عندها سلطة تهد بلد لكن ما عرفوش يفتنوا يوسف عليه السلام ولا عرفوا يوصلوا له لأن الله استجاب له فصرف عنه إيه؟ كيدهن نفس الفكرة في مؤمن آل فرعون.

قال الله تعالى: {فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: ٤٤]. تخيل واحد في سلطان فرعون، فرعون بجنوده، بأسلحته، بناسه، بعتاده على واحد، عملوا معه كمية محاولات للقتل، انت مش متخيلها. ما عرفوش يوصلوا له أبدًا. تمام؟

قال الله تعالى: { فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا } [غافر: ٤٥]. عشان كده خد الفائدة دي واكتبها بماء الذهب. اكتبها بماء الذهب الشأن ليس في حجم الفتنة ولكن الشأن في قدر العون الذي يأتيك من الله فقد تكون الفتنة ضخمة ولكن الله يحميك فلا تؤثر فيك. وقد تكون فتنة ضعيفة جدًا ولكن الله تخلى عنك خذلك فتسقط بأصغر فتنة فالمشكلة مش في حجم الفتنة، الفكرة في قدر المدد والعون الذي يأتيك من الله.

وده يرجعنا لقدر اللجوء اللي انت بتلجأه إلى الله وبالتالي المسألة مش ان الفتن جامدة أو مش جامدة. مفيش فتنة أكبر من اللي شافها يوسف عليه السلام.

لكن دلوقتي ممكن أجيب لك شاب لو بنت بس عملت له "لايك" على بوست ممكن يفتن. صح؟ بنت ابتسمت له في الجامعة لسبب ما يقعد يتخيل إنها بتحبه أو بنت العكس، بنت مثلًا ولد قال لها كلام حلو كده مجاملة، تقع على طول وتقعد طول النهار والليل تفكر فيه، مش عارفة تصلي. فما بالك بقى لو قال لها بحبك ولا كده؟ أصغر فتنة ممكن توقع واحد، وأكبر فتنة ممكن ما توقعش التاني.

»»الفكرة: {صَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ} إذا اختارك ربنا وصرف عنك الفتن والله ما في فتنة تقدر عليك فاللجوء إلى الله والتوسل إليه بصدق في التوكل عليه هو الأمان. تمام؟

فصرف عنه كيدهن. ليه؟ { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }. الله! أجمل حاجة في سورة يوسف إنها بتعرفنا بالله .

»»اكتبي الفائدة دي أجمل ما في سورة يوسف مش يوسف عليه السلام نفسه، طبعًا على جماله يعني، ولا القصة ولا أحداثها. لا، أجمل ما في سورة يوسف إنها "دايمًا بتعرفنا بالله" فهنلاقي اللطيف هنلاقي العليم هنلاقي الحكيم هنلاقي السميع هنلاقي العليم هنلاقي الواحد هنلاقي القهار ما في موقف إلا يربطك بالله بالاسم والصفة المناسبة في المكان المناسب.

{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. يا سلام! يرتبط قلبي بالسميع بيسمعني في أي وقت وأي مكان بأي صوت ولو حتى بهمس هيسمعني مش محتاج أعلّي صوتي مش محتاج يكفي نداء خفيًا يكفي أبكي بيني وبين الله وأقول له: ماليش غيرك يا رب الموضوع يخلص. {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

قال الله تعالى:{ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ} [يوسف: ٣٥] ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات الآيات الدالة على براءة يوسف وعفة يوسف وأنه لم يفعل قط هذا الشيء الذي ادعته المرأة.

رغم أن قامت عليهم الحجة وقامت الأدلة البينة على براءته إلا أنهم أصروا إن يسجنوه علشان الموضوع يتعدم تمامًا وما يتكلمش فيه تاني والموضوع ما يخرجش أكثر من كده وعلشان يرضي الرجل العزيز زوجته وعلشان هي طلبت كده وعلشان تعاقب يوسف لأنها قالت: "إني سأحبسه إن لم يستجب"، وفعلاً نفذت ما أرادت وسجنت يوسف عليه السلام على رجاء أن تذله فكان الذي حصل عكس ما أرادت فكان السجن سبباً لعز يوسف عليه السلام بل يوسف عليه السلام بسبب السجن صار في مكان العزيز.

عارفين يوسف عليه السلام لما طلع من السجن الملك حطه مكان العزيز وعزل العزيز نفسه فصار يوسف عليه السلام بعد إرادة المرأة أن تذله بالسجن صار السجن سبباً لعز يوسف ولزوال ملك العزيز وفضيحة المرأة بل انتقال منصب العزيز إلى يوسف عليه السلام فمن كان يريد العزة فلله العزة جميعًا. {إِنَّهُ لاَ يُعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ وَلاَ يُذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ} فهمنا المعنى الجميل ده؟ {إِنَّهُ لاَ يُعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ وَلاَ يُذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ}.

»»فائدة : اكتبوا "من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه".

يوسف عليه السلام ترك الزنا ضحى بالقصر ووجوده في الحرية ضحى بحريته لله سبحانه وتعالى فعوضه الله تعالى طلع مش عبد طلع حر طلع وزير طلع مقرب من الملك.

»»القاعدة: اتركي الحرام لله اتركي العلاقة الحرام لله اتركي اللبس الحرام لله اتركي الشغل الحرام لله يعوضك الله أفضل منه بس عايزة ثقة { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا }.

سجن يوسف عليه السلام { لَيُسْجِنَنَّهُ حَتَّى حِينٍ }. مين اللي اتسجن يا جماعة؟ مين اللي بيتسجن دلوقتي؟ الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم إذا كان الله قدّر على هذا الكريم أنه يُسجن يبقى لا تتعجب أن الله

يبتليك أنت لست أكرم على الله من يوسف عليه السلام فالله يبتلي أولياءه وأنبياءه فإذا ابتلاك الله فأنت على طريق الأنبياء.

وإذا قدّر عليك الله ظلمًا حتى لا تقول: ليه يا رب أنا عملت إيه؟ والله ربنا قدّر على يوسف عليه السلام أشد أنواع الظلم سنوات في السجن وهو من هو محبوب إلى الله أيما محبة فإذًا ليس معنى أن الله ابتلاك أو أنك اتظلمت أو أنك اتسجنت حتى ظلم ان في حاجة غلط، بل ممكن يكون الموضوع بالعكس ده أنت كده ماشي صح لأن الله يبتلي المرء على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء طبعًا إذا كان الشخص مظلومًا يعني مش بيتسجن بحق.

فسجن يوسف عليه السلام سلوى لكل مظلوم. مش قولنا السورة كلها سلوى لكل أحد سلوى لكل مبتلى يلا السجن بقى كم في السجون من مظلومين؟ ربنا يفرّج يا رب ارفع الظلم عن المظلومين يا رب فك أسر كل مظلوم يا رب ارفع الظلم عن المظلومين يا رب كم في السجون من مظلومين؟ والله العظيم قراءة واحدة في سورة يوسف تجعل الإنسان ينسى أي ابتلاء يعانيه مهما كان سجنك مهما كان الوضع مش هيكون أصعب من يوسف عليه السلام وهو من هو يعني يا جماعة، ده بلسم، اتسجن؟ يتسجن؟ السجن صعب، أنت لا تتخيل آلم السجن عامل إزاي يعني؟ السجن شيء مرعب شيء مخيف شيء قاتم أسود صعب.

كيف يتحمله شخص كريم مثل يوسف عليه السلام؟ لكن سبحان الله المعونة على قدر المؤونة زي ما ربنا بيبتلي بيديك زي ما يقول لك: "على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وتأتي على قدر الكرام المكارم". فلما يبتليك هيديك مع الابتلاء الإيمان الذي يساعدك على تحمّل هذا الابتلاء لكن قبله مش هتلاقي المدد ده لأن لسه ما حصلش الابتلاء ممكن أحد يتخيل يقول: وأنا لو حصل لي ابتلاء هصبر إزاي؟ ما تقسش على نفسك دلوقتي لو حصل هيمدك بالعون اللي يخليك تقدر على تحمّل هذا الابتلاء.

فادعوا لكل مظلوم وادعوا لكل مسجون ربنا بلطفه يخرجه زي ما خرج يوسف عليه السلام تقول: يا لطيف يا من أخرجت يوسف من السجن أخرج فلان وفلان وفلان اللهم انجي المستضعفين من المسلمين في كل مكان يا رب السجن يا جماعة عقوبة مؤلمة عقوبة مرعبة عقوبة فظيعة لا تجد في الإسلام عقوبة السجن عارفين ليه؟ لأنها عقوبة صعبة جدًا يعني عقوبة اخترعها الغرب في الإسلام تجد تعزير يعني إيه التعزير؟ التعزير يعني عقوبات إما الحدود أو التعزير.

حدود تجدها حاجة حاسمة قطع يد جلد قتل حاجة حاسمة حسم حزم سرعة خلاص وينتهي الأمر أو يبقى فيه جلد على درجات من الجلد حسب الحد أو حتى في الحد يبقى تعزير يعني عقوبة حسب ما يقدّرها الحاكم لكن تجد كل العقوبات في الإسلام حاسمة حازمة سريعة متعلقة بالجاني فقط لا تتعدى إلى غير الجاني.

وفي نفس الوقت بعدها يأمر المجتمع ألا يتحدث معه في الجريمة هذه؛ لأنه قد عوقب عليها لا أحد يسبه ولا أحد يذكره بها خلاص ربنا تاب عليه ويتعامل معاملة كريمة بعد أن يقام عليه العقوبة في السجن هذه عقوبة مرعبة أولاً الشخص يدخل ويقضي مدة طويلة جداً جداً في السجن مثلًا خمس سنوات، عشر سنوات خمسة عشر عشرين سنة ماذا نتوقع من شخص قضى هذه المدة في السجن؟ أي نوع من الإنسان سيخرج؟ إنسان محطم ليس لديه أي رغبة في أي شيء ثم أن داخل السجن تكون هناك صحبة سيئة فيلتقي بالمجرمين فمن الصعب جداً أن ينصلح حاله فيخرج أسوأ مما دخل ثم أن السجن ليس عقوبة له وحده بل عقوبة لكل الناس كيف؟ عقوبة لزوجته وأولاده حيث أنهم يُحرمون منه ربما لو عوقب وخرج كان سيعمل بأي وظيفة وينفق على البيت لكن الآن البيت جائع والأولاد حُرموا من تربية أبيهم والزوجة لا تعرف كيف تصرف عليهم الأب حُرم من ابنه والأم حُرمت من ابنها. يُعاقب كل من حول المسجون. فما ذنبهم؟ ثم إن السجن هذا يحتاج إلى مبانٍ ومصاريف وطعام وشراب ومبيت من أين يأتي هذا؟ يأتي من أموال الضرائب ومن أموال الناس فلماذا نصرف على السجون؟ ستجد شيئًا غريبًا لماذا جميعنا نتعاقب بسبب العقوبة العجيبة الخاصة بالسجن؟

لكن سبحان الله تجد أن الشريعة فيها حكمة عجيبة في الحدود والتعزيرات والله العظيم هي الرحمة رحمة بكل المجتمع بالجاني وأسرته والمجتمع كله كل شيء جميل إذا طُبقت الشريعة الإنسان عندما يبتعد عن الشريعة يظن في البداية أن هذا أرحم فيقول: لا السجن أرحم من الحدود فكر قليلاً العكس السجن أسوأ بكثير جداً جداً جداً من الحدود.

هيا بنا ندخل في الجديد. قال تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ} [يوسف: ٣٦]، الله أكبر! الله أكبر! دخل معه السجن فتيان. خذ بالك، هنا فائدة رائعة جداً جداً. يقول الله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ}،

»»ما هي الفائدة؟ أن مع العسر يسراً مع العسر يسراً نفس اليوم الذي دخل فيه سيدنا يوسف من باب السجن وجد فيه اثنين دخلا معه دخل معه وهو داخل السجن وجد اثنين دخلا معه في نفس اليوم دخلا من نفس الباب ودخلا معه نفس السجن ودخلا معه نفس الغرفة وأحدهما سيكون سبباً في خروج يوسف من السجن فمن حيث لا يشعر يوسف مع العسر دخل اليسر هل تتخيل أن اليسر يكون بجانبك وأنت لا تشعر؟ مثل سيدنا لوط عليه السلام كان الملائكة معه في البيت وهو لا يعلم كان يعاني ولا يعرف ماذا يفعل مع قومه وكان في البيت معه سيدنا جبريل وميكائيل وإسرافيل يوسف عليه السلام من أول لحظة في سجنه كان اليسر معه وهو لا يعلم الذين دخلا معه في نفس الساعة أحدهما سيكون سبباً في خروجه سبحان اللطيف! فاليسر يكون معك انظر كيف أن الله لطيف بعباده بمجرد أن يعطيك العسر يرسل معه اليسر على الفور أين اليسر؟ قد لا تعلم لكنه موجود بشكل لطيف لهذا يقولون إن الله لطيف بعبده يدبر لعبده في الخفاء فقد لا تراها أو تشعر بها لكن هي موجودة «« فسبحان الله دخل معه السجن فتيان إن الله ربي لطيف لما يشاء من الذين دخلا معه؟

دخلا معه اثنان: أحدهما كان ساقي الملك والآخر كان خباز الملك يعني واحد كان يصنع الخمر.

طبعاً الخمر في شريعتهم في زمنهم كان مباحاً الفراعنة كانوا يشربون الخمر والكلام هذا فكان شرب الخمر لديهم عادياً سواء الفراعنة أو الملوك أو بغض النظر من كانوا لكن الخمر كان عندهم عادي كان أحدهما يصنع المشروبات للملك والآخر كان يصنع الخبز والطعام للملك كان الاثنان متهمين بجريمة محاولة دس السم للملك كلاهما اتهم بمحاولة قتل الملك الساقي والخباز كلاهما دخل مع يوسف عليه السلام حتى يُنظر في أمرهما القصة انتهت كما سنرى بعد الرؤية بعد أن عادا إلى الملك القصة تُحكى في الإسرائيليات لكن خلاصتها أن السم كان في الطعام وليس في الشراب فحُكم على الخباز بالإعدام وساقي الملك طلع براءة المهم أن الاثنين كان يُنظر في أمرهما فرأى كلاهما رؤيا قال أحدهما: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا }، أي أعصر عنبًا.

ليكون خمراً وقال الآخر: { نِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ}، تأكل الطير منه أي أنني أحمل فوق رأسي خبزاً وتأتي الطيور لتأكل منه { بِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف: ٣٦] يا سلام! نبِّئنا بتأويله يعني تفسيره { إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف: ٣٦] ما الذي يحدث هنا؟

السؤال الآن هو: لماذا هذان الشخصان تحديداً ذهبا إلى يوسف عليه السلام وطلبا منه تأويل الرؤيا، رغم أن هناك أشخاصاً آخرين في السجن؟ لماذا يوسف بالذات؟ ولماذا قالا له: { إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }؟

»» تعالوا أحكي لكم يوسف عليه السلام منذ أن دخل السجن كان بيعمل ماذا؟ يوسف عليه السلام منذ لحظة دخوله السجن يمكن القول إنه فتح صفحة جديدة وبدأ يتعامل مع الواقع الجديد وأغلق باب الحزن والإحباط وابتعد عن الجمود واليأس "الحياة لن تقف هنا، لا، لا، لا" هذا قَدَر وهذا ابتلاء جديد إذن نفتح صفحة جديدة مع الله وعبودية جديدة ما الذي يمكنني فعله في السجن لأكون إيجابياً؟

لن أكون سلبياً الحياة لن تتوقف هنا سأنتقل إلى عبودية جديدة كنت في عبودية مع أبي ثم في عبودية جديدة في قصر العزيز والآن في عبودية جديدة.

»»كأن يوسف عليه السلام يرى الحياة كسلسلة من الاختبارات أوراق يتم توزيعها مرة أحصل على ورقة "أ"، فأجيب مرة ورقة "ب" فأجيب مرة ورقة "ج" فأجيب المهم أنني أجيب بشكل صحيح طالما أنني أجيب بشكل صح فهذا القدر الذي أنا فيه هو في مصلحتي لا مشكلة سواء كان سجناً أو كان بعيداً عن أبي أي شيء .

»»المهم أن هذا هو قدري الآن ولا أستطيع تغييره ماذا أفعل؟ أتعامل مع الموقف أبدأ قصة عبودية جديدة أجيب بشكل صحيح فأربح مع الله .

إذن بدأ يتعامل مع الواقع أنا في السجن الآن لا داعي للبكاء ولا الشكوى لدرجة أنه لم يحكِ لأحد في السجن قصته لأنه لم يكن هناك داعٍ لذلك لم يكن هناك أحد في السجن يعرف قصة يوسف عليه السلام إلا بعد أن قال لهم: {ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ} [يوسف: ٥٠]، فعرفوا الموضوع لكنه لم يحكِ لهم قصته من قبل لأنه لم يكن هناك داعٍ للشكوى الشكوى لن تغير شيئاً {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف:٨٦] أنا فوضت أمري إلى الله هيا بنا نبدأ قصة عبودية جديدة.

»» أعلم أنك لا تختار الأسئلة لكنك تعرف كيف تجيب فائدة مهمة جداً

اكتبها بماء الذهب: "نحن لا نختار الأسئلة، ولكننا نعرف كيف نجيب. والله يخلق ما يشاء ويختار. {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [القصص: ٦٨].

تجد نفسك في موقف ما تجد أن هذا ابنك وهذه ابنتك وهذا أبوك وهذه أمك هذا مجتمعك هذه بلدك هذه جنسيتك هذا لونك هذا طولك هذا عرضك هذا نصيبك ما الذي يمكنك فعله؟

إذا كانت هناك أسباب فخذ بها ولكن في النهاية هناك أشياء لا يمكنك تغييرها إذن تعامل معها لا تبكِ على اللبن المسكوب طويلاً لأنه في الحقيقة لا يوجد لبن مسكوب إذا أجبت بشكل صحيح نحن لا نختار الأسئلة لكننا نستطيع الإجابة بشكل صحيح ونستطيع أن نربح مع الله في أي حالة. "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (الحديث الشريف).

يوسف عليه السلام انتقل إلى عبودية جديدة عمل ايه بقي؟ يقول لك إنه منذ أن دخل السجن كان مداوماً على العبادة. الله أكبر! مداوماً على ذكر الله والناس كانوا يشعرون بهذا كان يحسن إلى المساجين وكان يعود المرضى وكان يلبي احتياجات المحتاجين وكان يسمع شكاوى الناس وكان يحل مشاكلهم وكان ينصحهم وكان عليه السلام يطعم الطعام إذا وجد أحداً جائعاً كان يتعامل في السجن على أنها فرصة دعوية كان يجلس مع الناس وكان يحسن إليهم ويعلم أنه في النهاية يريد دعوتهم إلى الله لكنه بدأ بالخدمات أولاً. وهذه من الحكمة الدعوية ألا تبدأ بالكلام الدعوي من البداية أنت في مكان جديد ولن تتركهم الآن تعامل معهم جيداً اكسب قلوبهم ثم بعد ذلك عندما تتحدث إليهم سيكون كلامك مقبولاً.

وهذه خطة دعوية لكم إذا كنت تعملين في دعوة فردية في الجامعة مثلًا وتجلسين مع فتاة في نفس السيكشن طوال العام فلا تستعجلي ولا تحرقي جميع أوراقك من البداية افهمي الفكرة أكسبيها أولاً بالمواقف اشرحي لها ساعديها ادعيها على الفطور أو الغداء وبعدما تصبحي محبوبة جداً لديها ابدئي في الحديث عن الصلاة أو الحجاب أو حفظ القرآن وسوف تجدين أنها تقبل كلامك وتستجيب.

اللي عايز أقوله إن يوسف عليه السلام من أول يوم اشتغل صح

»»اشتغل على مسارين :

- الإحسان بينه وبين الله .
- والإحسان بينه وبين الناس.

فكان الإحسان بينه وبين الله رضا عبادة الذكر الصلاة كل حاجة. رائع! إحسان بينه وبين الناس خدمات واحتياجات وكانت علاقته بالناس كويسة جدًا رغم أن الناس اللي في السجن دول أغلبهم مجرمين لكن مش معنى كده إنهم مش فرصة دعوية يمكن حد فيهم يلتزم يمكن حد فيهم يتوب مش بعيد على ربنا.

همّا من كتر إحسان يوسف عليه السلام قالوا: هو ده الرجل الصالح اللي هيفسر لنا الرؤيا وكأنّ استقر في النفوس أن الناس الصالحة زي ما بنقول كده بينها وبين ربنا عمار دول اللي يعرفوا ولهم فراسة وعندهم علم كده فقالوا له: بص في رؤية وأنت اللي هتقول لنا تفسيرها، طب ليه؟ {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٣٦].

يا سلام! حاجة جميلة قوي.

»»الفائدة بتقول لك الداعية الصح هو اللي بيكون معه حاجتين:

١- إحسان بينه وبين الله.

٢- وإحسان بينه وبين الخلق.

الدعوة يا جماعة مش مجرد كلام منمق وأسلوب جميل وتحضير كويس فيه حاجات تانية في الدعوة ربنا بيجعل بسببها الدعوة فيها خير وبركة علاقتك الخاصة بينك وبين الله اللي هي بتجعل على وجهك نور تجعل في كلامك نور وبتجعل لك قبول عند الناس غير أي حد تاني وبتجعل لك ود في قلوب الناس تبقى أنت بتقول كلام بسيط يقول لك: "سبحان الله يعني لك قبول عجيب". مع أن في غيرك بيقول كلام أحلى منك بس ما أعرفش ليه ما بيجيش معي سكة القبول ده ! منّة من الله ودي حاجة أنت ما بتشتريهاش بفلوس ولا بالتصوير ولا بالإمكانيات ولا بالإعلانات وإنما ده شيء إما يجعله الله عندك أو لا.

» وعلى قدر الإحسان بينك وبين الله يكون هذا القبول لك عند الناس.

» ثم الثانية الإحسان بينك وبين الناس بقى فالداعية مش مجرد واحد قاعد على المنبر وليس له علاقة بالناس إلا الخطبة بيقولها وبيروح لا الداعية شخص متفاعل في آلام الناس وأحلام الناس ومشاعرهم بيكون وسط أزماتهم ومشاكلهم واحتياجاتهم الفقير بيكون في عونه اللي عنده مشكلة بيكون جنبه إذا جمع الداعية الاثنين دول فليس هناك أسرع منه إلى القلوب تعرفوا إزاي يا جماعة تنجحوا في الدعوة؟

»» ثم إن الدرس اللي بعد كده إن الدعوة مش لازم منبر مش لازم قناة يوتيوب بعض البنات يقول لك: أنا عايز أعمل قناة يوتيوب هي فاكرة إن هي دي الدعوة بس تمام؟ الدعوة يا جماعة هي كل شخص بقابله كل موقف كل كلمة كل حركة هو يوسف عليه السلام الدعوة بدأت ازاي؟ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٣٦]. فالإحسان ده كان الدعوة بتاعته ؟ فالموقف والكلمة ورد الفعل والفعل كل ده داخل تحت الدعوة.

في واحدة هتلتزم مش عشان أنت قلت لها: التزمي عشان أنت ملتزمة محسنة هي تأثرت بك من غير ما تتكلمي في واحدة هتحب النقاب مش عشان أنت قلت لها: انتقبي عشان هي بتراقبك من بعيد رأت إحسان فحبت الهيئة كلها فالدعوة مش كلامنا بس المنمق الدعوة أفعال وردود أفعال وكلام وإحسان وعلاقة بينا وبين ربنا الصلاة اللي بنصليها بالليل الذكر اللي بنذكره علاقتي بربنا الخاصة تجعل على الوجه نور النور ده الناس بتشوفه وبتعرفه وبتميزه وبتتأثر أنا عايزك تعمل الأسلحة دي لو أنت عايز فعلاً تنجح في الدعوة: الإحسان بنوعيه الإحسان بينك وبين الله والإحسان بينك وبين الناس.

»»فايدة جميلة ثانية: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٣٦]. اتقالت ليوسف عليه السلام مرتين .

» مرة وهو في السجن ومرة وهو في الملك

قالها له المساجين المجرمين شافوه في السجن قالوا له: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٣٦].

واتقالت له لما كان في الملك، ومين اللي قالها له؟ إخوته بس ما كانوش يعرفوه لما خد أخوهم قالوا: {خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٧٨].

نفس الكلمة اتقالت له في وضعين عكس بعض:

»»في قمة مكان مستضعف مظلوم وفقير

»»وفي قمة الملك والقوة والسلطة

يوسف عليه السلام لا تغيره الظروف ولا تغيره الأحوال بل يحافظ على أخلاقه.

فهمته إحسانه في أي وضع؟ ده تعريف الملتزم الحقيقي هو ده تعريف مين؟ الملتزم الحقيقي هو الملتزم في كل حال: ملتزم في المسجد ملتزم في البيت في الجامعة مع أصحابه مع جيرانه مع أعدائه في شغله أما اللي بكذا وشّ ده فده شخص غريب.

المفروض إن {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} تتقال لك في أي مكان في واحد مثلًا يبقى في المسجد الناس تقول عليه: اللهم بارك، طيب صالح جميل تطلع برة مثلًا تسأل عليه أصحابه يقول لك: لا أنت ما تعرفوش بقى ده هو قدامكم كده بس ده أصلاً كذا وكذا وكذا. الله! غريبة قوي! ليه؟ طيب ليه الوشوش الكتير دي؟ واحد ناس يسألوا عليه في الشغل فيقول لك: اللهم بارك، محترم مواعيد انضباط شغله مية مية. مؤدب ألفاظه جميلة بيحترم الكبير والصغير في شغل تروح تسأل عليه مراته تقول لك: أعوذ بالله بيشتمنا وبيبهدلنا وبيضربنا وما فيش أخلاق ومعاملته سيئة وبخيل. الله! ازي ده هو ده! يبقى ده الشخص المنافق حسب المصلحة يتلون تمام، لكن عايز تعرف انت ملتزم بجد ولا لأ يبقى لازم كل الأطراف يقولوا عليك كده فلا يغرنك أن يتقال عنك ملتزم في المسجد لو مش بيتقال نفس الكلام في البيت والأم والأب والشغل والشارع وأصحابك.

لا تغترِ أنهم بيقولوا عليكِ الأخت المعلمة الملتزمة في الدار لو جوزك ما بيقولش عليكِ كده وولادك ما بيقولوش كده وأمك ما بتقولش كده وأبوك ما بيقولش كده. يبقى ما تصدقيش أي حد أنا مش بقول إن احنا عايزين يتقال علينا كده بس بقول إن اجتماع جميع الأطراف على أن الشخص ده محسن ده دليل لأن هو إن شاء الله عند الله محسن أما ناس شايفينه محسن وناس شايفينه عكس كده تمامًا يبقي فيه حاجة غلط فلازم أكون زي ما أكون ملتزم في المسجد أكون ملتزم في بيتي مع ولادي، مع زوجتي، مع أبويا، مع أمي، مع أعدائي، مع أصدقائي، مع جيراني. هو ده الشخص اللي احنا عايزينه.

»» بص الفائدة اللي جاية دي.

يقول لك إيه؟ يقول لك "المحسنون لا يخفون ولو حاولوا ذلك".

ما أسر عبد سريرة إلا ظهرت على قسمات وجهه وفلتات لسانه ما أصر عبد سريرة يعني بينه وبين الله إلا ظهرت على قسمات وجهه نور على وجهه وظهرت على فلتات لسانه. {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }[مريم: ٩٦].

{إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}

»»فائدة: لا تكثر الكلام دع أفعالك تتحدث عنك لا تسمعني كثير كلام أرني أفعالك والسلام.

»»فائدة: الرؤية اللي رآها المسجونين عادةً ربنا سبحانه وتعالى أن المظلومين والمسجونين والمبتلين تكثر لهم الرؤى يعني بيشوفوا الرؤى كتير واسأل أي مبتلى بتلاقيه في ساعة الابتلاءات لما عليه بيكثر الرؤى ويكون دي أنس من الله للمظلوم وتنفيس وبشارات وأمل له في وسط هذا الظلم. فما زالت الرؤى هي أنس المسجونين والمظلومين، ومتنفس المبتلين.

بيقول لك دخل معه السجن

»»فائدة: مشاركة البلاء تهون البلاء فإذا أردت أن يهون بلاؤك فانظر إلى المبتلين. واعمل بالوصية النبوية الرائعة: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أحرى ألا تزدروا نعمة الله عليكم". فلست وحدك الذي يتألم.

»» ثم قال تعالى: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧].

تأمل أولاً ماذا فعل يوسف عليه السلام؟ بيقولهم صح؟ أنا بفسر الرؤية بل أي حاجة تشوفوها في المنام أي طعام تُرزقانه يعني تُرزقان في المنام يعني أنا أستطيع بإذن الله تعالى تفسيره لكم قال لهم: إن أنا أفسر لكم الرؤى لأن ده مما علمني ربي. وتأمل أنه بدأ يرمي خيوط دعوية ما قال "تُرزقانه"، كأنه عايز يقول "يرزقكم الله" فبدأ يربط القلوب بالله في مسألة الرزق وكأنه بيمهد للي جاي إن هو يربطهم بالتوحيد فمن الذي يرزقنا؟ الله. إذا لما أقول لك بقى اعبدوا الله وحده يبقى ده كلام منطقي.

قال: {قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧]. لا يأتيكما طعام ترزقانه يعني في المنام إلا نبأتكما بتأويله يعني تفسيره قبل أن يأتيكما يعني قبل ما تحصل الرؤية أكون أنا عرفت تفسيرها وقلتها لكم قبل ما تحصل.

ثم قال: {ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧]. يا سلام! ذلك مما علمني ربي تانى يوسف عليه السلام بيمهد للدعوة، وبرضه بيرمي كلمة ثانية ذلك مما علمني ربي بدأوا

"تُرزقانه"، "علمني ربي"، كله بيربط القلوب بالله بالإنعام والفضل وكأنه بيمهد لسه هكلمكم بقى على التوحيد فنسبة الخير لله.

وتأملوا في أدب يوسف عليه السلام مع الله رغم أن دخول السجن كان بإذن الله برضوا لكن يوسف عليه السلام لم يقل قط في القصة "ربنا دخلني السجن" أدبًا مع الله حتى في آخر القصة قال يعني: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ} [يوسف: ١٠٠]، ولم يقل "أدخلني السجن".

»» {عَلَّمَنِي رَبِّي} ظهر فيها تأثير يعقوب عليه السلام على يوسف هو اللي قاله: {وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٦]. والآن يوسف عليه السلام بيعبر عن تربية يعقوب ليه يقول: ذلك مما علمني ربي. "التعليم في الصغر كالنقش على الحجر". {ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي} [يوسف: ٣٧] وبعد كده بدأ يمهد للدعوة.

{إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [يوسف: ٣٧].

»» هنا بدأ يوسف عليه السلام يتكلم عن التوحيد رغم أن خد بالك هو عمل إيه دلوقتي؟ هو كان السؤال أصلاً على تعبير الرؤية فالمنطقي أنه يجاوب على الرؤية على طول طب إيه اللي هيحصل دلوقتي؟ هو هيقعد يتكلم ياخد راحته في الكلام، ويقعد يكلمهم عن ربنا وعن التوحيد وبعد كده يفسر الرؤيا هو بيعمل كده ليه؟ بيعمل كده لأنه مطمئن أنهم هيسمعوه.

لأنهم محتاجين يسمعوا تفسير الرؤيا فهو استغل هذه الحاجة لخدمة الدعوة هذا من حكمة يوسف عليه السلام هو كان منتظرًا كل هذا في السجن فرصة أن يفتح معهم الموضوع ازاي كيف يكون له قبول وكيف يسمعونه وهم أيضًا مبسوطون ويريدون أن يسمعوا فكأنه وجد الفرصة قد جاءت أخيرًا بعد إحسان طويل جاءت الفرصة التي يتكلم فيها طالما هما محتاجين يعرفوا تفسير الرؤية فماذا قال لهم؟

قال: طيب أريد أن أقول لكم شيئًا قالوا: يا سلام! تفضل اتكلم فاهم كيف؟ قال فجلس يتكلم في التوحيد في التوحيد فطبعًا التانيين لازم هيسمعوا وقاعدين مبسوطون. والرجل في النهاية سيقول لنا تفسير الرؤية فقدر أن يستغل الموقف صح.

»»لذلك نقول فائدة: لا مانع ولا بأس أن يستغل حاجة الناس إليه في دنياهم لمصلحة دينهم لا مانع ولا عيب أن يستغل الداعية احتياج الناس له في أمر دنيوي ليستثمر

ذلك في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى دون مَنًّا ولا أذى وبشرط أن تكون النية خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى.

أمثلة: طبيب يستغل وظيفته في الدعوة إلى الله تأتي إليه بنت مريضة وهي محتاجة لوصفة وكشف لكنها غير محجبة فيمكنه أثناء الكشف أن يتحدث عن الحجاب. يقول لها: يا ابنتي أنا مثل والدك وينصحها استغل فرصة حلوة مثل المدرس الطلبة يجلسون أمامه محتاجين إليه وهو سيشرح لهم وهذا بالنسبة لهم هو ما سينقذهم في المادة فيجد الولد عامل شعره فيكلمه أو إذا كان يشرب سجائر يكلمه يستغل الحصة لينصح الأولاد عن السجائر عن الإباحية عن اللبس ويحاول أن يشجعهم على الصلاة فيقول لهم: هيا يا جماعة أنا سأصلي تعالوا صلوا معي لا أحد سيقول لك: لا هذا غلط لا ينفع أنت تستغل احتياجهم لك وتجعلهم يصلون غصبًا عنهم في النهاية لن يفعل أحد شيئًا غصبًا عنه لكن هذا مدخل جائز والدليل على ذلك اهو قصة يوسف وأيضا قصة الغلام والساحر.

»»عندما ظهرت على الغلام كرامات وأنه كان يشفي المرضى بإذن الله ماذا كان يفعل؟ كان عندما يأتيه أحد يريد الشفاء، كان يكلمه عن الإيمان أولًا ويجعله يؤمن ثم بعد ذلك يدعو الله فيشفى مثل جليس الملك الذي فقد بصره جاء إليه وقال: أرجع لي بصري فقال له: "إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى إن آمنتَ دعوتُ الله فشفاك" فآمن ودعا الله له فشفاه فلا مانع أن أكون لي يد على أحد فأستغل ذلك لأكلمه .

مثلًا شخص يقوم بأعمال خيرية وصدقات ويزور بيوت فقراء فيقول لهم: يا جماعة أنتم ناس طيبة وأنا أحبكم وأريد أن أزيد الصدقة قليلًا لكن ليس من المناسب أن تكون الفتاة غير محجبة طيب اشتري لكي حجابًا؟ في البداية قد تكون طامعة في الصدقة لكنها بمرور الوقت تحب الحجاب وتلتزم به أو شخص يشرب سجائر فيقول له: لا، هذا لا ينفع أريد المرة القادمة ألا أراك تشرب السجائر وسأزيد لك الصدقة وفي النهاية هو نيته أن يكمل لكنه أيضًا يستغل الموقف قليلًا فلا مانع من ذلك، وهذا من حكمة الدعوة ولكن لابد أن يكون التصرف حكيمًا حتى لا يفسد الأمر.

»»لاحظوا ثلاثة مواقف مختلفة سأقول لكم حكمة كل واحد منها.

الموقف الأول، موقف الغلام في قصة الساحر الغلام كان قبل أن يدعو الله بالشفاء كان يقول له: "آمن أولًا". فكان يؤمن أولًا ثم بعد ذلك يدعو الله .

الموقف الثاني، يوسف عليه السلام تحدث معهم في التوحيد لكنه لم يشترط عليهم أن يؤمنوا وبعد ذلك أعطاهم تفسير الرؤيا ركزوا في .

الموقف الثالث، يوسف عليه السلام عندما جاءت له الرؤية الخاصة بالملك وهو في السجن لم يشترط أي شيء بل أجاب فورًا بدون أن يتحدث في التوحيد أو يشترط أي شرط أجاب فورًا بدون أي مقدمات .

»»لاحظوا الفرق بين المواقف الثلاثة. في الموقف الأول، الغلام في قصة الساحر كان يشترط الإيمان أولًا ثم يقدم الخدمة الدنيوية يوسف عليه السلام في السجن عرض قضية التوحيد بدون اشتراط ثم قدم الخدمة الدنيوية وفي الموقف الثالث مع الملك قدم الخدمة بدون أي اشتراط.

»»أين الحكمة؟ الحكمة في اختلاف المواقف الثلاثة. الأول موقف الغلام كان الشخص أمامه محتاجًا جدًا جدًا لشيء ليس رفاهية كان يحتاج لشيء ضروري جدًا مثل أن يعود له بصره أو أن يشفى من مرض خطير لذلك، كان يمكن أن يستثمر هذه الحاجة الشديدة ليرفع الطلب قليلًا ويطلب منه أن يؤمن أولًا.

يعرض عليه الإيمان فيؤمن بقناعة خد بالك يعني ليس غصبًا عنه لكنني أستطيع أن أضغط قليلًا كما يقولون وأخرج بمكسب لأنه كده كده مش هيمشي فممكن أضغط في الأول وأطلع بالمكسب وبعد كده أقدم له الخدمة الدنيوية طيب .

في حالة يوسف عليه السلام ممكن موضوع الرؤية ده يسمح لي أن أعرض القضية فقط لكن مش هينفع أضغط أكثر من كده ليه؟ لأن تفسير الرؤيا مش حاجة ضرورية يعني ممكن لو ضغطت عليهم أكتر من كده وقلت لهم: "لازم تؤمنوا قبل ما أؤول الرؤية"، يقول لي: "خلاص مش عايز تفسير الرؤية. سلام، مش عايز منك حاجة."

يبقى أنا شايف أن الموقف يحتمل أن اللي قدامي يسمعني لكن مش هقدر أضغط أكثر من كده لأن الاحتياج اللي هو محتاجه مش من الضروريات ولا من الأساسيات ممكن يسيبني ويمشي فلو ضغطت أكثر من كده ممكن يقول لي: "خلاص، مش عايز تعبير الرؤية سلام" فعندي فرصة أتكلم لكن في النهاية لازم أقول له تفسير الرؤية وما ينفعش أضغط أكتر من كده.

الموقف الثالث مع الملك: ما ينفعش تشترط على ملوك لأن الملوك لا يقبلون ذلك، والملك لو اشترطت عليه ممكن يعاقبك أو بعناد ينفر من دعوتك لكن الملوك يحبون

الإحسان ويحبون أنك تقدم الإحسان أولًا بدون اشتراط ويقدرونه جدًا كده يوسف عليه السلام مع الملك ما اشترطش ولا قدم مقدمات ولا اتكلم في الدعوة إنما قدم الخدمة مباشرة عشان كده ده أثر في الملك يقول لك: "هو إزاي قال تفسير الرؤيا وما اشترطش أي حاجة؟ لأ، ائتوني به أستخلصه لنفسي." فهمنا الفرق؟

بعد كده قال لهم: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}. لاحظ استعمال التلطف في الخطاب بيقول: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} مين القوم؟ القوم اللي كان وسطهم اللي هم الناس اللي قاعدين دول بس مش عايز يجرحهم في الكلام كان ممكن يقول: "إني تركت ملتكم"، بس كانت هتبقى قاسية شوية في البداية فبيستعمل المواربة كده زي "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا". بيقول: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ}.

هو عايز يقول: "أنتم يعني"، بس بيقول لك في طلب التلطف في الدعوة بمعنى، مثلًا ممكن أروح لواحد عايزه يصلي فممكن أقول له بطريقتين:

» ممكن أقول له: "يا عم، إنت ما بتصليش ليه؟ تعال صل إنت هتفضل ما تصليش لغاية إمتى؟" بحيث أني أستعلي عليه شوية.

» وممكن أقولها بطريقة ثانية: "يا حبيبنا، إيه الأخبار؟ ما تيجي نصلي؟" أو "عايز أكلمك على الصلاة"، أقوله: "الشباب دلوقت ما بيصلوش والموضوع صعب وكده ما تيجي أنا وأنت نصلي؟ الواحد مقصر مع ربنا"

في فرق في الأسلوب الدعوي إني أديها لك كده بشكل مباشر تحس إنك وحش وأنا اللي حلو أو إني أحسسك إننا كلنا وحشين بس إحنا بنحاول.

»» مؤمن آل ياسين استعمل نفس الأسلوب ده وتلطف مع قومه جدًا لما قال: {مَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ}، كأنه بيتكلم عن نفسه مع إنه عايز يقول لهم "أنتم". لكنه قال عن نفسه.

»» مثلًا لو عايز أقول لواحد تعال صلِّ، أقول له: "الواحد نفسه يبقى كويس، الواحد بعيد عن ربنا نفسي أصلي والله أنا هاروح أصلي ما تيجي معي؟" كل ده أنا عايز أقوله له هو لكن بتكلم كأني بتكلم عن نفسي فده ألطَف.

يعني اللطف في الدعوة فن بيقول: "إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ". بعد كده قال: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}

طبعًا لما قال: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ} عشان محدش يفهم إنه ترك ملة قومه يعني كان فيها لا هو ما كانش فيها عشان يتركها بل المقصود أنه ما اعتقدهاش أبدًا لا يعني أنه كان فيها وتركها الأنبياء معصومون حتى قبل الرسالة كما قال تعالى عن سيدنا إبراهيم: {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، وقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ}. فلم يكونوا مشركين قط حتى من قبل الرسالة.

{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: ٣٨]. هو ليه قال "واتبعت ملة آبائي"؟ عشان هيواجه شبهة جاية إنهم لو قالوا له: "إحنا بنتبع ملة آبائنا" لأن دي أكبر مشكلة عند أي مشرك إنه بيتبع ملة الآباء طب إيه الحل؟ كأنه عايز يقول لهم: "قبل ما تقولوا لي: إحنا وجدنا آباءنا على الشرك هقول لكم: أنا وجدت آبائي على التوحيد."

يبقى إذًا كأنه عايز يضع قاعدة الحُجة ليست في فعل الاباء ولا أبي ولا أبيك يبقى فكرة إني صح عشان آبائي كانوا كده الحجة دي لازم تسقط ونتفق إنها مالهاش لازمة.

ومش دليل الصح والغلط هو فعل الآباء فهو هنا مش بيقول إني صح عشان آبائي كانوا كده هو عايز يمهد ما تقوليش أنا على الشرك عشان آبائك كانوا كده لأن أنا آبائي عكسك يبقى مين اللي صح؟! يبقى إذًا الحجة دي لازم نتفق إنها ما تنفعش يبقى لازم إقامة دلي، كل أب وكل جد يجيب دليل واللي يجيب الدليل هو اللي صح.

عشان كده هو قدّم أدلة قال: علّمني ربي، ترزقاني، تمام؟ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وبالآخرة كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب قال: {مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [سورة يوسف: ٣٨].

يعني بص بيقول حتى ما ينفعش العقل والمنطق بيقول ما ينفعش كل الأدلة العقلية والنقلية قامت على توحيد الله سبحانه وتعالى ما كان لنا يعني ما ينفعش أصلاً أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

»» فشوف الإنسان بيعتز بآبائه إذا كانوا على التوحيد أما إذا كانوا ليسوا على التوحيد فما ينبغي للإنسان أن يعتز بآبائه إذا لم يكونوا على التوحيد تمام؟ فالاعتزاز بالآباء إذا كانوا صالحين الاعتزاز بالأجداد وبحضارة الأجداد زي ما بيقولوا إذا كان على التوحيد وعلى الاستقامة أما إذا كانوا مشركين عبّاد أوثان ما ينبغي أن يفتخر بهم فإذا كان أجدادنا كانوا عبّاد أوثان ما نفتخر بهم تمام؟ وإنما نفتخر بنسبنا إلى من كانوا على التوحيد.

»» فلا ينبغي للإنسان أن يعتز بأنه الفرعون الصغير أنا الفراعنة الفراعنة دول اللي عملوا مع سيدنا موسى ما فعلوه دول اللي كفروا بالأنبياء والرسل دول اللي آذوا الأنبياء كيف يعتز الإنسان بنسبه إليهم حتى لو كانوا أجدادنا بالفعل؟! إنما لا يعتز الإنسان بأجداده إذا كانوا كفار تمام؟ وأما إذا كانوا على التوحيد فبهم يعتز الإنسان. التوحيد أعظم نعمة ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

»» أعظم نعمة على الإنسان التوحيد الإنسان لو تأمل في أديان العالم اللي بيعبد صليب واللي بيعبد حجر واللي بيعبد شجر واللي بيعبد فئران واللي بيعبد تماثيل واللي بيعبد بقر واللي بيعبد الأسباب واللي بيعبد الطبيعة يقول الحمد لله اللي خرجنا من عبودية غيره لأن عبادة غير الله ذل وأسر والعز والحرية في طاعة الله تعالى.

»»لذلك ربعي بن عامر لما كان عند ملك الفرس فقال له ملك الفرس ماذا تريد؟ قال الكلمة العظيمة بتاعته: "إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

»»أعظم نعمة على الإنسان التوحيد، وللأسف قليل منا من يشكر هذه النعمة فدايمًا اشكروا ربنا أننا مسلمين يا جماعة اشكر ربنا أنك على التوحيد وسل الله التثبيت على التوحيد لما تعرف أن: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [سورة النساء: ٤٨]. تعرف نعمة التوحيد طول ما أنت موحد أنت تحت المشيئة يمكن أن

يغفر لك الله أي شيء أما إذا أشركت ومت على كده فلا أمل لا أمل أبداً في أن يغفر الله لك ساعتها هتعرف يعني إيه نعمة التوحيد.

لو لا قدّر الله دخلت النار وإن طالت مدة عقابك في النار ستخرج منها يومًا ما أما إذا مت مشركًا فوالله لن تخرج من النار أبدًا ساعتها تعرف يعني إيه نعمة التوحيد الحرية أن تكون عبدًا لله عبدًا لمن يستحق أن يُعبد هذه هي الحرية لا أحد يملك قلبك إلا هو لا أحد يوجهك إلا هو تعرف قيمة يعني إيه إنسان يكون عبدًا لشجرة أو حجر أو زلط أو توب أو امرأة أو فئران تعرف ساعتها نعمة التوحيد.

ولكن أكثر الناس لا يشكرون فمش عايزين نكون من أكثر الناس يا جماعة في الغلط ده إحنا عايزين نبقى بنشكر ربنا دايمًا على التوحيد.

وتأمل أن يوسف عليه السلام بيقول: ذلك من فضل الله علينا. هو أنت قاعد فين؟ أنت قاعد في السجن! أنت ليه ما بتتكلمش عن السجن؟ ليه ما بتتكلمش عن الموقف اللي حصل لك؟ وانا اتظلمت مش عارف ربنا عمل في كده ليه وبتاع.

»» يا جماعة في عز الأزمات تهون الابتلاءات حين نذكر النعم تاني تهون الابتلاءات حين نذكر النعم ربنا ابتلاني بواحدة لكن أنعم علي بعشرات الأشياء لما تبقى في ابتلاء معين اكتب نعم ربنا عليك هتلاقيهم كتير جدًا أكتر من الابتلاءات فده بيهون ده ثم تحسن الظن بالله في الابتلاء أنه يكون نعمة وأنت مش واخد بالك. فتكتشف بعد كده أن الابتلاء نفسه كان نعمة، فيبقى نعمة تُضاف إلى النعم.

{وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [سورة يوسف: ٣٨].

بعد كده بقى دخل في الأدلة العقلية. {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} [سورة يوسف: ٣٩].

خذ بالك من كلمة {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} يوسف عليه السلام استعمل أسلوب تلطف من غير ما يكذب.

تاني استعمل أسلوب تلطف من غير ما يكذب هل ينفع نبي يكون صاحب مجرمين؟ المفروض لا لأن في الحديث "لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي". أكيد مش هيبقى صاحبي واحد مجرم تمام، مش هيبقى صاحبي المقرب يعني لكن هو استعمل لفظ دقيق {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} لأنهم مش أصحابه هما كفار كمان وكمان غالبًا متهمين واحد يشرب خمر والتاني متهم بالقتل يعني الدنيا بايظة فهم مش

أصحاب لكن استطاع أن يستعمل أسلوب تلطف {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ} يعني يا رفقة السجن يعني يا أصحابي في رفقة السجن مش بالمعنى المعروف للصحبة.

»» مثلًا أحيانًا نتلطف مع النصارى أو غيرهم في الدعوة فنقول "شركاؤنا في الوطن" يعني الكلام اللي يلطف الجو شوية لما يكون مقام دعوة قال: {أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}؟! بص بقى تنفير الأول من "أرباب متفرقون". طيب هم دلوقتي أرباب يبقى أكيد مش ممكن كلهم يقولوا نفس الكلام في نفس الوقت صح؟ فلو ده أمر بأمر وده أمر بعكسه مين اللي كلامه يمشي؟ ولو اللي كلامه مشي يبقى هو الرب واللي كلامه ما مشيش يبقى مش رب لأن ده غلب ده طب لو الاثنين كلامهم مشي ده يوم وده يوم يحصل اضطراب في الدنيا طب هل أنتم شايفين الدنيا مضطربة؟ لا الدنيا تمام يبقى لا يمكن يكون فيها رئيسين لأن المركب اللي فيها رئيسين تغرق يكون فيها أرباب وكمان متفرقون؟

ضرب الله مثلًا رجلاً فيه شركاء متشاكسون، واحد يقول له يمين، وواحد يقول له شمال. طب أعمل إيه؟ {وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. استقرار العالم دليل على أن الإله واحد، {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} فسبحان الله رب العرش عما يصفون.

فبيقولهم بالمنطق كده ينفع يبقى الكون ده ليه أرباب متفرقون؟ ما ينفعش لأنه كان ما يستقرش أبداً طالما في استقرار يبقى الرب واحد.تمام؟ {خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} خد بالك حتى في تعريفهم بالله استعمل اسمين مهمين جداً ومؤثرين.

»»هنلاحظ أن يوسف عليه السلام استعمل هنا ثلاث حاجات في دعوة الناس دي:

١- الإحسان وهو المواقف السلوكية العملية.

٢- واستعمل الأدلة العقلية زي ما إحنا شايفين.

٣- وبيستعمل الآن المؤثرات النفسية.

»»كأن الداعية محتاج الثلاثة دول عشان يشتغل:

- محتاج يبقى لك مواقف مع المدعو.
- محتاج تخاطب عقله وتحترم عقله.

➢ محتاج تأثر عليه نفسيًا بالوعظ وكلامك اللي يستجلب قلبه.

فين الثالثة دي المؤثرات النفسية؟ اختار اسم "الواحد القهار". ليه الاسمين دول؟ لأن دي أكتر اسمين يأثروا في مسجون لأن المسجون في السجن يشعر أنه ليس له إلا الله مين دلوقتي؟ ما فيش حد! مين يلحقني مين ينقذني؟ فاشتد الكرب فقال: "يا رب". {وَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}. في عز الأزمة القلوب بالفطرة تلجأ إلى الله لأنها تعلم أنه لن ينفعها إلا الله.

»» فالواحد: لأنه لا ملجأ عند اشتداد الفتن إلا الله سبحانه وتعالى فهم بيفكروا، أنتم دلوقتي أنا متأكد أنكم في قلوبكم دلوقتي لا تذكرون إلا الله وتعلمون أنه لا ينفعكم أي من الأرباب اللي أنتم بتزعموهم خارج السجن دي نمرة واحد.

»» القَهَّار: ده الجمال بقي هو المسجون بيحس بإيه؟ بالقهر المسجون يشعر بإيه؟ بالقهر يشعر أن فيه حد قهره ظالمني وسجنني وأنا مش عارف أعمل حاجة حاسس أن أنا مقهور طب إيه اللي بيهون عليَّا يا جماعة؟ أن ألجأ إلى من يستطيع أن يقهر هذا الظالم والظالم لا يقدر عليه أن ألجأ إلى من يملك موته وحياته ومرضه وصحته وماله وكل حاجة ده اللي بيريحني أن أنا في عون من ألجأ إلى القهَّار الذي يقهر من قهرني الذي يملك من يظلمني والذي يقدر أن يغير الواقع رغم أنف هذا الظالم. فالتعلق بالاسمين دول من أروع ما يمكن وده المؤثر النفسي اللي استعمله يوسف عليه السلام: "الواحد القهار".

وبعدين رجع للأدلة العقلية: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ} أنت اللي سميتها أنتم اللي مسمين الآلهة أنتم اللي اخترعتوها قبل ما انتم تسموها كانت فين الآلهة دي؟ قبل ما تعملوا الأوثان دي كانت فين؟ قبل ما تقولوا إله الحرب وإله السلام وإله الحب كانوا فين؟! أنت اللي مسميها.. صدقت الكذبة كذبة كذبتها وصدقتها قبل ما تخترعوها كانت الدنيا ماشية إزاي؟ {مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ}.

ما تقوليش الآباء بص يوسف عليه السلام هيرد على ثلاث شبهات بسرعة جدا شبهة الباطل دائما ثلاث شبهات.

١- واحد الشبهة الاولى: ان الاباء كانوا كده هنرد عليها دلوقتي.

٢- الشبهة الثانية: أن الملوك الذين يأمروننا أمرونا بالشرك فإحنا على دين الملوك.

٣- الشبهة الثالثة: أكثر الناس مشركين فإحنا ماشيين مع أغلب الناس.

»»هيَرد بسرعة على الثلاث حاجات دي بأدلة عقلية:

١- بالنسبة للآباء قال: {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ}. يعني ما عندكش دليل على فعلك ولا على فعل آبائك وأنا قلت لك لو الآباء حجة طب ما أنا آبائي كانوا عكس آبائك يبقى لا آبائي ولا آباؤك يكونوا حجة اللي معه الدليل هو اللي صح بغض النظر كان آباؤه على إيه لازم تجيب دليل أدي أول حاجة حلها.

٢- {مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ }قال لهم حكم الملوك الصح إن الحكم إلا لله هو الأعلى هو اللي حكمه يمضي وهو اللي حكمه أفضل من حكم الملوك.

طب الله اللي حكمه هو الأعلى أمر بإيه؟ أمر عكس اللي الملوك بيقولوا لكم {أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ} يبقى أنا ما أتبعش الملوك أتبع الملك الحق سبحانه وتعالى والملك الحق{ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ} فلو على الملوك لا يبقى اتبع الملك الحق أولى أمره أولى من أمر الملوك الأرضية ما تتبعوش ملوككم لما يقولوا لكم على الباطل وأتبع امر الله لأنه الملك الحق والملك الحق { أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } وبعد كده قال لهم: { وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.

٣- الشبهة الأخيرة أن أكثر الناس كده الإجابة: { وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }. وغالب الناس كده فلو غالب الناس غلط مش هَمشي ورا الغلط أنا بمشي ورا الصح حتى لو اتباعه قلة فلا أغتر بكثرة أهل الباطل ولا أزهد في قلة أهل الحق "فأنت الجماعة ولو كنت وحدك" فلا تغتر بطريق الباطل ولا يغرنك كثرة الهالكين واسلك طريق الحق ولا يضرك قلة السالكين.

»» بكده يوسف عليه السلام استعمل كل الأساليب الدعوية في المواقف السلوكية الإيجابية استعمل الأساليب النفسية استعمل الأدلة العقلية ورد على كل شبهات الباطل الكثرة، الآباء، الملوك، وحل المشكلة تمامًا وبعد كده هيَديهم التفسير صح عشان طولنا هنكمل بقى المرة الجاية هنقول فسر لهم الرؤية إزاي وازاي في

فوائد في الآية الأخيرة {يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ } وهنرجع نقول فائدتين برضوا في آخر آية عشان ما نطولش المرة الجاية بإذن الله تعالى.

يا رب نكون كتبنا الفوائد ونحفظ الجزء بتاع النهارده

جزاكم الله كل خيراً سعيد بلقائكم الكريم

المحاضرة السابعة
الرؤيا العجيبة

الحمدُ لله وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاءٍ جديد ومدارسة سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

هذا هو اللقاء السابع من مدارسة سورة يوسف كل مرة نكتشف أن السورة أعظم مما كنا نتخيل بكثير وأنها مليئة بالفوائد العملاقة الضخمة وأعتقد أن هذه السورة يمكن أن تُخرجنا منها بألف فائدة! كنت قد طلبت أن ينشط أحد لترتيب الفوائد من أول ما بدأنا إلى أن ننتهي من السورة: واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، وهكذا، إلى أن يعدّ الفوائد ويرتبها ويجمع الفوائد المتشابهة مع بعض أظن أنه سيحصي أكثر من ألف فائدة وستكون طريقة جميلة لعرض السورة بأن تُسمى "ألف فائدة في سورة يوسف عليه السلام" فلعل أحد ينشط لعمل الألف فائدة من السورة وعندما ننتهي، سنكتشف بإذن الله أننا وصلنا للرقم.

»»وما العجب! أننا في كل درس تقريبًا نقول ما يزيد عن خمسين فائدة والله تعالى أعلم أما في المرة الماضية فقد وقفنا عند قوله تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} (يوسف: ٤٢).

وكالعادة لم نتمكن من إنهاء كل الفوائد فنترك آية أو جزءًا ونعود إليه لاحقًا نقرأ الجديد فقط ثم نعود للآية التي قبلها.

في قول يوسف عليه السلام: "يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ، قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ" [يوسف: ٤١].
الآن، فلنقرأ نبدأ بالاستعاذة:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذكرني عند ربك فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ. قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ. وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ. قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف: ٤٢-٤٩].

هذه الآيات الكريمة من سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في المرة الماضية تحدثنا عن كيفية استثمار يوسف عليه السلام حاجة الفتيان لتعبير الرؤيا وكيف استثمر ذلك في الدعوة إلى الله فقد قدّم لهم مقدمة رائعة واستعمل الأدلة العقلية والمؤثرات النفسية فضلًا عن الخدمات و العلاقات الاجتماعية التي كان قد بناها معهم مما جعل له قبولًا ودخل إلى قلوبهم.

وكان آخر ما قاله لهم في ردّه على شبهاتهم: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (يوسف: ٤٠) كان يرد على كل الشبهات: شبهه الآباء الشبهة المتعلقة باتباع الحكام فقال: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}، وشبهة أن أكثر الناس على الشرك، فقال: {وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} فرد على كل الشبهات.

ولكن يهمني أن نعرج على قوله عليه السلام: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} والربط بين الحكم والعبادة الحكم يا جماعة يحتمل معنيين ولا تعارض بينهما.

»» الحكم الكوني: وهو ما يحصل في ملك الله كل ما يحدث في ملك الله إنما يحصل بأمره فهو الذي يحكم في الكون. {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (يس: ٨٢) "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (التكوير: ٢٩). لا أحد ينازع في هذا الحكم من المؤمنين بالله أن ما يحدث في ملك الله هو بإرادته سبحانه وتعالى.

»» الحكم الشرعي: وهو أمر الله للعباد بما ينبغي عليهم فعله.

دي حاجة مش حكم كوني لأنه ممكن يأمر بحاجة ما تحصلش فيقول للناس مثلًا: صلوا وما يصلوش فده بيسموه حكم شرعي مش حكم كوني لأنه لو كان حكم كوني لو قال للناس: صلوا كان كل الناس لقت نفسها بتصلي غصب عنها لا ده اسمه الحكم الشرعي هو أن ربنا بيأمر بما يريد شرعًا: أقيموا الصلاة آتوا الزكاة لا تزنوا لا تشربوا الخمر .

»»فربنا له الحكمين: له الحكم الكوني طبعًا ده متفق عليه وله الحكم الشرعي ودائمًا النزاع في الحكم الشرعي مش في الحكم الكوني .

لذلك المشركين الأوائل مثلًا كانوا ينازعوا في الحكم الشرعي فربنا قال في سورة الأنعام: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الأنعام: ١٣٨).

ربنا قال: {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (المائدة: ١٠٣).

يبقى المسلم ينبغي أن يقر لله بالاثنين مش بواحدة بس.

- ✓ يقر أن الله له الحكم الكوني.
- ✓ ويقر أن الله تعالى له الحكم الشرعي.

والثانية هي الأخطر لأن الثانية دي اللي بيحصل فيها دايمًا المنازعة .

»» فلابد المؤمن أن يقول: إن الله هو الذي يحكم شرعًا هو الذي له ذلك وليس للناس أن يبدلوا أو يغيروا في أحكام الله تعالى حتى لو اتفقوا على ذلك قال الله تعالى: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} (يونس: ١٥).

قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} (الشورى: ١٠).

ربنا قال: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (الأحزاب: ٣٦).

»» نلاحظ هنا { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ } اللي قالها يوسف عليه السلام ممكن كمان تكون أقرب للحكم الشرعي ليه؟ لأن ربطها بالعبادة قال: {أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} (يوسف: ٤٠) ليه ربطها بالعبادة؟ علشان نفهم معنى خطير جدًا جدًا جدًا وهو أن التحاكم لله عبادة التحكم لدين الله عبادة التحاكم للنبي ﷺ عبادة فـ ممكن نقول: "فمن تحاكم لغير الله فكأنما سجد لغير الله" من تحاكم لغير دين الله ولم يرضَ بدين الله ورضي بحكم غيره فكأنما عبد غير الله فالعبادة ليست فقط هي السجود والركوع والصيام والصلاة ولكن التحاكم من العبادة .

ربنا قال كده: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} (الأحزاب: ٣٦).

وقال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (النساء: ٦٥).

فربنا اعتبر الناس اللي بتشرع مع ربنا يعني ربنا يقول مثلًا: الزنا حرام فيأتي مثلًا ناس يقولوا: لأ احنا هنقول إنه حلال احنا شايفين كده ما يلزمناش حكم ربنا احنا بنقول الزنا حلال واتفقنا على كده وكلامنا يمشي هذا كفر بالله لأن ربنا وصف دول بالشركاء.

قال في سورة الشورى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} (الشورى: ٢١).

ربنا قال في سورة النساء: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} (النساء: ٦٠-٦١).

يبقى إذًا المنافق هو اللي ما بيرضاش بحكم ربنا إذا قيل له: تعالى نجلس نتحاكم لكتاب ربنا لدين ربنا يقول لك: لا أنا عاجبني القانون الوضعي والقانون الوضعي الحكم فيه أحسن من دين ربنا تقول: لا ده منافق لا يجوز الإنسان يتحاكم لغير دين الله في شيء ربنا أمر فيه بأمر أو نهى فيه عن نهي أو جه فيه شرع عموماً. تمام؟

وبالتالي ده من التعبد لله لازم نفهم القضية دي يا جماعة علشان نقابل ربنا بقلب سليم .

ممكن أنت بعيد عن السياسة وممكن تكون بعيد عن المجالس التشريعية، ممكن أنت بعيد عن الحاجات دي بس ده شيء لازم تعتقده حتى لو أنت كممارسة مش بتمارس حاجة ممكن تعيش حياتك كلها ما تخشش محكمة بس لازم قلبك يكون مضبوط في المسألة دي.

إنك تعتقد بطلان التحاكم لغير الله إذا كان يحكم بغير ما أنزل الله وإن هذا منكر لا نرضاه أبدًا ولا نقره وإن التحاكم لله هو من التعبد {أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} لأن أنا ممكن في حياتي كلها ما أخشش محكمة بس أنا راضي بالحكم بغير ما أنزل الله وشايف إن ده صح وشايف إن ده التطور وشايف إن احنا في القرن الواحد والعشرين وإن شرع ربنا خلاص عفا عليه الزمن وما بقاش ينفع.

والعقول المستنيرة دلوقتي بتقول لنا كلام احسن وما اتفق عليه الشعوب هو الصح والتمام ده اعتقاد ممكن يخلي واحد يطلع برة الدين فلابد أن يلقى الإنسان الله بقلب سليم حتى لو أنا مش همارس الموضوع ده ولا هتعرض له في يوم من الأيام.

لكن أنا أعتقد في داخلي أن الحكم لله ولا يجوز تبديل دين الله ولا يجوز التغيير في شرع الله ولا يجوز التحاكم لغير شرع الله تمام؟ وأن هذا من التوحيد ومن العقيدة الصحيحة فاهمين الفكرة دي؟ مسألة مهمة أننا نفهمها ونعتقدها عشان كده ربط الحكم بالعبادة. قال: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

»» طيب تعالوا نكمل بقى: {قَالَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}

لاحظ هنا حاجة، هو طبعًا إحنا قلنا إن واحد فيهم قال: {إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ} والثاني قال: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} يعني بيعصر عنب اللي هو الساقي نفسه .

فلما فسرها قال: {أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} فباين قوي إن دي لها علاقة باللي قال: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} دي متناسبة مع دي.

وقال: {وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ} يعني هيتعدم صلبًا لما بيتصلب الإنسان بيبقى كالجماد ثابت ما بيتحركش فممكن الطيور تنزل تقف على رأسه من كتر السكون اللي بيبقى فيه تمام؟ وبالتالي دي مناسبة للي قال: {إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ}

»» لكن هنلاحظ حاجة خطيرة سيدنا يوسف عملها إنه مقالش التفسير بتاع مين ركز كده في الكلام قال: "أما أحدكما" ما قالش "أنت" ولا قال لده "أنت" قال: "واحد فيكم هيطلع ويسقي ربه خمرًا" أحد تفسير رؤياكم إن واحد هيطلع يسقي ربه خمرًا والتاني هيصلب يعني هيعدم لدرجة إنه يتصلب فتنزل الطيور على رأسه وتأكل ليه ما قالش مع إنها بينة بدرجة كبيرة؟ ليه ما قالش "أنت" و"أنت"؟ .

»» ما قالش كده يوسف عليه السلام رفقًا بالقلوب ورحمة بالرجل الذي سيصلب فحاول إنه يداري مين فيهم اللي هيصلب ومين فيهم اللي هيخرج رغم إن هي باينه نوعًا ما لكن أحيانًا عدم الصراحة رحمة بالناس.

فليست الصراحة دائمًا ميزة فقد تكون المواربة مطلوبة أحيانًا رفقًا بالقلوب ووجود الأمل عند الناس ولو بنسبة واحد في المائة يجعل في القلوب رجاء وفيها شيء من الفرح غير إن هو يبقى متأكد مائة في المائة إنه لن ينجو.

عشان كده ما قالش "أنت اللي هتتصلب وأنت اللي هتطلع برة" قال يسيبها كده علشان المصلوب يبقى عنده ولو أمل يمكن أنا المقصود بالرؤية الثانية فيكون رحمة به إنه ما يواجهش بالخبر الصعب .

»» لأن القاعدة بتقول يا جماعة: "انتظار البلاء بلاء قبل البلاء".

تاني اكتبوا دي: "انتظار البلاء بلاء قبل البلاء" بل "توقع المصائب أشد على النفوس من وقوع المصائب".

لذلك يوسف عليه السلام لم يرد أن يحطم قلب الشخص اللي هو عالم قطعًا إنه اللي هيصلب ترك له باب موارب يقول يقعد يكلم نفسه: يمكن أنا صاحب الرؤية الثانية هيعرف ويتأكد ساعة ما يطلب للإعدام بس على الأقل ما يتعذبش العذاب بتاع انتظار

الإعدام هيعرف ساعتها هيكون الألم محدود في الوقت لكن انتظار البلاء بلاء أنتم عارفين لما واحد يتحكم عليه بالإعدام الفترة اللي بيقضيها في السجن ما بين الحكم بالإعدام ولغاية الإعدام أشد من الإعدام نفسه.

»» فلذلك يقول لك من الفوائد : من الشفقة والرحمة ألا تواجه أحدًا بما ينتظره من البلاء خاصة لو كان ضعيف الإيمان لذلك بعض الناس عندهم رحمة بالمريض مثلا يبقى الطبيب مثلا قال للابن: "والدك عنده كذا كذا يعني المرض ده احتمال كبير يعني يموت" والأعمار بيد الله. الأبناء ما يقولوش لوالدهم الكلام ده يقولوا إيه؟ "الدكتور قال تمام الحمد لله وأنت بخير يا أبتي". حضرتك بس واظب على الدواء يفضلوا كاتمين الموضوع عليه وبيأخذوا بالأسباب عادي لأن ما فيش أي فايدة إننا نقول له ده الصح بعض الناس يقول لك لا، لازم نقول له لا، لازم الصراحة ليه نخبي عليه؟ لا غلط تمامًا.

بل الرحمة إننا ما نقولش طالما ما فيش حاجة هنعملها كده كده إحنا بنأخذ بالأسباب مش لازم يبقى هو فاهم إيه اللي بيحصل مش لازم يعرف إن الدواء ده عشان ما يموتش يعني مش لازم لا، الدواء ده عشان بس فيه فيتامينات عشان تبقى كويس وبتاع ودي كتير جدا مننا بيرحم كبير السن والكلام ده يعني نخدعهم نوعًا ما ببعض الكلمات المواربة حتى لا نصرح لهم بالمصيبة اللي عندهم هو ده الصح دي الشفقة والرحمة فيوسف عليه السلام استعمل الموضوع ده.

»» لاحظ هنا كمان في الآية أن يوسف عليه السلام فسر الرؤية لأن ربنا علمه كده طيب تفسير الرؤيا أي حد يا جماعة بيفسر الرؤية يحتمل الصواب والخطأ ما عدا الأنبياء لا يخطئون في تعبير الرؤيا يعني لو واحد بيحسن تعبير رجل صالح حتى أو عنده خبرة في الموضوع وعرضت عليه رؤيا فعبرها يعني فسرها هل في احتمال إنه يخطئ؟ طبعًا في احتمال إنه يخطئ واحتمال إنه يصيب أما الأنبياء فلا يخطئون في تعبير الرؤية لأن الأنبياء لا ينطقون عن الهوى فهم مؤيدون بالوحي وبالتالي تعبير الأنبياء للرؤيا حق عشان كده سيدنا يوسف حسم وقال لهم: {قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ}

قضى الأمر الذي تستفتيان لسببين:

➢ السبب الأول: أنها عُبرت خلاص.

➢ **السبب الثاني:** أن تعبير الأنبياء لا يخطئ.

تاني ليه قال لهم {قُضِيَ الأَمْرُ} ؟ يعني هيحصل هيحصل لسببين:

الأول: أنها عبرت ودي هفهمها لك دلوقتي يعني فسرت.

الثاني: أن هذا تعبير نبي فلا يحتمل الخطأ .

»» **خد بقى قاعدة خطيرة** جات في حديث النبي ﷺ ويمكن قلت لكم الكلام في أول الآية في السورة النبي ﷺ قال: "الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعَبَّرْ فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ."

يعني إيه الكلام ده؟ يعني من أسباب حصول الرؤيا وتحولها إلى واقع أن تُفسر تفسيرًا صحيحًا فإذا أخطأ المفسر في التفسير فإنها لا تقع والله أعلم لأن الأمر مرتبط بالتفسير الصحيح ده سبب من الأسباب وليس ملزمًا ممكن لا تحصل في الآخر يعني تحتمل في الآخر بس من أسباب أن الرؤية تتحول إلى واقع أن اللي شاف الرؤية يروح يطلب تفسيرها ويجي له تفسيرها الصحيح تمام؟ لكن يوسف عليه السلام علم بذلك بالوحي هي أصلًا تفسير خلاص منتهي .

قال: {ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ.}

فيوسف عليه السلام حسم المسألة وعلم أن التفسير صحيح وعلم أنها ستقع لكن بنقول عمومًا إن أي حد طلب تفسير رؤيا وفسرت تفسيرًا صحيحًا ده سبب يخليها تتحول إلى واقع ده بيرجعنا تاني للتعامل الصحيح مع الرؤى اللي قلناه في أول السلسلة أن من رأى رؤيا يكرهها فلا يحدث بها أحد وإياك تطلب تفسيرها.

شوف الراجل طلب تفسير الرؤيا وطلع إنه هو هيتعدم وسيدنا يوسف فسرها له واتعدم بالفعل تمام؟

فاللي عايز أقوله إنك لو شفت رؤيا تكرهها حاجة مخيفة أوعى تحكيها لحد استعيذ بالله منها واتفل ثلاثًا وغير نومتك ما حد يعرفها من قريب ولا بعيد خلاص وإياك أن تطلب تفسيرها مش الواحد يأخده الشغف عشان يعرف تفسيرها لغاية ما تُعبر وتقع .

أما لو شفت رؤيا حلوة أطلب تفسيرها من حد بيحبك وأنت بتثق فيه تمام؟ عشان كده سيدنا يوسف قال: {قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} يعني هيحصل أنكم طلبتم تفسير

الرؤية وقد فسرتها لكم وبالتالي بإذن الله ستقع "الرؤيا على رجل طائر فإذا عبرت وقعت". قال: {قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} .

ثم قال: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ۖ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}

»»يعني إيه الكلام ده؟ كلمة "ظن" هنا معناها: تأكد

كلمة الظن تأتي بأكثر من معنى:

أولًا: معناها اليقين مثل قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}. يظنون يعني "يتيقنون"

وقوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ . الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}. يبقى كلمة "الظن" قد تأتي بمعنى اليقين أحيانًا.

ثانيًا: قد تأتي بمعنى الظن الراجح واحد يقول لك: "أنا أظن الموضوع كده" غالب على ظني كذا.

ثالثًا: قد تأتي أحيانًا بمعنى الوهم يعني الظن المرجوح الذي لا دليل عليه أو دليله ضعيف جدًا مثل قوله تعالى: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ}

إذًا لما تيجي كلمة الظن قدامك لا تتسرع لأنها تحتمل ثلاثة معانٍ:

تحتمل معنى "العلم اليقيني"، وتحتمل معنى "الظن الراجح"، وتحتمل معنى "الظن المرجوح أو الوهم أو الضعيف" فهمنا معنى الظن؟

السؤال هنا هي بأي معنى؟ هي هنا بمعنى العلم اليقيني طب إزاي قاله وإحنا قائلين من شوية إنه مرضيش يصرح أمام اللي أتعدم؟ أخبره سرًا يا سلام على أدب يوسف عليه السلام يعني بعد ما الموضوع خلص راح لساقي الملك وقال له بينه وبينه سرًا: "أنت اللي هتطلع، والتاني هو اللي هيتعدم" تمام؟ فقاله سرًا وبشره وقال له: "لما تطلع اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ". يعني إيه ربك هنا؟

الرب هنا بمعنى السيد والمقصود الملك، الملك اللي فوق العزيز والراجل ده ساقي الملك يعني قريب منه فقال له: "اذكرني عنده في واحد جوه قصته كذا ومظلوم ولم نرَ منه إلا خيرًا وكان محسنًا معنا خليه يدور ورايا لعلي أطلع من السجن".

{فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}

اللي حصل أن ساقي الملك ده بالفعل طلع براءة وخرج من السجن بالفعل والتاني حُكم عليه بالإعدام خلاص وساقي الملك بعد ما طلع نسي يوسف عليه السلام ونسي الوصية التي أوصاه بها يوسف عليه السلام لدرجة أن سيدنا يوسف قعد في السجن بضع سنين قيل خمسة وقيل سبعة وقيل غير ذلك.

»» طيب هنا عندنا حتة عايزين نشير إليها الإشكالية دي مرتبطة بقوله تعالى: {فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}.

البعض بيقول إن يوسف عليه السلام بسبب أنه طلب مساعدة الناجي عُتب من الله لأنه لم يتوكل على الله وحده فبيقولوا "أنساه" دي عائدة على يوسف يعني أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر ربه يعني ذكر الله والتوكل عليه وحده فعاتبه الله بسبب استعانته بساقي الملك فترتب على ذلك أنه بقي في السجن بضع سنين تمام هذا الكلام ستجدونه في بعض التفاسير أو في كلام بعض المتدبرين لكنه ليس هو الصحيح.

»» تعالوا بقى نفكر بالراحة وطبعا القول الثاني اللي أنا هقوله لكم ده هو المشهور أيضًا في التفاسير الثاني ده هو الأشهر في التفاسير وهو الموافق للمنطق وموافق للقواعد كيف؟

أول حاجة هنقول قواعد كتير وفي الآخر نطلع أن يوسف عليه السلام لم يخطئ أصلا لما طلب العون من ساقي الملك وده لم يضع من منزلته في التوكل وحسن الظن بالله وأنه غير ملام على اللي عمله أصلا فعلى أي شيء يُعاتب؟

»» لماذا؟ تعالوا نفكر

الآن يوسف عليه السلام عمل إيه؟ هو أخذ بالأسباب أنا دلوقتي قاعد في السجن في واحد طالع من السجن ورايح للملك اللي عنده القرار فبقول له: والله يا أخي لما تطلع اشفع لي عند الملك وأخبره بقصتي لعلي أخرج من السجن هل يعاب؟

الإجابة: لا طبعا لأن ده من الأخذ بالأسباب المشروعة لدفع الضرر عن الإنسان لو إنسان أخذ سببًا للتداوي أو لدفع الظلم عنه هل يلام؟ لا يلام لأن الأخذ بالأسباب المشروعة لتغيير القدر لا يتعارض مع التوكل ولا يتعارض مع الرضا ولا يتعارض مع التسليم بالقدر.

حتى إننا عندما نعرّف التوكل نقول: هو الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها فكيف نقول إن يوسف عليه السلام ملام لما أخذ بالأسباب؟

النبي ﷺ لما طلع في رحلة الهجرة أخذ بأسباب كثيرة توجه جنوبًا دخل غار ثور مسح آثار الأقدام وفي النهاية المشركون كانوا عند رأسه فقال لسيدنا أبو بكر: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما" يبقى هو أخذ بالأسباب ولم يتوكل عليها وبالتالي لما لم تُؤتِ الأسباب نتيجة لم يضطرب ﷺ نفس الكلام يوسف عليه السلام أخذ بالسبب والأخذ بالأسباب شيء لا يُلام عليه الإنسان .

النبي ﷺ حتى في الحديث قال: "اشفعوا تؤجروا" يعني لو أحد طلب منك شفاعة اشفع له تأخذ أجرًا الصحابة رضي الله عنهم قالوا: "يا رسول الله أرأيتَ رُقى نسترقيها" يعني الرقية التي نسترقي بها "وأدوية نتداوى بها هل ترد شيئًا من قدر الله؟" قال: "هي من قدر الله" يعني حتى الشفاعة بقدر الله والدواء بقدر الله والنبي نفسه ﷺ قال: "تداووا عباد الله فإن لكل داء دواء"

»»يبقى كيف يُلام يوسف عليه السلام؟ يقال إن هذا يُخل بمنزلة التوكل؟ خالص ليس له أي علاقة بتقليل منزلة التوكل.

طيب خلينا استطرادًا في الحتة دي نقول تفصيل سريع ما هو موقفي مع قدر الله؟ ما هو موقفي مع أقدار الله؟

»» أقدار الله يا جماعة تحتمل ثلاث احتمالات:

النوع الأول: من أقدار الله قدر لا يمكن تغييره قدر لا يمكن تغييره ولا قدرة لي على تغييره .

زي جنسي طولي لوني تمام، جنسيتي، بلدي أحيانا مرض يعني حاجة صعبة مزمنة عجز معين عمى تام لا يمكن علاجه. شيء لا يمكن تغييره ما هو موقف المسلم من هذا النوع الأول؟ موقف المسلم من هذا النوع الأول: خلاص هو لا يوجد سبب لتغييره

وبالتالي لا يوجد إلا الرضا عن الله والتسليم والاحتساب لو الموضوع صعب على النفس شوية رجاء الفضل من الله والعوض من الله في الدنيا والآخرةهذا أول شيء.

النوع الثاني : بقى من القدر وهو اللي فيه حالة مشابهة لحالة يوسف عليه السلام. قدر وقع عليَّ وعندي القدرة على تغييره وأقدر أن أغيره وفيه سبب ممكن أخذ به.

السنة أن تسعى في تغيير هذا القدر والسنة أن تأخذ بالأسباب لتغيير هذا القدر إلى قدر آخر محبوب لك فأنا مريض أتداوى لأشفى أنا جائع أذهب لأكل أنا فقير أبحث عن عمل تمام؟

فهنا الأخذ بالأسباب يكون على احتمال إما أن يكون مستحبًا أو واجبًا حسب خطورة الموضوع يعني لو واحد جعان شوية كده بس مش هيموت فيستحب له أن يذهب ليأكل ويسد جوعه لكن لو هيموت بقى يعني لو لم يأكل سيموت يصبح واجبًا أن يأخذ بالسبب .

واحد قدامه الدواء ويُقال له لو ما أخذت الدواء ستموت يصبح واجبًا أن يأخذ الدواء لكن واحد يأخذ فيتامينات ليقوي بدنه وما إلى ذلك هذا ليس واجبًا بالتأكيد ممكن أن يكون مشروعًا أو مستحبًا والكلام هذا.

فإذاً الأخذ بالأسباب يكون بين الاستحباب وبين الوجوب فمن ذلك ما فعله يوسف عليه السلام أخذ بالسبب وهذا شيء مشروع بالنسبة له.

الأخذ بالأسباب ممكن أن يؤدي إلى احتمالين: نحن ما زلنا في الثاني وهو القدر الذي يمكن تغييره.

فالقدر يتغير: إما أن أشفى أو شبعت أو أصبحت غنيًا في الحقيقة أنت لم تغير قدر الله أنت في الحقيقة انتقلت من قدر الله إلى قدر الله وكل شيء بقدر الله لذلك اعتمادك على الله دائمًا.

الاحتمال الثاني: أنني فعلت كل ما عليّ وأخذت بجميع الأسباب ولكن القدر لم يتغير ولم يعد هناك ما أفعله.

مرة أخرى أخذت بكل الأسباب الممكنة ولم تأتِ بنتيجة وخلاص استنفذت كل ما عندي فعلاً وليس هناك شيء آخر أفعله يتحول هنا إلى قدر يشبه الأول الذي هو قدر لا يمكن تغييره .

إذن أنت تنتقل إلى خانة التسليم والرضا ورجاء الفضل من الله والعوض في الدنيا والآخرة فهمنا؟ هذا سهل جدًا.

مثلما فعل يوسف عليه السلام أخذ بالأسباب وماذا حدث؟ الرجل نسيه ماذا فعل سيدنا يوسف؟ لا شيء لم يضطرب ولم يقلق ولم يكن متوكلًا عليه.

»»تعرفون؟ لو كان متوكلًا عليه لاضطرب ولو أن النبي ﷺ كان متوكلًا على الأسباب لاضطرب عندما رأى المشركين عند باب الغار بعد كل ما فعله.

إذًا السبب قد لا يأتي بنتيجة في النهاية فحينها يستمر الإنسان في التوكل على الله ويرضى بما قسمه الله له ويُحسن الظن بالله.

بقي لنا القدر الثالث ما هو القدر الثالث؟

النوع الثالث : قدر الله على الإنسان بالمعصية .

المعصية التي ترتكبها هي أيضًا شيء حدث في ملك الله إذن أكيد حدثت بإذنه يعني لا شيء يحدث في ملك الله إلا بإذنه فالذنب الذي ارتكبته حدث بإذن الله المعصية التي ترتكبها حدثت بإذن الله هذا قدر عليك.

هل ينفع أن أقول: هذا قدر عليَّ وماذا سأفعل؟ هو قدر الله عليّ؟

أفهم هنا هذا هو "قدر يجب تغييره"

هل ترون؟ قلنا في الأمور السابقة يمكن أن يكون هناك استحباب أو وجوب لكن هذا القدر الأخير هو قدر يجب تغييره ويجب أن يأخذ الإنسان بكل الأسباب الممكنة للفرار منه وتغييره.

هل رأيتم الفروقات؟

١ -قدر لا يمكن تغييره.

٢ -قدر يمكن تغييره بالأخذ بالأسباب.

٣ -قدر الله على الإنسان بالمعصية يجب أن أسعى بكل الأسباب الممكنة لتغييره.

إلى الآن هذه أول مناقشة منطقية لأن يوسف عليه السلام غير ملام على أنه طلب مساعدة الساقي أو الناجي لأنه كان يفعل شيئًا مشروعًا في حق الجميع الأنبياء وغيرهم.

الأخذ بالأسباب لتغيير القدر الصعب إلى قدر بالنسبة له أفضل وأحسن.

ربنا قال: {فَأَنسَاهُ}الهاء هذه ضمير والقاعدة في اللغة تقول: "الضمير يعود على أقرب مذكور."

اكتبوا هذه القاعدة: لو جاءني ضمير هذا الضمير يعود إلى ماذا؟ الضمير يعود إلى أقرب مذكور هذه القاعدة غالبًا الضمير يعود إلى أقرب مذكور.

حسنًا، لنقرأ الآية: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} (سورة يوسف:٤٢)

من المذكور في الآية السابقة؟

هو الذي ظن أنه ناجٍ منهما إذن هذا هو أقرب مذكور والهاء تعود عليه.

طيب هناك أمر ثالث أقوى انظروا الدليل الثالث أصلاً أقوى من كل ما سبق وهو قوله تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ} (سورة يوسف:٤٥). يعني تذكر وادَّكر بعد أمة.

إذًا من الذي نسي؟! واضح جدًا ربنا قال: افتكر إذن من الذي نسي؟ الساقي أو الناجي وليس يوسف عليه السلام.

ثم هل يُتصور أن ينسى يوسف ربه في السجن؟! يعني السجن يجعل الإنسان حتى لو كان شخصًا عاديًا يكون قلبه متعلقًا بالله جدًا فكيف بنبي الله يوسف عليه السلام؟!

يوسف عليه السلام كان منذ قليل يفكر الناس بالله وبالتوحيد ويدعوهم إلى عبادة الواحد القهار فهل يُتصور أنه في لحظة نسي ربه؟ نسي ذكر الله واعتمد بقلبه على غير الله؟! وهو الذي دعا إلى الله منذ لحظات وهو الذي يُذكر الناس بالواحد القهار السجن عند البلايا يجعل الإنسان يذكر الله دائمًا ولا ينساه أبدًا.

فكيف يُقال أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر الله؟

بل المنطقي أن الثاني هو الذي ينسى لأنه أصلاً خمار يعني شخص يشرب الخمر ومن المتوقع أن تكون أخلاقه سيئة وصفاته سيئة كما سنرى هذا الذي الشياطين تتسلط عليه فهل الشياطين تتسلط على يوسف عليه السلام؟ لا بل تتسلط على الخمورجي هذا تمام .

إذن من أولى أن يكون موطنًا لعبث الشيطان؟ هذا الرجل وليس يوسف عليه السلام الذي قلبه محصن من الشيطان.

ثم إن الشيطان لا يتسلط على قلوب الأنبياء إنما قد يتسلط عليهم بمرض أو إيذاء بدني لكن ليس له سلطان على قلوب الأنبياء هل تفهمون هذا؟ فهذا دفاع عن يوسف عليه السلام في الحقيقة من الاتهام بأنه نسي الله سبحانه وتعالى وأن الله عاتبه فمكث بسبب هذا الأمر بضع سنين لا لا الصواب هو القول الثاني: أنساه الشيطان أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلبث في السجن بضع سنين كما سيأتي.

تعالوا نقف هنا وقفة مع {فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ} هذه تختصر لكم خطة الشيطان مع الإنسان.

يا جماعة لو عايزين نختصر خطة الشيطان مع الإنسان في كلمة واحدة ستكون هذه الكلمة "النسيان" أن ينسى يعني يغفله الشيطان يريد أن ينسيك أي شيء يعود عليك بفائدة سواء مصلحة دينك أو حتى مصلحة دنياك أو مصلحة بدنك أو أي مصلحة تعود عليك يريد أن يلهيك عنها فهو يريد لك الضرر من كل اتجاه: دين ودنيا فالمعركة الأساسية مع الإنسان في قضية النسيان.

أول شيء عمله مع سيدنا آدم هو النسيان ربنا قال: {وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ} (سورة طه:١٢١) وقال: {وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} (سورة طه:١١٥)

وربنا قال: {ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ} (سورة المجادلة:١٩)

»» هذه هي اختصار الخطة ينسيك ربنا، ينسيك الآخرة.

تبقى عارف لكنك تنسى لا تركز ولا تستحضر الأمور فتضعف الذكرى في دماغك فتتجرأ على المعصية بسهولة وتترك الطاعة وتصبح مثل الناس الذين همهم الدنيا فقط لأنك نسيت حتى مصالحك الدنيوية قد ينسيها لك قال: {فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ} (سورة

الكهف:٦٣) لماذا؟ لأن الحوت لو تذكره يوشع بن نون كان سيخبر سيدنا موسى وكان موسى سيقابل الخضر.

فالشيطان لا يريد أن يستفيد سيدنا موسى من الخضر لذلك كان يحارب لينسي الغلام أن يُذكّر موسى بالعلامة حتى هذه يريد أن ينسيك إياها قد يجعلك تنسى موعدًا مهمًا أو شيئًا كنت تريد فعله لأولادك أو تنسى وِردك أو موعد امتحان أو شيء مهم جدًا فتأكد أن الشيطان هو الذي فعل ذلك.

ينسيك الصلاة فتجد نفسك تقول: "أنا نسيت العصر" ، "المغرب أذّن يا نهار أبيض نسيت الصلاة" إذن فهمت الخطة النسيان أبسط شيء تفعله هو التذكر إذن التذكر يحتاج إلى ماذا؟ "ذكرى" وهذا يعيدنا إلى السبب الذي أنزل الله علينا القرآن من أجله ليكون ذكرى.

قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (سورة ق:٣٧).

وقال: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ . وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى} (سورة الأعلى:١٠-١١)

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} (سورة الذاريات:٥٥).

فالقرآن هو الذكرى هذه هي الحقيقة.

قد يسألك أحدهم: لماذا الآيات تتكرر كثيرًا؟ ولماذا نقول نفس الكلام كثيرًا؟ لأننا نواجه شيئًا يحدث لنا وهو النسيان كيف نقاوم ذلك؟ بأن نتذكر كثيرًا نقرأ القرآن كثيرًا نسمع الدروس والمواعظ كثيرًا هذا يجعلنا في حالة من التذكر الدائم فنستطيع أن نقاوم محاولات الشيطان في النسيان.

»» لذلك من المهم جدًا يا بنات ويا شباب أن تحضروا دروسًا كثيرة وتسمعوا مواعظ كثيرة وتقرأوا القرآن بتركيز وتدبر هذا فقط لكي تقاوموا النسيان إذا انشغلت أو غفلت الشيطان سيستحوذ عليك: {ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ} (سورة المجادلة:١٩).

وأنت قد تقول مثلاً: "حالي مع الله أفضل عندما أداوم على الدروس" اليوم أستمع إلى درس غدًا أتابع درسًا مباشرًا فتظل دائمًا في هذا المزاج الروحاني.

سأطرح عليكم سؤالًا عكسيًا: كنت قد قرأت تعليقًا جميلًا جدًا على أحد دروس اليوتيوب لدي إحدى الفتيات كتبت وقالت: "الإنترنت عندي فصل وأنا لي ثلاثة أيام لم أستمع إلى أي درس" وتقول: "أنا حاسة أني كنت بموت بموت"

تخيلوا! الإنسان يقاوم النسيان بعملية التذكر فالقرآن عبارة عن ذكرى نقرأه كثيرًا نقرأ الأحاديث كثيرًا نتدبر نراجع.

قال: {فَأَنسَاهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ} (سورة يوسف:٤٢)

ماذا حدث؟ لبث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين تخيلوا قيل خمس سنين وقيل سبع سنوات وقيل: البضع هو من ثلاثة إلى تسعة البعض قال خمسة والبعض قال سبعة لكن عمومًا لا يوجد دليل لدينا على المدة المحددة لكن يكفي أن يوسف عليه السلام وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم مكث في السجن.

هذه المدة الطويلة فعلاً سلوى لكل محزون سلوى لكل محزون ولكل مظلوم لن تكون أكرم على الله من يوسف عليه السلام وتأكد أن السجن ليس إهانة والسجن لا يعني ذلاً للمؤمن إنما هو عز وشرف يوسف عليه السلام كان عزيزاً في السجن كان شريفاً في السجن استطاع يوسف أن يحول السجن إلى خلوة إيمانية .

بل نحن لو تأملنا أريدكم أن تتخيلوا شيئاً وتقولوا لي هل لاحظتموه أم لا هل لاحظتم أن الله كان يحمي يوسف؟ فكلما كان يوسف عليه السلام يتواجد في بيئة تبدأ تضره كان الله ينقله إلى بيئة أخرى مباشرة.

يعني يوسف عليه السلام كان في بيت يعقوب وبدأت المكائد تُحاك حوله من إخوته حتى وصلت لمحاولة قتله فكيف سيتربى إيمانيًا في جو كهذا؟ فنقله الله مباشرة إلى بيت العزيز وتعامل معاملة جيدة جداً حتى بدأت الفتنة وبدأت المراودات كيف سيعيش في هذا البيت بعد ما حصل؟ فنقله الله إلى السجن وكأن الله كان يحمي يوسف عليه السلام كما تحمى الفَرْخَة عندما تُحاط بقشرة البيضة حتى تكتمل ثم تخرج.

يوسف عليه السلام كان تحت رعاية الله في كل وقت كلما كانت القشرة على وشك أن تتكسر نقله الله إلى مكان آخر حتى اكتمل يوسف وخرج عزيز مصر فقد يكون ما تراه من ابتلاء في الحقيقة حماية لك مما هو أصعب إنما هو الإحاطة الربانية بك حتى تكتمل وتنمو.

فبيئة السجن كانت أفضل ليوسف من أن يكمل في بيت امرأة العزيز بعد ما حدث وفعلاً يوسف عليه السلام حول السجن إلى عبادة وخلوة إيمانية وقدر أن يتحرر من كثير من الأمور أنتم تعرفون أن السجن مثل الاعتكاف هل جرب أحدكم أن يعتكف من قبل؟ الاعتكاف يا جماعة وطبعًا السجن أصعب يعني السجن يحقق نتائج أكبر بكثير من الاعتكاف. الاعتكاف أنا أجلس في مسجد في مكان ضيق لي متر في متر أنام فيه وأكل وجبتين في اليوم بالكاد لا رفاهية لا هاتف لا تلفاز لا أصدقاء لا روتين يومي العادات التي اعتدت على فعلها لا أستطيع أن أفعلها أول يومين في الاعتكاف أخبروني هل حدث معكم أم لا تشعرون بضيق صحيح؟ لا تستطيع أخذ حمامك المعتاد ولا اتباع روتينك للعناية بالبشرة لا تستطيع الاهتمام بشعرك لا هاتف لا تلفاز لا البرامج التي تتابعها لا أصدقاء لا خروج لا لبس من دولابك...

في نهاية الاعتكاف تفهم ماذا حصل... تفهم أنك تحررت وتفهم أنك كنت أسيراً. أسيراً للعادات التي كنت تعتقد أنها ثوابت لا يمكن التخلي عنها أسيراً للشهوات. تماماً أسيراً لتقاليد مفروضة عليك يأتي الاعتكاف ليحطم لك كل ذلك .

تخيلوا ماذا يفعل السجن؟ السجن يغير الإنسان تماماً يجعله يتحرر من كل شيء كل شيء حتى لو بسيط تعيش به وبالتالي لا شيء بعد السجن يمكن أن يحكمه أو يملكه أو يغريه يوسف خرج من السجن ولم يغتر بالملك "أنا عشت خمس أو سبع سنين وأنا أنام في متر بمتر فهمت أن الأمر ليس فرقًا". أصبحت الدنيا كلها متساوية لا تفرق شيئًا.

وفعلاً من يعيش فترة في اعتكاف أو فترة لا قدر الله في سجن يصل إلى مرحلة يدرك فيها أن الدنيا لا تساوي جناح بعوضة تمام لكن هذا للمؤمن الذي يعرف كيف يعيش مع الله ويعلي إيمانه ويزهد فعلاً في الدنيا ويرضى بما قسم الله له من هذا النصيب القليل لا يعود هناك شيء يغريه يزداد إيماناً وفعلاً يرى الدنيا كما هي عند الله لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

يوسف عليه السلام استطاع أن يحول السجن إلى لذة بالدعاء حسن الظن بالله التوكل على الله شهود النعم واستشعار قرب الله سبحانه وتعالى منه لأن المبتلى يشعر بقرب خاص من الله ليس كالمعافى فاستوى عند يوسف القصر والزنزانة. لدرجة أن يوسف عليه السلام عندما جاءه الداعي وقال له إن الملك يطلبه قال: {ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ } لاحظوا الفرق بين يوسف عليه السلام في أول السجن وفي نهايته.

هل تتذكرون عندما قلت لكم أنني قارنت بالاعتكاف؟ هي نفس الفكرة في أول الاعتكاف تكون متضايق وعايز تمشي آخر الاعتكاف بتكون مش عايز تخرج من المسجد...

»»من الفوائد الجميلة في هذا المشهد نقول: تخيلوا لطف الله بيوسف عليه السلام في نسيان الساقي له فلو ذكره أول ما خرج لخرج يوسف عليه السلام ممتنًا عليه من الملك ولعاد إلى الخدمة مرة أخرى كان يمكن أن يرجع عبدًا أو خادمًا مرة ثانية ولكن الله قدّر النسيان ليخرج يوسف "عزيزًا" لا منة لأحد عليه بل له المنة على الجميع.

»»فائدة أخرى اختيار الله للعبد دائمًا أفضل من اختيار العبد لنفسه فارضَ بما قسم الله لك.

»»فائدة أخيرة هنا: اصبر ولو لبثت في البلاء بضع سنين فقد خرج يوسف من البلاء وهو يقال له "يا أيها العزيز" اصبر ولو طال البلاء بضع سنين فقد خرج يوسف من البلاء وهو يقال له: "يا أيها العزيز" فما أجمل عاقبة الصبر.

ثم قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ} (يوسف: ٤٣) الملك بقى اللي هو الملك اللي إحنا بنتكلم عليه شاف في منام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف يعني في سبع بقرات ضعيفة أكلت السبع بقرات السمان وبعد كده: {سَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ} (يوسف: ٤٣) يابسة يعني جافة حلو فشاف المنام ده استيقظ عايز إيه؟ عايز تفسير الرؤية دي لازم أعرف تفسيرها خلينا الأول نمشي بقى واحدة واحدة مع: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ} (يوسف: ١٠٠). تعالى بقى ناخدها واحدة واحدة.

طبعًا يوسف لبث في السجن بضع سنين كعادة أي مظلوم بينسى يُنسى في السجون.. شفنا سجن صيدناية بتاع سوريا عامل إزاي؟ ناس مسجونة بقى لها أربعين سنة خمسين سنة.. في أماكن الناس مش عارفين يحرروهم مش عارفين الغرف دي فين تمام غرف مجهولة سبحان الله! لكن في وسط كل ده تكتشف: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (مريم: ٦٤). إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ترفع إليه دعوات المظلومين والله تعالى يقول: "لَأَنصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ" [حديث قدسي] ولو بعد حين انقطعت الأسباب عن يوسف عليه السلام ولكن ما كان ربك نسيًّا والعجب أن ربنا سيدبر ليوسف أمرًا

خارجًا عن الأسباب التي أخذها خالص لتكون المنة لله وحده على يوسف عليه السلام يرى يوسف لطف الله فعلاً هو إزاي طلع؟ تعالوا نتخيل كمية اللطف اللي حصلت.

١- هو ليه جه المنام للملك أصلاً؟ يعني تخيل الفائدة بتقول لك: "قد ينجيك الله بما لا تتخيل" من إمتى كل القصة ترتبت على المنام ده؟ منام ملك! ملك نايم، يجي له منام، المنام ده رؤيا من الله كما جاء في الحديث ربنا يرسل رؤيا للملك بس خلاص كده يوسف عليه السلام طلع من السجن قصة طويلة فيها كمية لطف عجيب . تعالوا نتخيل:

- ✓ أولاً المنام جه ليه؟ ليه يجي المنام تمام.
- ✓ المنام ده بالذات اللي هو تفسيره المجاعة اللي هتحصل.
- ✓ ليه الملك شغله تفسير المنام؟ يعني أنتم عارفين ممكن الواحد يشوف منامات كتير كلنا بنشوف منامات فالواحد أحياناً يصحى مش عايز تفسيرها يقول: "يبقى خير إن شاء الله" وخلاص ليه طلبت مع الملك عايز تفسير الرؤيا دي؟ ومش عايز يغير رأيه أبدًا رغم أنهم قالوا له: "أضغاث أحلام".

قال: لا لا مش أضغاث أحلام هتجيبولي تفسيرها طب خلاص كبر دماغك {وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ} (يوسف: ٤٤). لا هجيبها هجيبها.

إيه اللي مخليه معاند كده؟ وليه كبرت معاه؟ وليه مهتم أوي بتفسيرها؟ لطف عجيب والله خد بالك لما سأل الناس سأل الحاشية بتوعه يقدر ربنا أن ساقي الملك دخل في اللحظة اللي بيحكي فيها الملك خد بالك المشهد عامل إزاي؟ الساقي دخل يحط الخمر والملك بيقول الكلمة دي: {أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ} (يوسف: ٤٣) تيجي كلمة "رؤياي" تخرم ودن ساقي الملك ويفتكر يوسف عليه السلام.

»» والعجب حتى رغم أنه ماكر هو عايز يروح ياخد الرؤيا منه ويرجع ينسبها لنفسه مش هيقول أن يوسف فسرها لي هيقولك: "أنا اللي فسرتها" ادوني فرصة أفكر وأمخمخ وأجيلكم يقول: "أرسلون" ويروح لسيدنا يوسف يقوله التفسير كله ومش يشترط حاجة ويرجع يقوله للملك وقاله التفسير كله يحصل إيه بقى؟ شوف اللطف سبحان الله جه في باله كده فراسة أن لا يمكن أبدًا أن يكون التفسير ده منك انت ساقي خمر؟ مستحيل الألماظات دي تطلع من الدماغ المعفنة دي آسف يعني واحد ساقي خمر يعني دماغه سايحة مش ممكن الألماظ ده يوفق إليه واحد زيكم ما صدقوش

قاله: مش إنت اللي قايلها مش ممكن وقعد يضغط عليه لغاية ما اعترف وقاله: مش أنا قاله: مين؟ قاله القصة واحد، اثنين، ثلاثة .

يوسف عليه السلام طلع كل ده بيدبر عشان هو يطلع في الآخر .

ده يرجعنا للقاعدة في أول السورة: {وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} (يوسف: ٢١) .

وشوف العجب لما هو قال للناس اللي حواليه: {أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ} (يوسف: ٤٣) هما مش عارفين التفسير تمام وخايفين يتورطوا مشكلتهم إيه؟ حاسين أنه مهتم أوي عارف يعني إيه ملك مهتم أوي؟ وانت لو غلط هيحصل معاك إيه؟ الملك هيعلقك فمش عارفين تفسيرها فطبعًا هما عايزين يتوهوه هما مش عارفين تفسيرها وفي نفس الوقت ما ينفعش أكذب لو كذبت هتورط مع الملك فشكلها كده أضغاث أحلام حديث نفس مشغلش نفسك بيها عديها.

هتقولولي يعني هتقولولي فاضطروا بقى يقولوا: ما بنعرفش نفسر احنا مش هنتصدر في موضوع زي ده إنت الملك الغلطة بورطة معاك قالوا الحقيقة: {وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ} (يوسف: ٤٤). واللي يحصل يحصل إني أقولك معرفش أحسن ما أفتي وأغلط قدام ملك فقالك اطلع منها عشان ما تتصدرش مع أن كان ممكن أي حد يفتي يقول أي حاجة ما هو ده من اللطف ليه ربنا قذف في قلوبهم الرعب والخوف أنهم يغلطوا قدام الملك؟ ما هو ممكن كان أي واحد يقول أي حاجة أو يرمي له حاجة بعيدة أوي تحس إنها على ما تحصل أكون أنا مشيت أو مت لأ ما جاش معاه كله خاف مرة واحدة.

»»عشان كده الفائدة بتقول لك: "قد يكون التدبير لك في حرمان غيرك."

فشوف ربنا حرمهم من التعبير وحرمهم من التوفيق في تعبير الرؤيا كل ده تدبير ليوسف عليه السلام فرب ضارة نافعة قالوا هذا أضغاث أحلام ما اقتنعش .. قالوا بص من الآخر أحنا مبنعرفش نفسر مين بقى اللي سامع؟ ساقي الملك عدى ورمى ودانه سمع الرؤيا قال لك دي فرصتي عشان أوصل عند الملك هاخد منزلة كبيرة عند الملك وأعدي والملك إيه؟ هيحترمني قوي قال لهم "ادكر" بقى يعني تذكر يوسف عليه السلام قال هعرف أجيبها: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَادَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِ

فَأَرْسِلُونِ} (يوسف: ٤٥). كلمة "أمة" معناها هنا فترة زمنية طويلة وكلمة "أمة" تأتي بمعاني تفهم من السياق:

١ -تأتي بمعنى جماعة من الناس: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ} (الأعراف: ١٦٤) .

٢ -تأتي بمعنى الرجل الإمام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ} (النحل: ١٢٠) .

٣ -كلمة "أمة" تأتي بمعنى الدين والطريقة: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} (الزخرف: ٢٢)، يعني على ديانة وطريقة .

٤ -تأتي بمعنى المدة الزمنية زي الموضع هنا: {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} (يوسف: ٤٥).

فهمنا دي؟ دي فائدة جانبية تحمدوا ربنا عليها أننا أتعلمناها خلاص "ادّكر بعد أمة" يعني إيه؟ يعني مدة زمنية بص الكلمة {أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} (يوسف: ٤٥) بس اديني فرصة بس أروح أمخمخ كده وأروق دماغي وهاجي أقول لك كل حاجة بس اديني فرصة هو عايز بس ساعة أروح السجن وأجي ساقي الملك تعالوا نحلل الشخصية .

١- شخصية حقيرة.
٢- وصولي انتهازي مصلحجي
٣- أناني يحب أن يُحمد بما لم يفعل.
٤- ندل ندل جدًا.

والحقيقة أن كل هذه الصفات ليست غريبة على ساقي خمر ماذا تتوقع من ساقي خمر؟ الخمر تلعب في العقول بل تلعب في الفِطَر فالذي يدمن خمرًا يضيع دينه تضيع أخلاقه تضيع مروءته لأن الخمر أم الخبائث بتحول الشخص إلى شخص تاني خالص كذلك تفعل المخدرات بالناس تجعل الشخص أخلاقه تمامًا تتغير بعد فترة فطبيعي يبقى كده.

ينقلنا إلى قوله تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} (النور: ٢٦). يعني إيه الخبيثات؟ يعني الأعمال الخبيثة يُهدى لها الناس الخبيثة طبيعي {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ} (الإسراء: ٨٤).

ونفس الفكرة الطيبات للطيبين عايز تعرف أنت طيب ولا خبيث؟ انظر إلى أي شيء يهديك الله إذا وجدت أن ربنا ييسر لك المعصية ويصرف عنك الطاعة فأنت قد تكون خبيثًا إذا وجدت أن ربنا ييسر لك الطاعة ويفتح لك أبوابها في نفس الوقت أبواب المعصية بتتقفل عليك فهذه علامة جيدة أنك طيب.

"فَاعْرِفْ قَدْرَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا يُهْدِيكَ إِلَيْهِ".

»»والقاعدة تقول: "إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَقَامَكَ فَانْظُرْ أَيْنَ أَقَامَكَ ."

فالرجل ذهبت مروءته وذهبت رجولته وذهب إنصافه وعدله بل نصرة المظلوم ضاعت من قاموسه والعجيب أنه ما زال يراهن على صدقية يوسف عليه السلام. وهو قاعد معه في السجن مدة ومتأكد أنه لو راح له هيقول له عجيب والله عجيب ثقته في إحسان يوسف عليه السلام رغم السنين دي كلها متأكد أنه لو راح وقال له هيجاوبه أقصى ما عنده هو حتى لما دخل لم يعتذر أنت عارف لو واحد داخل حتى في موقف زي ده على الأقل يعني خلي عندك دم يعني تتكسف على دمك! على الأقل تعتذر والله نسيتك والله بص أوعدك هقول للملك أنا معلش حصل ظروف ما أعرفش إزاي نسيتك أنا جاي والله فافتكرتك في موضوع كده فقلت أقول لك سامحني أنا ولا أي حاجة.!!

لم يزد على أن وصف يوسف بالصديق لأن ده اللي بيراهن عليه {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا} (يوسف: ٤٦) بس ما قالش كلمة زيادة لا اعتذار ولا تبرير ولا أي حاجة هو يعلم أن هذه الكلمة ستفتح في يوسف عليه السلام باب الإحسان وهو ده اللي هو متوقعه من يوسف عليه السلام عجيب والله نفسية يوسف عليه السلام كيف لم يعاتب؟ ما هذه النفوس يعني؟!

الواحد في حالة انبهار بيوسف عليه السلام ما هذه النفوس؟ كيف لم يعاتبه؟ يعني ما عاتبوش ما قالوش كلمة جاوبه على طول بالإحسان بس هديكم مبرر برضوا للموضوع ده دلوقتي {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} (يوسف: ٤٦) كان يعني أثنى عليه بس قال: {أَفْتِنَا} بيقول له إيه؟ خد بالك بقى من كلامه. "أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ" (يوسف: ٤٦) ما قالش افتي الملك هو ما قالوش الرؤيا دي مين اللي شافها ليه؟ لأنه خايف لو قال له مين اللي شافها هيشترط عليه تاني يقول له لا مش هقول لك تروح له بقى وتطلعني وبعد كده أنا اللي هقول له بنفسي فتضيع على ساقي الملك الفرصة الذهبية

أنه يستأثر بالملك أو يأخذ منه جائزة أو يرتفع عنده عشان كده قاله {أَفْتِنَا} (يوسف: ٤٦).

في ناس كده شافوا الرؤيا دي قاله: "ارجع إلى الناس" ، الناس ما قالش هيرجع لمين انتهازي وصولي لم يعتذر لم يقدم وعدًا جديدًا لم يخبر حتى من رأى الرؤيا لم يراعِ حق الصحبة ولا إحسان يوسف له!! سبحان الله أراد الله أن لا يكون لأحد منه على يوسف عليه السلام.

و يكون هو الوحيد المنتصر يوسف عليه السلام: "أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ" (يوسف: ٤٦).

»»الفـوائد:

١ -فائدة: قول أصحاب الملك "لا ندري" أنقذ البلاد فحين تقول "لا أدري" في مسألة لا تدريها بالفعل أنت تسدي خدمة عظيمة لما أقول لك "ما أعرفش" أنا هضطرك تسأل حد تاني فهتوصل للخبير في النهاية وتاخد الإجابة الصحيحة لكن اللي جاوبك وأفتاك بلا علم أوقف البحث عنده وبالتالي حرمك من الإجابة الصحيحة {فلا أدري" هدية بتقدمها للسائل عشان يصل للحل الصحيح.

٢ -فائدة: ستتغير نظرة الناس إليك حين يحتاجون إليك يوسف: "يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُ" (يوسف: ٤٦) ستجد الثناء والمديح والألقاب بمجرد ما الناس يحتاجوا لك هتلاقي الكلام بقى إيه؟ طويل العمر يطول عمره ويزهز عصره فلا تغتر بألقاب أسداها لك من يحتاج إليك.

تعالوا بقى نفكر هو يوسف عليه السلام ليه جاوب بسرعة؟ هقول لكم ليه وليه ما عاتبوش ولا أي حاجة؟

الإجابة: طبعا فضلًا عن إحسان يوسف المعروف لكن هنا أمر زائد يوسف عليه السلام لما سمع الرؤيا أدرك خطورة الموقف واستنتج لوحده من غير ما يقول إن الذي رأى هذه الرؤيا شخص عظيم لأنها متعلقة بمستقبل البلاد الاقتصادي لا يمكن يرى هذه الرؤية دي شخص على جنب أكيد اللي شاف الرؤية دي حد عظيم في الدولة إما الملك أو وزير مش هتقل عن كده وغالبا الملك لأن دي رؤية متعلقة بمصير اقتصادي لدول فأكيد اللي شافها عظيم بدليل ساقي الملك ملهوف ما هو يوسف عليه السلام عنده فراسة برضوا يعني إنت ملهوف ليه على تعبير الرؤية دي؟ ما أكيد في

مصلحة لا أنت بعتني أصلا يعني أنت أصلا شخص مصلحجي من زمان فطبيعي إن أنا متوقع إن فيه وراك حد مهم قوي عايز يعرف.

برضوا مش دي المشكلة.

»» المشكلة بقى أن تفسير الرؤيا مخيف. يتعلق بمصير ملايين البشر فأدرك يوسف مدى أهمية أن التفسير يوصل صح ويوصل بسرعة وما فيش احتمال لأي حاجة تانية وبالتالي يوسف عليه السلام نسي كل حاجة وكان حريص جدا يقول لك التفسير كله بتفاصيله بالنصيحة وبزيادة زي ما هنشوف عشان أرجع بسرعة أرجوك للناس اللي أنا قلته لك ما فيش وقت أعاتبك ما فيش وقت نتكلم في أي حاجة أنا عارف إنها جاية لك من الملك ما فيش وقت أشترط على الملك ولا هشترط على حد ما هو بيروح ينسى أنا خايف لو مشي ما يرجعليش تاني ما هو ده بينسى ولو اشترطت على الملك ممكن يروح للملك فيقول له مش عايز الرؤيا ممكن لو عاتبته يزعل مني ويروح ماشي فما يرجعليش ما فيش احتمال إنقاذ ملايين البشر في الكلمة اللي أنا هقولها دي حتى لو أنا فضلت في السجن طول حياتي مش مهم المهم الناس.

يوسف عليه السلام بيقدم نموذجًا للمصلح مين المصلح يا جماعة؟

المصلح: هو الذي لو تعارضت مصلحته الشخصية مع مصلحة الناس يقدم مصلحة الناس ولو حصل له هو نفسه ضرر لأنه يقدم المصلحة الكبرى عن المصلحة الصغرى نفوس الأنبياء نفوس المصلحين لما بيحصل تعارض بين مصلحتي الشخصية أو مصلحة يعني فئة أنتمي ليها مع مصلحة عامة فلابد من تقديم الصالح العام وتحمل مفاسد شخصية أو فئوية لكن مقابل مصالح ضخمة للبلاد والعباد في النهاية السورة فيها ظلم بس الظلم اللي واقع ده أهون بكتير من اللي ممكن يحصل لو أنا أصريت إني مش هراعي المصلحة العامة حتى يزول الظلم اللي علي فيترتب على كده مفسدة ضخمة لا الظلم اللي عليك اتزال ولا المصلحة العامة خلصت ولا حصلت ويحصل دمار لكل شيء.

يوسف عليه السلام لو ما كانش قال الكلام ده ما كانش الظلم اللي عليه حيُزال كان الناس هتموت وهيفضل الظلم عليه هو هو يفكر بعقلية المصلح عقلية الأنبياء لما الدنيا تتأزم والبلاد تتأزم وخلاص ما فيش حل هتتظلم أنت وتنجو البلاد ولا هتصر والدنيا تضيع خلاص اختيار واضح بالنسبة له تقديم الصالح العام على الصالح الخاص ولو يترتب عليه ظلم لي أنا نفسي درس خطير تفهم منه حاجات كتير.

أدرك الكارثة الرؤية دي لو ما وصلتش دلوقتي كارثة قال له بسرعة احفظ معي سبع سنين اللي جايين هتزرعوا وقل اللي وراك وأنا عارف إن وراك حد تزرعوا سبع سنين وما يغركمش إن الزرع كتير ما يغركمش الإنتاج ضخم اللي يطلع منه شيلوه وكلوا على القد بالضبط كلوا على القد بالضبط وكلوا قليل واللي تشيلوه شيلوه في سنبله عشان السنبلة لما تشيلوه في سنبله يبقى فيه حماية لها فممكن الحبة تعيش مدة طويلة عشان إحنا هنحتاجه سبع سنين تانيين قال: {إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ}(يوسف: ٤٨) يعني إلا قليلا مما تأكلون وكلوا أكل قليل ما يغركمش كثرة المحصول.

{ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ} (يوسف: ٤٨).

يعني ممكن يفضل حبة قليلة قوي تبقى باقية لو أنتم عرفتم تدخروا كويس وبعد كده قال له: {ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} (سورة يوسف: ٤٩).

الثالثة دي مكنتش أصلاً في الرؤية دي جت منين؟ الثالثة دي جت بوحي من الله دعم ليوسف عليه السلام عشان يبشر الناس أن بعد السبعة دول السنة اللي بعديهم هتنزل المطر ونهر النيل هيفيض والدنيا هتبقى جميلة عام فيه يُغاثُ الناس الناس تشعر بالغوث من الله وفيه يعني من كتر الماء هيطلع عنب وهتعملوا عصير والزيتون هينبت وهتعملوا زيت زيتون وتعصروا والبعض قال يعصرون يعني يحلبون لأن طبعاً البهايم هتأكل كويس فيه هتحلب كويس فالبعض قال يعصرون يعني: يحلبون فكله في نفس الفكرة لاحظ هنا كرم يوسف عليه السلام كرمه إنه مش بس ده هو كان تعبير الرؤيا أقل من كده بكتير المفروض تعبير الرؤية إن في سبع سنين حلوة وبعدها سبع سنين صعبة بس هو ده تعبير الرؤية ده اللي عندي

»» لكن هو قال له:

١- تعبير رؤية.

٢- النصيحة.

٣- الحل الاقتصادي.

٤- وحذره من حاجات معينة ما تعملوهاش.

٥-وزود له كمان {عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ}

فعطاه تعبير الرؤية وحل الأزمة الاقتصادية بحتة زيادة ما كانش واحد يحلم بها أصلاً وهو عارف أن كل ده هينسبه لنفسه في الآخر ما عنديش مشكلة أفضل في السجن وهو ينسبها لنفسه بس ينجو الناس.. ينجو الناس.

جماعة من أعجب الأحاديث اللي قرأتها في حياتي النبي ﷺ بيقول في الحديث الصحيح: "لقد عجبتُ من يوسفَ عليه السلام وصبرِه وكرمِه والله يغفر له حين سُئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترط أن يخرجوني ولقد عجبتُ من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول الرسول لما قال له ارجع قال له الملك عايزك قال: ولو كنت مكانه لبادرت إلى الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر"

طبعاً النبي ﷺ بيقول الكلام ده تواضعاً يعني وإلا فهو أفضل يعني لو كان مكان يوسف عليه السلام هيعمل زيه يعني بس هو بيقول تواضعاً بيقول: أنا مش متخيل هو يعني إزاي قدر يعني يتحمل أن هو يدي له التفسير من غير ما يشترط على أي حاجة ولما جاله الراجل قال له: يلا اطلع قال له: لا مش هطلع بيقول بتعجب من يوسف وصبره ده كان من تواضع يعني النبي ﷺ.

الشفقة في قلوب الأنبياء والرحمة بالناس هي من أسباب حب الله لهم النبي ﷺ لما اتقال له اتنزل عليه ملك الجبال بعد حادثة الطائف قال: لو شئتُ لأطبقتُ عليهم الأخشبين (الجبلين العظيمين) قال: لا وتحمل الظلم اللي على نفسه وتحمل الأذية اللي على نفسه لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله.

لما جت له فرصة ينتقم من الناس بعد فتح مكة قالوا: ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريم. قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" سامحهم وتجاوز عن كل الظلم اللي حصل عليه للمصلحة العامة.

والعجب بقى المصلحين يا جماعة مش بيحرصوا على هم الناس اللي عايشة بيحرصوا على هم الناس اللي جاية في المستقبل اللي هيجوا في المستقبل سيدنا موسى لما النبي اتفرض عليه خمسين صلاة خايف على الناس في المستقبل قالوا: ما هو ممكن لو الصحابة نفسهم يعني عملوا اللي بعديهم مش هيقدر فده فضل ينزل لغاية ما وصل خمس صلوات خوف الأنبياء مش على الجيل الحالي خوف الأنبياء بيبقى على الأجيال كمان.

العجيب بقى إن الراجل ده رجع قال للملك التعبير زي ما هو وما خدش باله إنه قال الثالثة دي: {ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} (يوسف: ٤٩) اللي

فتحت مع الملك شك طب حتى لو انت فسرت الرؤية إيه دي؟ جبتها منين؟ ههههه فهو يا عيني مغفل ما خدش باله إنه وقع تمام ولعل ربنا أوحى ليوسف عليه السلام الثالثة دي عشان تكون خيط شوف اللطف الخيط اللي هيخلي الملك يشك في الساقي.

»» فوائد سريعة:

١- لا تغتر بكثرة دخلك فتسرف فإنك لا تدري ماذا يحدث غدًا حاول أن تقدر ما تستطيع .

٢ -اتفق جميع الأثرياء على نصيحة واحدة ادخر كل ما تقدر على ادخاره ثم استثمر في الأزمات الحل بسيط ضاعف الإنتاج قلل الاستهلاك أي دولة عندها أزمة اقتصادية لو ما مشيتش في المسارين دول ضاعف الإنتاج تزرعون سبع سنين إيه؟ {دَأَبًا} (يوسف: ٤٧) لا شد حيلك ضاعف الإنتاج قلل الاستهلاك {قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ} (يوسف: ٤٧.)

٣ -فائدة أخيرة كانوا سبع شداد ولكن كانوا رحمة بيوسف عليه السلام فرب ضارة نافعة {عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ.}

٤ -الفرج يأتي بعد الشدة .

٥-{ يُغَاثُ النَّاسُ} هذا غوث الله لمن لا يعبده فكيف يغوث الله لمن يرجوه ويدعوه ويتوسل إليه.

بس كده احنا كده خلصنا النهارده الفوائد وإن شاء الله تكونوا استمتعتم بالدرس. ونكمل إن شاء الله المرة القادمة.

المحاضرة الثامنة

وانتصر يوسف عليه السلام - من السجن إلى القصر

بسم الله والحمد لله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد اللقاء الثامن من لقاءات هذه السورة الطيبة المباركة سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

المرة الماضية تكلمنا في ما حصل ليوسف عليه السلام بعد ما نسيه هذه الشخصية الوصولية الدنيئة شخصية ساقي الملك ودرسناه المرة اللي فاتت الحقيقة شخصية مستفزة جدًا شخصية بغيضة تدل على قبح الشخص لما يكون مدمنًا للخمر أو ساقي الخمر وأثر الوظائف على الأخلاق.

رغم قبح هذه الشخصية ورغم انعدام الإحسان فيها إلا أن ذلك قُوبل من يوسف عليه السلام بالإحسان بل بكمال الإحسان فلم يعاتبه لأنه نسيه بل قدم له تفسير الرؤيا وزاده في ذلك النصيحة بل وزاد على التفسير شيئًا أوحي إليه: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾.

تكلمنا المرة اللي فاتت عن مسألة خطيرة جدًا وهي أن من أسباب إن يوسف عليه السلام سارع في تقديم التفسير دون عتاب للفتى هو إدراكه لخطورة ما يسمع وأدرك أن الموضوع رهيب ولا يحتمل التأجيل ولا يحتمل أن يكون فيه فرصة ثانية لازم الرؤية تصل الآن وتفسيرها يصل الآن حالًا وإلا ستكون هناك كارثة بكل المقاييس ملايين الناس ستموت، لو... لو ما سأقوله لم يصل.

فلم يفكر في أي شيء لم يفكر في مصلحته لم يفكر في الظلم الذي وقع عليه بل على الفور انتقل إلى الإحسان وإنقاذ العامة وتقديم مصلحتهم على مصلحته الخاصة.

تعلمنا من يوسف عليه السلام الموازنات دلوقتي عنده احتمالان:

- ممكن يطلب الأول مصلحته الشخصية وأن ينجو أولًا ويخرج أولًا من السجن، وبعد ذلك يخبرهم بتفسير الرؤيا. لكن... لو ضغط في هذا الباب هناك احتمال أن يرفضوا احتمال أن يقولوا له: "طب خلاص، مش عايزين نعرف منك حاجة" وما حدش يأتي إليه مرة أخرى ولن يستطيع الخروج إليهم فذلك احتمال صعب جدًا لو حصل.
- الاحتمال الثاني أن يقدم الخدمة مجانًا رغم أنه سيتحمل الظلم الواقع عليه وسيستمر الظلم عليه كما يريد الله فورا يوسف عليه السلام بموازنة سريعة أدرك أنه لو أخبرهم بتفسير الرؤيا حتى لو استمر الظلم عليه فهذا أهون بكثير جدًا من أن يُصر على أخذ حقه كاملًا.

وهذه مسألة مهمة دائمًا نقول قاعدة: أن المصلحين لا يسعون للانتقام

أو... خليني أقول أولًا كلمة مهمة: يوسف عليه السلام، لو كان أحد غيره مكانه، حتى لو أدرك تفسير الرؤيا كان ممكن يقول: "ما المشكلة؟ يجوعوا أو يموتوا أنا كده كده مظلوم هم الذين ظلموني هم الذين وضعوني في السجن فليذهبوا إلى الهلاك أليس كذلك؟ ليحترقوا جميعًا ليموتوا ليجوعوا يستحقون ما سيحصل لهم."

لكن هذه ليست نفسية الأنبياء لا يميلون للانتقام ولا يميلون إلى تصفية الحسابات طالما أن الأذى الذي وقع عليهم هو أذى شخصي فعادةً الأنبياء يتجاوزون ويعفون ويقدمون مصلحة الناس كما قلنا النبي ﷺ عُرض عليه بعد حادثة الطائف أن يُطبق عليهم الأخشبين فرفض، وقال: "لعلَّ اللهَ أنْ يُخْرِجَ مِن أصْلابِهِم مَن يُوحِّدُ اللهَ تَعالى."

»» هذه مسألة أريد أن أركز عليها لأن بعض الناس لديه هذه النفسية نفسية الانتقام بمجرد أن يتعرض مثلًا للظلم في بلده أو في أي موقف يصبح ناقمًا على كل شيء وعنده رغبة في الانتقام.

لكن للأسف حتى لو انتقم ممن هل ينتقم ظلمه؟ لا بل يبدأ في اتخاذ إجراءات لكنه في الحقيقة لا ينتقم ممن ظلمه في النهاية بل ينتقم من شخص مثله أو من شخص لا علاقة له بالظلم الذي وقع عليه.

ثم يبدأ مثلًا بالقول: "خلاص هذه البلد لا تستحق شيئًا سنفسد فيها سنخرب سنسرق الكهرباء لن نعمل بجد لا هم لا يستحقون أن نعمل في هذه البلد" ثم يظلم الناس ويفتري عليهم بدعوى أنه يريد أن ينتقم والسلام.

طيب ردود الأفعال المتتابعة هذه... أو مثلًا دعوة إلى تخريب اقتصاد البلد أو دعوة إلى وقف العمل أو دعوة إلى عمل بعض أشكال الفساد تمام... هذا الفساد أو هذا التخريب أو الحملات لهدم الاقتصاد من الذي سيتضرر في النهاية؟ ليس الظالم الظالم لن يتضرر إنما سيتضرر مظلوم مثلك.

يعني يوسف عليه السلام الآن، لو قال: "خلاص يستحقون ما سيحصل لهم وأنا سأنتقم منهم" هل هو انتقم ممن ظلمه؟ لا لم ينتقم ممن ظلمه لأن لو حصلت مجاعة فعلًا ولو جاءت سبع سنين شداد الملوك والوزراء وأصحاب السلطة سيأخذون الغلّة لأنفسهم وسيحتفظون بها لأنفسهم ومن سيموت هم الشعوب في النهاية.

»» في النهاية أنت لم تنتقم من الظالم بل انتقمت من شخص آخر مظلوم مثلك وفي النهاية الذي أردت أن تعاقبه لم يُعاقب بل ازداد ظلمه وطغيانه وازداد شره وعندما يشعر أن هناك مؤامرة عليه قد يزداد في الشر ويزداد في الضغط على المظلومين أكثر وأكثر.

»» لذلك لازم يا جماعة أن نستوعب أن المسألة ليست بهذه البساطة ولابد أن نفكر قبل أن نتخذ أي رد فعل أو أي إجراء: من الذي سيتأذى بهذا الإجراء؟

لو أخذت الإجراء الذي ستتخذه سيتأذى به الشخص العادي الذي هو في النهاية مقهور ومظلوم مثلك فلا شك أن هذا تصرف غير سديد وبالتالي المصلحون يقدمون المصلحة العامة ولو تحملوا من أجل ذلك الظلم الخاص خاصة مع إدراكهم أن التصرفات التي لن تُعيد لهم حقهم أو لن تؤدي إلى انتقام مباشر ممن ظلمهم وإنما ستؤدي إلى مفسدة ضخمة بلا أي فائدة تعود عليه هو بل قد يزداد الظلم الذي يقع عليه بعد ذلك.

فيوسف عليه السلام كان يفكر بعقلية متزنة عقلية سوية نعم هناك ظلم واقع صحيح وفي النهاية الظلم الذي وقع عليه احتمال كبير ألا يزول صحيح لكن ما الذي في يدي لأفعله؟! في يدي أن أخفف الضرر عن غيري أن أساعد العامة أن أنشر الخير تمام؟

وفي نفس الوقت لو فكرت في الانتقام فإن الانتقام لن يكون موجَّهًا إلى الظالم نفسه وإنما في الحقيقة سيوزع على مزيد من المظلومين.

فالأنبياء يفكرون بعقلية متزنة بل هناك ما هو أسوأ من ذلك هل تعلم؟ قد يكون هناك شخص أراد أن يُحدث تخريبًا وكان يظن أنه سينتقم ممن ظلمه فكانت النتيجة أنه

أفسد وخلق مشكلة أكبر لكن الأسوأ من هذا هو الشخص الذي يعلم يقينًا أن ما يفعله سيتسبب في إفساد حياة الناس ومع ذلك فهو مستعد لذلك! وهؤلاء هم أصحاب " المعادلة الصفرية "

يعني ماذا تعني المعادلة الصفرية؟

يعني الشخص الذي يقول: "أنا ومن بعدي الطوفان" أو كما نقول في مصر: "يا نعيش عيشة فل، يا نموت إحنا الكل."!

تخيل هذا التفكير! "يا نعيش عيشة فل، يا نموت إحنا الكل."!

هناك أشخاص يفكرون بهذه الطريقة وهو يعلم أن ما سيفعله سيؤذي الأبرياء لكنه لا يجد مشكلة في ذلك ويقول: "مش مشكلة طالما أنا ظُلمت إذًا الجميع يجب أن يُظلَم طالما أنني لم أستطع أخذ حقي إذًا لن يأخذ أحد حقه طالما أنني تأذيت ولم يُنصفني أحد إذًا كلهم يستحقون ما سيحدث لهم."!

»» هذا تفكير سيئ جدًا.

يعني ليت هذا الشخص على الأقل كان مثل الأول الذي كان يتخيل أنه سينتقم من فئة معينة لكنه أخطأ التقدير وانتقم من الجميع لا هذا الشخص يعلم تمامًا أن ما سيفعله سيؤدي إلى انتقام عام يشمل الظالم وغير الظالم ومع ذلك فهو مصرٌّ على المعادلة الصفرية: إما أن أكون أنا أو لا يكون أحد إما أن أنجو أنا أو لا ينجو أحد بعدي !وبالتالي هذه عقلية غير متزنة في أزمنة الفتن وأزمنة اختلاط الأمور نحن بحاجة يا إخواننا إلى عقول متزنة تزن الأمور ولا تندفع وراء العاطفة بل تفكر بموازين دقيقة: ميزان المصالح والمفاسد ميزان العدل.

العدل... حتى لو وقع عليك ظلم تفكر بطريقة عادلة.

»» في النهاية أحيانا فعلًا يصل الإنسان إلى هذه المرحلة ويجد أن أرأف الحلول هو أن يتحمل الظلم الذي وقع عليه ويسأل الله أن يعيد له حقه لأنه لا يجد وسيلة مباشرة لاستعادة حقه والإجراءات التي يفكر في اتخاذها قد تزيد المشكلة أكثر وتخرج المشكلة منه إلى غيره وتزيد العبء على مظلومين لا ذنب لهم.

فأحيانًا يكون الصبر هو الحل الذي يرضي الله سبحانه وتعالى مع السعي ولكن بطريقة أكثر حكمة دون أن ننجرف وراء العواطف فقط.

فالأنبياء كانت هذه طريقتهم في التفكير: التفكير في مصلحة الناس مصلحة الأمة مصلحة الدولة والشعب.

»» في المقابل قد أفكر في الانتقام من هؤلاء لأنهم ظلموني لكن عندما أوازن الأمور أجد أن المصلحة العامة أهم.

لابد أن يتخذ الإنسان قرارًا ولذلك يوسف عليه السلام نفّذ قراره وقدم الخدمة مجانًا بدون أي اشتراط مع توقع أنه سيبقى في السجن ولم تكن لديه مشكلة في ذلك لكن لمصلحة الناس نعم في النهاية استفاد الظلمة من هذه المصلحة تمام؟

الظلمة قد ينتفعون بها لكن ليس مهمًّا ماذا سنفعل؟ قد ينسبون الفضل لأنفسهم أيضًا الفضل الذي قدّمه يوسف عليه السلام لهم لكن مع ذلك ما زالت المصلحة العامة التي ستنفع بها ملايين الناس هي الغالبة على فكر الأنبياء.

وبالتالي القرار كان في هذا الاتجاه.

الإنسان يبهره أخلاق الأنبياء وأفعالهم ويقتدي بهم ويستشعر بأنهم قدوة خاصة في أزمنة الفتن وأزمنة اختلاط الأمور وسيجد أن أفعالهم تساعده في اتخاذ الكثير من القرارات في حياته.

يوسف عليه السلام قدم الخدمة كما رأينا مجانًا.

لكن كما قلنا الملك ليس ساذجًا فمن الطبيعي جدًا أنه أدرك أن ساقي الملك لا يمكن أن يكون هو من قال هذا الكلام ولا يمكن أن يكون هذا الكلام خرج من تفكيره الشخصي خاصةً أن الساقي زاد على الرؤيا قائلًا: ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾.

هذا الجزء أصلًا لم يكن ضمن رؤيا الملك فمن أين أتى به؟

وطبيعي جدًا ومتوقع بدون تفاصيل أن الملك ضغط على الساقي وأمره أن يقول الحقيقة فخاف الساقي طبعًا من الملك لأنه يعرف العاقبة لو فكر في مخالفة أوامر الملك فاضطر إلى الاعتراف بكل شيء.

فسأله الملك عن يوسف: من هو؟ وما قصته؟

فسمع كلامًا أعجبه جدًا ولذلك أرسل الملك على الفور أشخاصًا ليحضروا يوسف عليه السلام.

»» وهنا ستبدأ قصتنا.

سنتلو اليوم بإذن الله تعالى من أول آية خمسين إلى الآية سبعة وخمسين .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ . قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ . ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ . وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ . قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ . وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ . وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف: ٥٠-٥٧].

وقال الملك: ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾.

سبحان الله! أول فائدة هنا أن الله سبحانه وتعالى اختار ليوسف عليه السلام الأكمل والأفضل.

لأنه في البداية كان يريد أن يخرج بشفاعة فَقَدَّرَ الله أن يخرج بطلب من الملك نفسه! الملك هو الذي أرسل في طلبه ولم يخرج بشفاعة أحد فلم يكن لأحدٍ مَنٌّه عليه.

بل الأعجب من ذلك أن الله سبحانه وتعالى ألهمه ووفَّقه إلى أن يرفض هذا الطلب!

لأن خروجه لمجرد أن الملك أمر بذلك قد يبدو كأنه مَنٌّه من الملك عليه هذا ما لم يرده يوسف عليه السلام كأنه يقول لهم: "أنتم تخرجونني وكأنني مذنب وكأنني مجرم لكن بسبب إحساني أخرجتموني؟ لا، لا أريد ذلك."!

كان يريد أن يخرج بلا مَنَّة من أحد عليه بل يكون هو صاحب الفضل هو الذي تحمل الظلم ورغم ذلك أحسن إليهم.

وكما قلنا بعد فترة طويلة في السجن ارتقى يوسف عليه السلام إيمانيًا وكأن السجن كان بمثابة الحاضنة التي احتضنت يوسف وحافظت على قلبه بعد أن تعرض لفتن بيت امرأة العزيز.

أراد الله أن يحمي قلب يوسف عليه السلام فمكث في السجن يتعبد يدعو الله يزهد في الدنيا حتى أصبح قلبه كأنه عند العرش!

والذي قلبه عند العرش يرى كل شيء صغيرًا...

تخيل شخصًا عند العرش كل شيء أمامه يبدو متساويًا: القصر يبدو كالكوخ السجن يبدو كالقصر الدنيا كلها صارت لا تساوي عنده جناح بعوضة! أصبح لا يُبالي بالخروج ولا تشغله الحرية بل الأهم عنده هو أن علاقته بالله تظل ثابتة وزاده الحقيقي هو الأنس بالله فهو لم يخسر شيئًا فمن وجد الله فماذا فقد؟ ومن فقد الله فماذا وجد؟

وجد في السجن العبادة والأنس بالله والبعد عن الفتن وراحة البال.

صحيح أنه كان في مكان ضيق واحتياجاته غير مكتملة لكن ما عوَّضه الله به من السكينة والطمأنينة والإيمان جعله في حالة استغناء عن الخلق.

وكلما اقترب الإنسان من الله ابتعد عن الخلق حتى يصل إلى حالة من الاستغناء التام فلا يرجو شيئًا من أحد وإنما يرجو كل شيء من الله سبحانه وتعالى.

»»هذه هي فائدة الزهد.

يوسف عليه السلام كأنه يقول: ما فائدة الحرية إذا خرجتُ وسمعتي مشوهة ونظرات الاتهام ما زالت تلاحقني؟ ما فائدة الحرية إذا كانت نظرات الناس لي مليئة بالشك؟

لذلك قال: لا فائدة للخروج وأنا لا أزال متهمًا.

أنا في السجن لكنني أشعر أنني ملك أشعر أنني في حرية إما أن أخرج بريئًا أو فلا داعي للخروج.

»»العجيب أنه عندما عاد الرسول إلى الملك وأخبره بأن يوسف رفض الخروج هنا أصاب الملك حالة من الانبهار! لماذا؟

لأن الملوك عادة لا يتعاملون مع هذه النوعية من الشخصيات المستغنية الشخصيات المتعففة الشخصيات التي تعطي دون أن تطلب شيئًا في المقابل الشخصيات التي تتعامل بالإحسان فقط لوجه الله.

الملوك لا يعرفون هذه الشخصيات ولا يرونها كثيرًا لأن من حولهم دائمًا أصحاب مصالح وكل من حولهم يريد شيئًا في المقابل لا أحد يقدم خدمة مجانية.

فلما رأى الملك هذا النموذج أصابه الانبهار وأراد أن يراه بنفسه أن يكلمه أن يقترب من هذه الشخصية الفريدة.

هو في حدِّ كده في الحياة؟ يعني من قِلَّة الذين يتعاملون بهذه النفسية يظنُّ الملوكُ بعد فترة أنه لا يوجد مثل هذه الشخصيات ويحتاج أن يكلّمه ليَتأكَّد أن هذا حقيقي فلما كلَّمه، قال: {إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤].

وكانت هذه الشخصياتُ شيئًا لا يستطيع تصديقه فلم يكن يصدّق أن هناك شخصًا مثل يوسف عليه السلام بالفعل فحصلت حالة من الانبهار التام عند الملك.

لما كمان رجع الرسول إلى الملك وقال له: إن يوسف عليه السلام يرفض الخروج إلا بشروط، ولم يذكر له الشروط بعد.

أريد أن أقول فائدة خطيرة جدًّا... الملك، وماذا قال الملك؟ {وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ} [يوسف: ٥٠]، صحيح؟

الملك بمجرد سماعه عن يوسف عليه السلام من الساقي فقط عندما قصَّ عليه ما حدث في السجن وما رأى منه من الإحسان اشتاق لرؤية يوسف عليه السلام مع أنه لم يرَ حسنه ولا جماله بعد ولم يعرفه حق المعرفة بعد لم يعرف كل أخلاقه لم يعرف صفاته لم يقترب منه لم يكلّمه ولم يعلم بعدُ أنه رسول! ومع ذلك اشتاق لرؤيته!

فكيف بشوق المؤمنين لرؤية يوسف عليه السلام ونحن نعرفه ونعرف جماله ونعرف أخلاقه وصفاته ونعرف إحسانه ونعرف قدره عند الله!! لا شك أن يكاد الإنسان قد يتمنى الموت فقط لرؤية يوسف عليه السلام ويرجو من الله ألا يحرمه من رؤيته.

والجنة ستكون جميلة عندما نرى يوسف عليه السلام فلا شك أن قلوب المؤمنين تشتاق جدًا لرؤيته فإذا كان ملكٌ قد سمع عنه بعض المعلومات فاشتاق لرؤيته فكيف بمن يعرف عنه كل شيء؟ فيا لشوق المؤمنين إلى لقاء يوسف عليه السلام!

يوسف عليه السلام قام بحركة جميلة جدًّا، فقد قال: {ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ} [يوسف: ٥٠].

هنا أرسل له سؤالًا وهذا السؤال سيُحدِث ضجة ولكن أريدك أن تركز في السؤال الذي أرسله لأنه في غاية الذكاء والحكمة.

»»أولًا لم يقل له: اسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن بل قال: {فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ}، فما الفرق بينهما؟ الفرق أن يوسف عليه السلام يرسل للملك سؤالًا سيجعله في حالة من الدهشة! كأنه يقول له: "هناك نسوةٌ في مملكتك، في يوم من الأيام، قمن بقطع أيديهن وأنت لا تعلم عنهن شيئًا!" وهذه الحادثة لم تصله.

وأيُّ ملك إذا قيل له: "هناك أمرٌ خطير حدث في مملكتك وأنت لا تعرف عنه شيئًا" فإنه سيستفَزُّ للبحث فورًا! كيف لا يعلم بهذا؟! وهذا سيجعله يُجري تحقيقًا واسعًا للوصول إلى أصل القصة: متى وأين ولماذا حدث ذلك؟

»»ثانيًا اختار يوسف عليه السلام مشهدًا لا يتكرر فلو تكلم عن المراودة فقد يكون الملك على علم بأن النسوة أخلاقهن ليست تمامًا وقد تتكرر مثل هذه الأمور لكن يوسف اختار مشهدًا لا يمكن أن يتكرر بسهولة وهو أن النسوة قطعن أيديهن! فهذا سيجعل الملك يصل إلى الحدث بسرعة ودقة.

»»ثالثًا لم يقل له: "اسأل عن النسوة اللاتي راودن رجلًا عن نفسه" بل اختار مشهد تقطيع الأيدي حتى لا يحرج العزيز فلو قال له: "اسأل عن امرأة العزيز التي راودت فتاها" فقد يستفَزُّ العزيز وربما يحاول قتل يوسف أو تضليل الملك أو الكذب مما قد يضيّع على يوسف عليه السلام فرصة الخروج أو يمنع الملك من معرفة الحقيقة.

»»رابعًا لم يذكر مشهد المراودة حتى لا يجعل الملك يسأل العزيز مباشرة فهو يريد أن يبحث الملك بنفسه دون أن يكون للعزيز أيُّ دور في القصة حتى لا يحصل تشويه للحقيقة.

»»خامسًا ربما لم يذكر المراودة لزيادة العفة فتعفف حتى عن ذكرها بعد أن مضت الأيام وهذا يدل على حكمته وذكائه وأدبه وعفته.

فتأمل هذا السؤال العجيب الذي جمع بين الحكمة، والذكاء، والفطنة، والأدب، والعفة! شيء رهيب جدًّا! السؤال نفسه ليس طبيعيًّا بل يحمل في طياته الكثير من المعاني العميقة.

الملك طبعًا وصله الكلام: "من هؤلاء النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ ومتى حدث هذا؟ وكيف لا أعلم بموضوع كهذا؟"

فماذا فعل الملك؟ بدأ في إجراء التحريات وطبعًا الملوك لديهم أدوات ضخمة جدًّا لمعرفة المعلومات فمن المؤكد أن هذا الملك لم يكن شخصًا عاديًّا بل كان شخصية عسكرية استخباراتية يتمتع بذكاء كبير ولذلك لم يستهلك وقتًا طويلًا ليعرف الحقيقة ويصل إلى المعلومة.

الملك بكل بساطة جمع المعلومات واستطاع الوصول إلى الخبر بسرية تامة وعرف ما حدث من أوله إلى آخره دون أن تعلم النسوة أو امرأة العزيز أو حتى العزيز نفسه! كل المعلومات وصلت إلى الملك عبر جهاز مخابراته.

ثم قام الملك بجمع النسوة واحدة تلو الأخرى حتى عرف كل من حضر المشهد وبعد أن جمعهن ومن بينهن امرأة العزيز سأل قائلًا: {مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ} [يوسف: ٥٠] ثم قال: { إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ } [يوسف: ٥٠].

هنا { رَبِّي } تعني رب العالمين أي أن يوسف عليه السلام يقول: "إن لم يستطع الملك الوصول إلى الحقيقة فحسبي الله ونعم الوكيل، لأن ربي عليم بكيدهن".

والآن انتقلت الصورة إلى موضع آخر حيث قال الملك مباشرةً: {مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ} [يوسف: ٥١].

لاحظ أن الملك لم يسألهن: "ما بالكن إذ قطعن أيديكن؟" بل تجاوز هذا الأمر تمامًا وانتقل إلى صلب القضية مباشرة لماذا؟ لأنه كان قد عرف كل شيء ولم يكن بحاجة إلى الاستعلام بل كان كلامه تقريرًا لحقيقة ما جرى.

الملك لم يكن يسأل ليعرف بل كان يُقرِّر الواقع! فهو يعرف القصة كاملة ولكنه يريد أن يسمع الاعتراف بألسنتهن لماذا؟

لأن الملك بعدما جمع المعلومات غلب على ظنه أن يوسف عليه السلام بريء لكنه لا يمكنه الحكم في قضية بدون دليل واضح خاصةً وأن هذه المسألة مضى عليها سنوات طويلة ولم يعد هناك دليل مادي ملموس فلم يبقَ أمامه سوى دليل الشهادة والاعتراف.

إذن كيف يحصل الملك على هذا الاعتراف؟ هنا استخدم أسلوب الضغط النفسي حيث جمع النسوة أمامه وقال لهن: "أنا أعلم كل شيء وكل الأخبار وصلتني ومن سيكذب سأكتشف كذبه" وهنا وقع الجميع في مأزق إذ لم يكن أحد يعلم إلى أي مدى وصلت معرفة الملك فخافوا من الكذب واضطروا إلى الاعتراف بالحقيقة.

الضغط كان شديدًا خصوصًا على امرأة العزيز فلم يكن هناك مجال سوى الاعتراف الصريح وبالفعل بمجرد أن واجههم الملك بالسؤال المباشر انهاروا وقالوا: {حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ} [يوسف: ٥١].

يا سبحان الله! لقد اعترفوا فورًا ليس فقط بأن يوسف عليه السلام لم يراود امرأة العزيز بل بأنه بريء من أي ذنب على الإطلاق! لم يقولوا فقط إنه لم يراود امرأة العزيز بل نفوا عنه أي سوء مهما كان صغيرًا وهو دليل على عصمة الأنبياء حتى قبل بعثتهم.

يوسف عليه السلام لم يرتكب أي ذنب في حياته.

الملك كان يستمع بانبهار فقد كان أقصى ما يحلم به أن يسمع منهم أن يوسف عليه السلام لم يرتكب الفاحشة أو أنه لم يراود امرأة العزيز أو أنه كان محترمًا في هذا الجانب لكنه تفاجأ بأنهم يعترفون بأن يوسف عليه السلام لم يخطئ في حياته أصلًا! {مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ} [يوسف: ٥١].

وهنا تأتي رسالة مهمة جدًّا: "احرص على سمعتك، فإن هذه السمعة ستدافع عنك يومًا ما."

فكلما علا شأن الإنسان زادت مسؤوليته تجاه سمعته وعليه أن يكون أكثر حرصًا في هذا الباب لذلك ينبغي على الشخصيات العامة والمؤثرين وخاصةً الدعاة والعلماء أن يكون لديهم حساسية شديدة تجاه هذا الأمر.

يجب أن تحترس كل شخصية عامة وكل امرأة مؤثرة لأن هناك بابين خطيرين يمكن أن يضيعوا سمعة أي شخص

- باب العلاقة بالجنس الآخر.
- باب التعامل مع الأموال.

فالناس لديهم شغف بنشر الأخبار المثيرة وأي إشاعة في هذه الأمور تنتشر كالنار في الهشيم ولهذا عندما أراد المنافقون هدم دعوة النبي ﷺ اتهموه في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها وبمجرد انتشار الإشاعة أصبحت حديث الناس.

إذا اتُّهم داعية بأنه محتال في الأموال أو نصّاب فإن سمعته تنهار وإذا اتُّهم بأنه متساهل في علاقاته مع النساء فإن كل ما بناه يضيع أيضًا لذلك يجب أن يكون الإنسان حازمًا في هذين البابين إذا أراد الحفاظ على سمعته وهذه النصيحة ليست فقط للكبار والمؤثرين بل لكل الشباب والفتيات لأن هذين البابين أخطر ما قد يضر بسمعتهم.

»» ذكاء الملك في التعامل مع امرأة العزيز

الملك لم يواجه امرأة العزيز مباشرة رغم أنها المتهمة الأصلية لماذا؟ لأنه رجل سياسي بارع فهي زوجة وزيره وبالتالي يجب أن يكون حديثه محسوبًا حتى لا يسبب إحراجًا شديدًا لكنه في الوقت نفسه كان قادرًا على دفعها للاعتراف دون أن يوجه لها اتهامًا صريحًا.

الملك لعبها بذكاء شديد بعد أن اعترفت النسوة أدركت امرأة العزيز أن الجميع قد شهد عليها ولم يبقَ سوى أن يعترف أحدهم نيابة عنها فهل تنتظر أن يتحدث الآخرون أم تعترف بنفسها؟

وهنا لأول مرة نشعر أن امرأة العزيز تتحدث وهي مكسورة ففي المرة السابقة عندما تحدثت مع النسوة قالت بكل فخر وغرور: {فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ} [يوسف: ٣٢] كانت تقولها دون ندم بل وكأنها تتفاخر بما فعلته لكنها هذه المرة شعرت بمرارة الذنب وأدركت مدى الظلم الذي ألحقته بيوسف عليه السلام.

لقد كانت تظن أن القضية انتهت لكنها الآن تُبعث من جديد! بعد سنوات طويلة تجد نفسها مجبرة على الاعتراف أمام الجميع فقالت:

{ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ" [يوسف: ٥١].

تخيلوا الموقف! امرأة العزيز التي كانت تملك القوة والسلطة تضطر الآن إلى الاعتراف أمام الملك وأمام رجال الدولة بأنها هي من راودت يوسف عليه السلام عن نفسه!

لقد وصلت إلى قمة الذل والمهانة فمنذ البداية عندما قالت: {وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ} [يوسف: ٣٢] كنا نعلم أن يوسف هو العزيز وهي الذليلة حتى لو كان في السجن.

والآن، تحقق ذلك تمامًا. يوسف عليه السلام في طريقه إلى العزة، بينما هي في قمة الذل، أمام الجميع، تعترف بأنها حاولت إغواءه!

وهنا نتذكر حديث النبي ﷺ: "وجُعل الذل والصغار على من خالف أمري".

ويقول الله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠].

وكذلك قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر: ١٠].

امرأة العزيز الآن في قمة الذل حيث تعترف أمام الملك وأمام رجال الدولة قائلةً بنفسها: "أنا راودت يوسف عن نفسه." أي عارٍ وأي مهانة وصلت إليها؟!

أي ذل وقع على المرأة بعد الكلمة دي عشان تعرفوا أن الحساب وإن طال الزمان فإن الحساب جاي والعاقبة هتيجي هتيجي.

فاكرين يوسف عليه السلام لما قال لامرأة العزيز: {نَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }؟ فاكرين؟ {نَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }؟ قال لها: عاقبة الزنا خراب عاقبة الزنا فضيحة عاقبة الزنا دمار وها هي تتحقق كلمة يوسف: {نَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } وهي اللي هتقول بنفسها وهي اتعلمتها منه: {أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}

كل خائن كل ظالم كل مقبل على معصية إباحية أو معصية جنسية تأكد أن آخرتها سواد فتب منها الآن.

قالت: { أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ }

هو اللي كان صادق وأنا اللي كنت إيه؟ كذابة {وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}

»»سبحان الله! يعني امرأة العزيز اتذلت حتى يقال لها بعد كده بعد ما يوسف خرج من السجن طبعًا لما خرج من السجن صار هو مكان العزيز تمام؟ حطه الملك مكان العزيز وهو اللي ماسك خزائن الأرض فمرة مر فكانت طبعًا امرأة العزيز ذليلة قيل إنها كانت تقف في الطريق ذليلة بعد ما اتفضحت.

فيُقال إن يوسف عليه السلام مر عليها فقالت: "سبحان من جعل العبيد ملوكًا بطاعته وسبحان من جعل الملوك عبيدًا بمعصيته". تقولها وهي مذلولة: "سبحان من جعل العبيد ملوكًا بطاعته، وسبحان من جعل الملوك عبيدًا بمعصيته."

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران ٢٦] لما الإنسان يشوف المشهد ده يعرف يعني إيه: "اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبي" هكذا يكون القرآن يا جماعة ربيع القلب لما تشوف المشاهد دي ازاي القرآن يكون ربيع القلب؟ بمجرد تلاوة بلا فهم ولا معنى؟ لا إنما يكون بأنك ترى هذه السُّنن ترى هذه المشاهد.

فلو كنت مظلومًا ينفتح في قلبك أبواب رجاء وأمل لو كنت ظالمًا تنفتح لك أبواب الخوف لو كنت حزينًا مهمومًا تنفتح لك أبواب الفرح والرضا لو كنت في أي حالة تجد أن القرآن يجاوبك على طول بهذه الطريقة بهذا الفهم.

بصوا أنتم نفسكم بتقولوا دايمًا بلاقي الكومنت ده: "أنا حاسة إن السورة دي جاية لي أنا" الحمد لله أني سمعت الدرس ده حل لي مشكلة كبيرة جدًا كانت عندي الحمد لله أن ربنا وفقني لسماع الدرس ده أنا كنت في أزمة وكنت حاسس إن دماغي هتطير والدرس ده جاوب لي على كل الأسئلة.

هو ده القرآن يكون ربيع القلب ونور الصدر.

ازاي يا جماعة؟ نرجع تاني فاكرين أول درس؟ قلت لكم إن طريقة القرآن مبهرة في الاستفاضة من مشاهد الخير والاختصار جدًا في مشاهد الشر والابتلاء.

شوفوا لما ربنا اتكلم عن السجن قال إيه؟ {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ } ثلاث أو أربع كلمات بس! وبعد كده تفصيل طويل جدًا من أول "بعد الكلمة دي" لغاية {وَكَذَٰلِكَ

مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ} ، تفاصيل، تفاصيل، تفاصيل، علشان الإنسان يتعلق بتفاصيل الخير وينسى في كلمات يسيرة سنواتٍ من التعب والشقاء.

فهذه طريقة يُزال بها هم المهموم ويذهب كرب المكروب ويحيى الرجاء في القلوب.

شوف قصة فرعون مثلًا، لما ربنا قال عن فرعون:

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص ٤]

خلاص! تعالوا بقى إلى تفاصيل التفاصيل في موسى عليه السلام والخير اللي عمله لما فرعون هلك قال الله تعالى:

{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ} [الشعراء ٥٢]

تفاصيل ماذا حدث بالضبط؟ لغاية ما غرق فرعون فده بيحيي القلب ويجدد الأمل وبيعمل حاجات عظيمة جدًا بتخلي القرآن فعلًا علاجًا لكل مهموم.

قالت {ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}

طيب، خلينا الأول نقول: في خلاف في الجملة دي مين اللي قال: {ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}؟

وباقي الكلام: { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ }

١ -القول الأول وهو طبعًا الراجح: أن اللي قال الكلام ده امرأة العزيز.

٢ -القول الثاني وهو قول أضعف جدًا: أن اللي قاله يوسف عليه السلام.

تمام؟ تعالوا نناقشها لو كان يوسف عليه السلام هو اللي قالها هنقول: ليه مش منطقي يكون هو القائل؟

»»أولًا خلينا نحط قاعدة في التفسير: لما يكون هناك قولان بنحتاج أحيانًا إلى مرجح وفي بعض القواعد في التفسير بيسموها "مرجحات."

يعني إيه مرجحات؟ يعني عند الخلاف هناك قواعد ممكن ترجح قولًا على قول.

في قاعدة بتقول: "الاتصال مقدم على الانفصال." اكتبوها

يعني دلوقتي امرأة العزيز كانت بتتكلم وبعد كده جاء كلام بعدها فإيه الأولى؟

أقول: هذا من كلام امرأة العزيز، ونحن مستمرون مع حديثها، فهل نقول: لا حصل هنا فصل؟ ما سبق كان من كلام امرأة العزيز، وما يأتي بعده هو كلام يوسف عليه السلام، من غير أن يكون هناك في النص كلمة مثل "قال" أو "قال يوسف"؟ لا بل الاتصال مقدم على الانفصال.

هذه أول قاعدة أرجح بها أن الكلام السابق هو من كلام امرأة العزيز.

٢ -القاعدة الثانية أو المسألة الثانية أن امرأة العزيز قالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

فلو كان يوسف عليه السلام هو المتكلم فمن الذي كان سيقصده؟ سيقصد العزيز صحيح؟ كأنه يريد أن يقول: يوسف عليه السلام يقول: ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب.

طيب هل العزيز كان شاكًّا في أن يوسف عليه السلام خانه؟ لا العزيز لم يكن شاكًّا في يوسف عليه السلام أصلاً بل من البداية كان يعلم أن يوسف بريء ومن البداية شهد الشاهد وأثبت براءة يوسف عليه السلام.

وبالتالي ليس منطقيًّا أن يكون يوسف عليه السلام قال هذا الكلام لأنه لم يكن بحاجة لإثبات براءته للعزيز إذ كان العزيز يعلم ذلك منذ زمن ويعلم أخلاقه من قبل فهو الذي ربّاه أصلاً ولم يكن يشك فيه.

وبالتالي ليس منطقياً أن يكون يوسف عليه السلام هو القائل فضلاً عن أن بقية الكلام:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

لا يُتصوَّر أن يقول نبيٌّ عن نفسه إن نفسه تأمره بالسوء كثيرًا فهذا لا يكون عند الأنبياء.

إذن هذا القول ضعيف ولكن القول القوي وهو قول جمهور المفسرين أن هذا من كلام امرأة العزيز

طيب تعالوا نناقشه على هذا الأساس.

قالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

وهي تقصد – والله تعالى أعلم – زوجها العزيز أي تقول: أنا أعترف أن الأمر كان مجرد مراودة فقط ولم يتجاوز ذلك، وليعلم زوجي أنه لم يزد على ذلك، وأن الأمر كان مجرد مراودة ولم نصل إلى المحظور الأكبر.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾.

الآن امرأة العزيز في كلامها وضعت لنا عدة قواعد مهمة:

١ " -إِنَّ اللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ."

٢ " -وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِي."

٣ " -إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ."

٤ " -إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ."

أربع قواعد رائعة تسطرها امرأة العزيز!

لكن قبل أن نذكر هذه القواعد يظهر من مجموع كلام امرأة العزيز أثر دعوة يوسف عليه السلام.

من أين تعلَّمَتْ هذا الكلام؟

كيف عرفت أن {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ }؟ وكيف عرفت أن {إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ}؟

هذا يدل على أن يوسف عليه السلام كان يدعو إلى الله في القصر وفي السجن وفي كل مكان.

لذلك هناك سؤال يطرح نفسه:

- هل كانت امرأة العزيز مسلمة؟
- هل كان العزيز مسلمًا؟
- هل كان الملك مسلمًا؟

الاحتمال وارد لأن الملك لم يُوصف بأنه فرعون في القصة كلها فيُحتمل أنه كان مسلمًا.

ويُحتمل أن بعضهم كانوا مسلمين وبعضهم لم يكونوا كذلك مثلما كان هناك مؤمن آل فرعون في زمن موسى عليه السلام.

قال تعالى في سورة غافر:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾.

أي أن أغلب القوم لم يلتزموا معه ولم يُسلموا بل ظلوا في شك من دعوته.

إذن البعض آمن مع يوسف عليه السلام وكثيرٌ لم يؤمنوا.

لكن من الذي آمن؟ ومن الذي لم يؤمن؟ لا يوجد دليل قاطع عندنا.

لكن حتى الذين لم يؤمنوا من الواضح أنهم كانوا متأثرين بمعلومات وصلتهم من دعوة يوسف عليه السلام مثل الحديث عن الملائكة

والقول {حَاشَ لِلَّهِ! مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} أو {مَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ}

هذا يدل على أنهم سمعوا وتأثروا بدعوته لكن هل أسلموا جميعًا أم لا؟ الله أعلم.

وارد أن الملك كان مسلمًا ووارد أن العزيز كان مسلمًا ووارد أن امرأة العزيز نفسها أسلمت أو أنهم فقط تأثروا بدعوته لكن لم يُسلموا بعد الله أعلم.

لكن الأكيد أن هذا كلام شخص فاهم جدًا كلامه يحمل قواعد قوية!

قاعدة "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ"

هذه قاعدة تنفعك في اتجاهين:

- لو كنت خائنًا فهذه القاعدة تُخيفك.
- لو وقع عليك الخيانة فهذه القاعدة تُطمئنك.

الخيانة نوعان:

١ -خيانة بينك وبين الله.

٢ -خيانة بينك وبين الناس.

النوع الأول من الخيانة: الخيانة بينك وبين الله أن تخون الأمانات التي بينك وبين الله العقيدة أمانة، الصلاة أمانة، الزكاة أمانة، الخشوع أمانة، الصيام أمانة، الدعوة أمانة، كل دي أمانات

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

النوع الثاني من الخيانة: الخيانة بينك وبين الناس تخون العهود، تخون الوعود، الخيانة في العمل، الخيانة في الأمانات العامة، في أموال الناس، سرقة أموال الناس الذي يأخذ الرشاوي تولية من لا يصلح إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.

أنك تخونين أباكِ وتمشين مع شاب في الحرام، أنك تخونين أخاكِ وتكلمين شابًا في الحرام، أنك تخونين التربية التي تربيتِ عليها وتقومين بعلاقات محرمة، أنك تخون خلوتك وتقوم فيها بأفعال إباحية أو عادة سيئة، كل هذه خيانات.

القاعدة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ).

الخائن لا يتحقق مراده، الخائن لا يُبارَك له فيما سعى، الخائن يضل سعيه ويُحبَط عمله.

وهذه بشارة لمن تعرض للخيانة بل هي بشارة لأهل الإيمان لأن أعداءهم خائنون وبالتالي بشارة -إن شاء الله- أن يُحبط عملهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله:

{وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ}

هذه قاعدة عظيمة.

القاعدة الثانية التي وضعتها امرأة العزيز: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي).

{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}

دعونا نقول: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) أولًا فهذه بداية كل خير لاحظوا أن هنا بدأت امرأة العزيز يظهر فيها الخير يعني الموقف هذا يُحمد لها في الحقيقة رغم كل شيء لكنها تُحمد عليه لأنها أخيرًا بدأت البداية الصحيحة.

في البداية لم تكن ترى أنها على خطأ كانت تقول: "أنا راودته عن نفسه، ما المشكلة؟! لا يوجد شيء خاطئ أقوم به الظروف هي السبب والفتنة شديدة."

لكنها قالت في النهاية: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي).

أكبر خطر على الإنسان أن يبرئ نفسه فيعتقد دائمًا أنه مظلوم وضحية وأن الظروف هي التي جعلته كذلك، فيقول: "الفتنة شديدة، الفتاة جميلة، لم أستطع أن أقاوم نفسي، الشاب هو من كلمني أولًا، وأنا أريد الزواج، وأريد الحب، وأهلي لا يمنحونني الحب الكافي، وأبي يعاملني بقسوة، فصرت ضحية."!

كما تصوِّر لنا الأفلام والمسلسلات دائمًا أن مدمن الخمر كان ضحية وتاجر المخدرات ضحية والراقصة ضحية! لكن لا أحد يتحدث عن عدم تبرئة النفس!

أول شيء: لا تبرر لنفسك فقد قيل من قبل: أقبح من الذنب تبرير الذنب.

لا بد أن يفتش الإنسان عن عيوب نفسه نعم هناك ظروف ولكن يوسف -عليه السلام- كان في نفس ظروف امرأة العزيز بل كانت ظروفه أصعب شاب، أعزب، جميل، يحتاج إلى الزواج، لكنه لم يبرر لنفسه ليقع في الخطأ.

إذًا، إن وقعتَ في الخطأ، فليس بسبب الظروف بل لأن نفسك فيها مشكلة.

أول شيء تقوله: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي).

تبرئة النفس وعدم التفتيش عن عيوبها هو أعظم أسباب ضياعها.

اكتبوها جيدًا: "تبرئة النفس وعدم التفتيش عن عيوبها هو أعظم أسباب ضياعها."

ما الذي أضاع إبليس؟ أن نفسه كانت فيها كِبر لكنه كان يبرئها فلم يكن يفتش عن هذا العيب ولم يكن يريد معالجته فانفجر فيه مرة واحدة فأهلكه تمامًا.

لا بد أن يحاسب الإنسان نفسه دائمًا ويراجع أقواله وأفعاله وردود أفعاله فيكتشف العيوب التي لديه، فيقول: "لا أنا عندي كِبر"، "لا أنا لدي عُجب"، "لا أنا فيّ رياء" ثم يبدأ في تصحيح نفسه ومجاهدتها.

يراجع الإنسان نفسه دائمًا يستنتج صفات سيئة يعاتب نفسه يصلحها يجاهدها يزكيها يعالجها يتابع تطورها يطور نفسه يراجعها باستمرار وإلا إن ترك نفسه فستأكله وإن برّأها ستتضخم أمراضه ثم تنفجر فيه فجأة كما حدث مع إبليس.

ثم اعترفت امرأة العزيز وقالت: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ}

قاعدة: النفس هكذا لها ثلاث صفات:

- أنها أمَّارة بالسوء وهذه إحدى صفاتها.
- أنها لوَّامة.
- أنها مطمئنة.

أي صفة هي الغالبة عليها؟ هذا يعتمد عليك أنت وعلى ما تفعله.

- إذا كان الإنسان يطلق العنان لنفسه لا يهذبها لا يجاهدها فالغالب عليها أنها أمَّارة بالسوء.
- إذا كان يجاهد نفسه لكنه لا يبذل جهدًا كبيرًا، يحاول كثيرًا لكنه يخطئ أحيانًا، فالغالب عليها أنها لوَّامة، فأحيانا تآمره بالسوء وبيعمل غلط، وأحيانا تكون مطمئنة فتعمل الصح ببساطة

وغالبًا بيكون بين بين فلا يجد الطاعات سهلة عليه بيجاهد اوي لو عمل الصح ويعاتب نفسه اوي لو عمل غلط.

- أما إذا جاهد نفسه وعمل على تزكيتها فقد تحقق فيه قول الله تعالى:

{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}

حتى صار الغالب مطمئنة يعني إيه مطمئنة؟ يعني تُطيع بسهولة جدًا تمام وتنقاد لي بكل بساطة.

"يلا نصلي... يلا نصلي"

"يلا نصحى الفجر... يلا نصحى الفجر"

"يلا نحفظ قرآن... يلا نحفظ قرآن"

"غُضَّ بصرك... غُضَّ بصرك"

"لا مفيش إباحية لا مفيش مسلسل لا أبطل أغاني"

سهلة سلسة معه في كل شيء هذه هي المطمئنة لا توجد منازعة.

أما اللوامة فتفعل الطاعة ولكن بصعوبة.

أما الأمَّارة بالسوء فلا تفعل الطاعة أصلًا.

أنا أي واحد فيهم؟ أي صفة هي الغالبة عليَّ؟ حسب ما أفعله.

كلما أهملتها قويت النفس الأمَّارة بالسوء وكلما اهتممت بها انتقلت إلى اللوامة ثم إذا اهتممت بها أكثر انتقلت إلى المطمئنة.

بالتحديد النفس مثل الأسد إن تركته على طبيعته فهو مفترس صحيح؟

لو جئت بأسد كبير وأجلسته بجانبي ولم أشده أو أؤدبه أو أهابه ماذا سيفعل؟ سيأكلني صحيح؟

إذًا ماذا يجب أن أفعل؟ أبدأ في تأديبه أُغريه بالخوف والرجاء أطعمه وأكافئه أحيانًا وأضربه بالسوط أحيانًا أتعامل معه بالخوف تارةً وبالرجاء تارةً، تمام؟

أحيانًا أجعله يشعر أني أحبه حتى يبدأ في اللين معي فيسمع الكلام أحيانًا لكنه لا يسمع الكلام أحيانًا أخرى.

في هذه المرحلة ما زال في التدريب.

بعد مجاهدة طويلة جدًا يصل إلى مرحلة يصبح فيها مطمئنًا مثل النفس المطمئنة.

الآن، أقول له: "اقفز"، فيقفز. "اجلس"، فيجلس.

طبيعته الوحشية تغيرت لكن كيف؟ بمجاهدة شديدة جدًا.

وهذه المجاهدة لا يمكن أن تتوقف لا يمكن أن أقول: "خلاص، أصبح يسمع الكلام"، ثم أتوقف عن تدريبه لأنه سيعود فورًا إلى التوحش وسيفترسني مرة أخرى.

كذلك النفس المطمئنة عندما تصل إليها لا تتوقف بل تظل تراقبها حتى تلقى الله.

إن غفلت عنها ستعود بسرعة إلى الأمَّارة بالسوء لأن طبيعتها تميل إليها.

هي بطبيعتها تريد أن تكون أمَّارة بالسوء لأنها تميل إلى الكسل لا تريد العمل تحب الراحة لا تحب التكليفات.

الدنيا مليئة بالشهوات، "حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ."

إذًا النفس وحدها تريد العودة إلى الأمَّارة بالسوء وأنت يجب أن تحافظ عليها.

مثل مثال آخر: كأنك تدفع شيئًا إلى أعلى الجبل يجب أن تستمر في الدفع لأنك إن تركت يدك ستعود فورًا للأسفل.

كلما دفعتها تقدمت وإن وصلت للقمة يجب أن تُثَبِّت نفسك لأن دفعة صغيرة قد تجعلك تتراجع مرة أخرى إلى القاع.

امرأة العزيز، لأنها لم تكن تُجاهد نفسها كانت تعاني من الأمَّارة بالسوء فقالت:

{إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ}

ثم قالت: "إلا ما رحم ربي"، كأنها تقول: "ليس كل الناس هكذا هناك أناس ما شاء الله أنفسهم ليست أمَّارة بالسوء ليس هذا هو الغالب عليهم أنفسهم وصلت إلى اللوَّامة بل إلى المطمئنة".

لكنها تعترف أنها ليست كذلك بل تقول: "أنا ما زلت في البداية".

لكن هناك أناس اللهم بارك وصلوا إلى مرحلة عالية جدًا ونفوسهم أصبحت تطاوعهم على كل شيء، فـ (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي).

وكأنها تضع لنا قاعدة عظيمة، تقول:

"لكي تصل إلى النفس المطمئنة، لن تصل إلا بالله"

لم تقل: "إن النفس أمَّارة بالسوء إلا الذين جاهدوا أنفسهم"، لم تقل ذلك.

بل قالت: (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي).

تعطينا قاعدة: أنت لن تصل للنفس المطمئنة إلا برحمة الله.

لا تعتمد على مجهودك ولا على خطتك ولا على تزكيتك لنفسك ولا على الدروس ولا المحاضرات ولا عبادتك ولا صلاتك ولا تدبرك للقرآن.

في النهاية، والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: ٢١]

وكان النبي ﷺ يدعو ويقول:

"اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليها ومولاها".

وكان ﷺ يقول:

"ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا".

إذًا، من يسلك هذا الطريق، ويجاهد نفسه، لكنه في نفس الوقت يعلم أثناء المجاهدة أنه لا شيء بدون الله وأنه مفتقرٌ إلى الله فقد حقق {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ} ← أنا أحاول وأجاهد نفسي وأؤدبها مثل الأسد تمامًا.

{إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ← يا رب لا أملك شيئًا بدونك لا أعتمد على الوسائل ولا على نفسي ولا على مجهودي.

إذا جمعت بين المجاهدة والاستعانة ستصل فورًا (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) وستستحق الرحمة وتخرج نفسك من الأمَّارة بالسوء حتى يغلب عليها الاطمئنان.

كلام رائع قالته امرأة العزيز الصراحة.

بل النبي ﷺ كان يقول في كل خطبة:

"ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا".

وكأن النفس فيها شرور مثل الأسد متوحش أصلا

فنقول: "يا رب إن تركتني لنفسي ستأكلني لكن بكَ يا رب تحميني من شرها".

أنا أجاهد وأحاول لكن اتكالي عليك يا رب احمِني منها.

فهمتم الفكرة؟

بعد كده قالت القاعدة الأخيرة: "إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ "

الله الله الله! وكأنها تُعلِّق قلبها بأسماء الله وصفاته وهذا هو الذي يفتح باب الرجاء يا جماعة لأي مذنب وأي عاصٍ.

انظر هي ارتكبت معصية كبيرة جدًا ولسنين طويلة ليست مجرد محاولة مراودة فقط بل ظلمت رجلًا وأدخلته السجن ظلمًا.

لكنها تقول: "مهما كان ذنبي تعلمت من يوسف عليه السلام أن ربي غفور رحيم".

وهذا هو أثر أسماء الله وصفاته وأجمل ما في السورة أنها تُعرِّفنا بالله سبحانه وتعالى.

لكن هذه المرة كانت معرفة امرأة العزيز بالله معرفة صحيحة لأنها حينما عرفت أن الله غفور رحيم تابت واستغفرت وندمت.

لأنها في أول القصة عندما قال لها زوجها: "استغفري لذنبك" كان ذلك ليس عن معرفة صحيحة بالله لأنه كان استغفارًا مع إصرار.

كيف يمكن لشخص أن يقول: "ربي غفور رحيم"، ويستغفر بلسانه لكنه في نفس الوقت يصر على المعصية؟!

هذا يشبه شخصًا يقول: "الله هو الرزَّاق"، لكنه لا يذهب للعمل!

كذلك من يستغفر بلسانه لكنه ما زال غارقًا في المعصية فهذا لم يعرف الله حقًّا باسمه الغفور الرحيم.

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: ٨٢]

هذا هو الذي يستحق المغفرة.

»» لذلك هنا وضعت امرأة العزيز يدها على الحقيقة: الآن عرفت ربها بأنه "غفور رحيم" لأنها طبَّقت الاسم عمليًّا وانتقلت إلى الاستغفار الصحيح الذي يشمل:

- ✓ الندم
- ✓ التوبة
- ✓ الإقلاع عن الذنب
- ✓ العزم على عدم العودة

{وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ} [وسف: ٥٣]

» نقطة أخيرة مهمة:

هذه الحالة ليست فقط للناس العاديين بل حتى للدعاة والعلماء وأهل الصلاح بل حتى الصحابة أنفسهم.

عندما حضر عمرو بن العاص الوفاة قال:

"اللهم إنك تعلم أني أحبك وإن كنت أعصيك اللهم إني لست بريئًا فأعتذر ولا جريئًا فأنتصِر ولا حول ولا قوة إلا بك".

من الذي يقول هذا؟ صحابي جليل!

إذن الدعاة والعلماء اليوم من باب أولى أن يعترفوا بذلك ويقولوا: "يا جماعة نحن بشر نخطئ".

إن رأيتمونا نخطئ لا تتركوا الدعوة ولا تربطوا الدين بنا.

»»في النهاية {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} فكل إنسان له زلَّته.

لا تطلبوا منا التوقف عن الدعوة بسبب خطأ فعلناه مره او مرات

"فَلَوْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا مَعْصُومٌ لَمَاتَتِ الدَّعْوَةُ بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ".

الدعاة والعلماء والصحابة أنفسهم كلهم يعترفون بذنوبهم ولكنهم لا يتوقفون عن الدعوة.

المربي يجب أن يُعلِّم أتباعه هذا:

"أنا شيخ وأخطئ أدعوا لي أن يثبتني الله وأن يُلهمني رشدي نحاول أن نعلِّمكم الصواب ونجتهد أن نعمل به فإن قصرنا فلا تتهموا الدعوة بل قولوا: الشيخ أخطأ لكن الدين لا يخطئ".

بعد كل هذا الملك الآن في حالة من الذهول والانبهار! يسمع أشياء جديدة تمامًا عليه وكأنها أساطير.

أصبح لديه شوقٌ هائلٌ لرؤية يوسف لكنه هذه المرة لم يقل فقط: {ائْتُونِي بِهِ}

بل قال: {ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي } [يوسف: ٥٤]

الملك أدرك أنه يتعامل مع شخصٍ لا يُقدَّر بثمن.

ليس مجرد شخص بريء وليس مجرد شخص حكيم بل شيء أعظم بكثير.

حين جاء يوسف وكلمه الملك قال له:

{إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ} [يوسف: ٥٤]

تخيَّل! كل هذا الانبهار قبل أن يراه.

فما بالك عندما رآه بعينه؟!

رأى وجهه النوراني وجماله وسمع حديثه فماذا حدث؟

هنا الملك لم يعد يفكر فقط في إكرامه أو مكافأته.

الملك قرر أن يوسف لن يكون مجرد شخص قريب منه بل سيُعطى منصبًا كبيرًا في الدولة.

{إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}

أي أنك ستكون ذا مكانة وسلطان عظيم وليس مجرد مكرَّم أو ضيف. سبحان الله!

هنا يوسف فهم أن الأمر عرضٌ مباشرٌ عليه.

بعض الناس يسألون: لماذا طلب يوسف المنصب؟

لكن في الحقيقة يوسف لم يطلب المنصب ابتداءً بل الملك كان قد قرر بالفعل أن يُعطيه منصبًا، ثم قال له: "اختر أي منصب تريده".

كدا خلاص يعني الموضوع منتهي إنك اليوم لدينا مكين هتستلم شغلك النهاردة أنت هتبقى حاجة كبيرة قوي في البلد أنت لازم تبقى جنبي اختار لك وزارة.

يوسف عليه السلام طلب بقى طبعًا تفكير بسيط جدًا إيه الوزارة المهمة دلوقتي؟ وزارة المالية إن أنا عايز أنقذ لا أئتمن أحد طبعًا المجتمع مجتمع فاسد وغالبًا أغلب الوزراء فيهم فساد ومين هيؤتمن على أموال الناس؟ في مجاعة ممكن تأكل الأخضر

واليابس ومين هيبقى عنده ديانة أن هو يراعي الناس ويتقي الله ويزهد وما يسرقش رغم الشدة اللي هتحصل؟

واخدين بالنا؟ يوسف عليه السلام طبعًا لقى أن ما فيش حد يتصدر في المسألة دي. عشان كده يوسف عليه السلام صدّر نفسه في المهمة دي، قال:

{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف: ٥٥]

سيدنا يوسف عمل في منظومة فيها فساد يعني هي المنظومة فيها فساد منظومة فيها ظلم لكن هو منصبه لا يعين على الظلم منصبه ليس فيه ظلم ولا إعانة على الظلم إنما نوى بذلك تكثير الخير وتقليل الشر،

أن هو يمنع غيره من الفاسدين أن هو يتصدر في مثل هذا.

وعلى هذا يجوز إن شخص مثلًا ممكن يكون في دولة فيها ظلم أو حكومة فيها ظلم لكن هو اتعرض عليه منصب.

المنصب ده في نفس الحكومة لكن المنصب ده مش هيظلم ولا يعين على ظلم ولا يحكم بغير ما أنزل الله ولكن المنصب ده هيكون فيه إعانة على الخير في تكثير للخير في منع للشر ولو هو رفضه هيجي واحد هيفسد ويعمل حاجات فيها مظالم.

هنا لا بأس إنسان يقبل مثل هذا وعلى هذا يعني يُفهم ليه سيدنا يوسف كان في الحكومة دي رغم أن هي ممكن يكون فيها ظلم ويفهم من ذلك مؤمن آل فرعون نفسه إزاي فضل قاعد جنب فرعون رغم أنه مؤمن بس هو كان بيرجو أن منصبه يساعد على تكثير الخير ويساعد على تقليل الشر.

تمام بل ويُفهم منه سيدنا موسى نفسه إزاي بقي في قصر فرعون رغم علمه بالشر اللي في فرعون لكن هو كان لا يساعد على الظلم بالعكس كان وجوده بيمنع ظلم كتير وبينشر الخير ويقلل الشر.

فطبعًا لقى أن أخطر منصب دلوقتي في السنين الجايه هو المالية قال:

{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف: ٥٥]

هنا يوسف عليه السلام زكّى نفسه، قال: "إني حفيظ عليم"، وده خلاف الأصل، لأن الأصل أن الإنسان لا يزكي نفسه. تمام؟ ربنا قال:

{فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ} [النجم: ٣٢]

والنبي عليه الصلاة والسلام قال: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد."

وربنا سبحانه وتعالى قال:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا} [النساء: ٤٩]

فالأصل أن الإنسان مش بيزكي نفسه ما بيقعدش يقول: أنا جامد أنا بفهم إلا في حالات منها هذه الحالة أن يكون هناك مصلحة راجحة في أن هو يزكي نفسه عليه السلام.

المنصب ده هو شايف أن ما فيش حد هيقوم به ولا يوجد غيره لا يوجد غيره بالفعل يقوم بهذا المنصب وأن أي أحد سيتولى هذا المنصب سيفسد فيه والفساد هيترتب عليه حياة ملايين فكان لابد أولًا أن هو يتصدر فيه.

وشاف أنه لا بأس أن هو يتولى المنصب ده رغم أن المجتمع مش مضبوط قوي أو فيه فساد لكن هو نوى الإصلاح

{إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ} [هود: ٨٨]

طب ما هو فكرة أن أنا اخترت وخلاص مش لازم يبقى في كفاءة؟ فهو أكد على الملك إن أنا مش بطلب المنصب ده عشان بس أنا راجل تقي أنا راجل خبير برضه.

»»تاني ما هي المناصب مش هينفع فيها الأتقياء بس.

ما ينفعش أجيب منصب مثلًا وأعين شيخ وزير مالية عشان هو شيخ! ما ينفعش. ينفع أي واحد مثلًا داعية عشان هو داعية مشهور أخليه وزير صناعة؟ ما ينفعش. إنت بتفهم إيه في الصناعة؟ ما أفهمش حاجة بس أنا راجل صالح! ما ينفعش.

»» فلازم الاتنين مع بعض: الصلاح الديني والتقوى، ولازم الخبرة.

عشان كده المرأة لما زكت سيدنا موسى قالت:

{إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

القوي الأمين فلازم القوي اللي هي الخبرة دي أهم حاجة والأمين اللي هو عنده ديانة.

فتخيل سيدنا يوسف إحنا عرفنا إنك دين بس إنت عندك خبرة؟ فممكن الملك يقلق برضه ماشي أنت راجل طيب وكويس بس الموضوع عاوز خبرة فكان لازم يقول له: إن أنا عندي خبرة برضه أنا خبير في المسألة دي أنا مش بتصدر عشان أنا راجل صالح بس أنا خبير في إدارة الأموال وخبير في إدارة المخازن قال: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف: ٥٥] عندي علم بهذه المسألة وعندي حفظ وعندي ديانة كمان.

فهنا احتاج أن يزكي نفسه علشان في مصلحة من هذه التزكية مش بيزكيها للمفاخرة ولا للمباهاة وإنما لتحقيق هذه المصلحة فإذا وُجدت مصلحة زي دي واحتاج الإنسان أن يزكي نفسه لا بأس.

واحد لقي فيه مريض والناس متجمّعين عليه فقال الكل يوسّع؟ قالوا له: "أنت مين؟" قال لهم: "أنا دكتور كذا وبفهم في كذا ولي خبرة في كذا وسّع يا ابني أنت وهو." هنا هو لا يتفاخر لكنه يريد منهم أن يتركوه لأن هذه وظيفته تمام؟ "سبني دلوقتي".

واحد شغال شغلانه قال له: "أنت بتعمل إيه؟ أنت بتفهم في إيه؟" قال له: "أنا حاصل على شهادات في كذا، ومعي كذا." مثل ذلك الذي يقدّم على وظيفة يعمل سيرة ذاتية (CV)يزكي فيها نفسه بشكل قوي جدًا: "أنا كذا وكذا وكذا وكذا"، ويكتب أمورًا كثيرة جدًا لكن المهم ألا يكذب تمام؟ يُقبل في الوظيفة لأنه كيف سيقبلونه إن لم يخبرهم بما لديه؟ فيذكر شهاداته وكورساته ومواهبه وخبراته لا بأس بذلك لأن هناك حاجة.

لكن الإنسان يزكّي نفسه أمام الناس من باب الفخر أو المباهاة أو بلا أي هدف؟ لا هذا منهي عنه.

فتزكية يوسف لنفسه كانت لا بأس بها بل كانت مشروعة في هذا المقام لأنه سينقذ البلاد فكان يريد أن يبيّن: "أنا بفهم... أنا كويس... أنا الشغلانة دي فاهم فيها".

وطبعًا هو صدّر نفسه كما قلنا في الوزارة دي لأنه رأى أنه لا يوجد أصلًا من يصلح لها إلا هو فيجوز للإنسان أن يصدّر نفسه إذا وجد أنه لا يوجد أحد يصلح إلا هو.

»» مثال: بعض الإخوة يقول لك: "أنا ما بحبش أتصدّر في الإمامة." كويس. فالسؤال: هل هناك إمام جيد؟ أحيانًا يكون الشخص واقفًا في مسجد ولا يوجد أصلًا أحد يصلح للإمامة فيقول الناس له: "تفضل يا شيخ." فيقول: "لا لا، مش عايز." فيتقدّم شخص لا يعرف حتى قراءة الفاتحة! إذًا هو الذي صنع هذه المشكلة.

إذا نظرت حولك ووجدت أن من حولك كبار في السن ولا يجيدون الصلاة بشكل جيد وأنت فاهم وقالوا لك: "تفضل"، فلا تتردد هنا ليس مقام اعتذار لأنه لا يوجد أصلًا غيرك لكن إن كان هناك علماء وطلبة علم ومشايخ يمكنك أن تقول: "لا، لا، أنت أولى، وأنت أولى"، ونتبادل التقديم بين بعضنا.

نفس الأمر مع الفتوى إذا كنت في مسجد وهناك شخص يستفتيك وأنت تعرف الفتوى ولا يوجد غيرك يفهم لماذا لا تجيبه؟ إذا قلت له: "لا، اسأل غيري" فمن أين سيجد غيرك؟

فلابد أن نوازن يا جماعة نوازن بين أنني أزكّي نفسي وأصدّر نفسي وبين أنه لا يوجد غيري أصلًا فأحيانًا تحتاج إلى أن تصدّر نفسك لأن لا أحد غيرك موجود. المهم، فقال: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف: ٥٥]

رأيتم كيف أن هذه النقطة مفيدة جدًا؟ لذلك نقول من الفوائد:

١- وجود المستشارين المخلصين الأتقياء الخبراء حول الحكام هو السبيل لإنقاذ البلاد، وبناء الدول، والنماء.

2- فرق بين أن تسمع عن المرء وأن تسمع منه.

٣- قول يوسف (خزائن الأرض) يدل على أن مصر مليئة بالخيرات ويمكنها أن تصرف على نفسها وعلى غيرها، لكنها تحتاج رجالًا كيوسف عليه السلام.

4- {فَلَمَّا كَلَّمَهُ} [يوسف: ٥٤] الآن تعرف لماذا يحاولون أن يحولوا بين الدعاة وبين الحكام لأنهم علموا أن الدعاة إذا وصلوا إلى الحكام سينبهر بهم الحكام بعقلهم وإخلاصهم للبلاد وصدقهم بل وبخبراتهم لذلك يحاولون أن يبعدوهم عن الحكام.

»»سأخبركم الآن بفائدة غريبة جدًا وأعتقد أنها غير مسبوقة ستتفاجؤون بها خاصة البنات وسأطلب منكم أن تقارنوا بين النسوة وبين الملك.

»»فائدة غريبة:

النسوة قال الله عنهن: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} [يوسف: ٣١]. صح؟ "رأينه" إذًا النسوة تأثرن بيوسف بسبب ماذا؟ شكله! بهرهنّ وجعلهن يفقدن صوابهن.

الملك ما الذي أبهره بيوسف؟ لم يكن شكله! لم يكن شكله بل قال الله تعالى: {فَلَمَّا كَلَّمَهُ} [يوسف: ٥٤]

وهذا يوضح لك الفرق بين نفسية المرأة والرجل.

- المرأة قد تعميها المظاهر والشكليات عن كثير من البواطن والحقائق.
- أما الرجل فإنه لا ينبهر بالمظاهر والشكليات عندما يكون مع الرجل فلا يغترّ أبدًا بالمظاهر ولا تغرّه الشكليات بل يطلب الحقائق.

»» ولذلك جعل الله للمرأة وليًّا رجلًا في الزواج لماذا؟ لحمايتها لأنها قد تخدع بالمظاهر بينما الرجال لا يخدعون بل ينقبون عن الحقائق.

ما رأيكم في هذه الفائدة؟ جديدة أليس كذلك؟ أعتقد أنها غير موجودة في أي مكان آخر.

»»أخيرًا قال تعالى:

{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ} [يوسف: ٥٦]

بهذه الطريقة المبهرة مكّن الله ليوسف في الأرض وأصبح يتبوأ منها حيث يشاء. الله أكبر! طريقة القرآن المبهرة كالعادة في ربط القلوب بالله وبأسمائه وبتدبيره وملكه.

كل ما سبق اختُصر في كلمة واحدة: {وَكَذَٰلِكَ}

بعد ضيق السجن انظر إلى العوض: {يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ}. أصبح له حرية كاملة يتنقل كيفما يشاء. سبحان الله!

ما أجمل العوض! قد يتأخر، لكنه حين يأتي، ستنبهر به.

»»فالإنسان يشهد ملك الله وتدبيره وتصرفه إنه غالب على أمره.

المرأة قالت: {وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } فغلب أمرُ الله أمرَ امرأة العزيز قال: {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ} إذا أراد الله أن يصيبك برحمة فلن يستطيع أحد أن يمنع عنك تلك الرحمة لذلك يتعلق قلبي بالله ممكن ناس تقعد تتكلم عليك وتشوهك ويشتموك ويقعدوا سنين يشوهوا فيك لكن ربنا أراد أن في رحمة تصلك والله لا يمنعها أحد.

{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}

صح الشيخ أبو إسحاق الله يرحمه تعرض لتشويه رهيب طول حياته من كل وسائل الإعلام يوم لما مات شفنا مظاهر الحب من الصغير والكبير ليه؟

{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}

{وَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ.}

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}.

فلذلك ربنا قال:

{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.}

»»يبقى أنا بقول القاعدة: إن ربنا لو أراد بحد رحمة ما حدش هيقدر يمنعها عنك.

فتعامل مع ربنا بس طيب إزاي؟ بالإحسان اللي إحنا دايمًا بنأكد عليه الإحسان بينك وبين الله والإحسان بينك وبين الناس كل ما تحسن في علاقتك مع ربنا وتحسن في علاقتك مع الناس تكون أقرب إلى نزول هذه الرحمة عليك وأسعد الناس بالرحمات حين تنزل ولن يستطيع أحد أن يمنع عنك رحمة الله.

وخد بقى من سورة الرعد الفائدة الثانية :

{وَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ.}

اجمع بقى الآيتين عايز تبقى ؟ عايز تصيبك الرحمات؟ عايز مهما الناس حاولوا يضيعوك ويشوهوا فيك، ما فيش أي أثر؟ حاجتين تعملهم:

" كن محسِنًا، كن نافعًا" ولا تبالي بأحد ما تردش على حد ما تشغلش نفسك بحد ما تخشش في معارك جانبية ما تضيعش وقتك كمل بس كن محسِنًا كن نافعًا يكتب لك الله رحمات لا يستطيع أحد أن يمنعها عنك.

قال: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}. وكأنه إجابة على سؤال: طب افرض ما خدتش حقي في الدنيا؟ افرض ما خدتش وضعي؟ افرض ما وصلتش لنتيجة في الدنيا؟ مش مشكلة مش لازم توصل في الدنيا هو إحنا بنقول ممكن ربنا يديك العوض في الدنيا وممكن لا ليه؟ لأن العدل هو مجموع الدنيا والآخرة.

»» تاني العدل يا جماعة عدل ربنا دي قاعدة مهمة عشان الآية اللي بعدها بتجاوب على سؤال خطير: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.

بعض الناس يقول لك: طب ما في ناس عاشوا وماتوا ما شافوش حاجة! عاش ومات في السجن ما طلعش ليه؟ عاشت مظلومة وماتت مظلومة إخوتها واخدين حقها وما حدش جاب لها حقها فين اللي تقوله يا شيخ؟ فين عوض ربنا؟ فين التمكين؟ فين فين؟ في ناس ما حصلهاش.

أيوه طب ما هي الإجابة قدامك أهي ما هي لازم تقرأ هو إزاي القرآن بيجاوب على الأسئلة لما نقرأ وإحنا فاهمين؟ بعد كل اللي أتقال ده ربنا قال: فيه ناس بقى هياخدوا حقهم كله في الآخرة خد بالك الكلمة اللي أنا هقولها دي هتقولوا لي جزاك الله خيرًا لأنها هتجاوب على أصعب سؤال في دماغكم دلوقتي كل واحدة شايفة قصة يوسف مستنية يحصل لي قصة يوسف بقى! فين بقى الكلام؟ طب ما أنا شفت واحدة حصل فيها كذا! طب ما الناس اللي في السجون وماتوا في السجون؟ الإجابة أهي:

الإجابة بتقول لك: ممكن ربنا يعوضك في الدنيا ولو عوضك في الدنيا هتنبهر بالعوض وممكن لا عادي جدًا تقول لي: طب فين العدل؟ آه حط بقى القاعدة دي واكتبها بماء الذهب:

"العدل هو مجموع ما سيحدث في الدنيا والآخرة"

تاني العدل هو مجموع ما سيحصل في الدنيا والآخرة فممكن تأخذ صفر في الدنيا و٢٤ قيراطًا في الآخرة ممكن تأخذ ١٠ و١٤ ممكن تأخذ نص هنا ونص هناك يعني

المهم إنك هتأخذ كل حقك بس بمجموع الاثنين في الدنيا يحصل ايه؟ وفي الآخرة ايه ؟ ما يفرقش معك بل لو كله حصل في الآخرة ده أحسن لك.

»» لذلك في بعض الآثار أن الناس اللي خدوا حقهم في الدنيا لما يشوفوا أهل الابتلاء اللي ما خدوش حقهم في الدنيا شوفوا خد ايه عند ربنا؟ يقول له: يا ريتنا كنا إيه؟ كنا مكانهم، "يا ليت أجسادنا قرضت بالمقاريض"، يا ريت كانوا مسكونا كده قطعونا حتت في الدنيا وما خدناش حقنا عشان نأخد كل ده في الآخرة.

فأوعى تتهم ربنا عشان تقول لي: طب ما في ناس مظلومة ما خدتش حقها! فين قصة يوسف في فلان وفلان وفلان ما طلعوش من السجن أصلًا، وماتوا جوه السجون؟ الإجابة أهي: {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ.}

يعني لو كمان ما خدتش حقك في الدنيا أو ما تعوضتش في الدنيا، ربنا ادخر لك كله في الآخرة ده أحسن لك {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ.}

»» قاعدة جليلة، اكتبها:

"العدل لن يتم في الدنيا"

مش هيتم بشكل كامل ممكن يتم جزئيًا مع بعض الناس بس كل الناس هتأخذ حقوقها في الدنيا؟ مستحيل! وإلا يبقى إيه الآخرة بقى؟

وفي الحديث: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجَلْحَاء من الشاة القَرْنَاء".

وفي الآية: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ} إمتى؟ "يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فريح نفسك ودع التدبير لله قد يرد لك حقك كله في الدنيا قد يرد لك جزءًا من حقك في الدنيا قد تموت ولن تأخذ أي شيء من الحق في الدنيا لكن تعلُّق القلب بالله و{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ.}

يبقى القلب ما يتعلقش بالدنيا والله يا رب أديتني في الدنيا خير وبركة ما أديتنيش؟ عادي خالص أنا كده كده قلبي متعلق بالآخرة لذلك القرآن بيعلّقنا بالآخرة كتير على طول لأن دي المضمونة ما هي الدنيا فيها احتمالات: ممكن آخد، ممكن ما آخدش، لكن الآخرة أكيد هاخد يبقى أنا أتعلق بالأكيد ما أتعلقش بالمحتمل.

يبقي القرآن دايمًا بينقلنا لإيه؟ علّق قلبك بالآخرة

{وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ.}

حكيت لكم قبل كده قصة الرجل اللي ظُلم في عهد أحد الملوك الملك حبسه سنين طويلة وحب يطلعه علشان يشمت فيه فطلّعه في يوم من الأيام بعد سجن سنين وقال له: "كيف وجدت سجنك؟" عايز يشمت فيه فقال الرجل كلمة رهيبة:

"ما مرَّ من بؤسي يوم إلا مرَّ من نعيمك يوم حتى يجمعنا الله في يوم."

بسيطة جدًا خليني في السجن طول حياتي ما عنديش مشكلة و{ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ} بس لمين؟ {لِلَّذِينَ آمَنُوا}

أهل الإيمان والتقوى العقيدة الصحيحة والعمل الصحيح.

وكده انتهت مرحلة خطيرة من حياة يوسف عليه السلام وصفحة أُطويت تمامًا.

سؤال دايمًا بيتكرر: هل يوسف عليه السلام تزوج امرأة العزيز ولا لأ؟

الكلام ده ما عندناش عليه دليل في الإسرائيليات فيه كلام في الموضوع بس ما فيش دليل على كده.

ودي طريقة القرآن الرائعة في الإعراض عن التفاصيل دي لأن الناس دايمًا بتحب التفاصيل دي زي تفاصيل المسلسلات اللي هي النهايات السعيدة البطل اتجوز البطلة والكلام ده لكن القرآن بيعرض عن كده ليه؟ علشان ما يشغلكش عن الأهداف الأساسية: معرفة الله التعلق بالآخرة التحلي بصفات الإحسان الإيمان التقوى الصلاح.

ده اللي عايزك تركز عليه فبنعرض عن التفاصيل اللي هي بالنسبة للناس بتشغلهم عن الأهم فالقرآن أعرض عن ذلك هل تزوجها أم لا؟ هذا لا يشغلنا ولا يوجد دليل عليه المهم أن هذه الصفحة انطوت تمامًا من حياة يوسف عليه السلام لتبدأ صفحة أعجب وأعجب.

»» بعد الابتلاء بالضراء سيبدأ الابتلاء بالسراء ، بعد الابتلاء بالسجن يبدأ الابتلاء بالملك ، وده الكلام اللي هنبدأ فيه المرة القادمة بإذن الله تعالى.

المحاضرة التاسعة

أصعب لقاء

بسم الله والحمد لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء التاسع من لقاءات هذه السورة الطيبة المباركة، والدورة الطيبة المباركة: "تعلمت من يوسف عليه السلام" نسأل الله أن يبارك فيها، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

الحقيقة المرة الماضية انتهينا يعتبر فصلًا كاملًا أو نص القصة بالكامل وانتهت الحقبة الخاصة بما حدث في القصر وما حدث في السجن وخلاص يوسف عليه السلام كما هو معلوم طلع من السجن وبدأت به مرحلة جديدة بعد ما مكَّن له الملك وجعله وزيرًا له وجعله على خزائن مصر أو كما نقول "زي وزارة المالية كده."

وصار يوسف عليه السلام كما قال تعالى:

{وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)}

وتبدأ بقى مرحلة جديدة نبدأ فيها بقوله تعالى:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ

وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) }

هذه الآيات الكريمة المباركة التي قرأناها من سورة يوسف عليه السلام بدأت بها مرحلة جديدة من حياة يوسف عليه السلام اختصر القرآن قصته بطريقة رائعة السنين التي هي السنين الأولى زي ما يوسف عليه السلام قال:

{قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧)}

هذه السنوات السبع تم اختصارها في القرآن بما فيها من تفاصيل ومعلوم يعني أن يوسف عليه السلام باشر فيها عمله وكان حريصًا جدًا على حفظ الحبوب قدر المستطاع وقام بأعباء خزائن أرض مصر وأعدّ العدّة لهذه السنين — يعني سنين القحط — وكان يتعامل بحكمة وحرص شديد وفعلاً كان حفيظًا عليمًا كما قال للملك .

يوسف عليه السلام كما يقول ابن كثير كان يحتاط جدًا في حفظ الحبوب علشان يستقبل بقى السبع سنين اللي هتكون سبع سنين فيها مجاعة وكان حريصًا جدًا أنه يحفظ الحبوب في السبع سنين الأول وطبعًا يعني أحسن إدارة خزائن مصر.

مصر بفضل الله سبحانه وتعالى كما سنرى أنقذت العالم من مجاعة مصر بفضل الله سبحانه وتعالى أرض فيها خير وفيها بركة فهى أرض مباركة وازدادت بركة بيوسف عليه السلام وازدادت البركة بحرص يوسف عليه السلام ربنا سبحانه وتعالى وصف أرض مصر وأرض الشام بقوله تعالى:

{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ}.

مشارق الأرض ومغاربها يدخل فيها بلاد الشام ويدخل فيها أيضًا مصر فمصر أرض فيها خير أرض مباركة يكفي أن ربنا وصفها بأنها خزائن الأرض فضلًا بقى عن

يوسف عليه السلام وأداء يوسف عليه السلام وحسن صُنع يوسف عليه السلام ازدادت بركة فوق البركة بفضل الله سبحانه وتعالى.

بس ابن كثير رحمه الله عليه بينقل لنا كلام جميل قوي بيورينا يوسف عليه السلام عمل إيه؟ علشان يحتاط لحفظ الحبوبفقال ابن كثير رحمه الله تعالى: احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلتهم جمعها أحسن جمعًا فحصل من ذلك مبلغ عظيم وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات يميرون لأنفسهم وعيالهم فكان لا يُعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة وكان عليه السلام لا يشبع نفسه أبدًا ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يكفي الناس بما في أيديهم مدة السنين السبع فكان رحمة من الله عز وجل على أهل مصر.

»»يا سلام! ينقل لنا ابن كثير هذا النقل الرائع في هذا الجزء من السورة إيه اللي حصل بالضبط؟ إزاي يوسف عليه السلام قدر إن هو يحفَظ الغلات علشان يستقبل بها السبع سنين الصعبة؟

»»بيقول: أولًا كان لا يشبع نفسه ما شاء الله وكان كمان بيخلي الملك والجنود بيأكلوا وجبة واحدة في اليوم وجبة واحدة في اليوم علشان يحتاطوا للمجاعة فتأمل يعني في هذا المعنى العظيم كيف أن يوسف عليه السلام بدأ بنفسه هكذا ينبغي أن يكون قدوة لكل قائد ولكل أمير ولكل ملك ولكل مدير ولكل أب ولكل أحد تحته من يقتدي به.

أفضل شيء في الموضوع ده لتغيير الناس هو القدوة نفسها فلو بدأ القائد بنفسه كل الناس هتقلده لكن للأسف الناس تُؤمر أن هي تتقشف والناس تُؤمر أن هي توفّر ثم يرون الملوك والأمراء والساسة والرؤساء يُنفقون الملايين فيما لا فائدة منه! كيف يقتدون يعني؟ وكيف ينفذون خطط الأمان الاقتصادي ؟ وهم مش شايفين قدوة صالحة قدامهم!

لكن كان حال يوسف عليه السلام ومن بعده حال النبي ﷺ قدوة كان يبدأ بنفسه ﷺ. كان النبي ﷺ في يوم الأحزاب مثلًا جاءه رجل يشتكي من الجوع وعايز يبين له إن هو جعان قوي فرفع ثوبه عن بطنه وكان رابط حجرًا على بطنه عشان يضيق المعدة ولا يحس بالجوع فالنبي ﷺ رفع عن ثيابه فوجد الرجل أن النبي ﷺ رابط حجرين على بطنه مش حجر واحد من شدة جوع النبي ﷺ كان بيجوع زي الصحابة في غزوة الأحزاب.

»»النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع قال: «ألا إنَّ رِبَا الجاهليَّةِ موضوعٌ تحت قدميَّ، وأوَّلُ رِبًا أضعُهُ رِبَا العبَّاسِ» هو عم النبي ﷺ فشوف كان بيبدأ بمين؟ بيبدأ بأقرب الناس له ويبدأ بنفسه ويبدأ بأقرب الناس له.

»»وفي غزوة حُنين لما تفرّق الناس من حول النبي ﷺ هو دخل وقال: «أنا النبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ» .

المجتمعات تُصلح بالقدوات ليس بالنظريات تاني: المجتمعات تنصلح بالقدوات وليس بالنظريات .

اتكلم زي ما أنت عايز لكن الكلام مش هيجيب نتيجة لو الناس ما شافوش قدوة وممكن لو شافوا قدوة ما بيحتاجوش كلام أصلًا هو مجرد ما أنت هتعمل هيبقوا وراك على طول.

»»يعني شوف النبي ﷺ يوم الحديبية طلب من الصحابة يتحللوا من العمرة علشان هم راجعين والناس مش مصدقة إنهم يتحللوا من العمرة دخل على أم سلمة وطلب رأيها في الموضوع فقالت له: الموضوع سهل جدًا اطلع وتحلل أنت واحلق واذبح هديك وخلاص تمام هتلاقيهم كلهم بيعملوا زيك. وفعلاً كان حل مثالي جدًا قدوة طلع النبي ﷺ تحلل ونحر وحلق والكلام ده فكل الناس عملت زي النبي ﷺ .

»»فالمجتمعات تنصلح بالقدوات إحنا محتاجين نشوف الدين في الناس محتاجين نشوف المواعظ في هديك في سَمْتك أولادك مش محتاجين كلام كتير محتاجين يشوفوا منك قدوة أولادك مش محتاجين زعيق كتير وصوت عالي ومثاليات في الكلام محتاجين يشوفوا أب فعلاً يقتدوا به الشعوب محتاجة رؤساء قدوة الشعوب محتاجة ملوك قدوة كل ده يغير العالم.

»»سبحان الله! لكن التفريق بين الناس حسب الأهواء التفريق بين الشريف والوضيع مش ده اللي بيبوظ الدنيا وإنما أهلك من كان قبلكم كما في الحديث أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد شوف بقى عدل النبي ﷺ يقول: «وايمُ اللهِ، لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقطعتُ يدَها».

»»ايه اللي حصل بقى بعد كده؟ بعد كده جت سنين السبع السنين الصعبة الجدب والكحت المجاعة أصابت مصر فكان يوسف عليه السلام خلاص موضوع مصر

محلول وكان الناس عندها كده كده مخازن ضخمة جدًا فيها غلال وحبوب والكلام ده تكفيها لتغطية السبع سنوات لكن الفكرة بقى إن المجاعة ديه ما أصابتش مصر بس خرجت إلى خارج مصر فأصابت بلاد الشام أو أصابت عموما البلاد اللي حوالين مصر.

عشان كده بقول لك: مصر في يوم من الأيام أنفقت على العالم يعني أنفقت على كل البلاد التي حولها وأنقذت العالم من مجاعة .

»»الشاهد يعني أن يوسف عليه السلام كان عامل حساب دوت برضه يعني عامل حساب إن بس مش هنصرف على مصر بس بل ممكن نحتاج نصرف على الدول المجاورة وفعلا بدأت المجاعة وبدأت تقع في بلاد الشام وغيرها فكان الناس بتيجي علشان تطلب من مصر الطعام.

فكان يوسف عليه السلام بيعمل حاجتين:

- أولًا بياخد مقابل تدفع ثمن زي المقايضة يعني
- حاجة تانية إن إنت بتاخد حِمْل بَعِير في السنة يعني الشخص الواحد ياخد حِمل بعير ولازم الشخص ييجي يعني لو جه واحد ياخد حِمل بعير واحد، جه اتنين ياخدوا اثنين ما ينفعش واحد يجي يقول مثلًا: هاخد لي ولغيري، لأ، لازم يجي علشان يتأكد من العزم ما ممكن أي حد يدّعي يقول لك: أنا ورايا عشرة ورايا عشرين أنا إيش عرفني إن انت وراك عشرة وعشرين؟ اللي هيجي هياخد حِمل بعير فده من محاولة الاستيفاء ومحاولة إن انت تتأكد من إن فعلا الحبوب رايحة في مكانها .

»»وده رسالة للناس اللي بيمسكوا الصدقات والناس اللي شغالين في العمل الاجتماعي إن هم يبقوا حريصين جدًا إن الصدقات وأموال الناس تروح للمستحق بالضبط فكان يوسف عليه السلام: لأ، إنت لازم تيجي بنفسك وهتاخد حِمل بعير بس حِمل بعير يعني ما يمتلئ البعير بيشيل أحمال بيملى البعير حبوب وبعد كده ما تجيليش إلا السنة اللي جاية فكان الواحد بيجي كل سنة مرة ياخد حِمل بعير وبعد كده ييجي له السنة الجاية، علشان يساوي بين الناس.

آه الكمية مش ضخمة لكن على الأقل نحقق العدل .

»»اللي حصل بقى إن إخوة يوسف عليه السلام أصابهم ما أصاب الناس لأن إخوة يوسف أو سيدنا يعقوب كانوا عايشين في الشام تمام؟ المجاعة وصلت إلى بلاد كنعان

اللي فيها يعقوب عليه السلام وبالفعل حصل إنهم أصابهم المجاعة سيدنا يعقوب بعت أولاده العشرة علشان يجيبوا طعام هم هيروحوا العشرة بس ويعقوب عليه السلام ما رضيش يودي بنيامين اللي هو أخو يوسف من نفس الأم أنتم عارفين هم عشرة من أم ويوسف وبنيامين من أم تانية.

طبعًا يعقوب عليه السلام بيحب بنيامين جدًا من بعد يوسف ويعني روحه بنيامين زي ما بيقولوا فإذا كان يعقوب عليه السلام في آخر القصة لما شم قميص يوسف عليه السلام قال:

{إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ} [سورة يوسف: ٩٤]

فكيف يجد ريح يوسف في أقرب أخ له وأشبه أخ له وهو بنيامين؟ فيعقوب عليه السلام يعني ما يستطيع أبدًا يستغني عن بنيامين فاللي حصل إنه بعت العشر إخوة علشان يجيبوا عشر أحمال بعير وأبقى بنيامين معه لأنه كان صغير السن ونحو ذلك ولم يُرِد أن يُرسله معهم.

»»تخيل بقى المشهد: إخوة يوسف طلعوا من أرض الشام رايحين مصر عادي علشان ياخدوا من مصر الغلات والحبوب والكلام دوت والآن سيحصل المشهد الرهيب المهيب المفاجئ يوسف عليه السلام قاعد كده في ملكه عادي جدًا حواليه الخدم حواليه الرعية مشغول بالناس تخيل معي مثلًا ده يعني صعب جدًا.

قوله تعالى:

{وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} [سورة يوسف: ٥٨]

طبعًا يوسف عليه السلام يعني كانوا تركوه صغير والآن هو سنه كبير فأكيد مش هيعرفوه تغير كتير جدًا يعني مش هيعرفوه بسهولة هيعرفوه في آخر القصة يعني لما يقول لهم "أنا يوسف" الشبه يبدأ يبان لكن مش هيعرفوه من تلقاء أنفسهم. لكن هم نفسهم كانوا كبار يعني هو أصلا سابهم وهم كبار فهما شكلهم ما تغيرش كتير هو عرفهم.

»»تخيل بقى حط نفسك مكان يوسف عليه السلام وأنت الآن ترى اللي حاول يقتلك اللي كان بيحسدك اللي تسبب إنك افترقت عن أبيك اللي كان سبب في كل اللي حصل لك: إنك اتبعت رقيق، ودخلت السجن، وو... الآن هو قدامك ومش عارفك تحت

سلطانك وتقدر تعمل أي حاجة تقدر تسجنه بكلمة تقدر تقتله بكلمة تقدر تحوّله عبد وتبيعه في كلمة زي ما عمل معك تقدر تخلي اللي حواليك يضربوه ويشتموه زي ما انت عايز... بكلمة، ومعك سلطة تعمل كده.

»» لكن الإنسان ينبهر بيوسف عليه السلام مدى الحلم والصبر وحُسن الخُلق والعفو وضبط النفس والثبات الانفعالي أنا أقول يعني: كورسات الثبات الانفعالي تُختصر في الموقف دوت كل دورات اللي بتتكلم في الثبات الانفعالي تُختصر في موقف يوسف عليه السلام.

ازاي ما بانش عليه ازاي قدر يتحكم في تعابير وشه وهو بيكلمهم اصلا؟ ازاي قدر يتحكم في نبرة صوته وهو بيكلمهم؟ هو شايف اللي حاولوا يقتلوه وشايف اللي سبوه وضربوه وفرقوا بينه وبين أبيه وفي نفس الوقت مصمم ان هو بيتعامل عادي جدا بكل هدوء وكمان مش بس مثلا كان ممكن يمشيهم وخلاص لأ تعامل بإحسان وبعفو وتعامل بصبر عليه السلام الإنسان يقف منبهر أمام هذه الشخصية الفذة العجيبة والله العظيم شخصية عجيبة فعلًا شخصية يوسف عليه السلام بيحاول ياخدها قدوة الإنسان يعفو عن من ظلمه الإنسان يتعامل بسمو عارفين يوسف عليه السلام كل ما كان بيرتقي في الإيمان كل ما كان بيسهل عليه العفو كل ما بتعلى كل ما بتشوف الحاجات اللي تحت صغيرة يوسف عليه سلام ارتقى جدًا خاصة في السجن علي قوي في الإيمان صار قريب من الله قوي حصل له حالة من الغنى بالله كل الأمور بدأت تصغر في عينه كل ما الإنسان يعلى كل ما بيشوف الحاجات صغيرة الدنيا يعني.

»»كل ما الإنسان يستغني بالله كل ما بيبقى من السهل إن هو يحل المشاكل اللي بينه وبين البشر

»قلب يوسف عليه السلام امتلأ إيمان والقلب لما بيمتلئ بالإيمان بيطرد بقى الحقد والحسد والضغائن وحب الانتصار للنفس والحاجات دي.

»»فيا ريت الإنسان يكتسب الخُلق العظيم دوت ويعرف فعلًا إن العفو لا يزيده إلا عزًا والتواضع يرفعه عند الله سبحانه وتعالى وما ازداد عبدٌ بعفوٍ إلا عزًا كما قال النبي ﷺ.

والخِصلة دي خِصلة رائعة جدًا الإنسان يستطيع إن هو يدفع السيئة بالحسنة ربنا قال مش أي حد بيعرف يوصل لها، قال تعالي:

{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٤-٣٥].

يعني حد يعني سبحان الله ربنا أَدّاله حاجة كبيرة قوي إنه يقدر يعفو عن من ظلمه ويقدر يعني يبقى في إيده إن هو ينتقم وما ينتقمش .

وليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب والعفو عند المقدرة هو العفو المحمود سبحان الله يعني.

فالإنسان مش بياخد قصص الأنبياء كده عشان خلاص يعني يبقى: قصة الله جميلة وجميل سيدنا يوسف جميل! أيوه، انت عملت إيه؟

{أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠].

فبهداهم اقتده فالإنسان بيشوف المشهد دوت بينبهر الصراحة بيوسف عليه السلام من أعظم أسباب الرفعة والعزة: العفو فعود نفسك ألا تنتقم لنفسك وفوض أمرك إلى الله واظفر بأجر العفو والصفح.

»»لكن هنا المشهد ده في كذا ملمح منها من الفوائد اللي عايزين نضيفها:

- الفائدة الأولى إن المظلوم لا ينسى أبدًا من ظلمه قد ينسى الظالم من ظلمهم ولكن المظلوم لا ينسى أبدًا من ظلمه لا يمكن للمظلوم أن ينسى ملامح وجه من ظلمه تظل محفورة في ذاكرته إلى أن يلقى الله سبحانه وتعالى فإما أن يعفو وإما أن يأخذ حقه كاملًا منهم فاحذر من أن تظلم وتنسى وتظن أن الأمر مرّ لا والله المظلوم لن ينسى أبدًا وأصعب شيء إنه يكون بيدعي عليك ربنا وصف إخوة يوسف في الموضع ده،
- والفائدة الثانية إنهم: إخوة يوسف كأن ربنا بعت لنا رسالة أخوك مهما حصل منه في الآخر هو أخوك ومصيركم ترجعوا لبعض ومصيركم تتصالحوا وده اللي كان يعقوب عليه السلام بيأسسه إن المشكلة مش مع إخواتك إن الشيطان للإنسان عدو مبين وفعلا انصلحوا وفعلا رجعوا لبعض.

من المشاهد: حرف في الآية ديت بيديك ملمح جميل قوي من عدل يوسف عليه السلام. حرف الفاء:

{وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ} [يوسف: ٥٨].

الفاء دي يسموها إيه؟ السرعة إخوة يوسف المفروض دول أجانب يعني أجانب عن مصر دول مش مصريين جايين من بره تمام؟ فتخيل إن اللي جاي من برة أصلًا يقدر يخش لسيدنا يوسف بسرعة

- الفائدة هنا إيه؟ الفاء للسرعة إن يوسف عليه السلام كان لا يمتنع من أحد ومن السهولة أن تصل ليوسف عليه السلام انت بتتكلم في إيه؟ بتتكلم في أهم شخصية في مصر دلوقتي تمام؟ فسبحان الله هكذا أهل الرياسات ينبغي أن يكونوا لا يمتنعوا عن الناس لا يجعلوا بينهم وبين الناس حواجز وممرات وناس يعني مفترض إن انت خلاص إنت في موقع خدمي تحتسب بقى وقتك وجهدك وكل حاجة للناس.

يوسف عليه السلام كانت أبوابه مفتوحة أي حد ممكن يوصل له بسهولة. {فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}. ما عرفهوش.

{وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ} [يوسف: ٥٩-٦٠].

»»إيه القصة بقى هنا؟ إزاي يوسف عليه السلام عرف إن لهم أخ؟ هو طبعًا عارف بس هو المفروض إن هو لا يبين لهم إنه عارف طب إزاي قال لهم: أخ لكم؟ القصة زي ما ابن كثير بيحكي...

بيقول إن حصل حوار ما بينهم كما يحكي السدي وهذه من الإسرائيليات المروية عن الإسرائيليات هذا الحوار حدث حيث بدأ يسألهم طبعًا هو أهم حاجة دلوقتي عايز يعمل إيه؟ عايز يطمن على والده وعايز يطمن على أخوه هو دلوقتي شايف إخوانه ما أخبار الأب ؟ من زمان وما يعرفش عنه حاجة هل هو عايش أم ميت؟ ما أخبار أخوه؟ وفي نفس الوقت مش هينفع يسأل مباشرة يعني لازم يستدرجهم في الكلام. فقال: "ما أقدمكم إلى بلادي؟ أنتم منين؟" قالوا: "أيها العزيز إنما جئنا للميرة." قال: "من أين أنتم؟" قالوا: "نحن من أرض كنعان." قال: "فلعلكم جواسيس عيون يعني." قالوا: "معاذ الله نحن لسنا بذلك." قال: "فمن أنتم ومن أين أنتم؟" فبدأوا يدافعون عن أنفسهم عايزين يقولوا إنهم كويسين، فقالوا: "نحن من أرض كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله." فاطمأن أولًا أن الأب سيدنا يعقوب بخير ثم بدأ يسألهم كأنه يستطرد في الكلام فقال: "هل له أولاد غيركم؟ هل له أولاد آخرون؟" قالوا: "كان له اثنا عشر، وكان أصغرنا قد ذهب وهلك في البرية."

فلاحظ هنا أنهم كذبوا وقالوا: "أصغرنا، وهو يوسف عليه السلام، قد هلك في البرية." وكان هو أحبنا إلى أبينا وبقي شقيقه فاحتبسه أبوه يعني سيدنا يعقوب عليه السلام لم يُرد أن يرسل بنيامين فعرف يوسف عليه السلام أن أخاه أيضًا بخير هذه هي الطريقة التي عرف بها واطمأن على الأخ وبالتالي استطاع أن يتكلم بكل اطمئنان حيث أنهم لا يعرفون ولا يشكون فيه.

لكن الفكرة الآن هي أنه يريد أن يأتي بأخيه لأنه يريد أن يسأله عن الأخبار ويريد معلومات منه ويريد أن يعرف كيف يخطط لإحضار سيدنا يعقوب أيضًا فقال لهم: "طيب، لأتأكد من صدقكم، المرة القادمة عليكم أن تأتوا لي بالأخ هذا. إذا جئتم به، سأكون قد تأكدت من صدقكم. إذا لم تأتوا به، فأنتم كاذبون، ولن يكون لكم عندي شيء." قال: "ائتوني بأخ لكم من أبيكم." حفزهم أولًا، وقال: "ألا ترون أني أوفي الكيل، وأنا خير المنزلين؟ ولكن إن لم تأتوني به، فلا كيل لكم عندى ولا تقربوا." قالوا: "سنراود عنه أباه وأنا لفاعلون." فقالوا له على الفور: "لا لا يجب أن يأتي معنا." وهذا ما كان يوسف عليه السلام يريده.

المعنى هنا أنه قال: "ائتوني بأخ لكم من أبيكم" لأن يوسف وبنيامين عليهما السلام هما أخوان من أم ثانية بينما الاثنا عشر أخًا الآخرون كانوا من أم واحدة يوسف وبنيامين كانا من أم أخرى وهذا ما يوضح مسألة تعدد الزوجات في الأمم السابقة التي كانت مشروعة كما أن التعدد كان موجودًا عند جميع الأنبياء فعلى سبيل المثال كان يعقوب عليه السلام له امرأتان، وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة، وقال: "لأطوفن على مائة امرأة تلد كل واحدة منهن فارسًا يجاهد في سبيل الله." وهناك أيضًا في الإسرائيليات أن داود عليه السلام كان له تسعة وتسعون امرأة إذاً التعدد كان موجودًا في جميع الأنبياء وفي الشرائع السابقة.

»»والتعدد في الإسلام مشروط بالقسمة العادلة كما قال الله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء: ٣].

ولا شك أن التعدد قد يكون فيه ضرر على الزوجة الأولى ولكن المصلحة العامة للمجتمع أكبر من المفسدة قد تكون هناك غصة لدى الزوجة الأولى لكن المصلحة الكبرى تكمن في سلامة المجتمع وحماية النساء من الفاحشة.

»»وبذلك يمكننا الرد على من يهاجم التعدد في الإسلام بأن التعدد كان مشروعًا في الأمم السابقة وموضحًا في الشرائع السابقة.

ففي فرق بين الكراهة الجبلية والكراهة الشرعية

يعني الواحد مش بيحب يقتل مثلا لكن في نفس الوقت أحب الجهاد في سبيل الله.

ففي بيجمع بين الكراهة الجبلية لأنني أتأذى كما قال ربنا:{كتب عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢١٦].

ربنا بيقول إنه مكروه ولكن مكروه من ناحية الجبلة أنا أكيد ما أتمناش أن يدي تتقطع ولا أن أجرح جرحًا كبيرًا لكن في نفس الوقت ده شرع ربنا فأنا بحبه من ناحية أنه شرع لكن جبلتي بتكره الإيذاء والضرر اللي ممكن يترتب عليه كذلك ينبغي على المرأة عشان بس تكون قلبها سليم أمام الله سبحانه وتعالى.

»» قضية التعدد إيه موقف المرأة منها؟ ينبغي لها أن تحب ذلك من ناحية الشرع. أما هي في نفسها فتكره ذلك جبلة لأن شيء بديهي المرأة مثلًا ما تحبش أن حد يشاركها في زوجها فده شيء معفو عنه الوسطية في ذلك يعني طبعا طبيعة المرأة في الكراهة الجبلية لذلك الأمر ده شيء لا تملكه المرأة ففيه العفو أما المسألة من ناحية الشرع لا يجوز للمرأة أن تكره الموضوع شرعًا وإلا تبقى هي كرهت ما أنزل الله وذمَّ الله ذلك في قوله: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد: ٩].

»»فلا يجوز للإنسان أن يكره ما أنزل الله فإحنا لا يجوز أن نكره التشريع ولكن الجبلة في أن الواحدة مثلًا لو زوجها تزوج ثانية طبعًا مع العدل وكل شيء نفترض أن الموضوع كان مثاليًا يعني أنها تجد في نفسها شيء ده معفو عنه تحبه شرعًا وقد تكرهه جبلًا فده ما فيهوش مشكلة .

»»فاللي عايز اقوله: أننا مش في مسار هنا أننا نتكلم أو نتوسع في الموضوع لكن بتكلم في أمرين هدفي في فتح الموضوع ده هو

- أولًا أن نرد على من يطعن في الإسلام نقول: أصلا ما أنتم عندكم ما زال أنبياؤكم عندهم تعدد
- المسألة الثانية بنبين الضابط للمرأة في المسألة إيه موقفها من قضية التعدد شرعًا وجبيله .

الله قال: {آتُونِي بِأَخٍ لِّي مِنْ أَبِيكُمْ} [يوسف: ٦٣]. ثم قال: {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف: ٥٩]! يعني إيه "أُوفِي الْكَيْلَ"؟ يعني أُعطي الكيل باستيفاء يعني مش بنقص حد حاجة في استحباب الإنسان يكون عنده وفاء في الكيل النبي ﷺ كان عندما يوزن يقول للوازن: "زِنْ وَارْجِحْ" يعني أوزن زي ما الناس الطيبين بيعملوا في البيع والشراء تلاقيه في الميزان بيسيب لك شوية كده فده من المستحبات فهذه معاملة الأنبياء وينبغي للإنسان أن يقتدي الأنبياء في الكرم وده من أكتر الحاجات اللي بتحبب الناس في الأنبياء وفي الدعاة، العلماء، وفي أي حد يعني، دايمًا الناس بتميل لمن يكرمها لما أنت عايز حد تكسب القلوب سهلة جدًا حاجات مادية بسيطة بتكسب بها قلوب الناس هدية بونبوناية، بتديه له حاجة تزوده شوية في الميزان حتى إحنا يعني البائع اللي بيسيب لك جرامات مثلًا في الميزان زيادة بتحبه أكتر من اللي هو بالزبط رغم أن الفروقات المادية بسيطة جدًا بس النفوس جُبلت على محبة الإحسان

قال: {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [يوسف: ٥٩]. ثم استعمل الحزم بقى يعني هو استعمل الترغيب والترهيب الطريقتين.

- الأول استعمل الترغيب قال: {أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ}.
- بعد كده استعمل الترهيب فقال: {فَإِن لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ}[يوسف: ٦٠].

وده من السياسة الإنسان يستعمل الترغيب والترهيب الحزم واللينوده بينفع أحيانًا في التربية برضوا الإنسان يبقى عنده الوجهين ويكون المتربي عارف أن الاثنين موجودين أن عندي مكافآت وفيه عقوبة فلازم نوازن بين الأمر ده والأمر ده وأظن فيه هنا حتة ملفتة أوي وفائدة خطيرة جدًا.

»» هل لاحظنا أن يوسف عليه السلام لأنه كان عنده قوة اقتصادية استطاع أن يتحكم في قرار الإخوة؟ صح؟ فرض عليهم قرار وجعلهم يبذلون أقصى جهدهم لتحقيقه اللي هو {أَخُوكُمْ} [يوسف: ٥٩]. ليه قدر يتحكم في قرارهم؟ لأنه معه قوة اقتصادية.

طبعًا يوسف عليه السلام استخدمها في الخير لكن أنا أريد أن أستخلص فائدة

➢ أن من معه قوة اقتصادية يقدر يتحكم في قراره بل يقدر يتحكم في قرار الآخرين الذين يحتاجون إليه اقتصاديًا فلذلك نقول: من يملك قوتك يقدر يتحكم فيك من يستطيع أن يفرض عليك حصارًا اقتصاديًا يقدر يتحكم في قراراتك حتى إذا لم تعجبك القرارات دي ففائدة مهمة جدًا أن علينا كأفراد وكدول أن نستغني اقتصاديًا قدر ما نستطيع وأن لا نحتاج عدونا أبدًا اقتصاديًا قدر ما نستطيع.

»» للأسف الدول الغربية أعدائنا أننا نأخذ منهم قروضًا أو نأخذ منهم مساعدات أو نحتاجهم في كثير من الأشياء يقدرون أن يفرضوا قراراتهم على بلاد المسلمين ويتحكموا في القادة والسياسيين من باب الضغط الاقتصادي كلما استغنيت بقوتك كلما استطعت أن تأخذ قرارك بنفسك والعكس أيضًا.

أنت لما بتضغط اقتصاديًا على عدوك تقدر تؤثر على قراره يعني مثلًا لما اليهود أو الأمريكان يبطشوا بالمسلمين في أي مكان بيحصل حاجة جميلة كده مرة واحدة: الناس تقرر تقاطع جميع المنتجات بتاعتهم ده حاجة كويسة ودي وسيلة ضغط اقتصادية بيحصل مقاطعة لكل منتجاتهم وهم بيتأثروا فعلاً وبيبتدوا يراجعوا قراراتهم فانت بتعمل ضغط عليهم بالموضوع ده فده شيء مشروع لو كان فعلاً بيسبب ضغط عليهم.

عملناه قبل كده مع الدنمارك لما عملت الرسوم المسيئة للنبي ﷺ وكمان عملناه مع فرنسا لنفس السبب كما تم مع المنتجات الأمريكية في عدة مرات أقول إن الموضوع ده مشروع لأنك لما بتعمله بيشكل ضغطًا على الدولة دي وبالتالي بتقدر أن تؤثر على قراراتهم فعايز أقول إن دايمًا القوى الاقتصادية بتساعدك جدًا على اتخاذ القرار المسألة مش بس القوى العسكرية لكن القوة الاقتصادية خطيرة جدًا.

فاللي عايز أقوله إن يوسف عليه السلام عمل الموضوع ده بس استعمله في الخير يعني استغل قوته الاقتصادية في أنه يصل إلى الخير قال سبحانه وتعالى:

{فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ} [يوسف: ٦٠].

قالوا: {سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} [يوسف: ٦١].

عمل إيه بعد كده سيدنا يوسف؟ قال:

{اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ} [يوسف: ٦٢].

قال لفتيانه: {اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ}. العمال قال لهم: البضاعة اللي هم جابوها طبعًا إحنا قلنا إنه بيقدم كيلاً لكل واحد وبمقابل فقال لفتيانه: "حطوا التمن اللي هم جابوه البضاعة بتاعتهم رجعوها تاني للبعير بتاعهم واجعلوا بضاعتهم في رحالهم". رجع لهم الثمن اللي هم دفعوه تاني في البعير بتاعهم إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون.

كان عامل الموضوع ده من وراهم رجع لهم الثمن تاني في البعير بتاعهم من غير ما يحسوا قال نيته في الموضوع ده أنهم عشان يقدروا يرجعوا تاني.

»»يعني إيه الكلام ده؟ هو دلوقتي ليه رجع لهم البضاعة بتاعتهم؟ في ثلاث احتمالات يعني المفسرين بيتكلموا في ثلاث احتمالات:

- الاحتمال الأول: أن هو عمل كده علشان يخشى ألا يجدوا الثمن الذي يشترون به في العام القادم فلا يأتون يعني هو مثلًا قال لهم: "يجوا السنة الجاية". طب هو خايف يكون أصلاً ما عندهمش حاجة يجوا بها السنة الجاية فما يجوش بسبب أنهم ما عندهمش ثمن فعشان يضمن أنهم ييجوا السنة الجاية، رجع لهم الثمن اللي دفعوه السنة دي بحيث يكون معهم ثمن السنة الجاية ييجوا به وده أقوى الاحتمالات.
- الاحتمال الثاني: بيقول إن سيدنا يوسف يعني تزمم أن يأخذ شيء من أبيه وأخوته كيف؟ يعني شايف عيب أنه يأخذ من أبيه ثمن يعني أبوه يكون في مجاعة ويأخذ منه ثمن فرد الثمن، لأنه تزمم أن يأخذ من أبيه ثمن ده احتمال وارد.
- الاحتمال الثالث: أن هو أراد أن هم لما يشوفوا كده لما يرجعوا يلاقوا أنه رجع لهم الثمن يتحرجوا ويتورعوا فيبقوا عايزين يرجعوا تاني يعني يقولوا: "إيه ده؟ الحاجة رجعت بالخطأ" فيتأسموا فيظنوا أنه في حاجة حصلت غلط يبقى إحنا كده خدنا الكيل البعير والكلام ده وما دفعناش الثمن فيحتاجوا أنهم يرجعوا تاني تورعًا وبالتالي تكون ورقة ضغط على سيدنا يعقوب عشان يوافق أنه يبعت بنيامين لأنه كده كده مش هيقابلهم إلا لو بعته معه بنيامين.

عمومًا القول الأول هو أقرب الأقوال وإن كان لا مانع أن الأقوال الثانية لها وجها. لكن لعله فعلاً أنه رد لهم علشان يبقى معهم الثمن اللي يشتروا به من السنة اللي بعدها. قال:

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [يوسف: ٦٢].

طيب حصل إيه بعد كده؟ قال تعالى:

{فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ} [يوسف: ٦٣].

حصل إيه بعد كده؟

{فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف: ٦٣].

أخوة يوسف عليه السلام للأسف كالعادة عندهم إساءة تعامل مع أبيهم تخيل الناس راجعين أولًا راجعين كل واحد جايب معه كيل بعير يعني معكم خير كتير أول ما دخلوا، "بِسْمِ اللَّهِ"، كده "مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ". طب واحدة واحدة يعني طب قل لي الخبر المفرح الأول قل لي إننا جبنا خير وبتاع لأ هم دخلوا بالخبر السيء على طول وهذا يدل على سوء تعاملهم مع الوالد أنهم بيقابلوه بما يكره.

فطبيعي يعني أن يكون يعقوب عليه السلام يحب يوسف وبنيامين أكثر منهم في فرق كبير جدًا في التعامل ما بينهم يعني في حد يبقى راجع من سفر أول خبر كده يقابل الأب بيه يقول له: "مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ". حتى ما قالوش أنه هو سيمنع منا الكيل لو ما بعتناش الأخ.

اللي هو يعني بيتصلوا له الخبر بطريقة مزعجة.

ما قالش: "سيمنع منا الكيل إذا لم ترسل معنا أخانا نكتل". لا، قال: "منع منا الكيل". طبعًا الخبر مفجع يعني حتى كان يجب عليه أن يرفق في إلقاء الخبر على الشخص لأن الخبر يزعجه أو يضره ليس عندهم تقدير للأمور ولا مراعاة لمشاعر الآخرين.

قالوا: "أرسل معنا أخانا نكتل". نكتل من الكيل ده مش اسم الأخ هو الأخ اسمه بنيامين، لكن المعنى "أخانا بنيامين" يعني نكتل يعني ناخد كيل عن طريق ذلك {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

أول ما قال: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، كانك فتحت جرحًا في قلب يعقوب عليه السلام لأنهم أولًا عملوا حاجتين: طلبوا تاني الأخ زي ما طلبوا يوسف عليه السلام وكمان استعملوا نفس الجملة التي استعملوها في المرة الأولى.

وقالوا: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} فكأن الكلمة هذه هيجت كل الذكريات في قلب يعقوب عليه السلام وبدأ يفتكر يوسف عليه السلام تاني وأكتر مكان كان فاكره أصلاً عشان كده أول ما الكلمة دي اتقالت، هاجت ذكرى يوسف عليه السلام، قال:

{هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ}!

»» يا له من ألم يعقوب عليه السلام ما نساش يوسف لغاية دلوقتي ولا هينساه أبدًا يعني الأمنية التي كان يتمناها إخوة يوسف {يُخْلُو لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ}، ما حصلتش ولا هتحصل.

خدعهم الشيطان كذلك الشيطان يعمل مع الإنسان كده: يجيبه لغاية المعصية وبعد كده يخلى به.

كمثل الشيطان إذ قال للإنسان:

"اكْفُرْ" فَلَمَّا كَفَرَ، قَالَ: {إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.}

فكل من كان يرجو مصلحة من وراء المعصية فإن الله يبتليه بنقيض قصده فلا يحصل له المصلحة التى أراد هم حاولوا قتل يوسف عشان يخلوا لهم وجه أبيهم فازداد يعقوب تعلقًا بيوسف عليه السلام وتعلق بنيامين ولم يخلو لهم وجه أبيهم أبدًا ولم ينالوا شيء من الأحلام التي تمنوها.

لا تابوا ولا خَلُوا لهم وجه الأب فتأكد أن المعصية عمرها ما هتوصل لك حاجة كويسة أبدًا ولا هتفيدك وأي مصلحة بترجوها من معصية مش هتوصلها واحد بيمشي مع بنات علشان يقول لك "أختار واحدة كويسة"، مش هتختار واحدة كويسة واحدة بتتبرج علشان يجي لها عريس كويس مش هيجي لك عريس كويس. هييجي واحد لواحدة متبرجة مش هو كويس مش هيبقى دين.

تمام؟ فاحنا ما نتنازلش عن ديننا واحد اشتغل حرام عشان الرزق ربنا مش هيبارك لك في الرزق فتأكد أن المعصية مهما زيّن لك الشيطان مش هتوصل لك اللي أنت عايزه أبدًا ودائمًا ربنا هيعاقبك في المقصد اللي أنت قصدته وهيحرمك بسبب أنك حاولت توصل له بالمعصية وما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.

سيدنا يعقوب عليه السلام قال الكلمة دي والألم بيعتصر قلبه لكن قدر أن هو يهدي نفسه بحاجة بقى خطيرة جدًا. قال:

{فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}

»»يعني إيه الكلام ده؟ هو يعقوب عليه السلام هدى نفسه بإيه؟ هدى نفسه بذكر أسماء الله سبحانه وتعالى دايمًا الإنسان يا جماعة أحيانًا بيبقى فيه ضيق فيه حاجة تعباه الحاجات التي بتخلي الإنسان يسكن علمه بأسماء الله تعالى يعني واحد شايل همًا مثلًا من الذنوب فيتذكر أن الله غفور رحيم أنه رحيم ودود فيهدأ، ويبقى عنده رغبة في التوبة واحد تعبان بسبب آلام المسلمين وتسلط الأعداء فيعرف أن الله عزيز ذو انتقام تجد فيه سكينة.

الأسماء الحسنى يا جماعة كل اسم بيعالج لك مشكلة لذلك النبي ﷺ في الدعاء المشهور الذي هو دعاء الهم والحزن كان بيقول:

"مَا أَصَابَ عَبْدٌ قَطُّ هَمًّا وَلَا حَزَنًا، فَقَالَ اللّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِندَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ هَمِّي وَذَهَابَ غَمِّي وَحُزْنِي."

الشاهد يعني أن في الحديث أو في الدعاء أن ذكر الأسماء وكأن فعلاً من أسرار زوال هموم الإنسان وغمومه تعلقه بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفات الله سبحانه وتعالى.

فيعقوب عليه السلام قدر أن هو يخفف عن نفسه صعوبة ذكر يوسف عليه السلام لأنه تذكر أو ذكر نفسه بأن الله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين فعلاً كان حفظ ربنا ليوسف عليه السلام أحسن من حفظ يعقوب عليه السلام ليوسف لو كان يوسف جنبه واللي ربنا عمله في يوسف عليه السلام أحسن من خطة يعقوب يعقوب كان بيتمنى يفضل جنبه ويقعد يربيه ويكبر جنبه لكن ما أراده الله أفضل مما أراده يعقوب عليه السلام فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا.

كان صعبًا على يوسف عليه السلام أن يتربى في بيئة مليئة بالحسد والمكر. فربنا نقله إلى بيئة أفضل عند عزيز مصر الذي كان يعامله كابنه وبيعامله معاملة طيبة جدًا.

ولما ساءت الأمور في بيت العزيز وبدأ الموضوع يوصل لفتنة النساء أراد الله أن يُدخل يوسف السجن في السجن كان هناك ناس يعاملونه بشكل جيد وقالوا له: {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} وبالتالي استطاع أن يتفرغ للعبادة ولما انتهت حكمة السجن خرج يوسف ليصبح مسؤولًا عند الملك فكانت رعاية الله ليوسف أفضل من رعاية يعقوب له لو كان يوسف بجواره فالإنسان يُفوض أمر أولاده إلى الله ويفوض أمره إلى الله، ويستودع أولاده عند الله لأنه سبحانه وتعالى هو "خَيْرُ حَافِظٍ"، وهو أرحم الراحمين.

ثم يذكر الإنسان نفسه بهذه الصفة العظيمة من صفات الله تعالى وهي أنه "أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" فقد يكون الله قادرًا على ابتلاء عبده ولكن هذا الابتلاء يحتوي على رحمة وهذا ما حدث في قصة يوسف حيث قال يعقوب عليه السلام لأولاده: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟} يعلم أن الله لا يضيع أولياءه ويعلم أن الله يضع في الألم رحمة هو أرحم الراحمين، سبحان الله قال يعقوب: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.

»»ما أجمل أن يتوكل الإنسان على الله في حفظ أولاده! ليس أنت الذي تربيهم ليس أنت الذي تحفظهم الأمر دائمًا مع الله سبحانه وتعالى فالتوكل على الله ليس فقط في الرزق هناك ناس يفهمون التوكل على الله فقط في موضوع الرزق لكن التوكل واسع توكل في حفظ الأولاد توكل في تربيتهم توكل في استقامتك واستقامة زوجتك وأولادك فالله خير حافظًا، وهو أرحم الراحمين.

قل: "اللهم إني استودعك أولادي، فاجعلهم وديعة عندك يا رب." في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ." تأمل كيف أن يعقوب عليه السلام فوض أمر الحفظ إلى الله فحفظ الله له يوسف .

لكن ماذا عن إخوة يوسف؟ عندما كانوا يقولون: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.} كانوا يعتقدون أنهم هم الذين يحفظون وعندما وثقوا في أنفسهم خذلهم الله وضاع يوسف وبنيامين لماذا؟ لأنهم متوكلون على أنفسهم احذر أن تقول: "أنا الذي أربي. أنا الذي أحفظ أولادي أنا الذي آمن لهم مستقبلاً." هذا خطأ سيتسبب في ضياعهم. قل: "ربنا الذي يحفظهم" فوضتهم لله وتوكلت على الله في تربيتهم وحفظهم ربنا يكرمك فيهم.

فكلما افتقر المربي والمعلم إلى الله في التربية وتوكل على الله في حفظ من يربيهم فإن الله يكرمه بهم ربنا حفظ يوسف لأن يعقوب توكل عليه وعاقب إخوة يوسف لأنهم توكلوا على أنفسهم.

»»» نعم الله خير حافظًا من فوائد هذه الآية أن الإنسان يتوكل على الله في حفظ بلاد المسلمين ويقول: فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

شوف ما يحدث لإخواننا في غزة ما يحدث في اليمن في السودان وفي بقاع الأرض فكر في قصة يوسف عليه السلام.

يوسف عليه السلام يمكن استبداله بما يحدث في غزة أو أي مكان آخر يمكن أن ترى ألمًا كبيرًا لكن إن شاء الله يكون هناك أمل في النهاية إذا عملنا ما علينا ونصرنا دين ربنا وأحسنّا التوكل عليه.

فقل: "اللهم نستودعك بلاد المسلمين نستودعك أهلنا في غزة في السودان في اليمن وفي كل مكان وأنت أرحم الراحمين يا رب اجعل في هذه المحن منحًا وفي هذا البلاء أملًا ورحمة".

»» من الملاحظات: في الآية قالوا: "أَخَانَا" عندما كانوا في حاجة مصلحة لكن عندما تحدثوا عن السرقة قالوا: "ابْنَكَ سَرَقَ". كيف تغيرت الألفاظ؟ حين كانت مصلحة، قالوا "أخانا"، وعندما كانت مشكلة قالوا "ابنك". هذا مثال على الناس الذين يتصرفون بحقد.

ثم قال تعالى: عندما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدت إليهم. قالوا: {يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي} أي: ماذا نريد من وراء ذلك؟ لا يوجد شر أو نية شر في طلبنا لأخينا.

{هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا} يعني كأنهم يقولون يعني الرجل أحسن إلينا وعمل معنا إحسانًا ورَجَعَ لنا بضاعَتَنا عشان نلاقي ثمنًا به السنة الجاية يعني إزاي ما نروحش له بعد كل ده وكمان فيه مصلحة لازم نروح أصلاً طب هَناكُل منين السنة الجاية وهو مش هيرضى يدينا إلا لو جبتَ أخانا بنيامين معنا.

فَضغطوا بكذا طريقة ضغطوا عن طريق إحسان يوسف عليه السلام وده أكيد بيأثر في يعقوب الأنبياء يُؤثِّر فيهم الإحسان وضغطوا بكارت أنَّا هناكل منين ما أنت لو ما

بَعَتْوش إحنا هنجوع كلنا طبعًا الأنبياء أرحم الناس وأكثرهم شفقة بالخلق وضغطوا بكارت كمان هقول لكم دلوقتي قالوا: "ما نبغي"،

»»أولًا أكدوا أن نيتهم سليمة هذه بضاعة ردت إلينا يعني الرجل أحسن إلينا فإزاي يعني ما نرجع لهوش بعد كل ده؟ فالإحسان بيأثر في يعقوب عليه السلام ونُميرُ أهلنا هنأكل منين؟ فتأثروا عليه برضوا بكارت الطعام الأنبياء أرحم الناس بالناس. بعد كده

»»الكارت الأخير التأكيد على أنهم فعلاً هَيحفظوه ونُميرُ أهلنا يعني نجيب لهم الميرة يعني الطعام ونحفظ أخانا تأكدوا أن إحنا مش هَنُضَيِّعُه أبدًا نحفظ أخانا ونزداد كيل بعير نرجع بكيل بعير زيادة كمان بدل ما رجعنا بعشرة المرة دي المرة الجاية نرجع باحد عشر ذلك كيل يسير المقصود به يسير على أهل مصر يعني يسير على عزيز مصر أو يسير على يوسف عليه السلام يعني هم مش هيكلفهم حاجة يدونا كيل زيادة بس هيفرق معنا كتير إن إحنا نرجع بكيل زائد طبعًا كل بقى كروت الضغط دي أثَّرت على يعقوب عليه السلام لكن برضوا حب أن هو يأكد عليهم بزيادة شوية قال: {قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ }، حتى! بدأ يلين، أهو بس عايز بقى تأكيد. {حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ} يعني تحلفوا.

وبعد كده ساب لهم نفسًا ومخرجًا عشان يعني ممكن حاجة غصب عنهم {لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ }، حلفوا، أقسموا قدامه بالله أن هم يرجعوه. قال: {قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ }.

»» هنا حاجة غريبة هو دلوقتي بيقول لهم: "احلفوا" هم أصلاً مش كويسين إيه فائدة الحلفان ما هم كده كده خلاص هيحلفوا عادي يعني لا خد بالك هو يعقوب عليه السلام أعلم بابنائه عارفهم كويس جدًا ودارسهم كويس جدًا يعقوب عليه السلام مش ممكن يكون طلب منهم أن يحلفوا إلا وهو يعلم أنهم يعظمون الحلف جدًا. فهمت؟ مش ممكن يكون يعقوب عليه السلام طلب منهم أن يحلفوا إلا لو هو يعلم ومتأكد أنهم يعظمون الحلف .

»»وده بينقلنا لحاجة مهمة مش معنى اللي قدامك وحش في حاجة أنه وحش في كل حاجة مش معنى اللي قدامك عنده كبائر معينة يكون بيتجرأ على كل الكبائر مش ضروري أنا ممكن أشوف شاب مثلًا يكون مثلًا بيشتم لكن ما يشربش خمر يقول لك: "لا ما يشربش خمر" تمامًا، ممكن يكون مثلًا بيشرب سجاير لكن مش بيعاكس بنات

يعني دايمًا الشخص اللي قدامك مش ضروري يكون كل حاجة بيعملها غلط مش معنى أنه عنده غلطة يبقي عنده كل الغلطات الثانية فممكن في حتة هو كويس فيها جدًا.

»» طيب الشطارة بقى للمربي لما يشوف اللي قدامه كده يميز هو إيه اللي بيتساهل فيها وإيه الحاجات اللي هو مستقيم فيها ويبتدي يركز على الحاجات اللي هو مستقيم فيها وينميها فيه ويشجعه عن طريقها ويحاول أنه يستثمرها كمان فلو وجد أنه مثلًا عنده مروءة هو بيعمل حاجات كتيرة غلط الولد عنده كرم عنده مروءة عنده شجاعة أنا أستغل الموضوع ده أدخل له من الباب ده فيعقوب عليه السلام عارف أن أخواته عندهم مشاكل عندهم حسد وعندهم حقد وعندهم كذب بس لو حلفوا يبقوا ناس تانية عندهم تعظيم قوي للحلف بالله حاجة عجيبة هو عارف كده. عشان كده استعمل الكارت ده قال لهم: "تحلفوا بالله". قالوا له: "هنحلف بالله". وحلفوا فعلًا.

ودليل على تعظيمهم للحلف: إيه اللي حصل؟ أنهم كانوا حريصين جدًا أن بنيامين يرجع عشان كده لما بنيامين ضاع منهم أخوهم، قال لهم:

{فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}.

قال كبيرهم: {أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}. هم ليه حريصين قوي كده يرجعوا بنيامين رغم أن هي كانت فرصة أنه ما يرجعش وخلاص ما هم ما بيحبوش برضوا؟ عشان حلفنا ده دال على أنهم فعلاً بيعظموا الحلف يبقى من الحاجات الجميلة أني ممكن أستغل في أولادي الحاجات الحلوة فيهم وأحاول أني أنميها يعني مثلًا عايز أربي ولادي على تعظيم الحلف أني ممكن أحتاجه ممكن أحتاج أن ابني أنا عارف أنه هو بيغلط وبتاع بس لو حلف مش هيكدب عليَّ.

طب عايز أربيه على تعظيم الحلف عشان هينفعني الموضوع ده في وقت ما؟ أعمل إيه؟

- أولًا: تكون قدوة في الموضوع ده. دي أول حاجة أن أنت ما بتحلفش إلا لو في حاجة مهمة أوي ولو حلفت انسى تلتزم التزامًا رهيبًا بالموضوع فهو بيشوف فيك القدوة
- نمرة اثنين: إحنا مش بنحلف كتير. الولد لو بيلاقي الأب والأم بيحلفوا كتير بيهون الحلف تلاقيهم بيحلفوا نادرًا لو بيحلفوا اعرف أن الموضوع ده خطير جدًا.

➢ نمرة ثلاثة: أن أنا بربي فيه تعظيم ربنا نفسه. وأقعد أكلمه عن ربنا كتير وبالتالي أنا لو حلفت بقى وقلت له: "أحلف بربنا"، اللي هو أنا معظمه فيه نفسه هيبقى الموضوع بالنسبة له مهيب جدًا إحنا محتاجين نعظم اليمين والعهد عند أولادنا.

»»المهم قال لهم بعد كده: "إلا أن يُحاط بكم"، عشان يخلّي لهم مخرجًا رحمة يعني وشفقة يمكن الموضوع يبقى غصب عنكم فلما أتوا موثقهم، قال: {قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}

وبعد كده أدّاهم نصيحة قال: {يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ} لما تروحوا هناك ما تخشوش من باب واحد تخشوا من كذا باب يعني خشوا القصر من كذا باب {وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ. إن الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ. عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

إيه بقى الكلام ده؟ أولًا، هو قال لهم نصيحة: {لا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ}. ليه؟

الإجابة؟ هل فيه حاجة في القرآن أو السنة تقول ليه يعقوب عليه السلام عمل كده؟ لا فما عنديش حاجة تحسم الإجابة إذاً يبقى الاحتمال وغلبة الظن للمفسرين أو السلف عمومًا من اللي فسروا الآيات دي بيحاولوا يستنبطوا يعني مثلًا

»»ورد عن ابن عباس ومجاهد والضحاك أن العلة أنه خشي عليه من العين خشي أن هما يتحسدوا ما شاء الله إحدى عشر واحد، طبعًا متخيل جمالهم عامل إزاي وشكلهم عامل إزاي فابن عباس بيقول إنه خشي عليه من الحسد لأنهم كانوا ذوي هيئة وجمال فخشي عليهم من العين والعين طبعًا ممكن تموت واحد وفي الحديث: "العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر."

»»وعن إبراهيم النخعي قال: "علة تانية". قال: "علم يعقوب أنه إن يوسف سيلقى أخوته في بعض تلك الأبواب". ده اجتهاد إبراهيم النخعي بيقول إن ربنا ألقى في قلب يعقوب أن لو أن يوسف عليه السلام موجود وإنه عايزهم يخشوا من كذا باب لعله يلقى أحد منهم عن طريق تلك الأبواب يبقى ده الخيط اللي يوصل به ليوسف عليه السلام الله أعلم.

»»أيًّا كانت العلة لكن لو على غلبة الظن تبقى قول ابن عباس هو الأقوى وده الأظهر يعني إنه خشي عليه من العين الله تعالى أعلم، لكن لعل ده الأظهر.

لكن لو قلنا إن العلة هي العين ففي مشروعية الأخذ بالأسباب لدفع العين يعني واحد عنده نعمة وبتاع وعارف أن في حد ممكن يحسده يشرع له أن هو إيه يحاول يخبي عنه النعمة دي بس مش مخبيها على الناس كلها بيخبيها عن من يخشى أن هو يحسده عشان كده بنحذر الناس أنهم ينشروا كل حاجتهم على النت كده. كل ما يروحوا فسحة ينشروا كل حاجة على النت الناس اللي بتحبك واللي بيكرهوك، واللي بيحسدوك، واللي بيدعوا لك بالبركة فالنشر العام ده خطر يا جماعة فإحنا لما يبقى ربنا يدينا نعمة بنبينها للناس الكويسة لكن للي أنا عارف ومتأكد أو يغلب على ظني أنه بيحسدني أو ممكن يعني يصيبني بالعين فده ممكن بواري عنه بعض النعم خشية من العين والحسد.

»»لذلك لو أنا بنشر على العام كده كله شايف يعني فالناس تخلي بالها يا جماعة الناس كتير بتتأذى بسبب المواضيع دي فالإنسان يُشرع له أن يأخذ بالأسباب .

»» هنا يعقوب عليه السلام بيطبق التوكل السليم إيه هو التوكل السليم يا جماعة؟

»»إن أنت تأخذ بالأسباب وأن أنت لا تتوكل على الأسباب إنما كل توكلك على الله تعالى.

هو أخذ بالأسباب أهو لو العلة العين أخذ بالأسباب قال لهم: "خشوا من أبواب متفرقة". ما سابهاش كده وخلاص اللي هو: "لا خش وعلى الله". ما هو كله على الله، بس لازم نأخذ بالأسباب. هو أخذ بالأسباب، وبعد كده أكد أنه مش معتمد على الأسباب. قال: {وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ}. يعني في الآخر توكلي على الله. {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

»»فدي حقيقة التوكل أنه هو أخذ بالأسباب مع عدم التوكل عليها.

أخذ بالأسباب مع حسن الظن بالله وتعلق القلب وتوكل القلب على الله سبحانه وتعالى {وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ}. يعقوب عليه السلام أخفى الحاجة دي وربنا أخفاها رعاية لإرادة يعقوب أن هو يخفيها فجعل الله تلك الخصوصية التي أراد يعقوب عليه السلام.

فلم يكشفها للناس حتى صار الموضوع ده مثلًا لما حد يبقى مخبي حاجة قوي ومش عايز يقولها يقول لك إيه؟ حاجة في نفس يعقوب يعني مش هقول لك يعني. سبحان الله.

»»من الفوائد الجميلة في الآية دي، كذا فائدة:

- الفائدة الأولى: أن يعقوب عليه السلام لأول مرة في القصة يقول لأولاده: "يا بني" خد بالك من أول القصة ما سمعناش قال "يا بني". الكلمة المحببة اللي بتحسسك إن لما أبني بحبه بقول له "يا بني".إشمعنى؟ ليه رق يعقوب هنا؟ رق يعقوب لأنه حس أن أولاده بدأوا يقربوا لربنا بدأوا يتغيروا لما حس فيهم تعظيم القسم لما الخير بدأ يبان فيهم هو على طول استجاب مع الخير ده ففي فائدتين:

الفائدة الأولى: لما ابنك يبتدي ينصلح حاول أنت على طول تصالحه فبعض الناس يزعل من ابنه وابنه بيحاول يبقى كويس هو بقى قفل خلاص مش عايز يفك أبداً. لا أنت حسيت أنه مقبل على الخير بدأ يعني... أنت تقبل برضوا بالتوازي معاه أول ما حس أن الخير بدأ فيهم بدأ يغير كلامه معهم، يقول "يا بني". فسبحان الله.

الحاجة الثانية: العكس بقى أن أنت لو أردت أن تكسب قلوب الناس فعليك بطاعة الله سبحانه وتعالى ربنا يجعل كل الناس حواليك تحبك وتعاملك كويس وترق لما تشوفك كما رق قلب يعقوب أول ما حس كده ببوادر الطاعة عند أبنائه فكلما ارتبط الإنسان بالله، كلما أحبته القلوب ووفدت إليه الأرواح. سبحان الله.

- الفائدة الثانية من الآية بنقول: المربي يعلن عجزه أمام من يربيهم الأب يعلن عجزه أمام أولاده هذا من تربيتهم حتى يعلقهم بالله ودايماً يأكد عليهم: "مش أنا اللي بعمل، ربنا اللي بيعمل". "مش أنا اللي بحفظكم، أنا عاجز". {ما أغني عنكم من الله من شيء}. شوف؟ أعلن عجزك لأولادك حتى يعتمدوا على الله فهذا من أفضل أنواع التربية للأولاد.
- من الفوائد أن نقول: عجباً لقلب يعقوب عليه السلام رغم كل ما فعله فيه إلا أنه لا يزال يخاف عليهم يا جماعة قلب الأب مهما عملت في أبوك مهما عملت في أمك، هيفضلوا يخافوا عليك برضوا. تأكد من كده. مهما عاملوك هم بيخافوا عليك خل بالك بيفكروا لك بيدبروا لك وبيسألوا عليك وبيقلقوا عليك جداً لو سافرت ولا رحت

ولا جيت فرفقاً بقلب أبيك وأمك تخيل بقى بعد كل اللي أنت عملته لسه برضه بيحبوك وبيخافوا عليك.

امتى بقى تنصلح حالك معهم؟ سبحان الله.

»»المهم، بعد كده هم فعلاً نفذوا اللي قالوا يعقوب عليه السلام: {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ}. يعني إيه الكلام ده؟ يعني هم بالفعل في النهاية عملوا اللي أبوهم قالوا لهم دخلوا من حيث أمرهم أبوهم.

طيب، إيه اللي حصل بعد كده؟. يعني فعلاً اللي ربنا هيقدره عليهم ما حدش يقدر يمنعه تأكيد لكلام يعقوب عليه السلام أن ما في حد يقدر يمنع قدر الله لو ربنا أراد القدر والاسباب مش هتمنع.

إحنا بناخد بالأسباب عشان يبقى عملنا اللي علينا في الآخر لو ربنا أراد أن شيء يحصل سيحصل مهما أخذنا بالأسباب لكن الأسباب مهمة و في النهاية قدر الله نافذ. بمعنى أنه كان بعتهم عشان ما يحصلهمش حاجة ولو قلنا إن العلة العين إحنا عندنا العلة تحتمل حاجتين:

» إما العين

» أو أن يوسف عليه السلام يلقى أخوته في بعض تلك الأبواب كما قال إبراهيم النخعي.

» ربنا هنا بين حاجتين: قال الأول إن قدر ربنا نفذ فيهم وبين أن الحاجة التي كانت في نفس يعقوب حصلت.

»» ركز في النقطة دي النتيجة التي حصلت هي أن هم راحوا إحدى عشر، رجعوا تسعة بنيامين يوسف عليه السلام أخذه والأخ الأكبر ما رجعش.

هو وداهم إحدى عشر رجعوا تسعة وكان خايف عليهم.

السؤال الأول: هل حصل ضرر على إخوة يوسف؟ الإجابة نعم.

إذاً نفذ قدر الله في أنهم أصابهم الهم والغم والكرب والضرر.

السؤال الثاني: هل حاجة يعقوب حصلت؟ برضه نعم.

تقول لي إزاي؟ طب ما هم ما رجعوش. هنسأل سؤال:

يعقوب عليه السلام إيه هو اللي كان خايف منه؟ إحنا قلنا عندنا احتمالين الحاجتين حصلوا.

» هو كان خايف أن يتضرروا بالعين وده ما حصلش، فعلاً فإن دخولهم من عدة أبواب، حماهم من العين.

» إذن لو دي حاجة يعقوب يبقى ربنا قضاها خلاص. أنهم لم يصابوا بالعين فعلاً.

» ولو كانت حاجة يعقوب أن دخولهم من جميع الأبواب سيؤدي إلى أن يوسف عليه السلام يلقى إخوته من بعض الأبواب فده حصل.

إذاً لو العلة التي من أجلها يعقوب قال لهم أن يدخلوا من عدة أبواب حصلت كأن ما أراده يعقوب من الله وظنه بالله فربنا قضاه.

» على الجانب الآخر أخوة يوسف اتعاقبوا على سوء أفعالهم وخيانتهم وكذبهم وإيذائهم لأخيهم وأبيهم فاللي حصل في إخوة يوسف أنهم أصيبوا في بنيامين بل أصيبوا في الأخ الأكبر بتاعهم أنه ما رجعش.

ليس لأن الله خذل يعقوب عليه السلام لأن الحاجة التي كان ناويها حصلت خلاص لكن الإصابة التي حصلت وهي أنهم رجعوا تسعة بدلاً من أحد عشر بسبب ذنوب إخوة يوسف إنما أوتوا من قِبل سيئاتهم أو من قِبل الكذب والخيانة والحسد، فإصابهم بذلك الهم والغم والانكسار والذل وهذه عاقبة الذنب دائماً عاقبة الذنب دائماً مرارة.

» أما يعقوب فقد أدى الله له الحاجة التي أراد الله أعلم بها لكن ربنا قضاها كما قال أما المصاب الذي حصل لهم فبذنوب إخوة يوسف.

» لذلك جمع الله بين الاثنين في قوله: {وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ }. يعني قضى ربنا وقَع عليهم فعلاً وأصيبوا وأصابهم الهم والغم ورجعوا ناقصين إلا أن حاجة يعقوب قضيت. { إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ }.

ثم أثنى الله تعالى على يعقوب فقال: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ}

قالوا معنى "ذو علم لما علمناه" في معنيين:

- المعنى الأول لذو علم: يعني العلم الذي كان عند يعقوب إنما تعلمه من الله سبحانه وتعالى.
- المعنى الثاني: قالوا {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ} أي ذو علم حافظ لهذا العلم بالعمل يعني أنه لذو علم عامَلَ بهذا العلم إذاً المعنى أن يعقوب عليه السلام كان صاحب علم وعامل بذلك العلم.

» إذاً من الفوائد التي نختم بها:

من لا يعمل بالعلم لا يصح أن يسمى عالماً فإنما العلم الخشية.

وأخيراً نقول:

- الحذر لا يمنع من القدر.
- أطع والديك ولو لم تفهم سبب الأمر فدائماً في أوامرهم الخير.

وأخيراً:

لا تثق في خطتك مهما أحكمتها فالأمور بيد الله سبحانه وتعالى.

وبكدا تقريباً نكون خلصنا المراد من المقطع ده والحمد لله.

المرة دي خلصنا المطلوب كله. إن شاء الله المرة القادمة نبدأ من أول قوله تعالى:
{وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ}

الله يجازيكم كل خير ، ربنا يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

المحاضرة العاشرة

إني أنا أخوك | الخطة اليوسفية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبا بكم في اللقاء العاشر من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة. تعلمت من يوسف عليه السلام .

الحقيقة المرة الماضية كان لقاء ممتع وتكلمنا بفضل الله سبحانه وتعالى عما حصل بين أبناء يعقوب عليه السلام وبين يعقوب عليه السلام .

في اقناعه ان هو يرسل معهم اخاهم بنيامين والعهد الميثاق اللي اخذه يعقوب عليه على بنيه وأثر ذلك واتكلمنا في تفاصيل دقيقة وفوائد تربوية رفيعة.

النهارده بأذن الله سبحانه وتعالى هيكون معنا مشهد مؤثر جدًا .

وهو دخول أخوة يوسف عليه السلام على يوسف عليه السلام ومعهم بنيامين .

و كما سنرى ما الذي سيحصل عند لقاء الاخوة وبعد كده حيلة يوسف السلام علشان يُبقي أخاه معه قصة طويلة يعني هنشوف كيف اتهم أخوة يوسف يوسف عليه السلام بالسرقة..

خلينا كالعادة نبدأ بقراءة الآيات هنقرأ من قوله تعالى : وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ } إلى { قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ }.

نستعين بالله تعالى ونتوكل عليه. ونبدأ في قراءة المقطع الخاص بهذا اليوم. عايزين نحفظ بقى ما تنسوش.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

{ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا

الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ۞ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) }

هذه الآيات الكريمة من سورة يوسف عليه السلام انتقلت بنا الى مشهد خطير وهو أن أخوة يوسف عليه السلام الآن ارتحلوا مرة ثانية من عند أبيهم ووصلوا إلى يوسف عليه السلام .

القرآن كالعادة بيختصر المشاهد مش هيكون لها أثر قوي في التفسير هو اكيد يوسف عليه السلام لما استقبلهم ودخلوا اكرمهم واكرم ضيافتهم واحتفى بهم وأحسن إليهم ونحو ذلك.

ثم كانت الفرصة ان يأوي إليه أخاه ازاي هيستطيع ان هو ينفرد ببنيامين لوحده يقال ان هو عشان يعمل كده يوسف عليه السلام عمل لهم أماكن ضيافة يعني زي غرف كده يستضيفهم فيها وكانت الغرفة لا تكفي الا اثنين فقط.

»» شوف بقى في حيلة يوسف عليه السلام عشان ينفرد بأخيه ويعرف يكلمه هيأخده ازاي ويكلمه لوحده عمل لهم غرف ضيافة الغرفة تكفي اتنين فقط فطبعا الاخوة كانوا بقوا إحدى عشر اللي هم العشرة الاخوة من أم واحدة و بنيامين لوحده.

فطبعا كل اثنين قعدوا مع بعض غرفة وتركوا بنيامين وحده ليجلس وحده في غرفة ضيافة دون أن يكون معه أحد وهنا دخل عليه يوسف عليه السلام في مشهد يعني غريب مشهد عجيب مشهد يعني يخلي الانسان جسمه يقشعر .

وهو الآن بنيامين بعد مدة طويلة جدًا من الزمان سبحان الله يعني يلقى اللقاء المنتظر يجلس معه يوسف عليه السلام وحده تمامًا ويكلمه ويقول له إني أنا أخوك أخويا!

أخويا مين انا يوسف مش معقول! مش ممكن! ازاي! يوسف! ويحكي له ويثبت له ويوريه شكله علشان يفتكر ويبتدي بنيامين يشبه ايوه مش ممكن ازاي! حصل ايه؟

فيوسف عليه السلام يبتدي يضم بنيامين إليه في موقف مليء بالمشاعر ومليء بالحنان ومليء بالعطف ربنا اختصر الموقف ده بكلمة اوى فيها الضم فيها الكلمة الجميلة فيها الحنية فيها الأنس فيها الحنان اللي اتحرم منه بنيامين من زمان ما هو بنيامين بيعاني برضه من كيد اخواته و فضل صابر من سنين وعلى أمل يعني إن يمكن يشوف يوسف عليه السلام في يوم من الأيام الصراحة لحظة يتوقف عندها الزمان.

»»لحظة تحتاج أن الزمن يتوقف كده ونقعد نتفرج على وجه بنيامين عليه السلام وأظنه كان في حالة من التأثر والبكاء، و... يعني المشهد مش محتاج إن إحنا نوصفه لأنه واصف نفسه كمية العطف والحنان اللي بثها يوسف عليه السلام في بنيامين تجعل القلب يذوب حبًّا في يوسف عليه السلام .

أيُّ شخصيةٍ هذه؟! يعني انظر إلى ضبط نفسه واستطاع إنه يتحكم في نفسه أنا أصلًا بتخيل يوسف إزاي يتحكم في نفسه وهو شايف أخوه قدّامه ولازم إنه يعمل وجه جامد علشان ميبينش قد إيه مشتاق له رغم إنه بيحبه جدًّا ومشتاق له جدًّا إزاي تحمّل ضبط النفس ده لغاية ما قعد معاه لوحده وبعد كده صرّح له بهذا التصريح:

{ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

»»قال له الكلمة الجميلة دي: "إني أنا أخوك". الله.. الكلمة الطيبة اللي بتخلي الإنسان - سبحان الله - يشعر بالدفء الكلمة اللي بتذكّر الإنسان برابطة الرحم والقُربى والأخوّة الصادقة كم نحتاج أن تُقال لنا! إحنا محتاجين يا جماعة حد يقول لنا الكلمة دي كتير أنا عارف إنك أخويا بس قلها لي كل فترة قلها لي وفكّرني بها لأنها بتفرق معي كتير قل لي: "إني أنا أخوك" قولي لأختك كده لما تحسّ بيها إن هي متأزمة فيه مشكلة بتاع... قُل لها: "أنا أختك"، "أنا جنبك"، "أنا أختك في الله" أو "أختك في النسب" أكيد أعلى حاجة بقى إنه يبقى أخوك في الله وأخوك في النسب نفسه ولو مش أخوك في النسب يبقى على الأقل يبقى أخوك في الله والأخوة في الله أحيانًا قد تكون أقوى من أخوة النسب.

فأنا بحتاج أسمعها من أخويا اللي في النسب محتاج أسمعها من أخويا في الله. أحيانًا ببقى أنا في وضع محتاج حد يقولها لي بس يقول لي إيه؟ "أنا أخوك"، "أنا جنبك."

{فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

»»علاقة الأخوة هي أسمى أنواع العلاقات علاقة الأخوة يعني أسمى العلاقات الإنسانية تذوب معها القسوة ويذوب معها ما يجد الإنسان من صعوبة في الحياة.

»»سبحان الله يعني انظروا إلى الفرحة... يعني الإنسان يتخيّل فرحة بنيامين بلقاء يوسف عليه السلام وبيقعد يتخيل كده كيف ستكون فرحتنا بلقاء يوسف عليه السلام في الجنة! يا رب ارزقنا لقاء يوسف عليه السلام في الجنة لما نشوفه كده في الجنة يعني وإحنا ماشيين كده في الجنة بإذن الله فيُقال: هذا يوسف عليه السلام.

يعني الإنسان بيتخيل المشاعر دلوقتي بيقول: يعني لو إن الجنة بس ما فيهاش إلا إن إحنا هنشوف يوسف عليه السلام لكان هذا يكفي إن الإنسان يموت نفسه شغل علشان بس يرى وجهه عليه السلام ويكلمه يسلم عليه بس... ويشعر بهذا الدفء في لقاء يوسف عليه السلام.

فكيف وفيها محمد ﷺ، وسائر الأنبياء؟! وكيف برؤية وجه الله سبحانه وتعالى؟!!

» الفائدة الأولى

"إني أخوك فلا تبتئس..."

لا شيء يعدل الأخ الصادق هو الذي يشعر بك دون أن تتكلم مع الأخ الصادق مع الأخت الصادقة أنت لا تحتاجين أن تتكلمي هي تشعر بك دائمًا قبل أن تتكلمي.

» الفائدة الثانية

نلاحظ في القرآن إن القرآن أبرز لنا دور الأخ والأخت كتير وكأنه بيعلّمنا هو إزاي الأخ فعلًا ده يبقى أخوك بجد والأخت تبقى أخت بجد إزاي هنجد إن في قصة موسى عليه السلام فيه دور ضخم للأخ والأخت أخته اللي كانت سبب في رجوعه للبيت:

{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ.}

سبحان الله!

{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ}

{فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ}

» **دور الأخت:** الأخت كانت سبب في خير كبير لموسى عليه السلام كانت سند ودعم لموسى عليه السلام.

» **دور الأخ:** هارون عليه السلام اللي هو أكبر من موسى عليه السلام قال:

{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا.}

قال:

{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ}

يا سلام! هو الأخ كده الأخ رِدء الأخ يدافع عني الأخ ينصرني الأخ يقف جنبي هي دي صفات الأخ سواء الأخ في النسب أو الأخ في الله.

{إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ}

هنلاقي دور... يعني سبحان الله... دور الأخ والأخت في القرآن كان ظاهر جدًا في قصة موسى عليه السلم، وكذا في قصة يوسف عليه السلام. واضح جدًا أثر الأخوة في هذا الشعور بالأمان والإطمئنان اللي حس به بنيامين أخو يوسف وبالتالي، ده بيرسم لنا صورة: هو الأخ المفروض يبقى عامل إزاي.

هو إحنا ليه في بيوتنا يا جماعة علاقة متوترة بين الإخوة دايمًا؟ ليه؟! دايمًا في البيوت بتلاقي الإنسان صاحبه أهم من أخوه وصاحبه هو اللي بيقف جنبه بس أخوه اللي في النسب ما بيقفش جنبه! ليه البنات في البيت دايمًا في نزاع ما بينهم؟! على الأكل، على الشرب، على الميك أب، على السرير، على الفيشة، على الشاحن، على أبسط شيء، على اللبس، على الدولاب؟!

دايمًا صراعات وأنس البنت برّه دايمًا، برّه البيت، مش مع أختها أبدًا، عمرها ما ترتاح مع أختها، ما بتحبش أختها.

هي مع صحباتها، لكن أختي دي دايمًا مشاكل، دايمًا في مشاكل ما بينّا، ما بيحبوش بعض، ولا يعرفوا مشاكل بعض، ولا، ولا يعني قلّما تجد أُخوَة يعني فين الأخوّة اللي في ما بينهم الأحضان وفي ما بينهم المشاعر وفي ما بينهم الفضفضة؟ إن يحكيلك مشاكله، وإن هو فعلاً أخوك، هو اللي بيحل لك مشكلتك.

الأخت الكبيرة هي اللي شايلة أخواتها وهي اللي عارفة مشاكلهم وهي اللي بتتصدّر لهم في المشاكل وهي اللي بتحلّ المشاكل في الآخر وهي اللي بتقعد معاهم، وبتسمع منهم، وبتديهم مشاعرها وبتفضفض لهم ويفضفضوا لها.

» فين الجو ده في بيوتنا؟ إحنا دايمًا الصورة النمطية للإخوة: مشاكل. والأصحاب هو ده التمام! سبحان الله يعني... عايزين نرجّع الجو الدافي ده المفترض أقرب حد ليك هو أخوك وأقرب حد ليكِ هي أختك الإخوات أقرب ناس لبعض يا جماعة.

فلا يوجد أجمل في الدنيا من أخ يرقّ لك، يحمل عنك، يتألم لألمك. زي ما قلنا: يا ريت يبقى هو الأخ في النسب، أو على الأقل يكون الأخ في الله.

» السيدة عائشة في حادثة الإفك مش قادرة تنسى موقف المرأة الأنصارية اللي دخلت عليها بتقول: وأنا بأبكي في حادثة الإفك، فدخلت امرأة من الأنصار، فجلست، فأخذت تبكي معي، ثم انصرفت.

شوف موقف زي ده: "إني أنا أخوك" لو أنا ما عنديش غير إني أديك مشاعري بس هاديك مشاعريعني لو أنا ما فيش في إيدي حاجة أعملها لك مجرد إني هقعد أواسيك بالكلام أو أبكي جنبك هذا يكفي. والله، موقف لا يُنسى أبدًا لهذه المرأة. سبحان الله.

» الفائدة الثالثة

نقول: حين تخذلك قوى الأرض جميعًا، ستعرف أخاك الحقيقي، فإنه الذي سيُقاتل الدنيا من أجلك.حينما يخذلك كل الناس، مين أخوك ساعتها؟

أحيانًا إحنا بنحط ناس في مكان مش مكانهم يقول لك: ده أخويا، ده حبيبي، دي حبيبتي ودي أختي في الله طيب لما الدنيا وقفت ضدك مين اللي فضِل ثابت جنبك؟ هو ده أخوك هي دي أختِك اللي فضلت جنبك لما الدنيا جت عليكِ.

"حِينَ تُحَارِبُكَ قُوَى الْأَرْضِ جَمِيعًا، سَتَعْرِف أَخَاكَ الحَقِيقِي، هُوَ الَّذِي سَيُقَاتِل الدُّنْيَا مِن أَجْلِك".

"فلا تبتئس" هذه علامة الأخوّة الصادقة: أني ما دام أنا معك لا أبتئس طول ما أنا معك همومي بتخف همومي بتتوزّع علينا طول ما أنا معك أنت سبب فرحتي عمرك ما كنت سبب حزني.

»»أحيانًا إحنا بنتعلّق بأشخاص من كتر تعلّقنا بيهم إحنا مش واخدين بالنا إنهم سبب حزننا دايمًا سبب بؤسنا دايمًا دايمًا بيسيئوا الظن بينا دايمًا بيعاملونا باستعلاء دايمًا بيزلونا في العلاقة دايمًا بيستعلوا علينا.

ما خدتش بالك إن في ناس كتير في حياتك انت مقربهم منك قوي وهم سبب بؤسك وشقائك في الحقيقة؟

محتاج تعيد تفكيرك محتاجة تعيدي تفكيرك في علاقاتك مش كل حد حبّيناه واتعلّقنا به يطلع هو الأخ الحقيقي.

محتاجين نبدّل محتاجين نغيّر محتاجين نعرف.

» وممكن يكون في حد علاقتنا به مش قويّة أو إحنا من زمان مش حاطينه في دايرة المقربين بس كل مواقفه رائعة عمره ما خذلني رغم إنه مش أقرب حد لي بس دايمًا جنبي.

عارفة؟ وعارف؟ لو بصيت حواليك دلوقتي وراجعت كل الأسماء هتكتشف إنك محتاج تقرّب ناس وتبعد ناس مش كل حد ينفع يتقال عليه الأخ اللي بجد أو الأخت اللي بجد.

الأخ اللي بجد ما يكونش سبب بؤسي، ما يكونش سبب شقائي.

ليه دايمًا علاقتك بفلان دايمًا نكد، دايمًا مشاكل؟ دايمًا بنتصالح ونتخاصم ونتصالح ونتخاصم عمرنا ما صفّينا يومين على بعض.

ليه علاقتِك بفلانة كلها كيد وحسد ومشاكل؟ ونخش في مواضيع بحس إن دايمًا علاقتنا متوترة؟

يبقى مش هي دي العلاقة الأفضل.

علامة العلاقة السوية، الأخ الصادق أو الأخت الصادقة: "إني أنا أخوك فلا تبتئس".

- أخويا بيشيل همّي، بيقلل بؤسي، مش بيزوده.
- أخويا بيزيل أحزاني، مش بيكون سبب فيها.
- أخويا بياخد أحزاني يوزعها عليه، وبيحاول يكتم عني أحزانه.
- علامة الأخ الصادق: أنه دائمًا سبب لتخفيف البؤس عنك.

أحيانًا بنحب نسمع الكلمة اللي بتطمنّا.

»»الفائدة اللي بعد كده:

الكلمة اللي بتطمن جميلة: "فلا تبتئس"، يا جماعة الآية دي فيها كلمتين مهمين جدًّا: (آوَى – فلا تبتئس)

يعني إيه "آوَى"؟ يعني: ضم، يعني: خده بالحضن.

"فلا تبتئس": قال له صريحة ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]

الفائدة اللي هنا لا تبخل بالمشاعر ولا بالحركات.

أحيانًا نحتاج إليها جدًّا.

بعض الناس، هو بيقف جنبك، بس هو واقف ساكت.

بس أنا كنت محتاج ساعتها حد ياخدني في حضنه بس.

كنت محتاج ساعتها أسمع أي كلمة تطمّني.

حد يقول لي: ما تقلقش.

حد يقول لي: أنا جنبك ما تخافش.

حد يقول لي: الموضوع عندي، روح إنت، وأنا هقوم بالموضوع ما تخافش سيبني أنا أتعامل معاهم، روح إنت.

أنا محتاج أسمع الكلمة دي.

أنت وقفت جنبي؟ جميل.

بس أنت بخلت عليّ بحركة كانت هتفرق معايا بخلت عليّ بكلمة كنت أنا محتاجها فلو سمحتم يا جماعة ما تبخلوش بالحركات أحيانًا بقى مثلًا، يعني أنا شايف أخويا متوتر ومتأزم وبتاع ممكن أقول له: تعالي، وأخده بالحضن، وأقول له: ما تخافش.

ما تخافش يا فلان أنا جنبك ما تقلقش إحنا مع بعض، في إيه؟ مالك؟ هتتوتر ليه؟ إحنا جايين لك مخصوص.

عارف انت "الضمة" اللي أنا عملتها دي مع الكلمتين دول؟ هو في حتة تانية.

وممكن أجي أقف كده وأنا عارف إن أنا ممكن أضمّه بس قلت: مش مشكلة مش لازم وممكن عندي كلمة حلوة أقولها.

يا جماعة بلاش بخل لا تبخلوا بالكلمات ولا تبخلوا بإظهار المشاعر ولا بالحركات الداعمة.

ممكن يكون اللي قدامك مش محتاج منك أي حاجة غير "ضمة". غير إنك كتفك في كتفه بس. غير إنك تقوله كلمة حلوة مش عايز حاجة تانية.

يوسف عليه السلام طلع كل حاجة...حركات، ضمّ،

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

الآية دي كلها مشاعر! ضمّ، وإيواء، وتصريح: "إني أنا أخوك"... ليه كل ده؟

علشان هو محتاج يسمع الكلمتين دول.

يبقى إحنا محتاجين نظهر مشاعرنا، نظهر أحاسيسنا ما تبخلش بالكلمات ولا بالحركات.

» فسبحان الله يعني... هي دي علامة الأخ يا جماعة.

ابن تيمية رحمه الله عليه، بيوصف الأخ بوصف جميل قوي.

بيقول: "الأخ مع أخيه مثل اليد والعين إذا بكت العين مسحت اليد الدموع وإذا تألمت اليد بكت عليها العين."

يا سلام! ده وصف جامد قوي.

اليد والعين... إذا بكت العين، اليد تمسح الدموع وإذا تألمت اليد العين تبكي لألمها.

فالاتنين بيتفاعلوا مع بعض.

أحيانًا بعض العلاقات يا جماعة، بنكتشف إنها كانت من اتجاه واحد بس.

اللي قدامي عايزني دايمًا مهتم بيه بس هو عمره ما اهتم بيا.

دايمًا لما يزعل لازم كلنا نتفاعل، لكن إحنا زعلنا كتير وما سألش علينا.

دايمًا لما يفرح لازم كلنا نحتفي ونهتم...

طب وأنا؟ ما بيفرحش بفرحي ولا حسّيته جنبي في يوم من الأيام.

لا... يبقى مش هو ده.

على فكرة، أنا مش بقول لك تعامله وحش... فيه فرق بين الناس اللي هتقربهم منك والناس اللي هتعاملهم كويس بس مش ده اللي يستحق إنه يكون في الدائرة المقرّبة مني.

علشان ما أبتئسش، علشان ما أتعبش بسبب ناس اديتهم مساحة ما كانش المفروض إنّي أديها لهم.

فاللي عايز أقوله إن الأخوة الصادقة قصة تانية وقصة كبيرة.

تتسع الحياة، والله، ولو كانت أضيق ما يكون، حين يشاركك أخوك في حزنك، ويواسيك في همك، ويواسيك في ألمك.

معلش، سيبوني أفضفض شوية...علشان موضوع الأخوة الصادقة ده موضوع ذو شجون.

الإنسان في الواقع للأسف نادرًا ما يجد الأخ الصادق.

وأظن حتى الأخوات قلّما تجد الأخت الصادقة في أخواتها.

العالم بقى فيه مصالح كتير.

العالم بقى فيه كذب كتير.

العالم بقى فيه غش وتمثيل كتير.

ادّوني بس ربع ساعة أفضفض معاكم في الموضوع ده...

أنتم عارفين إن الأخوة الصادقة تزود الإيمان؟

ودي من علامات الأخوة الصادقة إن أنا مع أخويا أحس إن إيماني بيزيد.

لأن الحديث بيقول كده، قال عليه الصلاة والسلام ﷺ:

"ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار".

وفي الحديث أيضًا:

"من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان".

فقد استكمل الإيمان !

سبحان الله... الإيمان والأخوة الصادقة صِنْوان، لا يفترقان.

ده يزيد، ده يزيد. ده يقل، ده يقل.

السلف رحمهم الله كانوا يعتبروا إن من الحاجات اللي بتهوّن علينا الدنيا الأخوة.

هل إحنا بنحس بكده؟

كان أحد السلف يقول:

"والله لولا ثلاث ما أحببت البقاء في الدنيا صلاة الجماعة، وقيام الليل، ولقاء الإخوان الصادقين".

لقاء الإخوان الصادقين...

دول تلات حاجات هي دي اللي مخلّياني مستحمل الحياة وهي دي اللي مهوّنة عليّ الحياة.

إذاً... الأخوة الصادقة هي اللي بتهوّن الحياة.

أروح الشغل، ألاقي مشاكل.

أروح الشارع، ألاقي مشاكل.

وبعد كده... أقابل أخويا الصادق.

أخويا اللي بيحبني... أحس إن ما فيش عندي هموم.

هو عايز يشيل همّي ومش بيديني همّه.

هو بيديني ومش عايز ياخد مني.

هو ما بيزعلش مني بيحسن بيّ الظن دايمًا ما بيحمّلش كلامي على أسوأ المحامل

لا يسيء الظن بيا.

مش محتاج دايمًا أتكلف له.

مش محتاج دايمًا أعتذر له.

مش محتاج دايمًا أراعيه.

هو عايز يديني، مش عايز ياخد مني.

هو عايز يشيل همّي ومش بيقول لي همّه أصلًا... إلا لما أتحايل عليه.

بينقي كلامه لما يتكلم معايا.

بحسّه بيحبني فعلًا صادق وما فيش أي مصلحة بيني وبينه.

ده اللي الحياة بتهوّن علشانهم.

اللي إحنا بنحب الحياة علشان فيها ناس زي دول.

"لولا ثلاث ما أحببت البقاء في الدنيا: صلاة الجماعة، وقيام الليل، ولقاء الإخوان الصادقين".

ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه كان إذا لقي إخوانه في الله كان يقول لهم: "إخواني أنتم جلاء أحزاني."

إخواني أنتم جلاء أحزاني يا ترى أنا كده؟ بحس كده حواليا؟ في إخواني الصادقين هم جلاء أحزاني؟

» فعلاً الشخص اللي وجودك معه بيخفف أحزانك هو ده حبيبك هو ده اللي تقربه منك.

» اللي بيفكرك بالله هو ده حبيبك حتى لو بيضغط عليك شوية حتى لو أختك بتبعت لك رسايل كتير بتفكرك بالله أو بتكلمك كتير عن الحجاب أو الصلاة دي أوعي تفرّطي فيها أوعي تفرّطي فيها.

تقول لي: بتتكه علي أحيانًا؟ بتضايقني أحيانًا؟ مش مهم.

الثانية الخفيفة على قلبك اللي هي بتقعد تكلمك في الأفلام والمسلسلات والهزار والبنات والولاد والكلية والميك أب ولا قالت لك: صليت العصر ولا لأ؟ ولا فكّرتك بورْد القرآن؟ ولا بتصحيكي فجر؟

هي خفيفة، بس مش هي دي الثانية أفضل بكتير.

لذلك بلال بن سعد الأشعري كان بيقول كلمة جميلة قوي يقول:

" أخٌ لك كلما لقيك ذكّرك بحظك من الله، خيرٌ لك من أخٍ كلما لقيك أعطاك دينارًا في يدك."

يعني اللي بيقابلك يفكرك بالله، أحسن من اللي يقابلك ويديك جنيه دهب في إيدك.

فلازم نعرف مين فعلاً اللي بيحب لنا الخير، هو اللي بيذكرنا بالله.

الحسن البصري بيقول كلمة قيّمة جدًّا، بيقول:

"إخواننا أحب إلينا من أهلينا، إخواننا يذكروننا بالآخرة، وأهلونا يذكروننا بالدنيا."

يعني بيقول: الأخ الصادق هو اللي بيفكرني بالآخرة أما اللي كل ما أقعد معه ناكل إيه ونشرب إيه ونتفسّح فين ونلعب إيه...

الثاني أول ما بقابله: يلا صلاة جنازة، يلا طلب علم، يلا حفظ قرآن، إنت مجتش تصلي الفجر ليه؟ إنتِ مالك اتغيرتِ ليه؟

لا إنتِ قصّرت في الورْد لا إنتِ ما بتجيش الدرس لا إنتِ ما سمعتيش الدورة...

ده أحسن من ده. بيفكرك بالآخرة أحسن من اللي كل ما يقابلك يفكرك بالدنيا.

بعض السلف بيقول: "من لك مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقسمون ميراثك وَهُوَ قَدْ تَفَرَّدَ لَكَ بِالدُّعَاءِ وَأَنتَ فِي أَطْبَاقِ الْأَرْضِ."

أخوك الصادق ده هينفعك حتى بعد موتك تلاقي الناس نسوك ناس وزعوا ميراثك وهو من ساعة ما مِتّ منسكش يوم: عامل لك صدقة جارية عمل لك عمرة بيدعي لك في كل صلاة.

اشتروا يا جماعة الناس دي لذلك كان عمر يقول: "استكثروا من الإخوان الصالحين فإن لهم يوم القيامة شفاعة"،

أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ أَهْلِ النَّارِ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

كان لهم أصدقاء بس فين الصديق اللي ينفعني يوم القيامة؟ هو ده الصديق.

من علامات الصديق فعلاً المقرب: سؤال بسيط جدًا، اسأله لنفسك:

ده لو أنا جيت يوم القيامة، أحب أقف معه ولا لأ؟

» لو الإجابة "لا"، يبقى ما نقفش معه من دلوقتي لأن المرء مع من أحب.

» لو الإجابة "آه"، يبقى حافظ عليه.

ده إنت وهو هتنفعوا بعض يوم القيامة حد فيكم هيلحق الثاني أو هيشفع للثاني، أو في الجنة هتبقوا مع بعض، والأدنى يطلع للأعلى، لا شك أن في منفعة.

أحد السلف كان يقول: "عليك بالأخوة الصالحين، فإنهم أخف الناس عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة."

علامة جميلة الأخ الصالح خفيف عليك دايمًا مش بيكلفك مش دايمًا تحس إنك في تكلّف معه.

عكس الثانى دايمًا محسّسك بالتقصير دايمًا محسّسك إنك ما بتهتمش دايمًا تحس إنك بتحسب حسابات كتير قوي عشان تتعامل معه دايمًا بيشيلك الهم دايمًا بيطلب منك طلبات دايمًا فيه مصلحة وفي نفس الوقت ما بتلاقهوش جنبك أما تعوزه.

بالعكس الأخ الصالح أقل واحد عليك مؤونة مش بيكلفك حاجة ولا بيتعبك هو أكثر الناس لك معونة مش مستني منك مقابل ولا حاجة.

لذلك، الأخوة الصادقة دي يا جماعة لها حقوق ولها علامات.

» من حقوق الأخوة الصادقة: التزاور، إن إحنا نزور بعض نسأل على بعض

النبي ﷺ أخبر عن رجل زار أخًا له في الله فأرسل الله ملكًا على هيئة رجل على مدرجته – يعني في طريقه–

قال: "إلى أين تذهب؟"

قال: أزور أخًا لي في الله في هذه القرية.

قال: هل له عليك من نعمة تربّها – يعني عامل معك جميل أو واجب؟

قال: لا، ولكني أحبه في الله.

قال: "فإني ملك من عند الله تعالى قد أرسلني إليك ليخبرك أنه يحبك كما أحببت أخاك فيه."

ما شاء الله! تزاور، السؤال، ولو بالتليفون حتى.

»»من ذلك من العلامات القويّة: أن الأخ الصادق يفرح لفرح أخيه والأخت تفرح لفرح أختها حتى لو الحاجة اللي حصلت لأخوك دي هي مش عندك أو كان نفسك تكون عندك.

واحد أخوه بقى غني وهو لسه فقير الصدق إنه يفرح له.

أخت ما بتخلّفش وأختها خلّفت تفرح لها ولا حسد ولا أي حاجة تتمنّى لها الخير وتدعي لها بالبركة والنفسيّة سليمة تمامًا.

ده الأخ الصادق، ودي الأخت الصادقة.

واحد في شركة، وإحنا الاثنين إخوة وفي شركة واحدة هو جاله ترقية وأنا ما جاليش أفرح له أخويا حبيبي أتمنى له الخير.

» سبحان الله يعني هذا كان طول حال الصالحين وحال السلف لا يجدوا في نفسهم غضاضة لا حد عَلَى حدٍ بل كانوا يفرحوا لبعض أه، بينافسوا بعض لكن ما فيش حد بيجد في نفسه غلٍ ولا حقدٍ ولا حسد.

» من علامات الأخوة الصادقة أنك تحزن لحزني ده الأصعب ساعة الفرح بلاقي ناس كتير لكن ساعة الحزن ما بلاقيش حد إنك تحزن لحزني دي مش سهلة

شفت موقف المرأة اللي في الأنصار عملت إيه فده موقف مؤثر جداً

» من علامات الأخوة الصادقة الإيثار أن يكون في خير جاي لي وممكن أديه لك أنت أحب لك الخير دوت .

أنتم عارفين حكيم ابن حزام مرة كان ماشي لقى عبد الله بن الزبير بن العوام مهموم قال له: مالك؟ قال: ديون على مات أبي وتركها -الزبير بن العوام مات وترك ديون- قال: كم؟ كم ترك من الديون؟ قال: الفي ألف- يعني اثنين مليون-
فقال حكيم الحزام: علي ألف ألف هو واقف سد من ديون الزبير ابن العوام.

» من أجمل المشاهد في الأخوة الإيمانية مشهد المفروض يُسجَّل في كتب التاريخ في كتب الأخلاق السامية مع أن المشهد ده بيذكر في كتب الفقه.
أنتم عارفين في فقه الحج يقول لك: ما ينفعش واحد يحج عن غيره إلا لما يحج عن نفسه أولاً.
فمن الأدلة اللي بيذكروها إن النبي ﷺ لقى رجلاً في الحج، وهو يقول: "لبيك اللهم عن شبرمة." فالتفت إليه النبي ﷺ قال: من شبرمة؟ قال: أخ لي في الله. قال: أحججت عن نفسك؟ قال: لا. قال: حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة.
» موقف مؤثر جداً أنت متخيل الراجل عمل إيه أثر أخوه بإيه بالحج؟ مش أي حج. حج مع النبي ﷺ إيه ده؟ إيه الحب ده؟ يعني يا بخت يا بخت شبرمة، يا بخت اللي صاحبه شبه صاحب شبرمة يقول لك: أصل يا بخت اللي صاحبه راجل وفيه رجولة أكتر من كده حاجة عجب والله شوف إيثار السلف وطيب قلوبهم وسلامة صدورهم .

» من حقوق الأخوة:

ستر العيوب للأسف تجده يقول لك: أنا أخوك وحبيبي وبتاع، أول ما يعرف عنك عيب تلاقي الناس كلها عرفته عرفوه منين؟ وليه قلت للناس: أو يمسكها لك زلة بعد كده

أو يبقى عارف أسرارك فيبدأ يهددك بها أو تحس بعدم الأمان مجرد بتقول له: عيب من عيوبك أو اكتشفه سواء عيب في أخلاقك أو عيب في بيتك أو عيب في جسدك .

» من حقوق الأخوة :

التجاوز عن الزلات يعني ما ينفعش زي لما نقول كده نقف على الواحدة لبعض إزاي أخويا وحبيبي ونقف على الوحدة لبعض ومش باعدي لك حاجة رغم أني بأعدي لناس كتير؟

يعني للأسف ده بيحصل بقى في مجتمع الأخوة والأخوات يبقى بيتعاملوا برة مع ناس في الشغل وفي الشارع وفي المواصلات بيأذوهم أذية كبيرة جداً في نفس الوقت عادي وهزار وضحك وأكل وشرب وابتسامات تروح المسجد ولا تروح الدار ولا تروح الحلقة أختها مثلاً تضايقها بكلمة تقطع معاه تزعل منها جداً.

يا جماعة إزاي يعني؟ المفروض الأخ في الله اللي هو في طريقه إلى الله معك ده تعدي له الزلط تعديله اللي ما تعدّهوش لغيره والله يا إخوانا لن تجدوا مثل الأخ في الله الواحد أنا أهو في الحياة بنزل وبتعامل مع ناس وفي شغل وفي شارع وبتاع من كتر اللي بشوفه من الناس ببقى عايز أدخل المسجد أبوس إيد ورجل كل أخ صالح بيصلي معي وأي عيب فيهم أكاد لا أراه من كتر العيوب اللي في غيرهم وبعدي لهم أي حاجة لأن أخويا على عيبه أحسن من أي حد أختك الصالحة على عيبها أحسن من أي حد.

فليه إحنا قاسيين في التعامل ما بينا كإخوة وأخوات؟ رغم أننا بنبقى هادين قوي رغم أننا بنؤذي كثيراً من برة بس نتعامل مع الناس عادي ليه بنقف لبعض على الوحدة دي؟ ده مش إخوة صادقة الأخ الصادق مع أخوه والأخت الصادقة مع أختها بيتجاوزوا عن الزلات تحس أنت ما خدتش بالك.

سيدنا أبو بكر مرة أبو سفيان كان بيزور المدينة كان لسه كافر فأبو بكر كان ماشي معه يعني عايز يدعوه إلى الله المشكلة بقى إن أبو سفيان قابل صهيب وبلال. صهيب وبلال شمّتوا فيه للي حصل في يوم بدر فغضب أبو سفيان أبو بكر حاول يكبر أبو سفيان شوية عشان هو عايز يكسبه دعوياً فقال لصهيب وبلال: كيف تقولون هذا لشيخ قريش؟ وعمل نفسه غاضب لأبي سفيان. و راح للنبي ﷺ قال له: حكى له الموقف إن هو حاسس إن هو ضايقهم شوية. فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم. لأن أغضبتهم يا أبا بكر فقد أغضبت ربك.

أبو بكر مش عارف يعمل إيه قعد يجري في المدينة بيدور على بلال وهو صايم فلما قابله قال: يا إخواني أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر غفر الله لك يعني عايزين عادي، يعني عارفين إن أنت اتكيت علينا شوية إحنا فاهمين أنت عملت كده ليه عادي ما تاخدش في بالك عديناها يعني ما فيش حاجة حصلت هو ده الأخ.

يعدي لك ما حصلش حاجة يعني كلمة وعدت يعني موقف حتى لو غلط بجد خلاص في بحر الحسنات اللي ما بيني وبين أخويا المفروض ما أخدش بالي من الحاجات دي .

» من حقوق الأخوة

إن لو لا قدر الله لا قدر الله حصل ما بينا زعل فعلاً وزعلنا من بعض المفروض الهجر لا يزيد عن ثلاث ليالٍ يعني عشان النفوس أحيانًا متضايقين وبتاع فمش قادرين نكلم بعض يوم يومين وخلاص كفاية واحد فينا لازم يكلم الثاني.

يقول لك خلاص يا أخي مش كده يعني مش هينفع نهجر بعض أكتر من ثلاث ليالٍ فيه نهي عن كده أصلاً خلاص يا عم أنا بتأسف من ناحيتي لا لا ما فيش حاجة والدنيا ترجع ليه في علاقات واقفة ما بينا بالأيام والليالي والشهور! ده لا يجوز. لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فيلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام عارفين الحديث ده فيه قصة جميلة قوي حصلت بسببه .

أقول لكم بس الأول قصة الحديث عشان تفهموا اللي جاي ده الحديث ده أصلاً سيدنا ابن عباس هو الراوي بتاعه. بس هو السند بتاع الحديث ده بقى بيبدأ بمين؟ بيبدأ بواحد اسمه ابن أبي خيثمة. ابن أبي خيثمة بيروي الحديث عن جده وجده بيرويه عن الضحاك والضحاك بيرويه عن عكرمة وعكرمة بيرويه عن ابن عباس عن النبي ﷺ. يبقى عندنا: بن أبي خيثمة ← ثم جده ← ثم الضحاك ← ثم عكرمة ← ثم ابن عباس ← ثم النبي ﷺ .

المهم كان في أخين في الله بينهم خصومة والموضوع طول عن ثلاث ليالٍ فواحد فيهم أرسل للثاني رسالة بيعاتبه يعني إن أنت إزاي هاجرتني أكثر من ثلاث ليالٍ. فبعث له شعر يذكره بالحديث ده. فقال فيه:

"أخي إن لي عندك مظلمة فاستفتي فيها ابن أبي خيثمة فإنه يروي لنا عن جده ما قد روى الضحاك عن عكرمة عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمة:

"إِنَّ صَدُودَ الْأَلْفِ عَنِ أِلْفَةِ فَوْقَ ثَلَاثٍ رَبَّنَا قَدْ حَرَّمَهُ"

وبعدها اتصالحوا على طول شوف الناس كانوا فاهمين إزاي! بل بعض السلف كان وصل لدرجة إنه كان بيعتبر بعض إخوانه كأنهم هو يعني كان عايز يقول له أنا أنت.

كان واحد من السلف يقول لك: أنت لما تعوز فلوس حط إيدك في جيبي وخد ما تسألنيش ومش هتلاقيني بتكلم معك أنت أنا خلاص لدرجة إن أحد السلف جاله واحد أخوه في الله قوي يعني خبط على الباب فقال له: مين؟ قال له: أنا. فزعل منه. قال له: أنت زعلت مني ليه؟ قال له: لما تخبط على الباب ما تقولش "أنا على الباب." قال له: أمال أقول إيه؟ قال: قل "أنت على الباب." لأن ما فيش فرق بيني وبينك. فلما تخبط على الباب وأقول لك مين؟ فتقول لي "أنت على الباب؟" هعرف إن أنت فلان لأن أنت باعتبارك أنا وبعد كده بقى يخبط عليه يقول له: "مين على الباب؟" يقول له: "أنت على الباب." فيروح فاتح له.

» المهم عمل شعر برضوا بيحبوا الشعر شكلهم وبيعبر به عن الموقف دي فبيقوم به في الشعر:

قال لي المحبوب لما زرته: "من بالباب؟" قلت: "بالباب أنا".

قال: "أخطأت تعريف الهوى حين فرقت فيه بيننا".

ومضى عام فلما جئته أطرق الباب عليهم موهنا، قال: "من بالباب؟" قلت: "أنظر ما ثم بالباب إلا أنت هنا".

قال: "أحسنت تعريف الهوى وعرفت الحب فادخل يا أنا، فادخل يا أنا".

» الحقيقة موضوع فيه شجون كثير وأنا حبيت أفضفض هنا لأن القطعة دي مش هتتعاد ثاني لأن ده موضوع مؤلم موضوع الإخوة الصادقة سار كالعملة النادرة بنحتاج من وقت للثاني نفوق ونعرف يعني إيه أخ صادق وأخت صادقة نسأل الله أن يجعلنا إخواناً صادقين وأخوات صادقات وأن يجمعنا على سرر متقابلين يوم القيامة ما فيش أجمل من الحب في الله لأن ربنا قال:(وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِي)

شوف بقى يوسف عليه السلام عمل إيه؟ قال: "أنا أخوك يا سلام." علامتها: فلا تبتئس بما كانوا يعملون .

وبعد كده حصل إيه؟

قال: فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه اللي حصل كالتالي:

اللي حصل إن يوسف عليه السلام دلوقتي هيتفق مع بنيامين على حيلة علشان هو عايز يُبقى بنيامين عندهم هيقول له الحيلة دي كاملة إن هو هيجيب الصاع اللي بيكيلوا به الصاع اللي بيكيلوا به الموازين الكيله اللي بيحطوا فيها الحبوب إن هو هيخليها في الوعاء بتاع أخيه هيشيلها كانه سرقها يعني. بعد كده يقولوا يا جماعة إحنا اتسرقنا والصواع ده اتسرق من الملك والكيله اللي إحنا بنصب فيها أصلها كانت ذهب وقيل إنها كانت فضة فغالية فإحنا اتسرقنا يا جماعة. ومين بقى اللي خد الحاجة دي؟ وبعد كده هنشوف هيحصل إيه بعد كده. بس عايز أنبه لحاجة.

إن الخطة دي كلها الظاهر أنها وحي من عند الله تعالى مش اجتهاد كده من يوسف عليه السلا. ليه؟ لأن الخطة دي كان لها تبعات مؤلمة على يعقوب عليه السلام طبعا الخطة دي انتهت إن بنيامين ما رجعش والأخ الأكبر كمان ما رجعش وترتب على كده ألم ليعقوب عليه السلام قوي جدًا لدرجة إنه أَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ من الحزن فهو كظيم فلا يُتصور أبداً إن يوسف عليه السلام يتعمد إيذاء يعقوب عليه السلام هو أكيد يعلم إن عدم عودة بنيامين تعني ألم رهيب وألم شديد عند يعقوب ولا يتصور إن يوسف عليه السلام يتعمد ذلك أبداً فلا يُتصور هذا إلا أن يكون ربنا اللي أوحاله بكده.

طب ربنا أوحاله كده ليه؟ لأن ربنا يريد أن يعقوب يزيد في الصبر ويظهر مزيداً من الجمال من عبادة يعقوب عليه السلام وأن يعقوب عليه السلام يرتفع جداً عند الله درجات فزاد له في البلاء سبحانه وتعالى وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فربنا اللي أمر يوسف يعمل كده.

تمام، فلما جهزهم بجهازهم، حط لهم الحاجات في الرحال بتاعتهم جعل السقاية — السقاية اللي هو وعاء كانوا المفروض بيشربوا فيه يعني — بس هما خلوه هو ده اللي بيحطوا فيه الحبوب وده دليل إن هم كانوا بيحطوا بكميات محدودة يعني الكيله نفسها هي الوعاء اللي بيتشرب فيه فهو صغير. واضح إن هم بيحطوا بحساب قوي عشان كده مخليين الكيله صغيرة يُقال إن السقاية دي اللي هو الوعاء اللي كانوا بيسقوا فيه اللي هو استعملوه بعد كده فإن هم يجعلوه الكيلة أو الصاع اللي بيحطوا به الحبوب كان من فضة وقيل إنه كان من ذهب ولعل ده كان جائز في شريعتهم في شريعة يوسف عليه السلام كان جائز إن يكون في وعاء ذهب أو وعاء فضة ولكن في شريعتنا ده حرام النبي ﷺ قال:

"لا تأكلوا في آنية الذهب والفضة ولا تشربوا فيها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة"

وأخبر أن الذي يأكل في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم.

» المهم هو حط الكيلة دي عند بنيامين وقال له إيه؟ إحنا هنقول إن إحنا اتسرقنا وبعد كده نلاقي الحاجة عندك وبعد كده أخدك كعقوبة على السرقة.

والموضوع ده مترتب على حاجة أصلاً كانت في شريعة إبراهيم عليه السلام.

طبعا معلوم إن يوسف عليه السلام وأخوته متبعين لشريعة إبراهيم عليه السلام. في شريعة إبراهيم عليه السلام إن لو حد سرق من حد حاجة العقوبة أن يكون المسروق يأخذ السارق عنده يعني أنت سرقتني، ثبت عليك الجريمة أنت تبقى ملكي هاخدك عندي أتملكك. دي كانت شريعتهم كده فيوسف عليه السلام عايز يوصل لدي: يثبت إن بنيامين سرق فيأخذ بنيامين ويضطر الإخوة يسيبوه لأن دي شريعتهم إن السارق بيصير ملك لمن سُرق منهم. فهمناها دي.

» فعمل إيه؟ بس فيه بقى مشكلة ركز بقى في اللي جاي ده هيحصل حاجات دلوقتي، ربنا قال في الآخر: {كَذَٰلِكَ كَدَنَا لِيُوسُفَ}

ربنا هو اللي دبر الأمور عشان يوسف عليه السلام الأمور تمشي معاه مضبوط ومن غير ما يحتاج يكدب طبعا الموضوع في مظنة الكذب فإزاي يوسف عليه السلام هيطلع من الموضوع ده من غير ما يكدب؟ امشوا معي كده في العبارات هتستعجبوا إزاي ربنا ألهم كل الناس تقول كلام معين بحيث إن يوسف عليه السلام في الآخر ما يكدبش.

تعال ركز معي فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير أنكم لسارقون هذا المؤذن من عند يوسف عليه السلام واحد طلع واكتشفوا إن فيه صاع يا جماعة مش موجود. قال لك: "يمكن هم دول اللي سرقوا." تعال "إنكم لسارقون، إنكم لسارقون." طيب، تأمل في إن ربنا إزاي ألهم اللي قال ده، ما قالش "إنكم لسارقون الصواع" قال "إنكم لسارقون" بس، ودي مش كدبه ليه؟ لأن هم فعلاً سارقون لأنهم سرقوا يوسف من أبيه سرقوا يوسف من أبيه من يعقوب` عشان كده ما قالوش سارقون الصواع.

شوف الإلهام إلهام ربنا لهم عشان ما يحصلش كذب أبداً قالوا: "فاقبلوا عليهم، ماذا تفقدون؟" ركزوا قالوا إيه؟ ماذا تفقدون؟ ما قالوش ماذا سرق؟ سبحان الله ربنا أجري على لسانهم الكلمة دي بدل كلمة ماذا سرق؟ كل ده تحت "كذلك كيدنا ليوسف".

إن ربنا أجري وألهم الناس يقولوا كلام بحيث إن سيدنا يوسف عليه السلام ما يضطرش يكذب أبداً لأن هو في الحقيقة ما اتسرقش هو فقد هو مش موجود يعني هو يعتبر مفقود لأن هو مش موجود في إيدينا دلوقتي فهو فقد لكن ما اتسرقش.

» فسبحان الله، هما قالوا "ماذا تفقدون؟" فترد عليهم، قالوا: "نفقد"، برضوا سبحان الله ربنا أعلمهم يقولوا "نفقد" ما قالوش سرق قالوا: "نفقد صواع الملك"، هم بيفتقدوه فعلاً. هم مش عارفين هو فين دلوقتي وممكن فعلاً اللي بيتكلموا دول يوسف عليه السلام ما قالهمش هو عند مين هو عند مين في إخوانه هم فعلاً المتكلم ما يعرفش هو فين فعلاً قالوا: "نفقد صواع الملك." وبعد كده اتقالهم ولمن جاء به حمل بعيروأنا به زعيم يعني ايه الكلام دوت؟

لمن جاء به حمل بعير عملوا مكافأة للي يجيبه يعني اللي هيجيب الصواع اللي هيجده اللي هيطلعه هندي له جايزة حمل بعير حمل بعير من الحبوب وده يجواز في حاجة في الشريعة اسمها الجعالة أو المكافأة أن يتعمل مكافأة مثلا ضاعت منه حاجة قال لي يلاقيها هديله كذا ينفع؟ ينفع اه

حد كلف الناس بمهمة معينة قال لهم اللي يعملها هدي له جائزة قد كده ينفع؟ ينفع دي اسمها "الجعالة في الشريعة". العمل فيه هو العمل مجهول نوعا ما مش عارفين مين هيلاقيها في الاخر بس في مكافأة للي يلاقيها .

قال ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم يعني ايه زعيم هنا البعض يفتكر زعيم اللي هو من الرئاسة لاء كلمة زعيم هنا يعني ضامن.

يعني بيقول أنا اضمن لكم ذلك أن اللي هيطلع أو اللي هيجيب الصواع ساعطيه حمل بعير فده اسمها زعيم وده بيترتب عليه برضه احكام اسمها "أحكام الضمان في الشريعة". إن لو إنسان اتصدر في مشكلة وقال انا ضامن

مثلا في واحد عايز من واحد فلوس أو شخص مثلًا قال لي فلان ده سلفني فلوس قال له لا مش هسلفك لغاية ما تجيب ضامن. زعيم. فجه واحد قال أنا ضامن. خل بالك

ضامن ده يعني ايه يعني لو ده ما سددش انت اللي هتسدد. الكلام لازم نفهم ان له معاني شرعية لكن الفكرة ان كلمة زعيم يعني ضامن. وانا به زعيم. تمام لغاية كده الدنيا ماشية تمام. حصل ايه بعد كده؟

قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ما قالوش وما سرقنا الصواع وما كنا سارقين فاتقال لهم فما جزاؤه اللي هيطلع عنده الحاجة دي ان كنتم كاذبين؟ طبعا ان كنتم كاذبين في ايه؟ فيما قلتم وهم قالوا ايه قالوا وما كنا سارقين وهم كذبوا في الكلمة دي؟ اه كذبوا لأن هم سارقين سرقوا يوسف عليه السلام من يعقوب الحمد لله إن ربنا ألهمهم ما يقولوش وما كنا سارقين الصواع يبقى كده ما كذبوش فقال لهم لو أنتم كاذبين نعاقبكم بأيه؟ هم كاذبين فعلًا لأن هم سرقوا يوسف من يعقوب عليه السلام قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين.

لو أنتم كذبتم نعاقب بايه؟ سبحان الله بص بقي الإلهام اللي جاي ده حصل ايه في كلامهم قالوا جزاؤه هنعاقب اللي معاه بس. "قالوا جزاء من وجد في رحله فهو جزاؤه وكذلك نجزى الظالمين". من وجد ما قالوش من سرق خدت بالك؟ انت متخيل كمية الكيد اللي حصلت ليوسف عليه السلام قالوا جزاؤه من وجد ما قالوش من سرق يعني اللي هتلاقوه عنده الحاجة دي هو ده اللي يتعاقب كما نجزي الظالمين هم اللي اختاروا الحكم يعني خدوه لو لقيته مع واحد فينا الصاع ده خدوه زي ما شريعتنا شريعة ابراهيم بتقول خد بالك إن يوسف عليه السلام دلوقتي في مأزق لان أصلا أهل مصر لهم شريعة تانية أنتم عارفين النبي يبعث لقومه خاصة. كل نبي يبعث لقومه الا النبي ﷺ طبعا كل نبي من الأنبياء الآخرين كان يبعث لقومه فقومه هم اللي ملزمين بشريعته وغير قومه مش ملزمين بشريعته.

فيوسف عليه السلام دلوقتي من بني اسرائيل لكن أهل مصر مش من بني اسرائيل أهل مصر اليوم لهم شريعة ثانية ممكن يكونوا وارثين شريعة تانية من نبي تاني يعملوا بشريعتهم وسيدنا يوسف عليه السلام دلوقتي بيعامل إخواته فإخواته من بني اسرائيل برضوا. فلازم يطبق شريعة إبراهيم عليه السلام.

طب يعملها ازاي؟! والملك نفسه اللي في مصر لو فيه سارق اتسلم له هيحكم فيه بشريعتهم.

» سبحان الله ربنا ألهم أخوة يوسف أنهم يقولوا: "اللي تلاقوه معه احكموا فيه باللي إحنا بنحكم به" وبالتالي سهلوا على يوسف أن يحكم فيهم بشريعة إبراهيم عليه السلام ولا يخالف شريعة إبراهيم عليه السلام سبحان الله!

عشان كده قالوا: "فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين." يعني اعملوا بشريعة إبراهيم عليه السلام فبدء بأوعيتهم كنوع من الحيلة عشان ما يبانش إن الموضوع مدبر قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه خلاه اخر واحد وبعد كدا لقاه في وعاء أخيه بص بقى خلاصة القصة: ﴿كَذَٰلِكَ كَدنَا لِيُوسُفَ﴾. الله! الله! كذلك كدنا ليوسف وده فيه صفة الكيد أن ربنا له كيد ومن صفاته أنه يكيد الظالمين وبالكائدين هذه صفة نسبتها لله تعالى، ونقول على النحو الذي يليق بالله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } وهذه الصفة في حق الله كمال لأن الله كيده كله خير والكيد معناه التدبير في الخفاء.

بكيد بكِ يعني بدبر في الخفاء وده يحتمل احتمالين:

- أن تدبر في الخفاء لشر،
- أو تدبر في الخفاء لخير،

زي ما ربنا قال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، يعني شر كيدًا، يعني في الخير فكيد الله كله خير ذلك الكيد في حقه زي المكر: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾، فالكيد والمكر في حق الله صفة كمال لأنه سبحانه وتعالى يكيد لأوليائه ويكيد بأعدائه، يكيد بالظالمين، يكيد بالماكرين يمكر بالماكرين عشان كده الصح لما نقول: "ربنا يكيد" نحطها في السياق ما نقولهاش لوحدها كده لان يكيد لوحدها توهم الخير أو الشر لكن أحطها في سياقها أحسن أقول ربنا يكيد بالكائدين يكيد بالظالمين يكيد بمن يكيدون يمكر بالماكرين أو خير الماكرين وهكذا.

كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين المَلك في طريقة الملك في حكم الملك إلا إن يشاء الله. نرفع درجات من نشاء سبحان الله! ربنا رفع يوسف عليه السلام فوق إخوته هو الآن في المُلك والآن أصلًا مرفوع في الملك وهم تحته يمكن يعمل فيهم أي حاجة

نرفع درجات من نشاء سبحان الله! فرفع الله شأن يوسف: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. إذا أردت الرفعة ما تستعملش وسائل خبيثة أنت عايز تعلى؟ الحسد مش هينفعك المكر مش هينفعك إنك تحاول تهدم اللي حواليك مش

هينفعك عايز ترتفع اطلب من الله، هو الذي يرفع وهو الذي يخفض، هو الذي يعز وهو الذي يذل، هو الخافض الرافع المعز المذل.

بعض الناس عشان يعلى يقعد يغتاب في ده ويغتاب في ده ويجيب سيرة ده ويطعن في ده وده ما بيفهمش ودي ملهاش فيها وده جاهل وده ما عندوش علم عايز يقول أنا جامد؟ عايز إيه؟ عايز يرتفع على جثث الآخرين؟ والله أبدًا لو ربنا أراد اللي أنت شتمته ده هو الذي يرتفع عليك هيرتفع رغم أن كل الناس بتشتمه هيرتفع وأنت مع محاولاتك الدؤوبة أنك تبقى مشهور أو يشار لك بالبنان أو أنك تعلى والله حق لو ربنا أراد يذلك هيذلك في مكانك بعد كل محاولاتك لأن ذلك لا يكون إلا بالله وكل الذين ارتفعوا بالله هم ما كانوش عايزين حاجة كانوا شغالين صح وخلاص قلب سليم معاملة صادقة إيمان عالي وربنا يرفعهم هم ما بيطلبوش حتى الموضوع ده ولا بيفكروا فيه هم بيلاقوا ربنا بيرفع قدرهم ويعزهم بين الناس ويعلّي شأنهم رغم كل محاولات السب والشتم والإيذاء أن حد يقزمه، أن حد يعني يسفّه عشان هو يبقى مكانه! والله لا بيدي ولا بيدك، هو ربنا الذي يريد.

فأنت اصلح ما بينك وبين الله وفوض الأمر لله سبحان الله يعني مش محتاج تعمل حاجة محتاج تتعامل مع واحد بس تتعامل معها صح: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ شَاءَ﴾،

ثم قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يا سبحان الله فوق كل ذي علم عليم يعني ما في أحد عنده علم إلا وفوقه أعلم منه ثم الذي أعلم هذا فوقه من هو أعلم منه ثم الله تعالى هو العليم فوق كل عالم، كما قال ابن عباس: "يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، ثم الله تعالى فوق كل عالم."

وده يخلي الإنسان يتواضع مهما كان عندك من العلم اتأكد أن فيه أعلم منك والذي أعلم منك فيه أعلم منه .

ثم في النهاية علمنا كلنا ولا حاجة بالنسبة لعلم الله تعالى موسى عليه السلام والخضر كانوا واقفين على السفينة نزل عصفور نقر من البحر نقرة فقال الخضر لموسى: "يا موسى، ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما نقل هذا العصفور من ذاك اليم."

تخيل بقى! الإنسان ينكسر ويتواضع لله تعالى ويعرف أن ربنا أصلًا هو الذي علمه { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } ، زائد أن ربنا فوق كل عالم وأن أنت أخرك يعني: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وده بيديك برضوا حاجة ثانية إن يخليك تستمر في طلب العلم دايمًا العلم فيه زيادة ما فيش حد وصل للنهاية أبدًا يقعد الناس تطلب علم يقول لك: "أنا خلاص كده ما فيش خلاص، كمل لو كملت في نفس الباب في جديد دايمًا، وفيه أكتر."

ولو رحت لشيخ فيه أعلم منه وفيه قارئ أعلم من ده وفيه إجازة أعلي دايمًا فيه أعلى استمر في طلب العلم.واستمر في البحث عن المشايخ والعلماء فإن العلم لا منتهى لهم .

» نقول فائدة جميلة:

إذا بلغت درجة عالية في العلم الشرعي أو درجة عالية في الشهادات الدنيوية فلا تغتر واكسر نفسك بهذه الآية:(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

ثم قال تعالى:

{قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ} [يوسف: ٧٧].

يا الله! إيه بقى الموضوع ده؟ قالوا: "إن يسرق" يعني بنيامين هو افتكروه سرق فعلاً قالوا: لو هو سرق آه ده كان له أخ برضوا سرق زمان يا الله! اتكلموا عن يوسف عليه السلام وهنعرف القصة إيه القصة دي.

بس أنا عايزك تتخيل إن رغم مرور كل السنين دي لسه الحقد والحسد والغل على يوسف عليه السلام لم يتغير لسه بيحقدوا عليه لغاية دلوقتي لم تنطفئ نار الحسد. رغم بعد يوسف نظريًا عنهم سنين طويلة نار الحسد ما بتطفيش وعمرها ما تطفي إلا بحاجة واحدة زي ما هم طفوها في الآخر، أن يشهد العبد أن الله هو الذي يقسم الأرزاق وأنه يصطفي من يشاء سبحانه وتعالى وأنه يؤثر من يشاء لم تنطفئ إلا لما قالوا الكلمة دي:

{تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ} [يوسف: ٩٠].

ونار الحسد لا تنطفي أبدًا والحاسد بيحرق نفسه أول واحد هم كانوا افتكروا إن هو لو قتلوا يوسف أو بعدوه عنهم هيهدوا لم يهدأوا هيصفي لهم قلب أبيهم لم يصفي لهم قلب أبيهم هيتوبوا ما تابوش وهكذا الشيطان يخدع الإنسان يورده المهالك ثم يتخلى عنه في أقرب نقطة تخيل بقى يعني استغلوا فرصة بقى إن يوسف مش موجود نظريًا مع انه قدامهم رغم ان ما فيش داعي للكلام ده بس سبحان الله زي ما بيقولوا: "مهما حاولت تكتم مشاعرك سيظهر ذلك في كلماتك وأفعالك"

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة محمد:٣٠]

ممكن واحد يقول لك أنت حبيبي وبتاع بس الغل بيبان في كلامه لما حاجة حلوة تحصلك تحس بالغل في كلامه كده يعني بيبان عليهم في مواقف معينة في حزنك في فرحك بيبان تعرفهم إيه؟

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾ [سورة محمد]

طب ايه قصة السرقة دي؟ بصوا ما عندناش في الكتاب والسنة حاجة بتقول إيه هي قصة السرقة دي خالص لكن في إسرائيليات هقولها لكم بعد كده نعلق عليها يعني ابن كثير أورَد بعض الإسرائيليات في الباب ده قالوا إن يوسف عليه السلام كان جده من ناحية الأم أبو الأم يعني كان عنده صنم في يوسف عليه السلام وهو صغير سرقه خده بغضًا للصنم. ده أحد الروايات.

رواية إن كان يوسف عليه السلام له عمة العمة دي كانت بتحبه جدًا جدًا وكانت عايزه يوسف عليه السلام يفضل عندها فكانت تقعده عندها كتير قوي فيعقوب طبعا بيحبه فطلب منها إن هي ترجعه مش كل شوية تأخذه. وقال لها: "أنا ما أقدرش أفارقه." فراحت عملت حيلة وخلت يوسف عليه السلام لبسته كده حاجة كانت عندها زي حزام ورثته من إسحاق كان عندها حزام كده قيم ورثته من إسحاق عليه السلام اللي هو أبوها فلبسته ليوسف عليه السلام ورجعت اتهمت يوسف إن هو سرق الحزام ده وطبعًا الحكم في شريعة إبراهيم إن اللي سرق يبقى عند اللي مسروق منه يبقى خلاص بقى معه فرجع يوسف عليه السلام وفضل مع عمته لغاية ما ماتت وفضل

يعقوب ما عرفش يوصل ليوسف عليه السلام لغاية ما العمة دي ماتت فرجع يوسف ليعقوب.

هي دي الإسرائيليات اللي أورَدها ابن كثير والحقيقة يعني تحس إن أنت طبعًا الإسرائيليات حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج لكن أحيانًا بيبقى فيه قصص شيء غير مطمئن أو أنت مش قادر تصدقها قوي ليه؟ أو فيها مطعن يعني مثلاً القصة الأولى يعني هل يتصور إن يعقوب عليه السلام يكون أبو زوجته اللي هو حماه يعني يعبد صنم؟! إن هو يناسب حد كده مستبعد شوية.

أو هل يتصور إن عمة يوسف عليه السلام اللي هي مفترض بنت إسحاق هي بنت نبي وأخت نبي وعمة نبي فهل يعقل إنها تعمل حيلة كده تكسر بها قلب نبي تكسر قلب نبي زي يعقو، أو تكذب؟

يعني تحس إن القصة مش مقنعة قوي فهي أنا بقولها لكم من باب الأمانة العلمية لكن الحقيقة القصص غير مقنعة لكن إحنا مش محتاجين نعرف القصة.

»» ممكن نختصر الكلام إن يوسف عليه السلام كان فيه قصة ما اتظلم فيها بغض النظر ايه هي القصة أو إن الموضوع كله مختلق وليس له أساس .

»» تاني خلاصة الموضوع: إن هناك قصة قديمة اتهم فيها يوسف عليه السلام بالسرقة وكان مظلومًا فيها أو أنه لا يوجد قصة أصلاً وأن إخوته متوقع منهم أن يكونوا ادعوا عليه السرقة بدون أن يسرق أصلاً ففكروه بالموضوع ده طبعا هو كان حاضر المشهد ده افتكر: "فقد سرق أخ له من قبل افتكر تاني." الظلم الثاني غير الظلم الكثير اللي وقع عليه بيفكروه ثاني بظلم كان في يوم من الأيام أُتهم بالسرقة ظلم وشمتوا فيه وعملوا فيه مشاكل وبتاع تخيل بقى صبروا عليهم كمان ده بيصبر ثاني هم تحت سلطانه ممكن ينتقم منهم فورًا ز.

ضبط النفس شيء رهيب عند يوسف عليه السلام يختصر كل دورات الثبات الانفعالي وكل كورسات ضبط النفس لما بيتعامل مع إخوته هم كل مرة يستفزوه عشان يطلع سلطانه وينتقم منهم سبحان الله حلم عجيب وصبر عجيب .

»» يقول لك قاعدة

إذا أردت أن تحقق أهدافك فعليك بضبط أفعالك لأن ممكن فعل يهدم لك الخطة كلها. يوسف عليه السلام كان محتاج يضبط ردود أفعاله جدًا عشان الخطة تكمل لآخرها

لو كان فقد أعصابه في أي مرحلة من المراحل كانت الخطة باظت فكده دي نصيحة اللي عايز يوصل لخطة يا جماعة لازم يفكر كويس أحيانًا انفعالاتنا بتبوظ خطتنا ضبط أفعالك وردود أفعالك مؤثر في وصولك إلى أهدافك وتحقيق مرادك عشان كده ربنا قال:

{فَأَسَرَّهَا يوسف فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} [يوسف: ٢٤].

قال: {قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا} هي دي اللي أسرها

وهو أسر إيه؟ أسر مشاعره طبعًا وأسر الكلمة دي قال: {قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا} يعني قالها في نفسه وإلا فلو قالها قدامهم كانوا يشكوا تقول كده ليه؟ قال: أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون يعني الكلمة دي أسرها في نفسه لكن شوفوا الكلمة اللي قالها يوسف عليه السلام أولًا قوله تعالى: {فَأَسَرَّهَا يوسف فِي نَفْسِهِ}

»» يا جماعة الموضوع ده بيعلمنا حاجة خطيرة جدًا جدًا ودي قاعدة أنا عايش بيها أما حد يأذيني بالكلام.. ليا رب سمع وأطلع وعلم وهذا يكفيني يبقى عندي كلام كتير عايز أقوله وممكن أرد وأقلب الدنيا وممكن يعني أجهل مع الجاهلين ولكن الواحد يسر في نفسه كل ده ويقول: "أنا هفوض أمري لله يجيب لي حقي." والله الموضوع ده بيعمل نتيجة أحسن من أي حاجة كنت أنا هعملها وفي حياتي عمري ما فوضت ربنا في حقي في حاجة إلا وكانت النتيجة أعلى مما أتخيل عشان كده يقول لك: "إياك واحد ملوش غير ربنا إياك تيجي على حد ملوش غير ربنا." لأن ربنا بينصر المظلوم وخاصة الضعيف إياك تتعامل مع واحد وتأذي واحد فوض أمره لله:

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزلزلة: ٨].

بلى

{وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ} [الزمر: ٣].

الحياة أقصر من أن إحنا نقضيها في الانتقام والحياة أقصر إن إحنا نقضيها في الأخذ والرد واحد نزل بوست بيشتمك أو بيشتمِك أو بيجيب سيرتك أو أي حاجة لا تتفاعل لا ترد الناس هيقولوا لك: "خلي بالك فلان بيقولوا عليك لازم ترد." مش هرد طب أنت هتسكت؟ آه، هسكت طب هتعمل إيه؟ أنا عملت خلاص.

{فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ} قال: "أنتم شر مكانًا." يعني سترون العاقبة في النهاية وكل واحد هيشوف النتيجة لأن أصلاً اللي شتمك هو بالفعل حط نفسه في منزلة شر على طول هو مجرد شتيمته لك هو كده أنت عليت وهو نزل مجرد حسده لك أنت عليت وهو نزل مجرد صبرك وعفوك وتفويضك أنت عليت وهو نزل .

فدائمًا اللي بيحسدك هو الناقص واللي بيشتمك هو الناقص هو بيعوض نقصه بشتيمتك وبيعوض نقصه بالحسد وبيعوض نقصه بالكيد ولو أنت جريته ممكن تنزل للمستنقع بتاعه أعرض عن الجاهلين وارتفع عند الله سبحانه وتعالى واجعل كل كلماتك وسرها في نفسك لذلك يقول لك: "ادفن الكلمات الموجعة في نفسك واغلق عليها بوابة النسيان."

ويقولون: "السيطرة على النفس من شيم النبلاء وأخلاق الكبار."

»» فائدة كمان يقول: "عندما تكون نفسيتك في السماء فإنك ترتقي عن هذه المستنقعات."

أحيانًا لا تحتاج أن تدافع عن نفسك يكفيك أن الذي في السماء قد أطلع ما أنت برضوا في السماء وكأنك جوار الرب وكأنك تشتكي له مباشرة قل: "يا رب فلان يؤذيني، هات لي حقي." يكفيك أن الذي في السماء قد أطلع وهذا يكفيك فالصمت أبلغ من الرد أحيانًا.

أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ضبط نفس عجيب. قال: "أنتم شر مكان." وهذه الحقيقة هم شر مكان لما فعلوه بالكيد اللي عملوه حكموا على أنفسهم بالوضاعة طبعا هم بعد كده تابوا لكن في اللحظة دي نزلوا أكثر وأكثر يوسف ربنا يرفعه أكثر وأكثر وعاقبة المغتاب النقصان وعاقبة الكائد أن لا يحيق المكر السئ إلا بأهله.

وفي الآخر ربنا هو الذي يجعل الناس تحب أو تكره لو حد بيكيد لك عشان الناس تكرهك وربنا أراد أن يحبوك هيحبوك، ويكرهوا الذي حاول يكره الناس فيك. القلوب بيد الله سبحانه وتعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦].

فانشغل بهذا الأمر ودعك من الناس العجيب أنهم أصلًا بيقولوا كلمة لو فكروا فيها هم بيورطوا نفسهم هم بيقولوا: "أه ده سرق ما هو أخوه برضو سرق." طب ما

أنتم كده بتعملوا إيه؟ أنت فضحت نفسك فضحت عيلتك أنت بتثبت التهمة على أخوك أنت كمان بتخليهم يشكوا فيك أنت يقولوا ده العيلة كلها بقت سارقين.

يبقى أنتم بتأكدوا لنا مش يدافع عن أخوه ده خلا التهمة تتأكد عليه أكثر. "أه يبقى طالع شبه أخوه بقى ما هو أخوه سرق." إيه ده! في لحظة كده مش واقف تدافع على أخوك طب يا جماعة، يمكن في حاجة غلط لا أخونا مش ممكن يعمل كده حاجة عجب برضوا بيكرهوا بنيامين وبيحسدوه وورطوه وبيتخلوا عنه هو ده اللي مش أخوك بقى اللي يتخلى عنك أول ما الدنيا تيجي عليك يبيعك على طول قال: "أنتم شر مكانًا." والله فعلاً شر من اللي أنتم بتقولوه أنتم بتقولوا عليّ سارق أنا سارق! أمال أنتم بتقولوا إيه؟ لما أنا أبقى سارق! يبقى أنتم إيه! ما أنتم سرقتوني من أبوي! أنتم شر مكانًا من التهمة اللي بتتبعوها عليّ، أنتم أشر من كده.

وفي الآخر فوض أمره إلى الله. قال: {اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ.} الله أعلم يكفينى إن الله يعلم ويكفينى أن الله مطلع على الحقيقة ويكفينى أن الله لا يغيب عنه شيء ويكفيني أن الله لا ينسى ويكفيني أن دعوة المظلوم لا ترد.

»» وبالفعل نصر الله يوسف في النهاية وأعز يوسف في النهاية وكان يكفيه الله أعلم لما تصفوه.

ففوض أمرك إلى الله وتأكد أن الله يعلم ما يحاك بك وما يكاد لك وهو يكيد للمؤمنين فكن من المؤمنين ولا تنشغل بالناس .

»» كده خلصنا الجزء بتاع النهارده نحاول نحفظه بقى ونجتهد ويارب تكونوا استفدتم النهارده اكتبوا الفوائد على قد ما تقدروا واحفظوا الجزء الجديد وربنا يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال أشوفكم المرة القادمة بإذن الله تعالى .

المحاضرة الحادية عشر
بطولة يعقوب وشكوى عاجلة

الله والحمد لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

مرحباً بكم في لقاء متجدد مع هذه الدورة الطيبة المباركة والسلسلة الطيبة "تعلمت من يوسف عليه السلام". أسأل الله أن يوفقنا ويتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

الحقيقة مشينا في رحلة طويلة لمدة عشر محاضرات والآن نحن في المحاضرة الحادية عشرة بفضل الله سبحانه وتعالى والآن نحن نقف مع يوسف عليه السلام وهو يرى إخوته بعينيه أمامه هم يقولون فيه ويغتابونه أمامه يعني بيذكرونه بسوء ويقولون عن بنيامين: {قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ}

رأينا كيف هذا الحلم والصبر العجيب من يوسف عليه السلام وكيف قام هذا بحُسن التصرّف والتحكم في العواطف كل هذا من أجل المصلحة التي يريد أن هو يأخذ أخاه منهم.

ومن هذا الجو الصعب من الحسد والحقد وإلى الإيواء والطمأنينة معه وكل هذا كان بوحي من الله سبحانه وتعالى لأنه سيترتب عليه ألم يعقوب عليه السلام ولا يمكن أن يتصوّر ذلك إلا أن يكون وحياً من الله أراد به أن يرتفع قدر يعقوب وأن نتعلّم منه حاجات كتير قوي، هنتعلمها النهارده بإذن الله سبحانه وتعالى.

لكن نقف النهارده مع قوله تعالى:

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ}

إلى الآية رقم ٨٦:

{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ۖ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

خلينا نبدأ بالقراءة كالعادة، ثم نسأل الله التوفيق، وأن يفتح علينا وعليكم بخير.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ۖ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ. فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ۖ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ۚ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ. قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ۖ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

هذه الآيات الكريمة الرائعة من هذه السورة الطيبة المباركة بدأت بقوله تعالى:

{قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ}

»»الحقيقة أن لنا حوالي عدة وقفات.

الوقفة الأولى مع قولهم: { يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ }.

الإنسان يتعجب كيف أن الله سبحانه وتعالى أعز يوسف عليه السلام رغم أن إخوته أرادوا له الذُّل أرادوا له المهانة سبحان الله صار الآن هم بيقولوا له بلسانهم: "يا أيها العزيز"

والعجيب أن فعلاً منصب يوسف عليه السلام في مصر هو تقريباً المنصب الوحيد اللي بيتقال له اللقب دوت: "يا أيها العزيز" يعني لا يُقال للمنصب ده وزير أو قائد أو ملك إنما هو لقب اللقب في المنصب ده "العزيز" عزيز مصر.

وكأن الله أراد ليوسف اللقب علشان يظل هو ده لقبه وليُعلم أن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ها هم إخوة يوسف يقفوا أمامه في ذلّة ومَسكنة وهم لا يشعرون، وبيقولوا بلسانهم ليوسف عليه السلام: "يا أيها العزيز". فسبحان من يُعِز من يشاء ويُذِل من يشاء.

{مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}

{وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ}

{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

وبالتالي نعلم أن العزّة تكون بطاعة الله تعالى .

النبي ﷺ يقول: "وجُعل الذل والصغار على من خالف أمره."

الطاعة لها عز حتى يوسف عليه السلام كان عزيزاً في السجن يعني لم يكن ذليلاً لأن العز عزّ الطاعة والذل ذلّ المعصية.

هم الآن في حرية وفي سعة وكل حاجة لكن ذلّ المعصية لا يفارقهم.

"أبَى اللهُ إلّا أن يُذِلّ من عصاه."

الوقفة الثانية: مع قول { إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا }

الآن بيستعطفوا يوسف عليه السلام وبيحاولوا يطلعوا منه بأنهم يرجعوا أخوهم بيستعطفوه بذكر يعقوب عليه السلام الكبير وشيخ كبير لا يتحمل أبداً هذا الخبر أنه يفقد ابنه الثاني.

طيب هم الآن حريصون على عودة بنيامين ليس حباً في بنيامين وإلا فهم لا يحبون بنيامين ولو عليهم يريدون أن هو أيضاً يضيع.

لكن طبعًا هم مستعظمين جدًا إن هم يرجعوا إلى أبيهم بهذا الحال خاصةً إن هو لم يكن مخطط لذلك وفي كسر شديد لقلب الوالد وفيه خيانة للميثاق لأن هو أخذ عليهم ميثاق وزي ما شفنا المرة اللي فاتت واضح إنهم معظمين جدًا للمواثيق وموضوع الميثاق ده فرّق معهم جدًا في القضية فالآن هم عندهم حرص شديد أن بنيامين يرجع معاهم رحمةً بقلب أبيهم لأنهم ما كانوش مخططين لضياع بنيامين وتعظيمًا لموضوع الميثاق.

ولكن سبحان الله هم ابتلوا بسبب ذنوبهم ومعصيتهم وأما ما سيحصل ليعقوب من الألم فبحكمة من الله ليرتفع قدر يعقوب ولنتعلم من يعقوب اليوم.

بس الإنسان الحقيقة يتعجب من حاجة يعني أنتم الآن إخوة يوسف ترحموا تقولوا: "أبًا شيخًا كبيرًا".

طيب أين كان هذا الشيخ الكبير؟ وأين كانت هذه الرحمة التي نزلت على قلوبكم الآن؟ أين كانت هذه الشفقة على هذا الشيخ الكبير حين أخذتم فلذة كبده وألقيتم بها في البئر ولم تبالوا؟! ولم تبالوا! أُلقيتم بها في البئر!!

فيعني سبحان الله يعني تناقض تناقض عجيب.

الوقفة الثالثة : اللي معي بعد كده في قوله:﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

تأملوا! وما يعرفوش يوسف عليه السلام، بس بيقولوا له دلوقتي: "إنا نراك من المحسنين" شهادة من إخوة يوسف ليوسف عليه السلام إنه مُحسن إنه ملتزم إنه شخص صالح.

نفس الكلمة دي إتقالت له فين؟ في السجن لما قالوا له الاثنين: { نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ }

اتقالت ليوسف عليه السلام في أصعب لحظاته في يعني أضعف لحظاته في السجن واتقالت له وهو في العِزّ والمُلك: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

وده بيختصر علينا بل النسوة قالوا: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ قالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

صح؟ يبقى إذًا يوسف عليه السلام في كل أحواله سواء في بيت امرأة العزيز سواء في السجن سواء في المُلك هو يوسف لا يتغيّر هو الشخص الملتزم الشخص المنضبط الشخص المهتدي الشخص التقي النقي أي حد بيشهد له أخلاقه ما بتتغيرش طباعه ما بتتغيرش إحسانه ما بيتغيرش بغض النظر عن مكانه وزمانه وحاله.

وده اختصار لتعريف "الملتزم الحقيقي."

الملتزم الحقيقي هو ملتزم في كل مكان ليس له عدة أوجه إنما هو نفس الملتزم

ملتزم بيكون ملتزم في الجامعة ملتزم زي ما هو ملتزم في المسجد ملتزم في الدار دي سهلة ملتزم في الجامعة.

مش بيبقى في الدار والمسجد "أخ و طيب وبتاع" في الجامعة عادي جدًا مع البنات وما فيش فرق بينه وبين غير الملتزم.

هي كمان بتكون ملتزمة في الدار والدرس ملتزمة في الفرح ملتزمة في المحاضرة ملتزمة في السكاشن في الدروس ملتزمة في الخلوة ملتزمة مع قرايبها البنات.

مش بنبقى ملتزمين حسب الحال نبقى في المسجد بوجه في الجامعة بوجه مع قرايبنا بوجه.

ملتزم وفي البيت بيقولوا عليك مش ملتزم.

الأم بتقول: "ده، ده معانا في البيت واحد تاني، بيشتم، ما بيصليش، أنتم شايفينه حاجة في المسجد، إحنا في البيت شايفينه حاجة تانية." أنت كده مش ملتزم أصلًا.

زوجته بتشتكي منه، تقول لها: "أنتم بتقولوا عليه شيخ؟! أنا عمري ما هقول عليه شيخ، أنا بالنسبة لي مش ملتزم."

أو الأخ بيشتكي من زوجته، يقول: "يا المعلمة راحت، الأخت راحت، الأخت جت لكن هي مع أولادها مش ملتزمة معانا مش ملتزمة أمها بتشتكي منها".

ده شخص مش ملتزم.

وإنما فعلًا الملتزم فعلًا هو الذي له وجه واحد ليه؟ لأنه بيُعامل ربنا.

اللي بيُعامل ربنا ما بيتغيّرش مش بيبقى قدام الناس في المسجد وفي الدار حاجة في الجامعة وفي البيت حاجة تانية في البيع والشراء غير في المسجد!

إزاي؟ ليه الناس بتشتكي من نماذج مشوّهة دلوقتي؟ يقول لك: "أنتم بتشوفوه حاجة في المسجد بس هو في البيع والشراء حاجة تانية أنتم بتشوفوه حاجة في المسجد الصلاة في بيته مع أهله حاجة تانية."

لم يكن يوسف عليه السلام بهذه الطريقة.

الملتزم بجد، يُعامل ربنا يُعامل ربنا يُراعي ربنا في أي مكان بيُراعي ربنا في السر والعلن هو لوحده يكون ملتزم مش هقول لك قدام الناس.

فيوسف عليه السلام، بيبعث رسالة:

"عايز تعرف حالك؟ شوف مع تقلّب أحوالك أنت هو أنت؟ ولا بتتغيّر حسب الموجة؟"

إذا كنت بتتغيّر وتقلّبك الأحوال والأهواء يبقى ده موضوع صعب جدًا.

الصح صح والغلط غلط في أي زمان في أي مكان مع أي ناس.

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

»» من الفوائد هنا

إن بنقول: هم دلوقتي شايفين يوسف محسن وهم مش عارفين إن هو يوسف.

طب يوسف عليه السلام لما كان بينهم مش كان محسن؟ آه أكيد كان محسن وهو ما بينهم بس هم ما كانوش شايفين كده لأن عين البغض لا ترى المحاسن.

لما بصّوا له بعين البغض كانوا بيشوفوا فيه عيوب بس حتى لو هي مش موجودة ولا يرون فيه أمرًا حسنًا.

»» فعجبًا لعين البغض التي تُبدي المساويا وعجبًا لعين الحقد والحسد التي لا ترى المحاسن أبدًا... أبدًا.

»» من الفوائد الجميلة أيضا

هما لما قالوا إن له أبا شيخًا كبيرًا بنقول: من كان له أب شيخ كبير فليرحمه بعض منا أبوه عدى يعني الستين والسبعين. تمام؟ ولسه برضوا فيه قسوة! ده يا جماعة ما تدري أنت لما توصل للسن ده يعني هتبقى عصبي وهتبقى خُلُقك ضيق نستحمل أهالينا مهما حصل خلاص اللي صار أبوه أو أمه في السن دوت يعني:

{وَإِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}

فكل ما كبر أبو الإنسان أو أمه فالمراعاة والعناية بتكون أشد وأدق وأهم بكتير جدًا من أن هو ما يكون لسه بصحته وبقوته وإن أنت تتحمل يكون أولى وأولى من أي وقت تاني.

»» من الفوائد هنا

نشوف إن بنيامين دلوقتي يعتبر إنه خلاص اتسجن أو اتاخد في ملك يوسف عليه السلام مين اللي بيتألم؟ الأب عشان كده بنقول يا جماعة: إن السجن مش بيؤلم بس المسجون يؤلم كل من حوله.

ودي رسالة لاثنين:

➢ رسالة لظالم سجن الناس ظلم.

أنت ما ظلمتش واحد أنت لما بتسجن واحد ظلم أنت بتظلم أُسَر حواليه أب ممكن يفقد بصره من شدة البكاء أم ممكن يعني تصيبها الأمراض من شدة الألم على واحد في عيلتها مسجون أو ابنها يكون مسجون ظلم فليتقِ كل صاحب مُلك ويتحرى الدقة الشديدة جدا جدا جدا قبل أن هو يقرر إن يحكم على شخص بحُكم أو بسجن وما يستهترش يعتبره شاب يقول لك: ما يستحمل! الظلم يا إخواني بيدمر أُسَر حواليه وبيدمر ناس أكتر من المسجون نفسه يعني المسجون ممكن هو يتحمل واللي ما يتحملش هم أسرته. سبحان الله.

➢ والرسالة الثانية:

لكل شاب أو بنت ممكن تعمل جريمة في حق نفسها تتسبب في سجن لها يسرق أو هي تعمل حاجة مش كويسة على التيك توك فتتسبب في السجن لنفسها أو هو يعمل جريمة معينة يشرب مخدرات فيتسجن.

ارحم نفسك وارحم أهلك أنت لو سببت في سجن نفسك أو أنتِ اتسببتِ في سجن نفسكِ أنت مش بتأذي نفسك بس أنت هتكون عاقّ لوالديك أنت هتكون مُدمِّر للأُسَر اللي حواليك كلها عشرات سيتألمون فالإنسان يفكر ألف مرة قبل ما يعمل أي خطأ ممكن يتسبب في سجنه رحمةً بقلب أبيه ورحمةً بقلب أمه.

يوسف عليه السلام قال بعدها إيه؟

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ}

»»انظروا العدل قال: ما ينفع أبدا إن إحنا نأخذ واحد ما عملش الجريمة طبعا لاحظوا الدقة في الكلام قال: "معاذ الله أن نأخذ إلا" إيه؟ "من وجدنا" ما قالش: "من سرق" مراعاة برضوا للتورية لأنه ما سرقش فهو عايز يضبط الكلام بحيث إنه ما يكذبش وهو فعلا وجدوا المتاع عند بنيامين.

{إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ} سبحان الله يعني يؤسس قاعدة من قواعد العدل:

أن لو أُخِذ أحدٌ بجريرة غيره فهذا ظلم إنما يُحاكَم من أساء فقط.

وده في رد مثلًا على مسألة زي مشكلة الثأر مثلًا في بعض البلاد أو بعض الأماكن واحد قتل واحد فالناس يروحوا قاتلين واحد تاني انتقام من الشخص ده عشان ما عرفوش يوصلوا له هذا لا يرضي الله سبحانه وتعالى هذا ظلم فوق الظلم تمام؟

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ}.

هنا توجدعدة فوائد

»»الفائدة الأولى:

نلحظ لجوء يوسف عليه السلام الدائم للاستعاذة بالله فلما الدنيا بتشتد عليه والفتن تشتد عليه ملجأه إلى الله ليه يا جماعة؟ لأن الملك له سطوة يوسف عليه السلام في أي لحظة الآن في جواه يعني خواطر وصراعات ممكن يقذفها الشيطان في قلبه إن هو ينتقم من أخوته دلوقتي ممكن يقتلهم في ثانية ممكن يسجنهم في لحظة ممكن يعمل أي حاجة ملك سلطة أنتم عارفين اللي عنده سلطة ده السلطة لها شهوة هو عارف إنه بكلمة ممكن يعني ينهي حياة إنسان ممكن يدخله السجن ما يطلعش أبدا كلمة لا يُبالي بها ومش هيفتكروا خلاص، هياخذوه. كلمة بسيطة جدًا: "خذوه"، عشرات اتأذوا في الكلمة ديت.

السلطة لها سطوة و بتغرّي الإنسان و الفتنة دي عاملة زي شهوة امرأة العزيز شهوة جامدة جدًا قدامك وبتهجم عليك تمام؟ السلطة بتقول لك "هيت لك" زي امرأة العزيز.

فيوسف عليه السلام كالعادة أول ما بيلجأ، بيلجأ إلى الله: "معاذ الله". يا سلام على الكلمة دي لو نتعود عليها كل ما الإنسان يحس الفتنة اشتدت عليه يقول: يا رب ماليش غيرك لأنى لو عليّ سأقع في المعصية :

{وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}.

الموضوع كبير وأحيانا الفتنة بتبقى فعلا فوق طاقتك فوق إيمانك لكن باللجوء إلى الله كل حاجة ممكنة "معاذ الله"

رسالة لكل حاكم ولكل قاضٍ ولكل مسؤول ولكل مدير: الجأ إلى الله أن هو يحميك يحميك فعلا ليس لك إلا الله يحميك من سطوة المُلك ومن فتنة الكلمة المسموعة والقرار المؤثر.

فالموضوع يا جماعة ممكن كلمة يترتب عليها حرب ممكن كلمة يترتب عليها سجن آلاف سجن مئات.

كلمة واحدة كلمة من حاكم كلمة من رئيس بتُغيّر مصير آلاف أو مئات الآلاف من البشر فتخيل بقى الكلمة دي تطلع ظلم مثلًا أو تطلع غلط! مين يحمي الإنسان من سطوة المُلك دي؟! الله سبحانه وتعالى معاذ الله! يا رب احمِني يا رب واحفظني من هذا الأمر ومن الظلم اللي ممكن يقع من الإنسان بسبب هذا الأمر سبحان الله يعني.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾.

يعني إيه الكلام دُوّت؟ "استيأسوا منه" مش "يأسوا منه"! كلمة "استيأسوا" معني كده إنهم حاولوا كتير أوي بذلوا محاولات مضنية الجملة دي هي اللي اتنقلت لنا لكن هم يعني حاولوا محاولات رهيبة بكل العروض بكلمات كتير وحاولوا يأثروا عليه بكل تأثير لدرجة إنهم استيأسوه مش يأسوا، استيأسوا يعني بلغوا المنتهى في اليأس كل المحاولات باءت بالفشل.

طب إيه اللي بيحصل هنا؟ ده يدل على المجهود اللي بذلوه علشان يرجعوا أخوهم عشان موضوع الميثاق ده مأثر عليهم جدًّا فكارِهين إنهم يرجعوا من غير الأخ مستعظمين أوي إزاي هنُخالف الميثاق بعد كل دُوّت؟!

قال: فلما استيأسوا منه خَلَصوا نجيًّا.

يعني إيه "خَلَصوا نجيًّا"؟ يعني انفردوا يتناجون "خَلَصوا" يعني انفردوا عن الناس بَعُدوا بقى خالص انفردوا عن الناس وأخذوا يتناجون نجيًّا يعني أخذوا يتناجون يتحدثون حديثًا سريًّا لا يسمعه غيرهم.

ماذا يصنعون في هذه المصيبة؟ قال كبيرهم مين كبيرهم دُوّت؟
قالوا يُدعى رويل وقيل يُدعى يهوذا
وقيل: هذا الكبير هو أصلًا أفضلهم حالًا وأحسنهم يعني أكثرهم خيرًا
وقيل إن هو ده اللي قال: "لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجُبّ"، هو صاحب الاقتراح دُوّت.
فواضح إن دُوّت أكثرهم خيرًا عشان كده هو اللي قال:
قال كبيرهم: {أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّـهِ}.

موثِقًا من الله! سبحان الله! {وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ.}

فالأخ ده عنده نَزعة خير كده واضح إن هي عالية بيذكّرهم بالعهد اللي حصل بينهم وبين الله سبحانه وتعالى وبعد كده بيقول: {وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ.}

يا سلام! ده هنا بقى حصلت بوادر خير بدأت تطلع هي هنا الحتة دي فاصلة! وبرضه ده بيرجعنا إن ربنا يُقدّر المصائب على الناس لعلهم يرجعون فعلًا المصيبة اللي حصلت الفُجائية في بنيامين بالنسبة لهم مع الموثِق فَوّقتهم شوية.

بدأوا يعني برضه توبتهم دي جت على مراحل خد بالك إخوة يوسف ما تابتش مرة واحدة من لقاء يوسف عليه السلام ولكن كانت مرحلية شوية تعرضوا لمجموعة من التأثيرات والصدمات منها الموقف دُوّت منها لما ابيضّت عَيْنَا يَعقُوبَ عليه السلام منها لما قابله يوسف وعفا عنهم والكلام دُوّت.

المرة دي أول مرة تبدو بوادر الخير فيهم وهم بيقولوا: "ما فَرَّطتُّم"! ياه! أول مرة يعترفوا بالموضوع دُوّت! {قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّـهِ}!

ده فيه مراقبة فيه محاسبة للنفس فيه ندم! يعني دلوقتي بدأ يظهر عليهم شوية أحوال مكنتش قبل كده مراقبة الله سبحانه وتعالى وده ما كانش بيحصل منهم قبل كده. فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ: الندم!

والندم توبة والندم هو بداية الخير والندم هو بداية الإصلاح.

ولأول مرة يشعروا بالندم حتى هم ما أنكروش عليه ما قالوش: ما فَرَّطْناش ما قلناش! كله ساكت هو بيقول وهم مُقِرّين وبدأ يوجّعهم بالكلام: مراقبة الله هنُخالِف الميثاق والندم على التفريط في حق يوسف عليه السلام.

سبحان الله! الآن لسه بيندموا لغاية دلوقتي!فين بقى التوبة؟

اللي الشيطان قال لكم هتوبوا: "ها؟ "!

لما قالهم وتكونوا من بعدي قومًا صالحين.. فلا خلا لهم وجه أبيهم ولا كانوا من بعده قومًا صالحين .

ولسه الآن "ها؟!" بسم الله! لسه بيبتدوا هيندموا على اللي عملوه وطول السنين دي ولا حتى ندموا مرة فيما فعلوه في يوسف عليه السلام شُف الشيطان يوقّعك وبعد كده يخلّي بِك.

نلاحظ هنا قال: {مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ}.

فبيقول:

{فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّـهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}

لاحظوا هنا عايز أجمع الصورة: الأول هم دلوقتي فين؟ أول حاجة:

- استشعروا مراقبة الله سبحانه وتعالى.
- وحاسبوا أنفسهم على ما فعلوا
- وندموا على تفريطهم في حق يوسف عليه السلام
- وبدأوا يشعروا وبدأت تتعلّق قلوبهم بأسماء الله.

واخد بالك؟ هو أول مرة من أول القصة يتكلموا عن ربنا!

قالوا : {وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}

الله! "هو خير الحاكمين"! ده بدأوا يفكروا نفسهم إن ربنا هو الذي يحكم هو الذي يقضي، هو الذي يختار! هو خير الحاكمين ودايمًا اختياراته صح ودايمًا حُكمه صح.

طب إحنا كنا بنحسد يوسف على إيه؟! ها؟ بدأت البوادر وكأن بداية الخير لأي عبد.

خد بقى الصورة دي تأخذ منها فايدة لك إنت بقى.

بداية الخير لأي عبد هي البداية دي إن هو يستشعر أن الله يراقبه يحاسب نفسه على الدوام يكون له علاقة خاصة بالأسماء والصفات اللي يعمل كده هيوصل. خاصة العلاقة مع الأسماء والصفات.

إن من عرف ربه لم يعصه "أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية"

الإنسان لما يشهد أسماء الله سبحانه وتعالي: السميع الرقيب الشهيد مش هيعصي ربنا

لما يشهد أسماء: الغفور الرحيم الودود هيسارع بالتوبة

لما يشهد: العزيز، المنتقم، يشعر بالقوة والعزة حتى لو كان مستضعف.

لما يشهد: السبوح، القدوس، الجميل، الطيب، هيحب ربنا.

»»الحقيقة أن كل أحوال العبد وصلاحه مرتبط ارتباط وثيق بعلاقته بالله بأسماء الله وصفات الله سبحانه وتعالى فهذه هي جنة الدنيا اللي بيتكلم عنها السلف جنة الدنيا: أسماء ربنا وصفات ربنا كل ما تقرب منها كل ما الدنيا تبقى معك أحسن وكل ما تنصلح الأحوال وشقاء العالم في الجهل بالله وشقاء الدنيا في البعد عن الله سبحانه وتعالى.

بدأت تلوح عليهم يعني الخير بدأ يعدي عليهم وسبحان الله بداية الخير جه بعد أسوأ لحظات الألم وأصعب لحظات الابتلاء اللي عدت عليهم اللي هي قمة الابتلاء بالنسبة لهم إنهم ابتلوا في بنيامين وكمان أخوهم الكبير يبقى مش هيرجع معهم هنا بدأ يلوح الفرج وفعلاً انطبق عليهم:

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}

وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن بعد العسر يُسرا.

فكرنا بلوط عليه السلام الفرج جاله لما اليوم كان عصيب خلاص قال: هذا يومٌ عصيب. ساعتها الفرج جه له.

لما إبراهيم عليه السلام ألقي في النار كان بداية الفرج بالنسبة له.

لما موسى عليه السلام أُحصر يعني بين البحر وبين فرعون وجنده، كان هي دي بداية الفرج بالنسبة له .

كلما اشتد الكرب كلما لاح الفرج لكن يروح الفرج لمين؟ لمن فهم غاية الكرب لمن فهم حكمة ربنا في هذا الابتلاء وبدأ يتوب بدأ ينصلح حاله بدأ يندم على ما فرّط في جنب الله سبحانه وتعالى بدأ يستشعر صفات ربنا وأسماؤه ويتعلق بها حبًا وشوقًا ورجاءً.

لو اجتمع المعنيين دول: الكرب يزيد زائد توبة صلاح حال وندم واستشعار مراقبة وعلاقة مع أسماء الله وصفاته... هنا تقدر تطمّن إنه قد اقترب الفرج زي ما هنشوف يعقوب كمان شوية لما الموضوع شد جدًا عرف إن هي قرّبت:

{عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}

سبحان الله! فهذا هو الحال.

فقال أخوهم: لن أبرح الأرض لن أبرح يعني أنا مش هرجع حتى يأذن لي أبي إن هو يرضى عني ويسامحني ويقول لي ارجع أو يحكم الله لي يعني أخونا يأخذ براءة ونقدر إحنا نرجّعه وشوف "يحكم الله لي" بدأ برضه من حتة التوكل يعني التوكل "يحكم الله" يعني ربنا يساعدني بص فيه معاني كتير ظهرت بعد البلاء دوت.

خدوا بالكم الخير بدأ يعني يتسرّب إلى قلوب إخوة يوسف والموضوع هنا هنا بذرة التوبة بدأت واللي هتكتمل مع لقاء يوسف عليه السلام هو خير الحاكمين.

ثم قال: ارجعوا إلى أبيكم. "ارجعوا"، أنا مش هرجع معكم، مش هقدر، مش هقدر أواجهه، مش هقدر أبص في وشه.

{فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ}

»»سبحان الله! يقول لك من الفوائد إن من كان فعلاً يريد رضا والديه سيفعل المستحيل من أجل ذلك من كان يهمه فعلاً.

لأول مرة يهمهم رضا الوالد عنهم وعايزين يعملوا المستحيل عشان يرضوه القاعدة بتقول:

من يريد رضا والديه سيفعل من أجل ذلك المستحيل.

لكن في حاجة برضوا عجيبة قالوها لما قالوا: "إن ابنك سرق" كنا تطرقنا المرة الماضية للمعنى دوت هو لما قالوا لما كانوا عايزين مصلحة من بنيامين قالوا: "أرسل معنا أخانا" ما قالوش "ابنك" "أخانا نكتل" عشان فيه مصلحة سموه "أخانا".

فلما سرق، قالوا: "ابنك سرق". ما بقاش "أخانا" دلوقتي؟! آه عشان سرق يعني؟ هو ده يعني من الكلمات القبيحة ومن الأفعال القبيحة إنك كأنك يعني عايز تقول له: ابنك، تربيتك.

فده برضوا تلميح مش كويس أبدًا فده إحنا أحيانًا بنستعمله في حياتنا يعني يعني مثلاً لما ابني يغلط مثلاً أقول لزوجتي: شوفي ابنك عامل إيه ولما يعمل حاجة كويسه هاقول: بصوا شُفتم ابني بقى عامل إزاي!

فدي من التصرفات يعني ما فيهاش مروءة يعني ينبغي للإنسا، خلاص أنت الصح خير ممكن تربيتك والغلط تربيتك برضه يعني فالإنسان يتحمّل تبعات الأحوال ديت.

لكن هم فعلاً يعني ما سموش "أخانا" لما كان الموضوع متعلق بالسرقة قالوا:

{ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ}

يعني إيه الكلام دوت؟ "وما شهدنا إلا بما علمنا" يعني إحنا ما كناش نعرف إن هو سارق فعلًا ما كناش نعرف إن هو هيسرق ده على اعتبار إن هو سرق فعلًا يعني.

"وما كنا للغيبِ حافظين" هو ليه بيقولوا كده؟ بيقولوا: إحنا ما نعرفش الغيب ليه؟ لأنهم حاسّين بالذنب ليه؟ لأنهم اللي حَكَموا هم اللي قالوا: لو سرق خُذه دي شريعتنا شريعة إبراهيم عليه السلام إن السارق بيروح للمسروق منه بيبقى عبد عنده فهم اللي حَكَموا، فهم حاسّين بالذنب يعني اللي هو: يا ريتنا ما قلنا كده بس هم بيقولوا: إحنا قلنا كده يعني ثقة إن أكيد ما حدّش فينا سرق فمكناش نعرف إنه أخونا سرق وإحنا منعلمش الغيب "لم نكن للغيب حافظين" فإحنا معذورين إن إحنا اللي حكمنا في الموضوع دوت {وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ}

هنا في برضوا فائدتين:

»»الفائدة الأولى:

وهي قولهم "إن ابنك سرق" فبرضوا ما زال فيهم رغم كل شيء برضه هو لسه يعني ما اتصلحش في حالهم قوى، ما زال فيهم حتة قسوة الكلمات فاكرين أول ما رجعوا قالوا: {يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ} طب واحدة واحدة، يعني ألفاظهم دايمًا قاسية كده، دايمًا يواجهوا الأب بأقسى كلمات: "إن ابنك سرق" مش بس هيقولوا له: اتُّهِم بالسرقة آه بس إحنا مش عارفين ده حصل إزاي يعني يمكن بريء يمكن حد حطّ له حاجة، على طول "ابنك سرق"!! كلام صعب.

فالإنسان يراعي كلامه مع والديه ألطف الكلمات وأرقّ العبارات نستعملها مع الوالدين حتى لو في الحقائق.

»»الفائدة الثانية

في قوله "وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين" تدينا معنى جميل إن الإنسان له قاعدة في حياته:

لا تشهد إلا بما تعلم لا تشهد إلا بما تعلم إذا كنت لا تعلم لا تشهد لا تشهد.

إحنا عندنا للأسف تسرّع في الموضوع دوت بنشهد بسرعة جدًّا حتى بدون إن إحنا نعلم وده مثلًا بيحصل كتير جدًّا في التزكية مثلًا مجرد واحد معايا في المسجد مثلًا بيصلي معايا حد يقول لي مثلًا: ده جاي عريس لبنتي، وإيه رأيك فيه؟ أروح على طول مزكّيه! ده ممتاز ده ما تلاقيش زيه ده تقي ده بيصلي معانا ده محترم.

طب: أنت تعرف بخيل ولا كريم؟ تعرف عصبي ولا هادي؟ تعرف معاملته لأهل بيته؟ تعرف إيه رأي والدته فيه؟ تعرف إيه طباعه الشخصية؟ تعرف دخله؟ زكّيته على أساس إيه!! طيب أقول لهم إيه؟

قل: أشهد بما أعلم.

أنا لا أعلم عنه إلا إنه بيصلي معانا في المسجد وهو معانا كويس أخلاقه محترمة في المسجد بس.

طب تعرف حاجة تانية؟ ما أعرفش اسأله بقى بقية الصفات اسألوا غيري ما أعرفش كريم ولا بخيل ما أعرفش.

والعكس المشكلة بقى؟

الأخوات أكتر من كده للأسف يعني تزكية الأخوات لبعض بتبقى فيها مبالغة شديدة وفيها تعاطف.

يعني لو هي واحدة بتحب واحدة مثلًا وعايزة تجيب لها عريس مثلًا بتقول فيها صفات إيه؟ يعني صفات الحور العين!

وييجي صاحبنا يا عيني يشوف مثلًا ما يلاقيش الكلام اللي اتقال له دوت، فيقولوا: يا جماعة أنتم قلتم لي حاجات غير اللي أنا لقيتها!

ما ينبغي! هذا من غير الأمانة.

والمسألة الثانية: التزكية في المعاملات المادية مثلًا.

طب هو بيصلي معاك واحد بيقول لك: هاتاجر معاه ولا ما تاجرش؟

تقول له: لا ده راجل محترم تاجر معاه!

طيب افرض هو في المعاملات المادية مش كويس؟

طب أقول إيه؟ قل: ما أعرفش.

قل: والله هو بيصلي معانا هو مؤدب كده ما أعرفش في المعاملات المادية أخباره إيه. "وما شهدنا إلا بما علمنا."

علمنا يعني يقول: عندي علم في كل حاجة بشهد بها وإلا الشهادة يتحاسب عليها

فينبغي الحذر من التسرع في الشهادة التسرع في تزكية الناس على أساس معلومات محدودة.

قل المعلومات اللي عندك وقل: الله أعلم الباقي أنا ما أعرفش.

قال: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}

"واسألِ القرية" معناها اسأل أهل مصر.

يعني هم مش عارفين يثبتوا إزاي فبيقولوا له: يعني روح مصر اسأل عليه عشان تتأكد إن إحنا ما كذبناش.

هم خلاص عارفين إنه مش مصدقهم من المرة الأولانية فعارفين مش هيصدقهم في الثانية.

أسأل القرية "قرية" يعني مصر، أهل مصر.

أسأل العير "العير" مش المقصود بها الجِمال نفسها لا يعني القافلة اللي إحنا كنا ماشيين معاهم أسألهم هيقولوا لك إن إحنا ما كذبناش.

لكن سبحان الله كيف يُصدَّق من عُلِم عليه الكذب؟

وهذا من شؤم الكذب إن الكذّاب لا يُصدَّق ولو صدق يعني هم المرة دي صادقين.

بس سيدنا يعقوب ما صدقهمش وله عذر الصراحة يعني وإن كانوا صادقين بالفعل هذه المرة وهو لم يصدقهم بالفعل لكن هذا اجتهاد منه معفوٌّ عنه لأنه مبني على قرائن وأدلة هم ما زالوا يكذبون من سنين مش معنى هتصدق في ديّت يعني؟

وخاصة إن هي مشابهة جدًّا للمرة اللي قبلها.

أنتم قلتم: {وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} وجايين تقولوا: {وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} نفس المرة اللي فاتت.

ما أنتم قلتم لي المرة اللي فاتت: {إِنَّا لَصَادِقُونَ} فله عذر أنه لا يصدقهم في هذه المرة أيضًا؟ وهذا شؤم الكذب الكذاب لا يُصدَّق وإن صَدَق ويقعد بقى مش عارف يثبت للناس إزاي إنه صادق .

ولذلك يقولون: "ما يُغني التأكيد عن من جُرِّب عليه الكذب"

والقاعدة بتقول: "اليقين المعلوم في النفس أبلغ من السؤال". يعني هسأل مين؟ إذا أنا أصلًا متيقن من كذبكم طوال هذه السنوات أسأل مين؟! خاصة إنهم حتى بيحيلوه لسؤال مستحيل بالنسبة له أسأل أهل مصر إزاي؟ يعني أروح مصر وأسألهم إزاي؟ والقافلة دي هأجيبها منين؟ ما القافلة زمنها مشيت خلاص فأنتم بتحيلوني إلى سؤال أصلًا غير مقدور عليه فأصدق إزاي؟! وحتى اللي بتقولوا لي: "روح اسأل" هو حد لا يمكن أني أسأله فطبيعي إن يقع في قلبه إنهم كذبوا.

حتى أهل الحديث العارفين المهتمين بالحديث والتصحيح والتضعيف وكده وأحوال الرجال في الحديث معروف إن اللي بيكذب على النبي ﷺ مرة لا يُؤخذ منه حديث أبدًا أبدًا ما تاخدوش منه حديث أبدًا. وممكن واحد يقول: طب ما ممكن يكون له أحاديث

ثانية صادقة؟ نأخذها من غيره بس مش هنأخذها منه أبدًا طالما كذب على النبي ﷺ ولو مرة المحدثين يقولوا لك: خلاص فلان ده العدالة بتاعته انتهت، وما يأخذوش منه حديث هذا من شؤم الكذب يُحرَم من أجر نقل حديث ولو كان صادق فيه عشان كذب مرة قبل كده.

ولكن هم يستاهلوا الحقيقة يستحقوا أن يعقوب عليه السلام ما يصدقهمش وهذه من عقوبة المعصية : أن العاصي يُبتلى في أقرب الناس له. وسبحان الله العقوبة جات لهم بعد كم سنة؟ ربنا يمهل ولا يهمل

{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}

وإن الله يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته سبحانه وتعالى.

حاولوا محاولات يقنعوه في النهاية قال: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}. برضوا هو ما عنده غلبة ظن إنهم كذبوا المرة دي كمان يقول: لا فيه حاجة أنتم مخبّين حاجة وأنتم خدعتوني زي ما بتخدعوني كل مرة وكالعادة يعقوب عليه السلام لا يقابل ذلك إلا بالصبر الجميل.

المرادي الصبر أصعب المرة دي ما فقدش يوسف عليه السلام بس ده دلوقتي ثلاثة راحوا منه : يوسف عليه السلام أصلًا وبنيامين والأخ الأكبر خد بالك،

مارجعش هو مش ناوي يرجع إلا لما المشكلة تتحل فكده يعقوب عليه السلام ثلاثة راحوا منه ثلاثة مش واحد! تخيل بقى الصبر الجميل ده طالع إزاي؟ بعد كل السنين دي،ولسه بتصبر وصبر جميل ليس فيه شكوى للخلق ليس فيه شكوى تَذمُّر وضجر ليس فيه ما يدل على الضجر باليد كلطم الخدود وشق الجيوب والكلام دوت. إنما ليس فيه إلا الرضا عن الله وحمد الله سبحانه وتعالى على كل حال صبر جميل .

لكن الصبر المرة دي فعلًا مُر جدًا على يعقوب عليه السلام ولكن ربنا يُنزّل على قلب المؤمن مع هذه المرارة حلاوة إيمان تغلب مرارة الصبر. فيؤول الأمر إلى حلاوة في النهاية:

{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ}

{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا.}

فدائمًا في عز لحظات الألم والتعب والحزن ينزل على المؤمن برد كده من الله لا يمكن وصفه هذا شيء لا يُوصَف إنما يُذاق "ومن ذاق عرف ومن عرف لا اغترف."

فهذه اللذة التي يُفيضها الله على قلب المؤمن والطمأنينة السكينة التي تنزل عليه تُذهِب مرارة الصبر فيأخذ أجر الصبر يعني تحلو مرارته بهذه السكينة والطمأنينة والأحوال الإيمانية اللي ربنا بيفتحها على قلب المؤمن لو نجح في امتحان الصبر.

قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}.

سبحان الله يعني صبر جميل عَظُم البلاء يُختَبر يعقوب عليه السلام في حسن الظن في صدق التوكل على الله رغم انعدام الأسباب صبر جميل.

إفهم: إن هو يبتليك ليسمع منك كلمة زي دي.

إفهم: إن هو بيبتليك لكي يسمع تضرعك يرى حسن ظنك فيه يرى توكلك عليه رغم انعدام الأسباب.

الله أرحم بعباده من الأم بولدها إزاي تسيء الظن؟!

الله أرحم بك من أمك فأنت شايف إن الموضوع ألم لكنه ألم بعده أمل لكنه صبر بعده جبر هو يريد بك الخير من حيث لا تدري ولا تشعر يبتليك ليُعافيك يأخذ منك ليُعطيك.

وبالتالي تأخذ درجات كبيرة عند ربنا في الجنة وفي نفس الوقت يعوّضك خيرًا من حيث لا تدري ولا تحتسب {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} سبحانه وتعالى.

يعقوب عليه السلام يفهم حكمة ربنا في كل شيء:

{إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

بيعرف يتعامل مع ربنا ده اللي إحنا بنتعلمه من الأنبياء يا جماعة.

إحنا لو طلعنا من القصة دي بفهم "لغة التعامل مع ربنا" هو بيبتلينا ليه؟ خلاص بيحط قدامي نموذج يعقوب عليه السلام نموذج يوسف عليه السلام فبشوف أحداث حياتي بشكل مختلف وبتعامل بشكل مختلف وبفهم أن دي رسائل .

والمطلوب: أجاوب ولو جاوبت صح تتحل جاوبت غلط أنت اللي اخترت إن البلاء يطول دايمًا الأنبياء بيجاوبوا صح وبيعرفوا العبادة دي في مكانها وبنتعلم منهم فقه التعامل مع الله سبحانه وتعالى.

يعقوب عليه السلام فهم إن البلاء بيزداد لكي يرى الله منه أمرًا إيه؟ **الصبر**.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ زي ما ربنا قال عن سيدنا أيوب نفس المعنى كده عن يعقوب.

في الآخر هو ربنا يريد أن يجدك على حالٍ ما فهمت دي؟ هتعمل الحال هتُفرَج ما فهمتش؟ مش هتعمل مش هتُفرَج.

زي ما سيدنا إبراهيم قال لسيدنا إسماعيل قال:

﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾

يعني خد بالك دي اختبار من ربنا ويريد أن يرى شيئًا ففهم، فقال:

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

اتحلت على طول:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

الناس أصحاب الجنة في سورة نون ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فلما رأوها قالوا: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ .

خد بالك فهموا الرسالة فهموا إنهم ابتُلوا ليه؟ وفهموا إن ذنوبهم هي السبب تابوا إلى الله وبعد كده قالوا:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

فلما فهموا الرسالة ونفذوا المطلوب اتحلت المشكلة.

سيدنا يعقوب بيعمل كده **الرسالة: ده ابتلاء الهدف: أن يرى الله منك صبرًا**.

أول ما تنجح في ده يتحقق المطلوب على طول فعلًا.

هو لما أصلًا وُفِّق للصبر انتقل على طول لخانة الرجاء ما ينفعش إني أرجو الفرج وأنا أصلًا ما فهمتش الرسالة ولا نفذت المطلوب منها يعني:

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

طب واحد جاء له البلاء وقسى قلبه منتظر الفرج؟ طب إزاي؟

أنت دلوقتي ربنا ابتلاك عشان أنت عاصٍ معصية معينة.

أنت مثلًا مقصّرة في الصلاة مقصّرة في الحجاب بتعملي حاجات مش كويسه أنت بتعمل فربنا ابتلاك فإنت قاعد منتظر الفرج من الله؟

أيوه بس أنت أصلًا ما فهمتش ربنا ابتلاك ليه لا صلّحت أمورك ولا تبت ولا استغثت ولا رفعت إيدك تشتكي إلى الله ولا عملت أي حاجة من أغراض الابتلاء.

مش إنت اللي هييجي لك الفرج بسرعة.

أنا فهمت فبطبق مراد الله من الابتلاء وبعد كده أقول ساعتها: "عسى" بقى.

عشان كده يعقوب عليه السلام لما فهم وطبّق انتقل إلى الرجاء.

ومن حقه فعلًا إنه يعظم أوي عبادة الرجاء لأنه عمل اللي عليه خلاص.

عسى ولما عرف إن هي شدت قوي وجابت آخرها جدًا وضاقت جدًا.. هو يعلم من الله ما لا يعلمون.

يعلم السنن أنها إذا ضاقت جدًا فُرِّجت فساعتها بقى فتح باب الرجاء على الآخر:

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

شُف بقى وكمان تعلُّق يعقوب عليه السلام باسم "العليم الحكيم"، جميل أوي.

يعني "العليم الحكيم" العليم إنما يبتلي بعلمٍ سبحانه وتعالى وحكيم يضع الشيء في موضعه.

ربنا ما بيظلمش حد ربنا ما بيغلطش كل أفعاله لها حكمة وكل ابتلاء له غرض حكيم منه سبحانه وتعالى.

يُقدِّر على العبد الصالح الشيء المكروه ده من أجل محبوب أعظم يريده الله سبحانه وتعالى.

فلا شك أن ألم يعقوب شيء صعب لكن :

- يترتب عليه منزلة الصبر
- يترتب عليه علوّ قدر يعقوب عند الله
- يترتب اليه إن إحنا نرى من يعقوب ونتعلم.

إحنا على مدار السنوات الطويلة دي كل الناس بتتعلم من يعقوب الصبر وحسن الظن والرجاء.

ونشهد الأسماء والصفات والكلام ده ومقابل المكروه البسيط محبوبات كثيرة متتابعة.

ربنا يحب أن يسمع شكوى يعقوب يحب يسمع دعاءه وبالتالي هو حكيم سبحانه وتعالى يقدر على العبد شيئًا له وجه من المكروه من أجل وجوه كثيرة محبوبة يحبها الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

شُف هو بيثني على الله في عز البلاء شُف أدب يعقوب مع الله!

إحنا بقى ربنا يبتلينا نقول: ليه يا رب؟! وليه؟ هو أنا عملت إيه؟ وبتاع...

ده بيثني على الله في عز البلاء بيذكر ربنا بكل خير.

أين هذا الأدب مع الله؟ أدب الابتلاء أدب التعامل مع الله عند الابتلاء.

ثم قال تعالى : ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾... يا الله.

"وتولّى عنهم"... خلينا الأول قبل ما نقول "وتولى عنهم" نقف وقفات يسيره كده مع الآية اللي فاتت دي.

»»خلينا نقول من فوائد حسن الظن بالله:

*حُسن الظن بالله يعطيك فوق ما تريد.

لقد أراد يعقوب فقط عودة الأبناء فعادوا وتابوا وعاش هو في عز وملك وعاد إليه بصره.

وكان كل أحلامه إنهم يرجعوا بس عادوا تائبين ودي ما كانتش داخلة في الحسبان.

عادوا تائبين وعاش هو بعدها في عز وملك وردّ الله عليه بصره.

*فائدة أُخرى:

اعمل وافعل ما عليك ثم قُل لآمالك وأحلامك: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ.

كمال العبودية أن يكون عندك حُسن ظن بالله في أسوأ الأحوال وعند انعدام الأسباب.

لم يتحطَّم يعقوب لتتابع المصائب وإنما زادته يقينًا في قرب الفرج فإن عاقبة الصبر جبر.

*الفائدة الأخيرة:

في هذا المقطع نلحظ أن يعقوب عليه السلام لم يدعُ على أبنائه ولم يشتمهم.

أيُّ والدٍ هذا؟! وأيُّ رحمةٍ جعلها الله في قلب هذا الوالد! ما زال يرجو لهم الخير وما زال يتألَّفهم لعلهم أن يتوبوا.

انظر إلى الأمهات أو الآباء: لو أخطأ ابنهم كيف يتعاملون معه؟ شتائم وضرب وأذى نفسي... بل ويدعون عليه!

انظر إلى الآلام التي تركوها في قلب يعقوب وما رأيناه يومًا يدعو عليهم.

توقَّف وتعلَّم كيف يكون الوالد الرحيم الشفيق.

وبرضوا... هم أولادنا، هيروحوا فين؟ ما لهمش غيرنا في الآخر نصبر عليهم ولو العمر كلّه يمكن يتوبوا في آخر لحظة في عمرهم.

هو فعلاً يعقوب صبر عليهم أربعين سنة! تابوا بعد أربعين سنة...سبحان الله!

صبر يعقوب فعلا أتي أوكله حتى مع أولاده

قال تعالى: {وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ}.

يا ربي على الوجع اللي في الكلمة دي!

العجيب أنه تولّى عنهم يعني: أعرض عنهم.

➢ الفائدة الأولى :

لا تجعل أحدًا يرى كسرة قلبك فإن الناس بين من يرقّ لك ولكن لا يملك أن يساعدك وبين شامتٍ فيك وكِلاهما لن تستفيد شيئًا من أن يراك.

➢ الفائدة الثانية:

يشقُّ على الرجل أن يرى الرجال دمعة ضعفه.

➢ الفائدة الثالثة:

كم نحتاج لخلوة حزن بيننا وبين الله تلملم فيها شعث أنفسنا.

العبد يريد أن يجلس مع نفسه لا يريد أحدًا... سيبوني مع ربنا.

أفضفض له وأبكي له أخرج مستريحًا، خلاص...

أشعر أن الأمور تتحل لا أعلم كيف لكنني إذا وُفِّقت للشكوى إلى الله فقد حُلَّت.

ربنا سيحلّها لي ينزل عليّ جبر وأنا في مكاني...نفسي اجتمعت بعد شتات.

كنت متعلِّقًا بذا وذا وذا وأرجو هذ، وأنتظر من ذاك أن يقف بجانبي... فخذلوني كلهم.

قعدت مع الله خلوة واحدة فقط خرجت مجبور الخاطر نفسي تلمَّت وأرجو من الله الفرج القريب.

{وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ}

العجيب أن المفروض يقول: "يا أسفَى على بنيامين!"صح؟!

لأن ده هو الوجع الجديد... لكنه قال: "يوسف!..."ياه! للدرجة دي؟!

يعني بنيامين ذكّره بيوسف كمان وجدد عليه الحزن.

وكأن الحزن على يوسف لا مثيل له في قلب يعقوب عليه السلام.

يا أسفاه على يوسف... يعني ما كان يتمناه الناس من غياب يوسف ما حصلش منه ولا ذرة.

قالوا: {يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}

يعقوب ما نسيش يوسف لحظة في حياته.

هم دلوقتي؟! "إنت لسه بتقول يوسف بعد كل السنين دي؟ "! عجب والله!

فعلاً حصل لهم نقيض قصدهم تمامًا.

ما زال يعقوب متعلقًا بيوسف عليه السلام ويُحبّه جدًا.

لكن كأن يعقوب عليه السلام يتأسف طبعًا على بنيامين ولكن ذكره بالمصيبة الأكبر... مصيبة فقد يوسف عليه السلام.

ومصيبة فقد يوسف بالنسبة ليعقوب مش مجرد فقد ولد لأ...يوسف عليه السلام كان مشروع مصلح أمة.

كان يرجو أن يكون هو الذي يحمل أعباء الدعوة والهم من بعده فهو يتأسف على إمام على قائد على من كان يرجو منه حمل الهمّ وهو يرى أبناءه العشرة لا يستفيد منهم شيئًا....كان منتظر واحدًا فقط.

التأسف على الرجال التأسف على القدوات التأسف على من يحملون الهموم...

لا يفهمه إلا أصحاب الهمم العالية.

عشان كده بنقعد نبكي على العلماء لما بيموتوا نعم نبكي على فقد عالم.

نبكي على سجن عالم... شوف الأمة خسرت قد إيه بالموضوع ده.

سيدنا عمر كان إذا قرأ هذا المقطع من سورة يوسف الراوي يقول: "كنا نسمع نشيجه من وراء الصفوف"

يعني كان يصلي بهم الفجر فإذا وصل للنقطة دي {وَيَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ} كان يقعد يبكي لحد ما الناس يسمعوا صوته من خلف الصفوف.

لماذا؟ لأن سيدنا عمر كان يفتكر المعنى نفسه...

وفي موقف آخر قال سيدنا عمر:

"إني أشكو إلى الله جَلَد الفاجر وعجز الثقة."

يعني الفاجر عنده عزيمة وهمَّة في باطله

لكن المؤمن؟! ضعيف وإن وُجد فهِمّته ضعيفة.

وسُئل مرة:ما الأمنية التي تتمناها يا عمر؟

قال: "أتمنى أن تكون هذه الدار مملوءة برجال مثل:أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان وسالم مولى أبي حذيفة أستعملهم على أمور المسلمين."

أمنيته: أن يرى القدوات الرجال الذين يحملون الهموم.

هذا هو من يتأسف عليه أصحاب الهمم العالية.

وفي الحديث : "الناس كإبلٍ مائة لا يجد الرجل فيها راحلة" فما بالك بزماننا؟!

مدى الأسف الذي نشعر به لما نرى أمة كغُثاء السيل من كل ألف بل من آلاف لا تجد إلا واحدًا تثق فيه وتعتمد عليه ويحمل همَّ الدين فعلًا.

أرجو أن تكون أنت منهم وأرجو أن تكوني أنتِ منهم من الناس الذين تنتظرهم الأمة من الواحد في الألف من الواحد في المائة ألف الذين نرجو من الله أن يُجدد بهم ويُغير ويحملوا همَّ الأمة.

ضع نفسك في هذا الموضع:

أنا الشخص الذي يتمناه الصحابة الذي كان يتأسف عليه الصالحون الذي سيكون رقمًا في المعادلة وسيفرق كثيرًا.

"يا أسفاه على يوسف"

- بتجدد فينا الحزن لفقد العلماء وفقد القادة الذين كنا ننتظر منهم الكثير.
- الإنسان يبكي على حاله وعلى حال أمته.
- تُخبرنا أن لنا في مشاعر الأنبياء سلوى فقد كانوا بشرًا يتأسفون ويبكون ويحزنون.

*فهذا يعقوب عليه السلام: "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ"

*وهذه مريم عليها السلام: "يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا"

*وهذا لوط عليه السلام: "إِنَّ هَٰذَا لَيَوْمٌ عَصِيبٌ"

فالأنبياء عليهم السلام بشر لهم مشاعر ولهم آلام ولكن لهم حال مع الله يُهوِّن عليهم هذه الآلام.

- هي شكوى إلى الله وليست شكوى من الله لأنها بمعنى الدعاء أي: يا رب ارحم أَسَفي على يوسف.
- إنما يحزن على الشيء من يعرف قيمته.

لكن من لا يعرف قيمته سيتعجب: لماذا كل هذا الحزن عليه؟

- فإذا كان يعقوب عليه السلام يقول "يا أسفاه على يوسف" فهو ما زال عنده رجاء أن يراه وظنه بالله أن يوسف لا يزال حيًّا وأنه سيلقاه.

فما بالكم بتأسف الأم أو الوالد على ولد فُقد ولن يعود وهي متيقنة من فقده؟

ما بالكم بآلام أهل غزة في أولادهم الآلاف الذين ماتوا أمام أعينهم بالصواريخ والطائرات والهدم؟

تخيلوا كم الآلام في هذه البلاد.

نسأل الله أن يفرِّج هموم كل من فقد حبيبًا أو عزيزًا وخاصة أن يفرِّج همَّ المسلمين في غزة وفي غيرها من بلاد المسلمين.....اللهم آمين، اللهم آمين.

ثم قال سبحانه وتعالى:

{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}

يا الله ! تخيل كم البكاء الذي بَكاه يعقوب عليه السلام لدرجة أن يفقد بصره!شيء يصعب تصوره.....يعني أيُّ بكاء وأي تعب جسدي!

أكيد أن جسده تأثر لأن الحزن الشديد يؤثر على الجسد ماديًّا حقيقي.

أيُّ حزنٍ هذا الذي كان في قلب يعقوب؟!شيء عجيب والله!

{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ}

أيُّ وجع هذا الذي أصاب يعقوب عليه السلام؟وأيُّ صبرٍ تحمله يعقوب عليه السلام؟!

فهو كظيم....يكتم غيظه يكتم ألمه في حزنٍ شديد.

يُقال: "حين كظم لسانه، تكلمت عينه، حتى ابيضت."

فلا أشقَّ على الإنسان من كلام العيون حين يجتمع كل الألم في عينيك.

كففت لسانك فبدأت كل المشاعر تخرج من عينيك فقط.

أصعب شيء أن يجتمع الألم في دمع العين....الإنسان لا يعرف ماذا يقول لا يملك إلا الدموع وهذا أقصى ما يكون.

فأقصى أنواع الألم هو ذلك الوجع المكبوت في النفس الذي لا تتحدث به ولا تشكو لأحد إلا لله فهو نار في صدرك.

ورغم كل هذا لم ينطق يعقوب عليه السلام بكلمة سخط قط على الله سبحانه وتعالى

بل ما زاده ذلك إلا رجائه فيما عند الله سبحانه وتعالى.

{وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}

وهذا فيه دليل على أن الحزن لا يتنافى مع الرضا بل البكاء لا يتنافى مع الرضا.

بعض الناس إذا رأى شخصًا حزينًا على فقد حبيب يقولون له: "لا تبكِ!" وقول: "الحمد لله"، ما ينفعش تبكي من قال إن البكاء لا يجوز؟ لماذا تُحرِم الناس من هذه الرحمة؟

النبي ﷺ لما مات ابنه إبراهيم، بكى بكاء شديدًا فالناس استغربوا.

قالوا: "يا رسول الله، تبكي؟"!

فقال : "هذه رحمة يجعلها الله في قلب من يشاء من عباده إنما يرحم الله من عباده الرحماء".

وقال : "إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنّا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا".

فلا تمنع شخصًا من البكاء أو الحزن عند المصيبة فقط تأكد أنه راضٍ عن الله،

لأن من الطبيعي أن يجتمع الحزن والبكاء كشيء بشري جبيلة بشرية لا يمكن مقاومتها لكن القلب يكون في حالة رضا عن الله سبحانه وتعالى.

فالحزن والبكاء لا يتعارضان مع الرضا بالقدر لأنهما ضعف بشري طبيعي،لا يملكه أحد حتى الأنبياء".

ويُقال: من الأمور المؤلمة جدًّا أن يعقوب فقد حتى العين التي كان يرجو أن يرى يوسف بها.

يعني حتى عينيه نفسها البصر راح فحتى مع احتمال اللي هو الغالب على ظنه إنه سيلقى يوسف عليه السلام ولكن كيف سيراه الآن؟ ولكن سبحان الله! رحمة ربنا كانت أوسع بكتير مما يظن يعقوب عليه السلام وفعلاً عاد إليه كل شيء حتى بصره عاد إليه.

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

كظيم: أي ساكت كئيب سبحان الله! يعني من الفوائد اللطيفة اللي بيقولوها:

ابيضت عيني يعقوب عليه السلام من الحزن على يوسف وفي نفس الوقت لم تبيضّ عين يوسف من الحزن علي يعقوب رغم حزنه ولكن حزن الوالد على الولد أشد من حزن الولد على الوالد.

فليعرف الأبناء قدر الآباء والأمهات فقد الوالد للولد ليس كفقد الولد للوالد فشعور الآباء والأمهات لا يمكن أن تستوعبه مدى الرحمة اللي في قلوبهم مدى التعلّق بأبنائهم كل ابن وكل بنت اعرف قدر الأب وقدر الأم فيهم كمية حب ورحمة وعطف بك مش موجودين عندك أنت ناحيتهم حتى لو كان عندك من ذلك القدر الكبير.

قالوا:

﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ﴾

يعني بيقولوا إيه؟ أنت لسه فاكر يوسف؟!! بص بقى الحسد! لسه فاكر؟ ما كفاية بقى! "تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضًا" يعني إيه؟ يعني ضعيفًا ضعيف القوة تمرض وتضعف أو تكون من الهالكين أو تموت بسبب حزنك على يوسف.

حاجة عجيبة حتى الحزن يستكثرونه عليه.

عشان كده يقول لك: أقسى شيء في حزنك أن يعاتبوك على حزنك رغم أن حزنك مشروع حتى الحزن مستكثَرينه علي! يا أخي سيبني أحزن حتى! العجيب أنهم أصلاً سبب الحزن دوت!

لذلك يقول لك: "آلاموه ثم لاموه لما تألّم" كمن ضرب إنسانًا فلما صرخ عاتبه على صراخه! طب ما أنت اللي بتضربه! يعني أنت عايز تضربه وبعد كده لما ييجي يصرخ تقول له: أنت صوتك مزعج، صوتك عالي! تصرخ ليه؟! ما أنت اللي بتضربني! نفس الفكرة: آلموه وهم سبب ألمه ثم لما حزن لاموه! هم سبب حزني وألمي! حاجة عجب والله!

»» والعجب إنهم لم يرحموا حتى ذهاب بصره! يعني هو قدامكم ذهب بصره ولسه الكلمات القاسية موجودة فيهم! انظر ماذا يفعل الحسد! يعمي الإنسان عن كل رحمة ولا يرى الحاسد إلا الغِلّ على يوسف عليه السلام.

"تفتأ تذكر يوسف" فايدة جميلة:

*هناك أشخاص لا يمكن أن ننساهم أبدًا لإحسانهم ولأخلاقهم ولآثارهم في قلوبنا
*هناك أشخاص لا يمكن لأحد أن يسكن مكانهم فإذا ذهبوا ظل مكانهم شاغرًا.

فكان رد يعقوب عليه السلام:

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

يعني بيقول لهم: هو أنا اشتكيت لكم؟! يعني سبحان الله حتى مستكترين عليّ إن أنا أشتكي لربنا؟! أنا بكلم ربنا! أنا ما اشتكيتش ليكم ولا أرجو منكم شيئًا ولا أريد منكم شيئًا! كمال في التوكل!

قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

عبادة الشكوى إلى الله يا جماعة من أعظم العبادات ومن أجلّها يقدّر الله الابتلاءات على العباد لأنه يحب العبادة دي قوي قوي قوي! ودي من أقرب العبادات له الإنسان في عز بلواه يروح يرفع إيده كده يقول: يا رب أشتكي لك أنت بس يا رب مش هشتكي لحد أبدًا إلا أنت.

دي لو فعلًا حققها العبد الفرج بيكون قريب جدًا جدًا.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾

هذه العبادة بتنزل على القلب أنواع من الطمأنينة والسكينة يعني دي حاجات ما بتتوصفش يعني لما أنت بتقعد تشتكي لربنا كده بتنسى بقى الناس كلها.

عارف لما تيأس من الناس خالص خالص بقى؟

زي السيدة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك لما يأست تمامًا من الناس واشتكت بس لربنا قالت: "ما حدّش هيصدقني" ورفعت بصرها إلى السماء قالت:

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

فرفعت شكوى قوية إلى الله، نزلت الآيات تبرئها وهي في مكانها.

نفس الفكرة لما المرأة اشتكت للنبي ﷺ أمر زوجها فالنبي ﷺ ما كانش لسه نزل له وحي في الموضوع اللي اشتكت فيه اللي هي المرأة المجادِلة خولة بنت ثعلبة فراحت رفعت شكوى إلى الله قالت: "أشكو إلى الله"، فاشتكت لله فنزل الوحي:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾

ثم أنزل الله تعالى حلّ المشكلة كاملة.

النبي ﷺ اشتكى لربنا، قال:

" اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدوٍ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك".

من بعدها كل أُموره انفرجت بعد كده حصلت رحلة الإسراء والمعراج وقابل الأنصار وبيعة العقبة الأولى والثانية والهجرة والدنيا اتحلت بعد شكوى النبي ﷺ.

فما أجمل إنسان يشتكي إلى الله سبحانه وتعالى؟ ارفع شكواك إلى الله، هذا أسرع حل لمشكلتك بس شكوى لا تشتكي للناس.

وفعلًا فوض أمرك بالكامل إلى الله وفعلاً يعني ابكِ بكاءً رهيبًا بين يديه وقل له: يا رب أنا اشتكيت لك يا رب وحلّ لي مشكلتي يا رب سيكون عند ظنك.

{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا}

تضرعوا! هذا هو المفتاح المفتاح في إيدك افهم الرسالة هو يريد أن يسمع شكواك.

ومن الحاجات اللي هتحسسك إنك نجحت إنك تشعر بعدها بالراحة.

أنا استريحت مع إن لسه المشكلة ما اتحلتش بس نزل عليك برد وطمأنينة راحة وسكون عجيبة.

عشان كده أحد السلف يقول: "أنا أعلم متى يُستجاب دعائي".

قالوا له: إمتى؟

قال: "إذا رق قلبي وحضر دمعي وخشعت جوارحي علمت أن الله قد أجاب دعائي".

الحال اللي بيحصل لي بعد الشكوى هو اللي بيقول لي إن إن شاء الله ربنا استجاب دعائي حتى لو الفرج لسه ما جاش أنا استريحت خلاص.

مجرد الشكوى بتريح لأنك اشتكيت لمن يملك الحل هو بقى هيحل إمتى؟ خلاص أنت كده كده مطمئن أنا رفعت له الشكوى ووصلته.

هو يقدر على كل شيء ما هي دي الفكرة الطمأنينة جايه من كده: من علمك بالله.

إنه لا يعجزه شيء وممكن يحلها لك في ثانية المهم إن أنا بلّغته ووصلت له الموضوع وأنا اشتكيت له صح وراجيته صح وعملت كل اللي عليّ.

مش مهم بقى تتحل إمتى أنا استريحت من ساعة ما اشتكيت فهمتوا الفكرة؟

وعشان كده قال لهم: {وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.}

أعلم أن الله لا يُضيّع أولياءه وأعلم أنه يُجيب دعوة المضطر وأعلم أنه عند ظني وأعلم أنه سيستجيب دعائي.

إيه الصبر؟ وإيه الدعاء؟ وإيه الشكوى؟ وإيه اللي أنت بتعمله ده؟!هيغير في إيه؟! هتعرفوا بعدين هيقول لهم في الآخر:

{أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

أخيرًا نقول عدة فوائد:

»»الفائدة الأولى

لا يعلم قدر الألم إلا الله ولا يملك أن يزيل ألمك إلا الله فاكْتفِ أن تشكو إلى الله ولا تشكو لغيره فإن غير الله لا يعلم قدر ألمك وغالبًا لا يستطيع أن يُزيل ما يؤلمك.

»»الفائدة الثانية

ما أعظم الشكوى إلى الله وما أسرع أثر هذه الشكوى فهذه رسالة لكل محزون لكل مديون لكل مهموم بينك وبين حل المشكلة شكوى صادقة إلى الله.

»»الفائدة الثالثة

كن أمام الناس قويًّا صلبًا ثم كن بينك وبين الله ضعيفًا ذليلًا فضعفك بين يدي الله هو سر القوة التي تخرج بها إلى الناس.

»»الفائدة الرابعة

كلما ازداد علمك بالله وازداد علمك بالخلق قلت شكواك للخلق واقتصرت شكواك إلى الله فإن الجاهل يشكو الله للناس فلو علم ربه لما شكاه ولو علم الناس ما شكى لهم فإن الذي يشكو الله للناس شكى من يرحم لمن لا يرحم.

وكما قيل: "الشكوى لغير الله مذلة."

أن الله يبتليك ليسمع شكواك فماذا تنتظر؟ بينك وبين الحل دعوة ولكن دعوة مضطر فإن الحديث مع الله أمان لن تجده مع غيره.

{أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ}

أخيرًا نقول: من أنزل حاجته بالله قُضيت ومن أنزل حاجته بغير الله لم تُقضَ.

{وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

خلينا نقف هنا ونشوف هيحصل إيه نرى خاتمة من يعقوب عليه السلام وبقية حديثه مع أبنائه.

أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وأن يُفرج همّ المسلمين يا رب.

اللهم إنا نرفع إليك شكوانا يا رب شكوى يا رب.

نشتكي إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا نَشكو إليك يا رب في أحوال المسلمين.

نَشكو إليك تسلط الفاجرين والظالمين والكافرين.

اللهم فرّج همّنا وأزل كربنا وأصلح أحوالنا ووحّد صفوفنا واجعل بأسنا على القوم الظالمين.

يا رب اشفِ مرضى المسلمين وارحم موتى المسلمين واقضِ الدين عن المدينين تقبّل دعاءنا ولا تُخيّب فيك رجاءنا.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الثانية عشر
لا تثريب عليكم اليوم

الحمدُ لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

مرحبًا بكم في لقاءٍ جديد، اللقاء الثاني عشر من مدارسة هذه السلسلة الطيبة المباركة، دورة "تعلّمت من يوسف عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام"

الحقيقة كل مرة ، فوائد القصة، لا تنتهي، والثمرات لا تنتهي بفضل الله سبحانه وتعالى.

المرة الماضية وصلنا إلى محنة يعقوب عليه السلام، والتي وصلت إلى الأَشُدّ، يعني بلغت المنتهى، وحتّى ابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم، ورفع شكوي إلى الله سبحانه وتعالى، وقال: {إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون}

ووقفنا عند هذا المشهد، هو شكوى يعقوب إلى الله سبحانه وتعالى.

هيحصل إيه بعد كده؟ وإيه الجديد اللي هنسمعه النهاردة؟ وإيه الفوائد اللي هتعدي علينا؟

لا، النهاردة الموضوع كبير، والنهاردة درس هيبقى مليء بالأمل، وستبدأ انفراجة يعقوب عليه السلام، وستبدأ تُفتح الحلول من كل مكان .

كل ده بعد ما رفع يعقوب الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى.

نقرأ الجزء بتاع النهاردة، سنقرأ من قوله تعالى:

{ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ }

إلى

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

{ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا، إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ؟ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ(٩٣)}

هذه الآيات المباركات من سورة يوسف عليه السلام، انتقل بنا المشهد بعد أن رفع يعقوب عليه السلام الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى، انتقل بنا إلى مشاهد من الرجاء، وكأن الشكوى بددت ظلمات اليأس، وفتحت أبواب الرجاء.

ودي حاجة، سبحان الله، لا يشعر بها إلا من جرّب الشكوى إلى الله تعالى.

يا جماعة، فعلًا، يعني الكلام ده حق »» الإنسان لما فعلًا يصل لمرحلة من الألم والضيق وشدة الابتلاء، ويبقى فاهم ليه ربنا بيعمل كده، وإنه فعلًا الله سبحانه وتعالى يستخرج منه عبوديات، فهم رسالة ربنا وبدأ يتعامل على مراد الله تعالى، ورأى اللهُ منه خيرًا، فما كان منه بعد الابتلاء إلا أن علم أن الله يبتليه ليختبره، يبتليه ليرى رد فعله، يبتليه ليستخرج منه أجمل ما فيه.

وفعلًا فهم الرسالة وبدأ يطبّق، وعلم أن الله إنما يبتليه ليرى اللهُ منه خيرًا، فرفع يديه إلى السماء وتضرع، واشتكى وبكى، هنا حقق مراد الله تعالى ونجح في الاختبار.

أول لما ينجح في الاختبار، يبدأ الانفراج والتيسير، زي ما سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل نجحوا في اختبار ذبح إسماعيل عليه السلام، ربنا قال:

{ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}

وبدأت الفتوحات على إبراهيم عليه السلام بمجرد أنه فعلًا نجح في الاختبار.

فالإنسان لما بيشتكي فعلًا إلى الله، ويبكي ويتضرع، وفعلًا يحقق مراد الله من هذا البلاء، فعلًا بيشعر في نفسه إنها خلاص اقتربت جدًا، وبيجد إلهام كده في صدره إن الفرج قريب ، اللي وفقني للشكوى دي هو اللي هيفرجها عن قريب، لأنه طالما ألهمني صدق الشكوى، فأكيد بإذن الله تعالى سيجعل الفرج قريبًا.

هو ده اللي خلّى يعقوب عليه السلام بعد دي بالذات يقول:

{ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ}

عشان كده يقول لك في الفوائد:

»» إن هو لم يقل هذه الكلمة منذ ضاع يوسف عليه السلام، وإنما استشعرها الآن!

ليه؟ لأن البلاء اشتد جدًا، والشكوى تحققت، فشعر يعقوب حينها أن الفرج قريب جدًا، فهنا قال يعقوب لبنيه: {اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ}

فكلما اشتد البلاء وحسن الأداء، ازدادت الثقة في قرب الفرج من الله سبحانه وتعالى.

لاحظ هنا، هو بيقول لهم: "يا بنيّ"، عجيب أمر يعقوب عليه السلام، "يا بنيّ"، كلمة رقيقة، وكأن يعقوب عليه السلام رأى في أبنائه الآن رِقّة شوية، طبعًا بعد المحنة اللي حصلت، بعد ما ضاع الابن الأكبر، بعد ما شافوا ألم يعقوب عليه السلام، بعد ما فقد بصره، بعد ما نزل عليهم المزيد من المجاعة والضعف، رقت القلوب.

بدأ يعقوب عليه السلام يشعر أن أولاده قرُبوا، وبدأت قلوبهم تحن شوية، وبدأ في رقة، فأسلوبه معاهم اتغير. عشان تعرف إن أهلنا أسلوبهم معانا يتغير لما إحنا نتغير، كل لما تبقي أحسن مع اهلك كل ما هتلاقي منهم أداء أحسن، ما تطلبش منهم حاجة وانت ما قدمتش الخير الأول. قال: يا بَنِيَّ، يا سلام، {يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا} تحسسوا يعني ابحثوا، دققوا في النظر، دققوا في البحث، {فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ

وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ} يعني لا تيأسوا من رحمة الله، لا تيأسوا من فرج الله سبحانه وتعالى، لا تيأسوا من راحته سبحانه وتعالى، لا تيأسوا من روح الله.

يا سلام! هو مين اللي بيتكلم يا جماعة؟ بيقولك: سبحان الله، الذي فقد بصره يُعلِّم المبصرين الرجاء وعدم فقد الأمل. فالشأن شأن قلوب وليس شأن أحوال. قد يكون الشخص الأكثر بلاء هو الأكثر صبرًا، وأكثر ثقة ويقينًا في الله، والشخص غير المبتلى علاقته ضعيفة بالله. فالذي فقد بصره هو الذي يُعلِّم المبصرين الرجاء والثقة في الله، وعدم فقد الأمل.

ففعلًا »» الشأن شأن قلوب وليس شأن أبدان.

{لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ}

بعد كده يقول لهم:

{إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}

فالرجاء في الله عبادة، عبادة قلبية، ما ينفعش إنسان يصل لمرحلة إنه ما عنده رجاء في الله أبدًا، تمامًا يعني، ما يوجد في قلبه أي رجاء لله. الرجاء في الله ده عامل زي حب الله، زي الخوف من الله. الحاجة دي لو مش موجودة في قلبك خالص، تبقى كافر، ما تبقاش مسلم أصلًا.

يعني واحد ما بيحبش ربنا خالص، ده مسلم؟! ما يبقاش مسلم، لأنه لا يوجد في قلبه أي محبة لله سبحانه وتعالى. بالضبط زي اللي ليس عنده أي رجاء لله، صفر، ما في عنده رجاء في قلبه، والعبادة القلبية دي زالت بالكلية من قلبه، هذا لا يُتصوَّر أنه يكون أصلًا مؤمن ولا مسلم.

إنما كما قال النبي ﷺ :

"أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله."

فالإنسان يلزمه لكي يتحقق إيمانه أن يكون عنده رجاء في الله، ومهما اشتد البلاء، ومهما عَظُم الخطب، لابد أن يظل الإنسان عنده رجاء في الله سبحانه وتعالى، ولا يَقنَط أبدًا من رحمة الله سبحانه وتعالى. وليعلم أن أي خواطر بتيجي له في الجانب

ده إنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وليقرأ في مثل قصة يوسف.

عشان كده دايمًا نقول: قصة يوسف سلوى كل محزون، وهي أن كل إنسان بيرجع لها وبيعتبر بها، مهما كان بلاءك، مهما كانت مشكلتك، يعني هتبقى إيه بالنسبة لمشكلة يعقوب عليه السلام؟!

يعقوب عليه السلام لم يفقد الرجاء حتى في أحلك الظروف، فلماذا أنت فقدت الرجاء؟ تمام، لا تيأس، لا تيأس أبدًا من روح الله، لو الدنيا ظلمت، لو الأمة الإسلامية يعني مستضعفة، لو لا يوجد بصيص نور في الأفق.

بس إمتى يا جماعة نقول الإنسان يرجو، ويكون رجائه صحيح؟ لما يكون بيعمل اللي عليه.

ما ينفعش واحد مثلًا ما اتجوزش وبيقول: أرجو الولد! مش منطقي، صح؟ وقاعد ما بيذاكرش خالص ويقول: أرجو النجاح! مش منطقي برضو.

فلما نرجو من الله النصر، نرجو من الله الفرج، نرجو من الله العافية، يبقى أنا باخد بالأسباب، من صبر وتقوى وإحسان وعمل صالح، مع الأخذ بالأسباب الحياتية والمادية، وإلا لو إنسان مقصِّر، يبقى يلوم نفسه، ما يلومش ربنا سبحانه وتعالى.

وتأمَّل في رحمة يعقوب عليه السلام ببنيه، هو ما زال، رغم كل اللي عملوه، بيقول لهم: يا بَنِيَّ. فهذه رحمة الأب، فكيف برحمة الرب سبحانه وتعالى؟

طريقة القرآن، طريقة عظيمة في بث الأمل في قلوب الناس. تأمَّل في قوله تعالى:

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}

وتأمَّل في قوله تعالى:

{وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ}

وتأمَّل في قوله تعالى:

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}

تعرف إن القرآن ده فعلًا كتاب أمل، لا يقرأه إنسان بفهم ويعمل بما فيه إلا وفعلًا يطرد اليأس تمامًا من قلبه.

لذلك فعلًا، أحلى حاجة الإنسان يعيش مع القرآن، هو ده فعلًا علاج كل مشاكلنا وكل همومنا.

ثم قال سبحانه وتعالى:

{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ}

إيه اللي بيحصل هنا؟

طبعًا هم راحوا تاني ليوسف عليه السلام، وما يعرفوش هم بيقابلوا مين، لسه ما يعرفوش إن أمامهم يوسف عليه السلام، لكن هم رايحين، عندهم أمل. طب على الأقل نجيب أخونا، يعني هم مش متخيلين إن يوسف عليه السلام موجود، هو يعني مش عارفين يعملوا إيه، هم سمعوا كلام يعقوب عليه السلام، ورايحين، على الأقل نجيب بنيامين، وعلى الأقل نرجع أخونا الكبير، نحاول نرجع أخونا الكبير، الكبير اللي هو اسمه رويل أو بيُقال اسمه يهوذا.

فدخلوا على يوسف عليه السلام، بس الدخلة ليست كأي مرة ، المرة دي داخلين في قمة الذُّل، قمة الذُّل الذي تتخيله. والذُّل جاي لهم من كذا جانب:

- الذُّل لكسرتهم بسبب حال الأب .
- الذُّل بسبب إحساسهم بالتقصير والتفريط .
- الذُّل بسبب فقد الأخ الأصغر .
- الذُّل بسبب عدم عودة الأخ الأكبر .
- الذُّل بسبب اشتداد المجاعة، مع كل ده المجاعة بتشد عليهم .
- الذُّل بسبب ضيق ذات اليد، وإن هم أصلًا مامعهوش فلوس حتى، ما معهوش أموال يشتروا بها البضاعة أو ياخدوا بها كيل من يوسف عليه السلام، فضلًا عن فقد البصر اللي حصل للأب.

الحقيقة: اجتمعت عليهم أنواع من المصائب والبلايا، وده نتيجة طبيعية للمعصية، والشيطان تخلّى عنهم في النهاية، فلا نالوا قلب أبيهم، ولا تابوا، ولا انصلحت الأحوال، ولا أي حاجة، إنما اتورطوا في كل المشاكل بعد كده.

سبحان الله! عايزك تتخيل الذُّل اللي هم فيه والمسكنة، وحط قاعدة لنفسك كده، قل فيها فائدة:

من تأمَّل ذُلّ إخوة يوسف تيقَّن من شؤم المعصية، وبالتالي يتوب من أي معصية.

{قالوا يا أيها العزيز}

تأمَّلوا، هم لغاية دلوقتي بيقولوا: {يا أيها العزيز}، شوف ربنا أعز يوسف عليه السلام حتى في اللقب، وهم الأذلة قدّامه دلوقتي، سبحان الله!

مع إن هو كان المخطَّط إن هو يبقى هو الذليل وهم الأعزّة، لكن عنوان السورة:

{وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} [يوسف: ٢١]

الآن يوسف هو العزيز في ملكه، وهم الأذلَّة أمامه، بل سبحان الله، هو لقبه "العزيز" كمان، هم بيقولوا له:

{يا أيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر}

بُص بقى المسكنة: {مسّنا وأهلنا الضر}، تعب، جوع، فقر، حزن أبٌ فقد بصر لأب، فقد أخٍ أصغر، أخٌ أكبر لم يعد. يا للذُّل والانكسار!

قالوا: {جئنا ببضاعةٍ مزجاة}، كمان ما عندناش ناكل السنة الجاية، ومعناش حتى أموال نشتري بها أكل للسنة الجاية. ما يوجد معنا الآن إلا بضاعة مزجاة.

مزجاة: يعني رديئة، لا تُقبل، لا تصلح ثمنًا للحبوب والطعام ونحو ذلك.

بيقولوا: كانوا جايبين إيه؟ حبال، وأنواع من الأجولة، شوال يعني، أجولة قديمة، وحبال، حاجات رديئة جدًّا، يعني زي ما بيقولوا كده بالعاميّة: "روبابيكيا"، يعني حاجات مستعملة، ما ينفعش تكون ثمن أبدًا، رخيصة جدًّا يعني.

فقالوا له: هو ده اللي عندنا: {جئنا ببضاعةٍ مزجاة}، فهذا زاد في انكسارهم وذُلّهم.

قالوا: {فأوفِ لنا الكيل وتصدّق علينا إنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقين}

{أوفِ لنا الكيل} يعني: أعطنا الكيل كاملًا، يعني لا تُعطنا بقدر الثمن، وإلا مش هناخد حاجة في الحقيقة، لكن أعطِنا بقدر كرمك، أعطِنا بقدر جودك، فأعطنا ما كنت تعطينا كل عام، ولا تبخل علينا، ولا تُقِيمْ ما نستحقه بقدر ما جئنا به من البضاعة.

وبعد كده قالوا له: {وتصدّق علينا}، يعني إيه؟ تصدّق علينا هنا يعني: أكرمنا بقى، وادّينا أخونا، يعني ارجع لنا الأخ الأصغر، رحمةً بالأب اللي حصل فيه اللي حصل، وحكوا له طبعًا حصل إيه، وحاولوا يترجّوه إنه يرجع الأخ معاهم.

فقالوا له: {وتصدّق علينا}، يعني بأخينا بنيامين.

وبعد كده بدأوا يذكّروه بربنا!

هم اللي بيذكّروه بالله، قالوا: {إنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقين}، وده برضو من إنهم بدأوا يعني يرجعوا لربنا شوية، وبدأ فعلًا ذكر الله يجري على ألسنتهم. قالوا:

{إنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقين}

لكن العجب فعلًا إنك ترى، يعني، سبحان الله!

ربنا سبحانه وتعالى، الجزاء من جنس العمل، لذلك يقولون في الفائدة:

»» الأيدي التي ألقت يوسف في الجُبّ، هي الآن نفس الأيدي التي جاءت ليوسف عليه السلام لتسأله الصدقة.

»» فلا تحزن أيها المظلوم، فإن لك ربًّا لا يُضيّع الحقوق.

»» الأيدي التي ألقت يوسف عليه السلام في الجُبّ، هي الآن الأيدي التي تمتد إليه بذُلٍّ لتسأله الصدقة.

ثم أريدك أن تتأمّل في فائدة خطيرة تانية:

»» إذا كان هذا حال مخلوق مع مخلوق – طبعًا إحنا رأينا كيف يوسف عليه السلام في النهاية فعلًا رقّ لحالهم جدًّا، الكلمات دي أثّرت في يوسف جدًّا على فكرة، وكانت

خلاص نهاية المشكلة، لأن يوسف عليه السلام رقّ جدًّا لكلامهم لما سمع وشاف ذُلّهم، يُقال إنه بكى، وبعد كده قال لهم: {أنا يوسف}، والموضوع انتهى، وأكرمهم، واتحلّت كل المشاكل.

ليه؟

لأنهم عرفوا يعرِضوا القضية بشكل أحسن، واللي شافه في عينيهم من الذُّل والمسكنة وحُسن العرض تأثّر به جدًّا.

»» الفائدة بتقولك: إذا كان ده مخلوق فعل كده لمخلوق، وحلّ له كل مشاكله، وأكرمه، وسامحه، وعفا عنه، فكيف لو تعاملنا بهذه الطريقة مع ربّ العالمين سبحانه وتعالى؟

إزاي؟

أنت عارف الجملة اللي قالها إخوة يوسف ليوسف؟

ينفع نقولها لربنا، ونقولها بقلب خاشع بقى، وننوي بها كل خير:

{يا أيها العزيز}

مش ربنا اسمه العزيز؟

ارفع إلى الله دعوة، قل له: يا أيها العزيز!

يا رب، يا رب، يا أيها العزيز...

ثم تضرّع بالمسكنة، واتمسكن، واحكي له شكوتك، واحكي له ضعف حالك، واحكي له قلّة حيلتك، واحكي له قلّة طاعتك، واحكي له محاولاتك الدائمة إنك تبقى كويس، بس مش عارف، واحكي له آلامك،

وقل له:

{مسّنا وأهلنا الضُّر}

يا رب، مسّنا وأهلنا الضُّر...

ما هو الضرر فيه ضرر عليّ، ضرر على أولادي، ديون، ضيق ذات اليد، مشاكل أسرية... نفسي ربنا يهدي ولادي...

مسَّنا وأهلَنا الضُّر. وبعد كده أقول له: وجئنا ببضاعةٍ مُزجاة. يا رب، جايين بطاعتنا، حتى ضعيفة، صعبة، مليانة قصور، مثلها لا يُقبَل. لكن نحن يا رب نتمَنَّى فضلك، ونتمنى كرمك، ونتمنى أن تجود علينا بكرمك، لا بما نستحقه. فتقول: يا رب، جئنا ببضاعةٍ مزجاة، طاعةٍ ضعيفةٍ جدًّا. وبعد كده تقول له: يا رب، أوفِ لنا الكيل، وتصدّق علينا. أوفِ لنا الكيل، وتصدّق علينا، يا رب. أعطِنا الأجر كاملًا، مش علشان إحنا نستاهل، لكن علشان أنت كريم. أوفِ لنا الكيل، يا رب.

وتقول له: وتصدق علينا، أن زدنا كمان من فضلك. وينفع نقول لربنا {تصدق علينا}، يجوز. النبي ﷺ الصحابة سألوه عن قصر الصلاة في السفر؛ لأن قصر الصلاة في السفر في الأول كان مرتبط بالخوف:

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

وبعد كده الحكم عمَّم سواء في الخوف أو عدم الخوف.

فقالوا: يا رسول الله، ما بالنا نقصر الصلاة وقد أَمِنَّا؟ ما بقاش فيه خوف زي الأول، ليه بنقصر الصلاة في السفر؟ قال: "صدقة تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته"

فينفع نقول: يا رب، تصدَّق علينا، عادي.

فارفع كده شكوى إلى الله، وقل: يا أيها العزيز، مسَّنا وأهلَنا الضُّر. يا رب، جئنا ببضاعةٍ مُزجاة، فأوفِ لنا الكيل، وتصدَّق علينا.

فإذا كان سيدنا يوسف عليه السلام، فعل كده ورحم إخوته، وأعطاهم، وأجزل لهم العطية، وعفا عنهم، نرجو أن ربنا، أكيد هيكون أرحم من يوسف عليه السلام، وسيُعطينا، ويمنحنا، ويراعي حالنا، ويغفر لنا، ويسامحنا، ويحل لنا كل مشاكلنا، يا رب، يا رب، يا رب، أوفِ لنا الكيل، وتصدَّق علينا.

وبالتالي، شوف سبحان الله، إخوة يوسف كانوا في الحقيقة يطردوا يوسف عن حياتهم، لأنهم افتكروا إنه مسبب لهم مشاكل، وإنه سبب الشر، وسبب معاناتهم، فالحقيقة إنهم اتحرموا من كل الخير اللي كان يوسف هيسببه لهم في حياتهم.

ودلوقتي، جايين يطلبوا الخير من يوسف وهم مش حاسين.

يوسف عليه السلام، هو الخير في كل مكان راحه، وكان خيرًا لأهل مصر، بل خيرًا للعالم كله، أنقذهم من المجاعة.

ثم كان التأثر من يوسف عليه السلام:

{قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ}

إيه اللي بيحصل هنا بقى؟ اللي حصل كما يُحكون في الرواية، كما يقول ابن كثير، إن يوسف عليه السلام لما رأى ما بهم من الجهد، والتعب، وقلة الطعام، وسمع حال والده وما حصل فيه، عند ذلك أخذته رِقَّةٌ ورأفةٌ وشفقةٌ على أبيه وإخوته، وابتدره البكاء.

يا الله! يعني فيه مواقف كده يا جماعة في السورة دي بالذات، من الصعب تخيُّلها، من الصعب تخيُّلها. موقف يوسف عليه السلام وهو الآن بيسمع الكلام ده. طبعًا هو اللي أُوحي له أن كان لازم يعمل كده، وإنه عمل كده في سيدنا يعقوب – زي ما قلنا المرة اللي فاتت – وحيٌ من الله، عشان يشتد البلاء على يعقوب، عشان نتعلَّم، وعشان يرتقي يعقوب.

لكن يوسف عليه السلام الآن – والله أعلم – ربنا أوحى له أن يكشف أمره خلاص، أوحى له أن يكشف أمره، وأن فعلًا يعقوب عليه السلام خلاص، نجح في الابتلاء، والآن ربنا سيفرِّج الهم.

فيوسف عليه السلام بكى على حال يعقوب عليه السلام، وحال إخوته، ورقَّ لهم.

مهما كان، إخوتك هم إخوتك.

»» يوسف عليه السلام هيسامح دلوقتي، وكل حاجة هتتحل، ما هو برضه الإخوة يفضلوا إخوة، خاصة لو باين عليهم الندم، لو باين عليهم التأثر، لو بان عليهم التغيّر، ساعدهم.

مجرد ما أخوك يبان عليه إنه قرب ينصلح حاله، ساعده، لا وقت للعتاب، خلاص، نحاول نساعد بعض.

بيقولوا إن هو كان لابس تاج، سيدنا يوسف، رفع التاج، سيدنا يوسف كان عنده علامة في جبينه، علامة في جبينه يُعرف بها، يعني أي حد يشوفها هيفتكره على طول، من وهو صغير، العلامة دي.

فهو بيقول لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف؟ وكان بيرفع التاج، وبيبان العلامة، الشامة اللي هي على جبينه دي.

فطبعًا هم قاعدين، أنا مش متخيّل، بقول لك فيه حاجات ما تتوصفش، وبعدين قام بيستوعبوا، هو إيه اللي بيحصل؟ وهو بيقول لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف؟

يوسف؟! تعرف يوسف منين؟

وبدأوا يميّزوا الشكل ، الحاجة مش ممكن هو ! يعني بدأوا يحسوا بالملامح، بدأوا يشوفوا حاجة ما كناش شايفينها. لما قال كلمة {يوسف}

{هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ}

سبحان الله!

يوسف عليه السلام، هو ده العتاب اللي عمله لإخوته بعد أربعين سنة من المعاناة.

هي دي الكلمة بس اللي قالها في القصة كلها، عاتب بها إخوته:

{هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ}

وكمان أضاف:

{إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ}

يعني كأنه يُلتمس لهم العذر لجهلهم.

طب ليه بيعمل يوسف عليه السلام كده؟

قالوا: لأنه آثَر مصلحة توبتهم على الانتقام لنفسه.

كان ممكن يشتد في العتاب. كان ممكن ينتقم. لكن هو آثر أن هو يترفق في العتاب، رغبة في أن يتوبوا إلى الله، أحلى عنده من أن هو ينتقم لنفسه.

هل علمتم؟! انظر كلمة لطيفة خالص، يعني يقول لك: الكريم لا يكثر العتاب، يكفيه التلميح، ثم يقبل منك الاعتذار فورًا، ولا يستغل ضعفك أمامه ولا يستغل ذُلّك أمامه، ولكن يعافيك من استمرار الذل.

مجرد أن تعتذر، يكفيك همّ مزيد من الاعتذار.

قال: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ}

يعني إيه جاهلون هنا؟ هل هم كانوا جاهلين بالحكم؟

هنا بيقول لك: الجهل مش المقصود به الجهل بالحكم الشرعي، إن اللي عملوه ده غلط، ولكن الجهل يعني: الجهل بقدر الله تعالى، والجهل بقدر أنفسهم.

لذلك يقولون: كل من عصى الله جاهل، جاهل بقدر الله، مش الجهل بالحكم الشرعي، وإلا فالجاهل معذور.

الإنسان إذا لم يعلم حكمًا شرعيًا وأخطأ فيه يُعذر بالجهل، زي ما إحنا عارفين، لكن المقصود بالجهل هنا: جهل بقدر الله تعالى.

عشان كده ربنا قال:

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}

يعني إيه {عملوا السوء بجهالة}؟

يعني عملوا السوء، وهم أثناء عملهم لهذا السوء وهذه المعصية، جهلوا قدر الله، وجهلوا قدر أنفسهم.

»» ولو عرفوا الله حق المعرفة »» ما تجرّأوا على المعصية.

»» ولو عرفوا قدر أنفسهم »» ما تجرّأوا على المعصية.

ولكنما أوتوا من جهلهم بالله، بقدر الله، وجعلهم بقدر أنفسهم فكل من عصى الله في الحقيقة هو جاهل. هو جاهل، سبحان الله.

يوسف عليه السلام، كما نرى، ترفّق معهم في العتاب، والتمس لهم العذر، وساعدهم على التوبة، ساعدهم على التوبة. فالكريم لا يكثر العتاب، بل يعذرك.

الآن، بعد عشرات السنين، يتحقق وعد الله تعالى الذي وعد به يوسف وهو في الجب، في البئر، لما قال تعالى:

{وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}

وقد حصل ما وعد الله به بعد عشرات السنين.

الآن، يوسف عليه السلام واقف، وهم قدامه فعلًا، وبيقول لهم عملوا إيه، وهم لا يشعرون. إلى هذه الثانية، هم لا يشعرون أنهم يكلمون يوسف عليه السلام. بدأوا يستوعبوا بعد ما قال لهم .

"ثق في وعد الله تعالى، لأن وعد الله تعالى متحقّق لا محالة، وإن طال الزمان"

سبحان الله، يعني النفوس بتستبطئ وعد الله، لكن الإنسان لما يقرأ قصة يوسف عليه السلام، سلوى لكل محزون، وأمل لكل شخص بينتظر وعد الله.

وعد الله آتٍ لا محالة، سبحان الله !!

قال: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ}

يوسف عليه السلام نوى العفو خلاص، ويرى أن العفو له لذّة تفوق لذّة الانتقام.

والشخص صاحب النفس الشريفة، واللي علاقته بربنا قوية قوي، بيبقى بيستعلي على هذه الأمور، ومن السهل عليه أن هو يعفو ويصفح، لأنه بيشعر في قلبه باستغناء رهيب بالله سبحانه وتعالى،

بيجعل مشاكله بينه وبين البشر سهلة، يمكن التجاوز عنها، رجاء ما عند الله سبحانه وتعالى. والعفو له لذة، تفوق لذّة الانتقام. العفو بيزيل من القلب الغِلّ، والغِلّ ده شيء مؤلم في الدنيا. عشان كده ربنا جعل من نعيم أهل الجنة:

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}

فقد يبدو الانتقام في الأول حلو، ويشفي الصدر في البداية، لكن تظل آثار كده من الغِلّ والكراهية، بتعكّر على الإنسان حياته.

ولكن العفو له لذّة، وزيادة إيمان، لذلك في الحديث:

"ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا"

تجد نفسك ارتقيت في سلّم الإيمان.

فالإنسان إذا أراد أن هو ينتقم »» فلينتقم لحق الله، وليعفُ عن حق نفسه.

والنبي ﷺ كان لا ينتقم لنفسه قط، ولا يغضب لنفسه قط، ولكن إذا انتهكت محارم الله، غضب ﷺ .

»» فأنت ما تسامحش في محارم الله، لكن ممكن تسامح في حق نفسك.

أنا متخيل إخوة يوسف عليه السلام، وهم دلوقتي في حالة من الذهول، ومش قادرين يستوعبوا إيه اللي بيحصل دوت، وهم بيقولوا:

{أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ}؟

ياه! يوسف اللي إحنا ألقيناه في الجب، اللي بعناه صغير، يوسف عليه السلام؟ أإنك لأنت يوسف؟!

فأراد أن هو يأكد لهم: أيوة، قال:

{أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ}

{أنا يوسف}، تمام، وكأنه بيأكد عليهم، ممكن يقولوا له: {أَئِنَّكَ لأنت يوسف؟}

يقول: "أيوة أنا"، لكن قال: {أنا يوسف}، تأكيد، وكأنهم يقولون: نعم، يوسف هذا الذي ظلمتموه، يوسف الذي أردتم قتله، ولكن:

{وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ}

وتأمل في تواضع يوسف حتى في هذا المقام، ما قالهمش: {يوسف؟! انت ما تكلمنيش بالطريقة دي!

انت تقول لي: يا أيها العزيز، أنا هنا لي منصب، أنا لي شأن، انت بتكلمني بحساب بعد كده، انت لازم تقول لي لقبي قبل ما تقول لي اسمي!

خلاص، رجع تاني يوسف، بعد ما كان بيسمع: {يا أيها العزيز}

عنده استعداد دلوقتي أخوه يقول له يوسف عادي. وهو في ملكه، وسط مملكته، وسط سلطانه، وسط جنوده، يتقال له: يوسف، أخويا عادي، يقول: يوسف، ما فيش مشكلة. تواضع عجيب. فما قالش بقى: أنا الكبير، أنا كبرت خلاص، أنت لازم تحترمني أكتر من كده وتقول لي الألقاب. النفس الكبيرة لا تغرّها المناصب، فإنها تعلم أن التواضع رفعة للإنسان.

الآن بيعرف نفسه بكل بساطة لإخواته: {أنا يوسف}. ما قالش: أنا العزيز، أنا فلان. {أنا يوسف}. قال: {وهذا أخي}، الله أكبر . {هذا أخي} يعني بنيامين. قال: {قد منَّ الله علينا} يا سلام! يوسف عليه السلام الآن ما قالش: شوفت وأنا عملت إيه، وصبرت، وأنا جامد جدًا، ووصلت لمنزلة عالية باجتهادي، وأنتم بصّوا حصل فيكم إيه؟! الإنسان والله بيشوف يوسف عليه السلام يعني يحبه أوي، بسبب أخلاقه العالية دي. أخلاقه عالية جدًا يا جماعة، ونتعلم منه دقائق في معاملة الله سبحانه وتعالى.

{قد منَّ الله علينا}

في هذا المشهد اللي هو مفروض يعني يفخر بنفسه، ويقول: أنا عملت، وأنتم سويتم، وأنا وصلت، وشفتوا بقى؟ إنما نسي كل ده وشهد نعمة الله سبحانه وتعالى عليه. إزاي جمعه مع إخواته؟ إزاي حقق وعده؟! إزاي مكَّن له بعد استضعاف؟! إزاي ربنا أكرمه وثبته، وثبّت دينه رغم كل المحن؟! {قد منَّ الله علينا}. بيقول: أنا وأخويا، {منَّ الله علينا}. وكأن يوسف عليه السلام خد بالك، عشان هو اللي جاي دلوقتي، هيقولوا: {تالله لقد آثرك الله علينا} هو ده الحل اللي هيحل به مشكلة الحسد، إنهم يشهدوا إن الأمر من البداية كان منّة من الله على يوسف. بتحسده ليه؟! فضل من الله! طب ما تطلب من ربنا. اعمل اللي بيعمله يوسف، واطلب من ربنا يعطيك ما أعطاه ليوسف.

وكأن يوسف عليه السلام يا جماعة عمل حاجة جامدة جدًا هنا. كان بيعطيهم الإجابة، وبيعالجهم في نفس الوقت، وبيوعظهم في نفس الوقت، بيديهم نصيحة في وسط كلامه. خدت بالك؟ {قد منَّ الله علينا}، يعني بيقول لهم: خلاص بقى، اطلعوا من الحسد وافهموا إن الموضوع منّة من الله.

ثم أسدى لهم موعظة بليغة، وقال:

{إنه من يتقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}

وكأنه بيقول: المنّة دي، أولًا هي منّة من الله، يبقى أنت المفروض ما تكونش تحسدني. طب والمنّة دي جت بسبب إيه؟ عشان أنا اسمي يوسف؟ لا، مش عشان اسمي يوسف، تمام. عشان أنا ابن سيدنا يعقوب؟ لا، مش عشان أنا ابن سيدنا يعقوب. علشان: {إنه من يتقِ ويصبر}. قاعدة: أيّ حد يتقِ ويصبر، كان زمانك وصلت لو أنتم من الأول مشيتم على الروشتة دي.

قال: {إنه من يتقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} إداهم قاعدة كلية، حتى ما نسبش لنفسه، ما قالش: عشان أنا اتقيت وأنا صبرت. خلاها جُوّه موعظة، عشان توصل لهم الموعظة: {إنه من يتقِ ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين}

{يتقِ} يعني يتقِ الله، يتقِ غضب الله سبحانه وتعالى. ويتقِ الله في حال الرخاء. ويصبر في حال الابتلاء. عشان الناس في الموضوع ده يا جماعة أقسام:

في ناس بتبقى كويسة في حال الرخاء بس مش كويسة في حال البلاء، والعكس. في ناس ما تمسكش نفسها في حال الرخاء، وممكن تصبر في حال البلاء.

فالناس أربع أنواع:

١ .في حال الرخاء يطغى ويفجر، وفي حال البلاء يصبر.

٢ .في حال الرخاء يتقِ الله عادي، وفي حال البلاء لا صبر له.

٣ .لا تقوى ولا صبر: لا بيعرف يُحسن مع الله لا في حال الرخاء ولا في حال البلاء.

٤ .الكامل: هو اللي {يتقِ ويصبر}، يتقِ الله سبحانه وتعالى، فلا تغره الدنيا، لا تغره المناصب، ويصبر إذا ابتُلي، ويرى اللهَ منه خيرًا عند الابتلاء.

وبعد كده بيزوّد بقى، بيعلي: {فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} يُحسن في تقواه، ويحسن في صبره، ويرُي الله أفضل ما عنده كمان. ده في حتة تانية خالص. {الله لا يضيع أجر المحسنين}

ومن الفوائد :

»» يقول لك: التقوى مع الصبر هي دي كمال الإنسان. ليه؟ يقولون: ممكن شخص يعرف يبقى صالح، بس لفترة قصيرة. مش بيصبر على الصلاح ده. يعني البعض منا مثلًا يبقى في رمضان كويس، لكن طول السنة ما يعرفش يبقى كويس. يمسك نفسه في رمضان بس. فيقول لك: ده مثلًا بيتقي، بس مش بيصبر. عشان كده ربنا قال:

{وتواصَوْا بالحقِّ وتواصَوْا بالصبر}

ليه؟ لأن الفكرة مش إن أنا أبقى كويس لفترة قصيرة، إنما أبقى كويس إلى أن ألقى الله.

{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا}

{واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}

هم دول أهل معاملة الله سبحانه وتعالى.

فمن أراد العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة، فالطريق واضح:

- تقوى.
- وصبر.
- ثم إحسان بينك وبين الله سبحانه وتعالى.

هذه خلاصة السورة. ودي مَزِيَّة قَصَص القرآن. فاكرين لما اتكلمنا في أول درس عن الفرق بين قصص القرآن وبين المسلسلات والأفلام والكلام ده؟

فين في المسلسلات بقى والأفلام وقصص الدنيا هتلاقي:

{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}

فين القصص اللي هيربطك بالله وبصفات الله وبأسماء الله؟

اللي هتطلع معاه مرتبط بالدار الآخرة، وواخد قواعد حياتية، وواخد يعني قواعد تُصلح وتُزكي النفس، وتقرّبك إلى الله وتبعدك عن النار.

أين تجد ذلك يعني؟!

دي ميزة قصص القرآن.. قواعد... سُنن.

{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}

سبحان الله!

اجعل التقوى والصبر سبيلك، الذي تَدرُك به الخيرات، وتدفع به عن نفسك المنكرات.

وتأمل في يوسف عليه السلام، وهو يستثمر ضعف إخوته الآن في الموعظة.

دائمًا الواعظ والداعية الناجح بيعرف الوقت المناسب للموعظة.

هو ممكن اللي قدامك يكون في العادة ما بيقبلش الموعظة، فإنت بتسكت أحيانًا، بس تلاقيه مرة رقّ كده، تروح لاحقه على طول بالموعظة في حال الرقّة دي، تجيب نتيجة على طول.

فهو رأى في عيونهم رقّة، فلحقهم بالموعظة على طول. راح اداهم الموعظة فجابت نتيجة فورًا. وهذه من حكمة الواعظ، وحكمة الداعية.

وتأمل في قول يوسف عليه السلام، الواحد فعلًا بتأثر فيه جدًا، وهو بيقول:

{قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا}

يا الله! {مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا}... ده ربنا ابتلاك كتير قوي!

لم يذكر أي ابتلاء، وإنما ذكر المِنَن بس.

إنه {أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ}، زي ما قال: {جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ}

بيتكلم عن المِنَن اللي حصلت، ما بيتكلمش في ابتلاءات.

ليه؟ أدب مع الله أن يذكر الخير.

لأن حتى الابتلاء اللي ربنا ابتلاني به، كان ابتلاني عشان الخير ده.

وأنا فهمت دلوقتي:

{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ}

كل ده... حتى الابتلاء نفسه كان شر، بس في الآخر طلع فيه خيرات كتير.

عشان كده ربنا لا يخلق شرًّا محضًا، وإنْما لو كان شرٌّ من وجوه، فهو خير من أوجه أخرى.

فلذلك يُقال: ربنا فِعْلُه كله خير، حتى الشر اللي بيعمله في عبده، أو الابتلاء اللي بيحصل للعبد، يترتب عليه خيرات كثيرة.

فيوسف عليه السلام أدب مع الله، ما قالش "ابتلاني ثم منّ علي"، قال بس:

{قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا}

عكس بقى الصفة دي: الإنسان الكنود.

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}

بيقولوا الكنود هو الذي يذكر الابتلاء وينسى النِّعَم.

يقول: "ربنا عمل فينا وسوّى فينا وما شفناش خير من ربنا"... ده الكنود.

وللأسف ناس كتير يقعد يشتكي لك الدنيا والحال، ويشتكي ربنا للناس، وما يذكرش نعمة لربنا أبدًا.

فيُقال: الكنود ده هو الذي ينسى النِّعَم ويذكر المصيبة الواحدة.

قاعدة في الحياة:

{إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}

قالوا:

{تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}

بيحلفوا بالله، الآن بيقولوا: نقسم بالله، ربنا فضلك علينا.

يااااه... أخيرًا... إخوة يوسف عليه السلام أخذوا دواء الحسد، وعرفوا إزاي هيحلوا مشكلة الحسد تمامًا.

بأن يشهدوا أن الأمر من البداية كان بيد الله تعالى، له الفضل والمنّة سبحانه وتعالى،

وأنه هو الذي يصطفي من يشاء من عباده، ويتفضل على من يشاء من عباده.

وأن الأمر كان ممكن، إحنا بدل ما نحسدك، كنا نطلب من الله ونمشي في الطريق الصح، كنا هنوصَل. {لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا}.. وده حَلّ كل حاسد.

الناس المشركين حسدوا النبي ﷺ، اليهود حسدوا النبي ﷺ، طب تحسدوا على إيه؟ ده منّة من الله.

{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} سبحانه وتعالى.

فدواء الحاسد أن يعلم أن الله هو الذي يفعل ذلك، وأن هو لما بيحسد، هو في الحقيقة يعترض على اختيار الله سبحانه وتعالى. وأن هو كان من أسهله أنه يعامل ربنا مباشرة، كما قال تعالى:

{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}

فأخيرًا، اقتنعوا بالخطيئة:

{تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}

اعترفوا إنهم أخطأوا، أخيرًا، في حق يوسف عليه السلام. {وإن كنا لخاطئين}

الحقيقة، هو يوسف شجعهم. هم حسّوا في خطابه أنه خطاب رفيق، فده شجعهم يعترفوا بالخطأ.

قاعدة وفايدة جميلة :

»» ساعد أخوك يعترف لك حتى بالخطأ، ويعتذر لك.

لما انت بتحسسني إنك مستعد تقبل اعتذاري، انت بتشجعني أعتذر. لكن لو أنا حاسس إنك مش هتقبل اعتذاري، وقافل الباب تمامًا. بل لو أنا اعتذرت، هتهينّي وتستغل الموقف وتحرجني جدًا، أنا حتى لو عايز أعتذر مش هاعتذر.

عشان كده يا جماعة، نحاول نساعد بعض على الاعتذار. نسيب الباب مفتوح، ما نقفلش كل الأبواب على المعتذر.

ودايماً نلمّح له: إن أنت إذا رجعت، سنقبلك. شوف يوسف عليه السلام في خطابه، حسّسهم إن هو مستعد يقبل منهم الاعتذار الآن، لذلك بادروا جميعًا بالاعتذار، وغلب على ظنهم أن يوسف عليه السلام قلبه كريم، واسع، وأنه سيعفو عنهم ويتجاوز بلا إذلال، ولا توبيخ، ولا تأنيب. وفعلًا، هو ده اللي حصل. يوسف عليه السلام بسرعة جدًا قال:

{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}

سبحان الله!

»» من الفوائد في قول إخوة يوسف: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين، أن تعترف بأخطائك متأخرًا، خيرٌ لك من أن تفوتك جميع الفرص للاعتراف.

من فوائد اعترافك بالخطأ: »» ينهي المشكلة، ويُرَقّق القلوب.

أحيانًا بعض الناس بيستكبر، وبرضه بيقعد يبرّر، حتى وهو يعتذر، يقعد يبرّر ويبرّر، فده بيصعّب المهمة.

اعترف ببساطة. اعترف وخلاص. قل: "أنا غلطان" وخلاص.

ليه بتقعد تبرّر حتى أثناء الاعتذار؟ قل: "أنا أخطأت"

لما تقول كده، بيرقّ قلب اللي قدامك، ويقول: "خلاص، كفاية بقى، الراجل اعترف، ما برّرش حتى وهو يريد أن يعتذر، وانتهى الكلام"

فاعترافك الصريح: "أنا أخطأت" خلاص، هذا يُرَقّق القلب، ويساعد على حل المشكلة.

فائدة :

»» اعترافك بالخطأ لا ينقص من قدرك.

لا ينقص أبدًا من قدرك، بل هو أول درجات قبول التوبة، بل هو أول درجات قبول التوبة.

قالوا: {تالله لقد آثرك الله علينا} علم الآن إخوة يوسف أن يوسف لم يكن فقط أحبَّ إلى أبيهم منهم، بل تأكدوا الآن أنه أحب إلى الله منهم. لذلك آثره الله سبحانه وتعالى عليهم. فما كان من يوسف عليه السلام، صاحب القلب الرحيم، إلا أن قال: {لا تثريب عليكم اليوم} يعني: لا تأنيب، ولا عتاب، ولا أعيّركم بذنبكم أبدًا بعد اليوم. خلاص، آخر حاجة قالها، العتاب اللي في الأول: {هل علمتم ما فعلتم بيوسف} لن أكرّر هذا الأمر قط. يعني مش قال لهم بس: أنا سامحتكم، ده أنا سامحتكم، ومش هفكركم بالموضوع ده تاني، ولا أعاتبكم، ولا أذلكم به، ولا يعني أستغلّ ضعفكم قدامي دلوقتي.

من الفوائد:

»» من أتاك معتذرًا، لا تُكثر عليه اللوم، يكفي كثرة الندم التي تراها في عينه.

عشان كده يا جماعة من أدبيات الاعتذار، أن الشخص فعلًا إذا اعتذر إليك، وظهر عليه الندم، تقبل اعتذاره، ولا تستغلّ الفرصة في إذلاله.

لأنه لو أنت ذلّلته، واستغليت الفرصة، وقعدت تعاتبه كتير ، ممكن تأخذه العزة بالإثم، فيرجع عن اعتذاره. أو يعتذر لك المرّة دي، لكن الغلطة اللي جاية، مش هيعتذر، عشان ما يتحطّش في الموقف ده تاني.

فأحيانًا إحنا اللي بنصعّب على الشخص اللي عايز يعتذر إنه يعتذر.

إنه يقول لك: "أنا عايز أعتذر له، بس أنا عارف، لو اعتذرت له، هيذلّني، هيقعد يوبّخني، هيقعد بقى يستغلّ الفرصة، هيهينّي، هيقلل مني قدّام الناس. أنا نفسي أعتذر، بس هو لما بعتذر له، بيصدق إني اعتذرت له، بيبهدلني خالص!"

ممكن يكون الشخص اللي قدامك عايز يعتذر، بس أنت لا حسّسته إنك هتقبل اعتذاره، وكمان لما اعتذر فعلًا، أهنته جدًا، وقعدت يعني توبّخه بالاعتذار ده.

وبعض منّا يبقى عايز الشخص يعتذر له أكثر من مرة، كل شوية يعتذر له، يقول له: "لأ"، وبصعوبة جدًا بعد عشرات الاعتذارات، ها، كأنه مَنّ عليه بالعفو! إحنا كده بنقفل الباب على الناس إنهم يعتذروا.

أسألك سؤال بسيط:

تحب ربنا يعمل معك كده؟

تيجي تعتذر له، ما يقبلش؟

تيجي تطلب منه العفو، ما يرضاش؟

تحب ربنا يعمل لك كده؟

اللي تحب ربنا يعمله معك، اعمله مع الناس.

زي ما أنت تتمنّى: "يا رب لما أجيلك معتذر، تقبلني، لما أطلب تسامحني، تسامحني"، اعمل كده مع الناس. تمام، ربنا هيعاملك زي ما أنت هتعامِل الناس.

قال: {لا تثريب عليكم اليوم}

يقولون »» القلوب الكبيرة تنسى، ولا تفتح سجلات الماضي.

دي فائدة مهمة:

المروءة أني لما أُسامحك على خطأ عملته، ما أفكّركش به ولو بعد حين.

بعض الناس يسامحك، تمام، بس ييجي مثلًا، غلطت غلطة تانية بعدين، يقول لك: "آه، شفت بقى، ما أنت المرة الأولانية وعملت وسوّيت"

الله! مش أنت سامحتني؟

ليه بتفكّرني بالمرة الأولانية؟

دي من قلّة المروءة.

»» عشان كده يوسف عليه السلام وعد إخوته إنه مش هيفكّرهم حتى بالموضوع ده، ولو بعد حين.

عشان كده المرة القادمة لما ناخد يوسف عليه السلام، بيقول إيه:

{وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، وجاء بكم من البدو، من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي}

ما قالش: "من بعد ما إخوتي عملوا فيّ"، لأنه وعدهم مش هيفكرهم تاني باللي حصل. فقال: {من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي}

فنَسَبَ الأمرَ للشيطان، ولم ينسبه إلى إخوته؛ لأنه وعدهم أنَّه حتى مش هيُفكِّرهم بالموضوع ده تاني.

فالمروءة: إنك لما تسامحني، يبقى الموضوع تَمّ، تِنساه، تلغيه من سجلاتك.

فلو اتكرَّر الخطأ نفسه، حتى ما تُفكِّرنيش بالمرة الأولانية.

بعض الناس بيفضل شايل، حتى بعد ما سامح، وييجي بعد مدة يُحاسبك على كل أخطائك، حتى اللي سامحك عليها!

طب ما إنت سامحتني، بتحاسبني ليه تاني عليها؟

وده بيصعِّب المهمة في الخطأ الجديد.

يعني المفروض تعتبر الخطأ ده أول واحد، لأنك سامحت اللي قبليه.

لأ، بعض الناس بيعتبره أخطاء متراكمة، يبقى إنت ما سامحتش.

يعني هي حاجة غريبة جدًا! وده بيصعِّب المهمة.

فيه ناس كده تشيل.

وتبقى إنت قاعد معاه، يقول لك: ما انت السنة اللي فاتت، واللي قبلها، واللي...

الله! طب ما أنا اعتذرت لك عن كله!

ليه ما سامحتنيش؟! يبقى مسامحة ظاهرية.

مُسامح يعني: "مَسَحْت"

طب تحب ربنا يسامحك، وبعد كده برضو يحاسبك على الذنب؟ تقول لي: لا، يبقى سامحني إزاي؟!

طب ما هو نفس الكلام. لما تسامح حد، خلاص "امسح" بقى.

انت بتقول: "يا رب اغفر لي" يعني: استُر الذنب وامحُه.

"اعفُ عنِّي" يعني: امسحه تمامًا.

فإنت لما تعفو عن حد، يعني: "مسحت الذنب".

القلوب الكبيرة تنسي ولا تفتح سجلات الماضي.

من الفوائد:

"هكذا ببساطة انتهت معاناة السنين عند العظماء"

من الفوائد:

حين تكون في موضع قوة، وخصمك في موضع ضعف، هنا تظهر المروءة.

هنا تظهر المروءة.

{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ}

قالها يوسف لإخوته، بعد هذه المعاناة الضخمة.

ألا نقولها لمن خاصمناه لأسباب تافهة؟

يعني يوسف عليه السلام قال: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ}، لا عتاب، على أربعين سنة من المعاناة!

ليه مش قادرين نقولها للي قال لك كلمة بايخة؟

ولا اللي عمل معك موقف مش مستاهل؟ حاجة بسيطة دنيوية، كان ممكن تعدي.

يا جماعة، قولوها. قولوها عشان ربنا يسامحنا.

قولوها عشان نسمعها يوم القيامة: {لا تثريب عليك}، لا عتاب، لا حساب، لا عقاب.

ادخل الجنة من أول وهلة، ادخل الجنة بلا حساب. احنا عايزين نسمعها من ربنا.

لما نقف للناس هنا على الواحدة، إيه رأيك بقى؟ يقف لك على الواحدة يوم القيامة؟

لا لا لا، أنا عايز ربنا يسامحني. خلاص، سامِح.

"ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"

لِيتجاوز عن الناس هنا، ربنا يتجاوز عنه غدًا.

الموقف ده مؤثِّر جدًا! لدرجة إن الصحابة الكرام كانوا بيتأثَّروا جدًا بموقف يوسف عليه السلام.

والموقف ده نَفَع جدًا مرة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. النبي ﷺ وهو رايح يفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، كان في واحد من قرايبه اسمه: أبو سفيان بن الحارث. الحارث ده: الحارث بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، فأبو سفيان بن الحارث ده: ابن عمه، ابن عم النبي ﷺ. كان أبو سفيان بن الحارث من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأكثر الناس اللي كان بيهجوه؛ لأنه كان شاعر، كان شِعرُه سلاحه.

عشرين سنة بيحارب الدعوة، من أول يوم في الدعوة، لغاية سنة ٨ هـ، وهو بيحارب الدين! وكان بيهجوا النبي ﷺ كتير. فكان النبي ﷺ بيكرهه جدًا جدًا جدًا، فوق ما تتخيلوا.

الفكرة بقى، أبو سفيان بن الحارث، والنبي ﷺ رايح يفتح مكة، كان جاي يعلن إسلامه، وكان تاب، وجاي يُعلن توبته. فلما رآه النبي ﷺ، من شدة بُغضه له، أعرض عنه. فطبعًا، أبو سفيان استحيا جدًا، مش عارف يقول له إيه. هو فعلًا أخطأ كتير جدًا في حق النبي ﷺ. فمش عارف يقابله إزاي، بأي وجه.

فرَاح لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال له: أعمل إيه؟ ما هو سيدنا علي بن أبي طالب برضو ابن عمه، فهو أدرى بالحال.

قال له: هقول لك نصيحة تعملها، هتحل لك مشاكلك كلها.

قال له: قل لي.

سيدنا علي بن أبي طالب يا جماعة، واحد متدبر قرآن، وفاهم قرآن،

وعارف النبي ﷺ رجلُ القرآن يمشي على الأرض. أخلاق القرآن تمشي على الأرض.

قال له: عايزك تطلع من عندي هنا، تروح للنبي ﷺ،

قَبل ما تقول أي كلمة، قل له:

{تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}

قال له: بس كده؟

قال له: آه، هتتحل كل مشاكلك.

مش مستوعب! يعني إزاي؟

قال: خلاص، هعمل كده.

وفعلًا، راح أبو سفيان بن الحارث على طول للنبي ﷺ،

جاء له من تلقاء وجهه، وقال:

{تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}

فورًا، النبي ﷺ قال:

{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}

وكان بيحب أبا سفيان بن الحارث جدًا بعد كده، وكان يُقرّبُه، ويقول:

"أرجو أن يكون منك خَلَفٌ لحمزة"

سيدنا عليّ بن أبي طالب كان بيقول لأبي سفيان بن الحارث ليه نصحه بالنصيحة دي؟ قال: لأنني علمت أن النبي ﷺ لا يحب أن يكون أحدٌ أفضلَ منه.

لا يحب أن يكون أحدٌ أيه؟ أفضلَ منه!

هو ده العمل بالقرآن يا جماعة، هو ده تحويل القرآن للعمل.

هو ده اللي القرآن بيغيره فينا، وهو ده أثر قصة يوسف في حياتنا.

سبحان الله! حاجة عجب والله!

ثم قال يوسف عليه السلام:

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}

يا سلام! راح خلع قميصه اللي هو لبسه تمامه، وأراد أن يكون قميصًا بقميص.

زي ما القميص الأولاني كان قميص فيه دم وفجيعة وألم ليعقوب عليه السلام، أراد أن يكون الفرج والأمل وحلّ المشاكل بقميص فيه عطر وفرح. **فما أجمل يوسف عليه السلام!** أراد أن يمحي تمامًا الذكرى الأليمة دي من ذهن يعقوب عليه السلام،

فأراد أن يبقى قميصٌ بقميص حتى يُمحى أثر القميص الأول من ذهن يعقوب عليه السلام. **مشهد جميل ولا شك أنه بوحيٍ من الله.**

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا}

ويأتي بصيرًا... دي هيعرفها يوسف عليه السلام إزاي؟

أكيد ده كان بوحي، عشان كده بقول لكم: المشهد ده كله وحي من الله سبحانه وتعالى.

ربنا اللي قال ليوسف عليه السلام إنّه يكشف عن نفسه،

وقال له على القميص، وقال له إن القميص ده هيكون سبب في عودة بصر يعقوب عليه السلام.

»» {يأتِ بصيرًا}

- يعني سيعود إليه بصره، بمعجزةٍ من الله سبحانه وتعالى.
- وفيه تطييب لقلب يعقوب عليه السلام، بأن يكون سبب عودة بصره قميص يوسف عليه السلام،
- وفيه تعجيل البُشرى ليعقوب أن يصله أثرٌ من يوسف عليه السلام قبل ما يوسف نفسه ييجي. كأنه من شدة شوقه، عايز أيّ أثر ليوسف يتصبر به لغاية ما يلقاه.

من الفوائد الجميلة :

»» قد يكون سبب حزنك في فترةٍ من الفترات، هو نفسه سبب فرحك في فترةٍ من الفترات.

كما كان قميص يوسف سبب حزنٍ ليعقوب سنين، صار قميص يوسف سبب فرحٍ ليعقوب بعد ذلك.

الفائدة؟

»» ممكن يكون ابنك اللي تعبك دلوقتي ومغلبك وسبب مشاكل حياتك، هو نفسه اللي يفرّحك بكرة.

فأحسنِ الظن بالله، وادعِ، يمكن ربنا يغيّره، أو يغيّر حاله إلى حالٍ أفضل.

ممكن الكلية اللي شايفاها دلوقتي تعب ومذاكرة وسبب حزن وألم،

هي دي السبب اللي تفتح لك باب خير بعد كده،

أو تكون سبب إنك تتعرفي على صحبة صالحة، أو سبب في تعرّفك على زوجك الصالح.

ماحدش يعرف الخير فين.

لكن إحنا بنُحسن الظن بالله، حتى في الحاجة الصعبة،

نقول: لعلّ ربنا يجعلها سبب خير بعد كده، لعلّ دي بدايتها، بس هي نفسها تكون فتحة الخير بعد كدا.

طب إمتى نحسن الظن بالله؟ لما نعمل اللي علينا، ونأخذ بالأسباب، ونعمل بالقاعدة:

{إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ}

أخيرًا، قول يوسف عليه السلام:

{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}

ما قالش: هاتوا إخوتي، أو هات والديّ. لا...

أهليكم أجمعين، يعني تعالوا أنتم، وإخوتي، وزوجاتهم، وأولادهم.

جايب العيلة كلها، بالأزواج، بالأولاد، وهيكرم الجميع.

وكأن المعنى: النعيم لا يكتمل إلا بحضور من نحب.

ومن النعيم أن نُشارك أهلنا الفرحة والسرور.

لذلك ربنا قال عن أهل الجنة:

{وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا}

مفروض يكون أهلنا سبب سعادتنا، سبب فرحتنا.

ويكون الأقارب سبب فرحتنا، مش زي ما بيقولوا: الأقارب عقارب!

لا... المفروض أقاربي دول همّ سبب فرحتي، وسبب الخير.

مش بنحسد بعض، مش بنخاصم بعض، مش دايمًا مشاكل في بيوت العيلة!

{وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}

المفترض الأهل أقرب الناس ليك، المفترض سعادتك تكتمل لما تكون وسطهم.

بعض الناس يقولك: لا، ما أحبش أبقى وسط أهلي، أبعد عن القرايب!

ليه وصلنا للدرجة دي؟!

الفائدة الأخيرة:

»» من لم يكن له خيرٌ في أهله، فلا خير له في أحد.

هنقف هنا بإذن الله سبحانه وتعالى مع الفوائد الجميلة دي، ونبدأ المرة القادمة:

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ}

هيحصل إيه؟ والمشهد المؤثر للقميص مع يعقوب، ثم لقاء يوسف عليه السلام به.

خلينا ما نستعجلش الأحداث .

المحاضرة الثالثة عشر
وتحقق الحلم | أمنية يوسف

بسم الله والحمد لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء الثالث عشر من هذه الدورة الطيبة المباركة، دورة تعلمتُ من يوسف عليه السلام.

المرة الماضية توقفنا عند هذا المشهد الخطير وبداية الفرج وبداية كل الخير ويوسف عليه السلام عفا عن إخوته بل دعا لهم قال:

"لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"

يعني لم يكتفِ فقط بأنه عفا عنهم بل دعا لهم دعا لهم أن ربنا يسامحهم ويغفر لهم وعلّق قلوبهم بالله سبحانه وتعالى، وقال: "وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ."

ما أجمل ارتباط قلوب الأنبياء بأسماء الله تعالى وصفاته فده حاجة من الحاجات الرائعة اللي بنتعلمها دايمًا من القرآن هو ربط القلوب بالله سبحانه وتعالى يعني كلما سنحت الفرصة تجد في سورة يوسف أسماء كتير جدًا: عليم، حكيم، لطيف، أرحم الراحمين. سبحانه وتعالى!

الواحد القهار... هذا من بديع طريقة القرآن في عرض القصص هو أنك تطلع بعد القصة وقد تعرّفت على الله سبحانه وتعالى وقلنا في أول مرة أن من أعظم أهداف قصص القرآن أن تعرف الله ! تتبّع ده في كل القصة لتجد أنك فعلًا خرجت من القصة بمعرفة جديدة لله سبحانه معرفة أقوى معرفة أكثر تأثيرًا في القلب.

"يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ" يعني ذنبكم هو في مغفرة الله تعالى ليه؟ "وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ". مهما عملت حاولت قتل نبي حتى ربنا إيه؟ يغفر لك ويسامحك طالما أقبلتَ إليه وتبتَ إليه سبحانه وتعالى فهو أرحم الراحمين.

ثم قال لهم:

"اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ."

وهنا بقى سيخرج يرسله أحد مبعوث يروح بسرعة جدًا إلى يعقوب عليه السلام لكي يُبشّره بالفرج ويأتي له بالقميص خلونا نقرأ الجزء بتاع النهاردة ونستعين بالله سبحانه وتعالى ويا رب تكونوا بتحفظوا السورة وشغالين فيها كويس.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ۖ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

هذه الآيات الكريمة المباركة من سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

بدأت معنا بهذا المشهد المؤثر: "وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ" قال أبوهم: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ" يشم ريح قميص يوسف عليه السلام مجرد ما فصلت العير قال أبوهم: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ."

حاجة عجب والله! مشهد عجيب جدًا يكاد يعني العقل لا يتصوره كيف يعني يعقوب عليه السلام وجد ريح يوسف عليه السلام من هذه المسافة الضخمة؟ يعني قيل إنه كان يجد الريح على مسافة ثلاثة أيام! بيجد ريح يوسف عليه السلام رغم بُعد المسافة لدرجة أنه بيقول: أنا مش عايز أقول لكم كده خايف تقولوا إن أنت كبرت وخرفت زي

ما بيقولوا. "لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ" يعني تنسبوني إلى الفَنَد. والفَنَد هو الكبر الذي يذهب معه بعض العقل يعني يقول: "إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ " يعني بيعبر عن إحساسه بجد لابد أن تصدقوني هو طبعًا لم يصدقوه قطعًا يعني.

"قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ" ضلال هنا معناه ذهابك عن الحق يعني أنت ذاهب عن الحق ولا تُحسن معرفة الحقيقة صبر يعقوب عليه السلام حتى على اتهام إخوة يوسف له بهذا الشيء.

لكن الإنسان يرى في هذا المشهد... سبحان الله! لطف الله سبحانه وتعالى بيعقوب عليه السلام هو يعجّل له الفرج ويعجّل له البشريات بعد ما عجّل له الإحساس واليقين بقرب لقاء يوسف عليه السلام حتى قال لأبنائه:

"يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ."

الآن عجل لهم بُشرى جديدة أنه يظل يجد ريح يوسف ثلاثة أيام قبل أن يُبشر بالبشارة ويتأكد من صدق... يعني ما فـ شأن الحب شأن عجيب ورحمة ربنا بعبده المؤمن يعني رحمة لا مثيل لها.

فهو يُبَشِّرُهُ بما يَسُرُّهُ عندما يقترب الفَرَج يعني مش بس ربنا بيُفَرِّج الهم بل قبل الفرج بشوية كده يُعَجِّل للعبد بعض البُشْريات تُسَلِّيه ويَرِقُّ معها قلبُه قبل أن يأتيَ الفرج وكل ده مكافأة طبعًا على نجاحه في أداء العبودية في المحنة زي ما يُقال: إن الفرج والبُشريات والعاقبة الحسنة كل ده له شرط أنك أديت ووفيت مقام العبودية اللائق بالبلاء:

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

إنسان يعني بيتعلّق قلبُه بالله سبحانه وتعالى كلما رأى فِعل الله بأوليائه وبأصفيائه فعلاً تعلّق قلبُه بالله وأحب أن يكون من أولياء الله لكي يرى هذا الإنعام وهذا الإكرام من الله سبحانه وتعالى فيذوب القلب شوقًا لله وحبًّا لله سبحانه وتعالى وهو يرى أن ربنا بيسوق للعبد الكرامات والبُشريات حتى في أمور يكرهها الإنسان لكن لما بيشوف الإنسان العاقبة يرى أن الله فعلاً عليمٌ حكيم وهو سبحانه وتعالى يُبَشِّرُ عباده المؤمنين بعاجل البُشرى في الدنيا ليدلّهم على ما أعدّ لهم في الآخرة.

إذا كان ده عاجل بشرى المؤمن في الدنيا يبقى إيه اللي بقى ينتظرنا في الآخرة؟

سبحان الله!

بالفعل إخوة يوسف لم يصدقوه عشان كده يقول لك: "قبل قدوم الفرج تهبّ نسائم البُشريات" قبل قدوم الفرج تَهُمُّ نسمات البُشريات على النفوس المُتْعَبَة لتهوِّن عليهم بتعجيل البُشرى.

﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾.

التعامل بين الأحبة يكون بالأرواح قبل الأبدان.

يعني الناس لما بيحبوا بعض تجدهم بيحسّوا ببعض حتى لو الأبدان لم تلتقِ كذلك الذكريات الجميلة ورائحة الأحبّة تفوح في المكان لكن لا يشعر بذلك إلا من يحبّك بجد.

تحس إنك موجود دايمًا يحسّ بأثرك يشوفك في كل مكان بيجد ريحك حتى في بعض الذكريات يستأنس بجميل الذكريات اللي كانت ما بينكم لدرجة إن إحنا حتى لما بنتقابل نحس إن إحنا كأننا كنا مع بعض بسبب لقاء الأرواح الدائم بين الأحبة.

مهما باعدت المسافات بيننا وبين من نحب لا تزال ريحه عالقةً في الفؤاد.

وتأمل في قوله : ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾

يعني إيه "لأجد ريح يوسف"؟ أجد ما قالش: "إني لأشمّ"، صح؟ الريح دي تُشَمّ قال: "إني لأجد" تمام؟ "أجد" دي تُشْعِرُك إنه يعني "واشمّ" لأنه بيعبر بها عن حاجة بيفتقدها وكأن ده شيء مفقود شيء عزيز شيء كان نفسي فيه من زمان وأخيرًا وجدته :

﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ سبحان الله!

»» يقولون: إنّ للأمل رائحة وللفرج رائحة لكن لا يجد ذلك إلا المتفائلون الواثقون في الله الذين يُحسنون به الظنون.

ومن الفوائد:

»» كلما زاد حُسن ظنك في الله أراك الله تعالى المزيد من البُشريات.

تَحَسَّس الفرج وأبشر باليُسر لعل الله أن يُلقيَ على وجهك قريبًا قميص الفرج.

سبحان الله!

﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾

يا الله! ما أقساها من كلمة!

يعني حتى الفرح مستكترينه عليه حتى المشاعر بيحاسبوه عليها حتى المشاعر يُحاكمونه عليها قسوة في الكلمات لا يفهمون قلب الأب أبدًا.

لن تفهم قلب الأب أبدًا حتى تكون أبًا بالفعل كيعقوب عليه السلام.

لن تفهم ما معنى قلب الأم قلب الأب يا جماعة الأب والأم بيحسّوا بينا من غير ما نتكلم بل بيحسوا بينا على بُعد مسافات حصل معك؟ أكيد حصل معي.

»» الحقيقة ممكن والدتك تتصل بك كده تقول لك: "عامل إيه؟"

أنت مستغرب يعني: "بتتّصلي دلوقتي ليه؟"، تقول لك: "بس قُل لي في حاجة ولا ما فيش حاجة؟" هو في حاجة فعلًا! يعني هي عرفت منين؟

تقول لك: "مش عارفه كنت قاعدة كده حسّيت إن أنا مقبوضة."

صح! أصل أنا قلبي مقبوض حاسّة إن في حاجة.

أنت في حاجة النهاردة حصلت معك؟

فتقول لها: "فعلاً في حاجة حصلت النهاردة، أنا في حاجة حصلت كذا وكذا."

"أنتِ عرفتي منين؟"

تقول لك: "مش عارفة بس أنا مش عارفة من أول ما صحيت من النوم وأنا حاسّة قلبي مقبوض كده وفي حاجة فقلت: أتّصل أطّمن عليك."

لا فعلاً يعني طب إزاي يعني؟ هذا شيء لن نفهمه أبدًا.

فعلاً الأم أو الأب لما يتعلّقوا بولادهم جدًا يحسّوا بيهم.

مش هقول لك من نظرته ولا من كلامه بل ممكن ربنا يُلهِمهم كده مع بُعد المسافات.

يقول لك: "ابني محتاج دلوقتي"، "أنا عايز أتّصل ببنتي دلوقتي أطّمن عليها حاسّة في حاجة."

بل أحيانًا حاجة عجيبة بتحصل لنا إن ممكن تلاقي الأم قاعدة كده في أمان الله ما فيش حاجة وبنتها الصغيرة مثلًا في غرفة تانية فجأة ييجي لها خاطر كده: "عايزة أشوفها دلوقتي قلقانة دلوقتي في حاجة" تجري على الأوضة عليها تبص عليها تلاقيها فعلًا في مشكلة. طب إزاي عرفت؟

تقول لك: "ما أعرفش."

وأحيانًا بتستيقظ من النوم وبنتها الصغيرة مثلًا جنبها فعلًا كانت هتقع من على السرير تروح صاحية كده ولاحقاها وهي صحيت إزاي؟ لحقتيها إزاي؟

هذا شيء لن نفهمه.

قلوب الآباء والأمهات... يا جماعة!

يعني بصّ الفرق بين الإخوة وبين الأب والأم!

إخوة يوسف... عشان تفهم يعني إيه أب وأم إخوة يوسف كانوا واقفين جنبه في القصر واقفين جنبه في القصر ولم يجدوا ريح يوسف.

ويعقوب عليه السلام على بُعد المسافات وجد ريح يوسف... على بُعد ثلاثة أيام! تخيلوا! ثلاثة أيام!

علشان كده بنقول يا جماعة: البُعد عن الوالدين تعبٌ لهم.

نوصي كل أب وكل ابن: لا تبتعد عن والديك قدر المستطاع.

ما تبعدش عنهم حاول دايمًا تكون قريب منهم ولو بالاتصال حاول دايمًا ما يعديش يوم ولا يومين إلا وتكون جنبهم أو يعني يشوفوك.

ممكن إنت تحس إن الموضوع مالوش قيمة... لا، هو له قيمة كبيرة أوي!

إنهم يشموا ريحك ده له قيمة كبيرة إنت مش هتفهمها!

إن والدتك كده تقعد جنبك أو إنك تحضنها فتجد ريحك حتى هي بتفتكر الرائحة دي.

ممكن مثلًا تبقى إنت ليك ولد وده بيحصل فـ أمك تحضنه كده وتشمه تقول له: تصدق ريحته شبه ريحتك وإنت صغير!

ريحتي وأنا صغير؟! يعني ريحتي وأنا صغير دي من أربعين سنة مثلًا!

إنتِ فاكره ريحتي وأنا صغير إزاي؟

تقول لك: أيوه ابنك ريحته شبه ريحتك وإنت صغير حاجة عجب! سبحان الله يعني!

ريحك يُؤنس والديك! فما بالك إنك تقعد معاهم وتكلمهم وتهزر معاهم؟!

يا جماعة، رِفقًا بقلب الوالدين والله!

الوالدان لا ينسَيان أبدًا تفاصيل أولادهم ولو بعد حين ولو بعد حين...

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾

إنت لِسَّه في الخيالات دي! إنت لِسَّه بعيد عن الحق! يعني لا تُدرك حقيقة الأمر.

صبر يعقوب! العجيب إن هو ما ردّش!

يعني لو تأملنا يعقوب عليه السلام لم يرد عليهم!

أي والد هذا؟! أي رحمة في قلب يعقوب عليه السلام اللي فضَل يصبر كل ده على أذى الأبناء يرجو من الله إنهم يتوبوا!

فعلًا سبحان الله حسن المعاملة دي الصبر عليهم تابوا في الآخر.

رسالة عكسية للوالدين:

كلّما بنصبر على ولادنا كلّما يكون في أمل في عودتهم.

بعض الناس بيشتكيني مثلًا يقول لي: ابني دخل الثانوية ومن ساعة ما دخل الثانوية وهو بعيد وباظ وراح ما بيسمعش كلامي.

فأقول له: يعني مش هو الأصل طيب؟ وإنت مربيه كويس؟

قال لي: وهو صغير والله كنت مربيه كويس وكنت.....

أقول له: ماشي اصبر عليه هيرجع تاني هيرجع للأصل.

بس أوعى تفسد علاقتك به في الفترة دي.

أحيانًا بعض الآباء بيروح يضرب ويشتم، وعايز الابن يهتدي دلوقتي!

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾

لكن نعمل زي يعقوب عليه السلام ما يملك قلوب أبناؤه إنما يدعوهم إلى الله ويصبر ويحافظ على علاقته بيهم ويحافظ على الود اللي ما بينهم ويحافظ على احترامهم له.

وما زال يعني برضه بيسمعوا كلامه بيراعوا خاطره أحيانًا فضِل صابر سنين طويلة جدًّا لغاية ما جت الفرصة فعلًا حبوا يرجعوا وكانت علاقتهم كويسه بالأب،

قالوا له: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾.

هيرجع ابنك في الكلية هيرجع بعد... لما يتخرج هيرجع في يوم من الأيام بس عايزه لما يرجع يلاقيك ما تكونش اتدمرت العلاقة ما بينكم.

ما ردّش عليهم... ده العجيب.

لذلك يقولون: من أصعب الأمور على الوالد أن يكبر في السن فيُستخفّ به أبناؤه.

أصعب الأمور! إنهم يقولوا له: إنت كبرت وخرفت!

أو إنت ما بقِيتش بتفهم!

أو مثلًا ييجوا يشرحوا له حاجة فيقولوا له: لا مش هتفهم يا بابا مثلًا خلاص العَضمة كبرت! صعب جدًّا...

أوعى تقول لوالدك كده.

حتى لو احتجت إنك تشرح له الحاجة مرة واثنين عشان كِبَر في السن ما تحسسوش إن هو كبر!

حتى لو ما بقاش فعلًا يسمعك من أول مرة لازم تعلي صوتك ما تحسسوش بكده لأن ده مؤذي جدًّا جدًّا للوالد والوالدة... فرِفقًا بالوالدين!

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ يا الله! ﴿ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾

كل حاجة اتحلّت... مراحل...

جاء البشير! سبحان الله يعني البشير هو اللي أرسلوه استعجلوه عشان يحمل البُشرى ليعقوب عليه السلام.

تخيل بقى لما دخل... أنا عايز أتخيلك وإنت داخل عليه داخل بتقول له: أنا بشير ليك جاي لك من مصر عايز أقول لك كذا بشرى:

* يوسف بخير وهو الآن عزيز مصر.

* بنيامين بخير وهو مع يوسف عليه السلام.

* روبيل الأخ الأكبر أو يهوذا بخير وخلاص في السكة راجع لك وجايب القميص ورايا.

وهو اللي جاب القميص في النهاية الأخ الأكبر روبيل دُه فعاد أخوهم روبيل كما يقولون ومعه قميص يوسف لأنه يُقال إن هو الأخ ده هو اللي دخل بالقميص الأولاني فأراد أن هو يُكفّر عن سيئاته دي فدخل بالقميص الثاني.

عاد بصر يعقوب اطمأن على يوسف اطمأن على بنيامين اطمأن على الأخ الأكبر كل حاجة انفرجت مرة واحدة وجاء الفرج من كل اتجاه وعلموا أن خلاص مشكلتهم حتى المجاعة اتحلت المشكلة المادية اتحلت الإخوة سيلتقون الأسرة ستجتمع ما أجمل عاقبة الصبر والتقوى .

فعلاً وما أجمل عاقبة الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى.

قال: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾

الذي جاء بقميص الدم هو الذي جاء بقميص الفرج قد يكون من يؤذيك اليوم هو الذي يسعدك غدًا ده اللي قلناه: اصبر على أولادك ممكن ابنك اللي هو بيأذيك النهارده يبقى أبر واحد بك بكرة ممكن بنتك العنيدة النهارده تبقى أتقى واحدة بكرة ما نفقدش الأمل في حد يا جماعة ممكن أي حد يتغير.

إخوة يوسف نفسهم اللي جاب قميص الدم هو اللي جاب قميص الفرج فالناس بتتغير ولو بعد عشرات السنين لا نفقد الأمل في أولادنا ولا نفقد الأمل في أحد بإذن الله سبحانه وتعالى.

»» من الفوائد:

»» ما أجمل نقل البشريات.

فإذا لم تكن أنت الذي فعلت البشرى فلا أقل من أن تنقلها يعني لو أنا مش اللي عملت لك البشرى نفسها بس أنقلها لك وفيه فضل البشرى عموماً بين المسلمين إننا ننقل الأخبار الحلوة ننقل الحاجات اللي تحفز ننقل الحاجات اللي تفرحنا اللي تقلل همّنا.

لكن إحنا للأسف مبدعين في نقل الأخبار المحبطة مبدعين في نقل الأخبار اللي بتخلي الإنسان يعني مش عايز يعمل أي حاجة لكن الأخبار المبشرة لا ننشرها ده خطأ كبير جدًا ليه دايمًا سوداويين كده في نظر الحياة؟

ما أجمل نقل البشريات وما أقبح نقل الأمور التي تُحبط الإنسان وتُدمر عزيمته.

قال:

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

يا الله! أنا متخيل فرحة يعقوب عليه السلام رجع بصره وشايف ولاده وبيكلمهم: "مش قلت لكم في يوم من الأيام" : ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟.

- أعلم أن الله لا يُضيع أولياءه
- أعلم قرب فرج الله سبحانه وتعالى
- أعلم أن الله لطيف بعباده
- أعلم أنه يُدبّر لعبده في الخفاء.
- أعلم أنه يبتلينا ليرى منا شيئًا وقد رآه سبحانه وتعالى وبالتالي اقترب الفرج وقد كان.

﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

هنا انكسر إخوة يوسف عليه السلام وطلبوا من أبيهم العفو والصفح .

فقالوا: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾

قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

قالوا: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾

طلبوا منه أن هو يسامحهم بل طلبوا منه كمان أن يستغفر لهم.

والعجيب كما يقولون: وافق بسرعة على الاستغفار وكأن اللحظة دي كان هو مستنيها من زمان وبيرجوها من زمان لم يعاتبهم لم يؤنبهم لم يزد على كلمة:

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

لم يستغل الفرصة لإذلالهم إنما فورًا قال:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

ولسه بيربيهم وبيعلقهم بأسماء الله الحسنى: "الغفور الرحيم."

يوسف تربية يعقوب وتحس إن الاثنين شبه بعض جدًا في كل التصرفات قلب الوالد عجيب والله.

نقول: قلب الوالد والوالدة من السهل كسبهم اعتذار بسيط ويعني انكسار بسيط وهم بيرقّوا بسرعة جدًا.

لكن الأعجب من كده: حلم الله على إخوة يوسف عليه السلام كيف صبر الله عليهم حتى وصلوا لهذه المرحلة إنهم تابوا؟ كل ده ربنا لم يأخذهم كان ممكن يموتوا في أي وقت كان ممكن ربنا يعني ينزل عليهم من العقوبات الأليمة في أي وقت ولكن كانت عقوبات خفيفة للعتاب يعني حملهم على العودة ربنا صبر عليهم حتى استغفر لهم يوسف ويعقوب.

استغفر لهم اثنين أنبياء! يا لحِلم الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا المشهد: فضيلة طلب الدعاء بالاستغفار من الناس الصالحين خاصة الوالدين فالإنسان يُستحب له إذا وجد إنسانًا صالحًا أن يطلب منه أن يستغفر له يعني يطلب منه إيه؟ أن يستغفر له خاصة لو كان الوالدين.

لأن طبعًا دعاء الوالد لولده مستجاب ودعاء الأم كذلك وبالعكس دعاء الوالد على ولده مستجاب وكذلك الأم.

عشان كده بنقول للوالدين: ما تدعوش على ولادكم أبدًا.

دعوة الوالد على ولده مستجابة خلي بالك ممكن أنت تدمره بدعوة عليه تقول له: "روح ربنا يحرقك"، "روح ربنا يخرب بيتك"، "ربنا ما يربّحك في حياتك"... فربنا يستجيب وأنت اللي هتعاني في النهاية طب ما نقول لهم: "ربنا يهديك"، "ربنا يصلح حالك"، "ربنا يتوب عليك."

يعني ندعي لهم وخلاص فدعوة الوالد لولده مستجابة.

فالإنسان ينبغي أن يُكثِر من الدعاء لأولاده من غير ما يطلبوا.

وينبغي للأولاد أن هم يطلبوا من آبائهم أن هم دايمًا يستغفروا لهم.

دائمًا يستغفروا لهم ويُشرع للإنسان إذا وجد شخصًا صالحًا أن يطلب منه ذلك.

النبي ﷺ أخبر فقال: خير التابعين أويس القرني.

فقال عنه: "من لقيه منكم فليطلب منه أن يستغفر له."

وفي رواية: "فإن استطعتم أن يستغفر لكم فافعلوا."

سيدنا عمر رأى أويس القرني وظهر ذلك في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما لقيه قال: يا أويس استغفر لي.

فاستغفر أويس القرني لعمر رضي الله عنه.

فالإنسان يُشرع له بل يُستحب إذا وجد شخصًا صالحًا أن يطلب منه أن يدعو له بالمغفرة وأن يسأل الله له الجنة وخاصةً ما يتعلق بأمور الآخرة.

بل يُستحب للإنسان أن يطلب من الصالحين الدعاء له في الأمور المتعلقة بالآخرة.

قول يعقوب عليه السلام:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾

ليه قال "سوف"؟ هو ده السؤال.

سيدنا يوسف عليه السلام استغفر لهم على طول فقال:

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

ليه سيدنا يعقوب قال: "سوف أستغفر لكم ربي"؟

قالوا في التفسير: "إنه أخّر ذلك إلى السَّحر"

يعني عايز يعمل لهم حاجة خطيرة ومهمة حاجة مميزة.

قال "سوف"، يعني سأفعل ذلك ولكن عندما أَخلو بربي في وقت السَّحر.

سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه مرَّ مرة عند بيوت الصحابة فسمع صوتًا يقول:

"اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا وقت السَّحر فاغفر لي."

فوجد أن هذا بجانب بيت عبد الله بن مسعود، فسأله: ليه قلت "هذا وقت السحر فاغفر لي"؟

قال: يا عمر إن يعقوب عليه السلام أخّر بنيه إلى السَّحر، فقال:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

ففي هذا فضيلة الاستغفار في الأسحار قال تعالى:

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

فينبغي للإنسان أن يُكثِر من الاستغفار في هذا الوقت فهو وقت غنيمة ينزل فيه رب العزة جل في علاه إلى السماء الدنيا، فيقول: "هل من تائبٍ فأتوب عليه؟ هل من سائلٍ فأُعطيه؟ هل من مستغفرٍ فأغفر له؟"

قال:

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

ثم قال سبحانه وتعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾

يا الله!

آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ... قلت لكم إن في مشاهد يا جماعة من الصعب جدًا إننا نتخيلها لا يمكن تخيل هذا المشهد.

هذا المشهد هو أسعد مشهد في القصة كلها.

هو ده المشهد المنتظر من أول القصة.

وهو ده اللي سيدنا يعقوب مش قادر يتخيله!

كما يقول ابن كثير إن يعقوب عليه السلام خرج من كنعان وأخذ الأسرة كلها ولما يوسف عليه السلام علِم بمجيء والده علِم الملك أيضًا بالقصة كلها فعرف أن والد يوسف يعقوب عليه السلام سيأتي إلى مصر قالوا إن الملك خرج بنفسه وأخرج الحاشية كلها كل الوزراء وعملوا استقبالًا حافلًا ليعقوب عليه السلام.

شوفوا فرج ربنا! شوفوا عاقبة الصبر والتقوى!شوفوا قد إيه ربنا أعز أولياءه!

قالوا عملوا له موكب وطلع الملك بنفسه وأخذ كل رجال الدولة علشان يستقبلوا يعقوب عليه السلام وأسرة يوسف عليه السلام.

فعلًا دخل يعقوب عليه السلام مُعزّزًا مُكرّمًا إلى مصر.

ثم دخلوا على يوسف، وتخيل بقى كلمة "آوَى..."

كلمة "آوَى" دي بتختصر حاجات كتير أوي حصلت في المشهد ده:

أحضان بكاء عبارات رقيقة دموع ذكريات تقبيل الأيدي والرأس.....

المشهد صعب جدًا تخيله. لكن الإنسان لما بس يفتكره يبتسم من كمية البهجة اللي فيه، اللي ممكن تحسها لغاية دلوقتي. ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾

يعني ضمّ، وأحضان، وقبلات، ودموع. أَبَوَيْهِ يعني الأب والأم.

بعض التفاسير قالت: الأب والخالة لأن الأم كانت قد ماتت – وهذا من الإسرائيليات – لكن لا يوجد دليل صحيح عليه.

والأصل أن الأبوين يُقصَد بهما الأب والأم فالظاهر أن الأم كانت عايشة وكان المقصود بالأبوين هما: يعقوب عليه السلام وأم يوسف عليه السلام.

﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾

الحنان، الأمومة، الأبوّة، الرحمة ...كل ده نتخيله في المشهد الرهيب ده.

ونرى فيه نعمة ربنا على عباده المؤمنين وأنه صدق وعده، فعلًا صدق وعده مع يوسف عليه السلام ومع يعقوب عليه السلام.

عارفين اللحظات دي يا جماعة؟

* هي دي اللي تخلي القرآن ربيع القلوب.

* هي دي اللي تخلي القرآن شفاءً للصدور.

بعض الناس يقرأون: " شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ "

لكن شفاء إزاي؟ بالتأملات بالتدبر.

لما أكون مثقلًا بالبلاء أو أرجو فضلًا من الله أقرأ القصة وأشوف المشهد ده فينزل على قلبي برد وسكينة وطمأنينة، وأقعد أعيش كتير أوي مع المشهد ده وأقول:

"فرجه قريب." واخرة الصبر جَبْر، زي ما بيقولوا.

فجمال القرآن استفاضة في اللحظات السعيدة دي اللي بتخلي فعلًا القرآن ربيع القلوب ونور الصدور وجلاء الأحزان وتخلي السورة دي بالذات سلوى لكل محزون استحضار هذه المشاهد يشرح الصدور ويذهب الهموم والغموم فالإنسان يستمتع بهذه المشاهد العظيمة وينزلها على قلبه كدواء على أمراض قلبه وأمراض همّه وحزنه ويستبشر بها بقرب فرج الله سبحانه وتعالى.

وتأمل في قوله: " آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ "،

هذا في أدب يوسف عليه السلام قال: " ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ "،

ما قالش: ادخلوا مصر في حمايتي بس أنا جامد أنا الملك ما حدّش هيقدر يجي جنبكم أنتم في أمان أنا سأوفر لكم الحماية التامة.إنما قال: " إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ " أي الله الذي يتولانا جميعًا أي أن الله هو الذي بيده كل شيء وفيه أدب مع الله سبحانه وتعالى وأننا كلنا خاضعون لمشيئة الله سبحانه وتعالى فهو يحفظ من يشاء سبحانه وتعالى.

وذلك تواضعٌ منه رغم أنه عنده السلطة وعنده القوة وعنده الأسباب الكتير قوي لحماية أبويه وأقرب الناس له لكن في الآخر الأمر بيد الله ممكن بعد ما أعمل كل حاجة...

يعقوب عليه السلام؟ هو ما إحنا اتعلمنا بقى! هو إيه؟ إذا كان يعقوب عليه السلام نفسه من أول القصة كان حريصًا على بقاء يوسف معه ضاع برضوا.

ففي النهاية: إن شاء الله، إذا شاء الله، يكون الأمر. فبيرجوا من الله إن فعلاً: يا رب أعني إن أبويا يكون في حفظ وفي أمان إذا دخلوا مصر: "إن شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ."

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾

يا سلام! ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ العرش اللي هو سرير الملك الموضع اللي بيجلس فيه يوسف عليه السلام أجلسهما عليه إكرامًا لهما وبرًّا بهما ..

»» من الفوائد:

(إذا رأيت والديك فأظهر اهتمامك بهما عند اللقاء).

أنت التقيت بوالديك مثلًا جُولَك زيارة ولا أنت دخلت عليهم زيارة أظهر اهتمامك بهما بعض الناس بيقعد مع أبوه وأمه مثلًا طول النهار على الموبايل من أول ما جه هو ماسك الموبايل وقاعد معهم وماسك موبايل ولا مركز معهم ولا بيكلمهم حتى.

ينبغي يا جماعة نرفع والدينا ونهتم بهم ونُظهر لهم الاهتمام ويبان علينا كده إن إحنا محتفين بهم.

"رفع أبويه" تبعت لك رسالة إن كريم النفس لا يستعلي على أبويه حتى لو بلغ منصبًا عاليًا فكبار النفوس لا تشغلهم المناصب عن برّ الوالدين بعض الناس لما بيوصل لمنصب في حياته بيستعلي على الوالدين شايفهم جُهّال: أنتم ما اتعلمتوش، أنتم ناس غلابة! ده إنسان وضيع.

الإنسان الكبير - والله لو بقى إيه - رئيس الدولة، بييجي عند والديه حتى لو مش متعلمين حتى لو فقراء حتى لو كانوا..... ما هم دول اللي ربوك وعلّموك ينزل يخليهم فوقه دايمًا مهما كانوا يكبرهم قدام الناس ويفتخر بهم مهما كان حالهم من العلم أو من المستوى المادي.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾

اجعل والديك في عرش اهتماماتك اجعل والديك في عرش أولوياتك أوعى تقدم أولوية على والديك وأوعى تخلّي حد فوق والديك دول أهم اثنين في حياتك كلها مهما كبرت لا تتكبر على والديك ممكن دعوة منهم عليك تهدم عرشك بالكامل تهدم عرشك بالكامل!

ويكفيك في ذلك قوله تعالى:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وتأمّل في يوسف عليه السلام ويقول: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا".

وقال: "يَا أَبَتِ" لسه إلى الآن بيقول: يا أبتِ. وهو في الملك نفس الكلمة اللي كان بيقولها وهو لسه صغير: "يا أبتِ" التوقير والاحترام والكلمات الطيبة يسمعها الوالدين حتى بعد ما يكبروا والكلام ده... لسه برضوا، مهما أنا كبرت مهما أنا يعني بقيت شخصية واحترام والناس بتعمل لي تقدير برضوا باجي عند والدي أقول له: يا أبتِ، يا أمي، كأني طفلهم الصغير المُدلّل.

قال: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾

يعني إيه "خرّوا له سجدًا"؟

كان زمان في الشريعة السابقة كان ينفع الإنسان لما يحب يكرم واحد يسجد له يعني لما يحب يبين له تقديره ويكرّمه يسجد له السجود ده مش سجود العبادة مش اللي هو زي سجودنا لله: الذل والتعظيم، ده اسمه "سجود إكرام وتقدير". فكان زمان كده اللي يحب يكرم حد يسجد له وكان ده مشروع في الأمم السابقة زي بالضبط سجود الملائكة لآدم والملائكة لما سجدوا لآدم عليه السلام كانوا بيعبدوه؟ لا، هم سجدوا إكرامًا له بس والحقيقة إن السجود ده طاعة لله سبحانه وتعالى فده مشروع في الأمم السابقة.

طب ينفع دلوقتي واحد يسجد لحد بنفس الطريقة؟ لا لأن النبي ﷺ بيّن إن الباب ده اتقفل. فقال: "لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقه عليها."

لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها من عِظَم حقِّه عليها ولكن السجود صار للهِ فقط وهو سجود العبادة فقط وأُغلق تمامًا موضوع التكريم بالسجود لِسَدِّ الذريعة وقُفِل الباب على احتمال الشرك.

ثم قال: "وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" ومَن الذين خَرُّوا؟ الأب والأم والإخوة؟ كلهم خرُّوا له سُجَّدًا وهو هذا تفسير الرؤيا يعني هذه هي الرؤيا التي رآها:

"إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ."

هنا قال: "يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا."

الله أكبر! يعني إيه الكلام ده؟ يعني إيه كلمة "تأويل" هنا؟ يعني إيه كلمة "تأويل"؟

التأويل تأتي بمعنيين:

- تأتي بمعنى التفسير أن أنا أفسرها لك وهذا اسمه تأويل أي التفسير. مثل قول النبي ﷺ عن ابن عباس: "اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل" يعني التفسير.

وقول يوسف عليه السلام: "وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ" يعني تفسير الرؤى.

- تأتي بمعنى آخر: وقوع الأمر أو مآله ومنه قوله تعالى:

"هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ."

فهذا هو المعنى المقصود هنا في الموضع هذا: "هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ" ليس المقصود به التفسير لأن التفسير معروف من زمان لكن المقصود هو وقوع الخبر وقوع حصول الرؤية: "هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ."

ثم قال: "قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا."

شوف بقى الأدب مع الله سبحانه وتعالى: "قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا."

ثم قال: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ."

انظر إلى كمِّية الخير التي يوسف عليه السلام نسبه إلى الله تعالى تأدُّبًا مع الله. ونتعلم من يوسف عليه السلام أن ننسب الخير إلى الله سبحانه وتعالى وهذا ما تعلمه من يعقوب.

هنا نرى تطبيقًا عمليًا للدرس القديم الذي تعلَّمه من سيدنا يعقوب، لما قال له:

"وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ."

تربى يوسف عليه السلام أن ربنا هو الذي يُنعم علينا وكل شيء جميل هو من الله وأي شيء من شرٍّ يأتي من الشيطان. كما قال:

"لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ."

فينسب كل خير إلى الله وأي شر ينسبه للشيطان تأدبًا مع الله سبحانه وتعالى.

فانظر كم نِعمة نَسبها لله:

"هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا."

بل وتأمَّل في قوله "ربي" هذه! ما قالش: "قد جعلها الله"، أو "قد جعلها ربنا". لا، قال: "ربي"، أنا ربي.

تستشعر الخصوصية والعلاقة الخاصة بين يوسف عليه السلام وبين الله وهذه العلاقة أسسها يعقوب من قديم، حين قال: "وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ" لم يقل ربنا بل رَبُّكَ يعني العلاقة الخاصة الود الولاية بينه وبين الله سبحانه وتعالى.

فلما يشهد هذا، تجده حتى في تعبيره، يشعر بخصوصية بينه وبين ربنا فيقول:

"ربي"، كأنه يقول: ربي أنا، الذي يربيني أنا، وليي أنا، " قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا"

الله أكبر!

ثم قال: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ."

ولم يقل "أدخلني السجن" تأدبًا مع الله رغم أن دخول السجن في الظاهر شر وإن كان في الباطن خيرًا فدخول السجن كان سببًا في وصوله إلى الملك لكنه حتى لما كان ظاهره شرًّا فليس من الأدب أن ننسبه لله.

فذكر النعم التي ظاهرها خير، فقال: " أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ."

وفي هذا أن الخروج من السجن نعمة من الله وأن السجن ابتلاء لا يتمناه أحد ودائمًا الإنسان يسأل الله العافية.

والخروج من السجون نعمة نسأل الله أن يفرّج هم كل مسجون ظلمًا يا رب وأن يُحرر أسرى المسلمين عند الكافرين وأن يفرّج همَّ كل مسجون ظُلم ويُعجّل بفكِّ أَسرِه. اللهم آمين.

قال: "وَجَاءَ بِكُم" ما زال ينسب لله هذا الجمال، "وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ."

"البدو" يعني الصحراء، البادية. والانتقال من البادية إلى المدينة نعمة.

لأن البادية تُكسب الإنسان جفاءً وقسوةً أحيانًا.

النبي ﷺ قال: "من سكن البادية جفا" يعني فيه حدة وقسوة وغلظة.

لأن ظروف الحياة القاسية تُنتج شخصية فيها صلابة وقلة التعامل مع الناس ومع نماذج مختلفة من البشر تجعل الشخص ضيق الصدر في التعامل.

أما أهل المدن فيكونون أكثر تعاملًا وعندهم سعة صدر وهدوء في القرار وأصواتهم أقل ارتفاعًا من أهل البادية وقلوبهم أرق فالسكن في المدن أفضل من البادية.

قال:

"وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي."

يا الله! شوف يوسف عليه السلام على وعده وقال لإخوته: "ما فيش خلاص مش هعاتبكم تاني" فدلوقتي عايز يقول إن ربنا أكرمنا برضه بس هيقول بطريقة ما يحرجش بها إخوتُه أبدًا.

ليس بلومٍ حَرِج ولا يلمّح ولا يفتكرهم باللي حصل أبدًا فنَسَبَ كُلَّه للشيطان ما قالش: "من بعد ما إخوتي عملوا فيّ"، "من بعد ما إخوتي حاولوا يقتلوني"، وكانوا سبب في سجني ولا أي حاجة للشيطان كل حاجة: من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبدأ بنفسه كمان!

يعني شوفوا الأدب وشوفوا مراعاة المشاعر ما قالش: "بين إخوتي وبيني"، حتى قال: بيني وبين إخوتي رغم إنه هو البريء من كل شيء بس علشان ما يحرجش إخوتُه من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي.

يا الله على الجمال! يعني قد إيه الإنسان بيحب سيدنا يوسف بعد ما يشوف أخلاقه الجميلة دي وحتى كلماته اللي بيختارها بعناية.

وطبعًا هو اتعلم من يعقوب عليه السلام نسبة الشر للشيطان لما قال له:

{لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ.}

وقلنا ساعتها إن يعقوب عليه السلام ربّى في يوسف حاجة جميلة هي اللي نفعت دلوقتي إن عداوتك الحقيقية مش مع إخوتك، إخوتك ممكن ينصلح حالهم لكن عداوتك الحقيقية مع الشيطان اللي مش ممكن ينصلح حاله والآن بيجني ثمار هذه التربية : من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي.

»» في الفائدة:

"كل من يحاول أن يُفرّق بينك وبين إخوتك، هو شيطان، فلا تتّبعه."

ثم قال يوسف عليه السلام:

{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ}

ياه، ياه، ياه على ربط يوسف عليه السلام لقلوبنا بالله سبحانه وتعالى وهو بيقول:

{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ}

يعني إيه "لطيف"؟

* قالوا: هو الذي يُوصل للعبد مصالحه ويُوصله للدرجات العالية من خلال أمور يكرهها.

* وقيل: هو الذي يُدبّر لعبده الأمر في الخفاء وبأسباب لا يتخيّلها ولا يشعر بها لأنه عليم بعواقب الأمور سبحانه وتعالى.

فهذه القصة خصوصًا مليئة بأنواع اللطف الخفي والأسباب العجيبة لحصول ما قَدَّره الله عز وجل التي في بدايتها يظنّ الظانّ أنها تؤدي إلى نتائج عكس ما وقع.

تأمل:

- لقد جعل الله إلقاء يوسف في الجب راحةً له من همٍّ وغمٍّ وحسد إخوته،
- وجعل بيعه رقيقًا – الذي ظاهره الذل والهوان – تمكينًا له في الأرض، في حياةٍ رغيدةٍ هنيئةٍ بعيدًا عن قسوة البادية وجفاء الإخوة،
- وجعل السجن طريقًا إلى المُلك،
- وجعل مكر إخوته سببًا لفشلهم فيما أرادوا،
- وجعل الكرب الذي أصاب يعقوب عليه السلام، وتضاعف عليه، سببًا في الفرج،
- وجعل القحط والجدب الذي أصابهم سببًا للسعة والرخاء والعافية.
- وقدّر الله تعالى من الأسباب لما يشاء ما تعجز العقول عن إدراكه.

فاللطف فيه معنى الخفاء مع الإحسان والتفضّل.

فالله لطيف بعباده يرزقهم من حيث لا يحتسبون ومن حيث يحتسبون ويمنّ عليهم بفضله من حيث لا يشعرون، بل من حيث يظنون أنه حرمان وضرر فإذا به نفع وعطاء وخير .الله أكبر!

بل نقول: تأمل في حياتك أنت بقى أنت وتذكّر الآن: كم لله من لطفٍ خفي في حياتك؟

في أحداث كثيرة الآن بتفتكرها بتقول:

"ياه، فعلًا! ده لما رُحت الكلية الفلانية، كنت زعلان قوي، وهي دي السبب في الخير اللي أنا فيه دلوقتي."

"ياه! ده لما دخلت الجيش، كنت فاكر إن ده أسوأ أيام حياتي سبحان الله بسببها اتعرفت على فلان"...

"أنا كنت فاكرة في الأول إن مثلًا إن ابني لما تعب، زعلت وبتاع، سبحان الله، ربنا عوّضني بكذا"...

هتفتكر دلوقتي شبكة من التدبيرات الربانية إنك وصلت هنا إزاي دلوقتي؟

خد بقى دي: ده اللي انت أدركته وما خفي كان أعظم.

فتأكد أن لطف الله بك يحصل في كل لحظة سواء شعرت أو لم تشعر.

فاجتهد في الشكر قدر ما تستطيع.

كم دفع عنك من الشر وكم يسّر لك من الخير،

كم ساق اللطيف من خيرات على بساط الابتلاءات.

{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِما يَشاءُ}

من الفوائد :

" النهايات المُشرقة لها بدايات مُحرقة. "

النهايات المُشرقة السعيدة اللي إحنا شايفينها دي لها بدايات مُحرقة.

فيبدأ الأمر بشدة في الأول ثم يأتي الفرج وتأتي النهايات الجميلة.

ستنصلح حياتك حين تعرف ربك بأنه الذي أحسن إليك وحين تعرف أن كل شر يأتيك من الشيطان فتحذره، فتُطيع الذي يُحسن إليك، وتتبرأ من عدوك الذي يريد لك كل سوء....

ثم ختم يوسف عليه السلام كلمته، قال: إن ربي لطيفٌ لما يشاء إنه هو العليم الحكيم فاكرين الاسمين دول؟ الاسمين دول هو اللي اتعلَّمهم من يعقوب عليه السلام زمان لما قال له:

{وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

من زمان يوسف عليه السلام متعلق بالاسمين دول ويعلم أن كل التدبير ده ناتج عن علم، علم الله بعواقب الأمور، وعلم الله بالغيب، وناتج عن حكمة، أن ربنا حكيم يضع الشيء في موضعه وكل أفعاله وأوامره هي ناتجة عن حكمة وما يخطئ سبحانه وتعالى وما ينسى سبحانه وتعالى فهو العليم الحكيم.

فالإنسان بيفسر حاجات كتير قوي في حياته حتى لو هو مش فاهمها دلوقتي بيقول: إن ربك عليم حكيم خلاص وبينتهي الأمر لو أنا فهمت كويس ولو مفهمتش يكفيني أن الله عليم حكيم سبحان الله.

ثم يقولون: يوسف عليه السلام خد جنب بقى وبعد عنهم شوية وبدأ يتوسل إلى الله تعالى ويدعي ربنا بقى علاقة خاصة بينه وبين ربنا يقول: ربي قد آتيتني من الملك. يا سلام! يعترف بقى لله بكل شيء ويبُقِر له بكل فضل ويُثني على الله بما هو أهله.

يقول لك: إذا ارتفعت منزلتك، وعلا قدرك، فلا تنسب الفضل لنفسك، ولا تنس أن تنسب الفضل لله تعالى.

سيدنا سليمان قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر

وقارون قال: إنما أوتيته على علمٍ عندي.

وهذا يوسف عليه السلام على درب الصالحين والأنبياء يقول: ربي قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث.

الإنسان لما يشهد كده، بيتعلق قلبه بالله قوي آتيتني من الملك علّمتني كل ما تعترف لربنا بالفضل يزيدك وكل ما تنسبه لنفسك يقل منك.

{ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ } ثم قال: { فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } فاطر: يعني الذي خلقهم على غير مثالٍ سابق.

يعني دايمًا الإنسان لما بيعمل حاجة مثلاً بيقلد تلاقي العربية شبه الحيوان تلاقي المركب شبه البطة تلاقي الطيارة شبه الطائر. ربنا فطر خلق كل المخلوقات دي بدون أي مثال سابق وهذا الإبداع: فاطر السماوات والأرض وهذا يدل على كمال القدرة كمال العلم كمال الحكمة فكل ده يخلي الإنسان يفوّض أمره لله الذي فطر السماوات والأرض.

وبالتالي هيقول من قلبه : { أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ }

يعني أنت الذي تتولى أمري أنت الذي تُنعِم عليّ وتكرمني أنت الذي تأخذ بقلبي إليك أنت الذي تقوم على أمري وبالتالي لا يمكن أن أرجو سواك ولا أتوكّل على سواك أنت الذي أعدّه لفاقة حاجتي في الدنيا والآخرة أنت الذي أرجو أن يتولاني في الدنيا برحمته فأخرج من الدنيا بحُسن خِتام وأن يتولاني في الآخرة برحمته فأدخل الجنة بغير حساب عشان كده طلع بقى بعديها قال:

{فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}

وشوف بقى في المعنى الجميل دوت وقلبه وهو متعلق بربنا "ربي" كلمة "ربي" دي بيقولها في كل مكان يعني يوسف عليه السلام حتى قبل السجن {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ} في المُلك: ربي قد آتيتني من المُلك قلب عجيب تعلق بالله سبحانه وتعالى.

فائدة :

»» إذا تكاثرت عليك نِعَم الله فلا تغتر، واستمر في الفقر فإن النعم قد تزول في لحظة واحدة ولا يُبقيها إلا الفقر والشكر فالزَم عتبة الفقر وأكثر من الشكر يُختم لك بخاتمة السعادة.

وقول يوسف عليه السلام: " أَنتَ وَلِيِّي " فيه معنى خطير جدًّا عارف ليه هنا قال بالذات " أَنتَ وَلِيِّي "؟ أنت الذي تتولى أمري أنت اللي بتنصرني أنت اللي بتهديني أنت اللي بتدبر أمري لأنه رأى أن حواليه كل أسرته خلاص: الأب والأم والإخوة والعيلة الإنسان في الحالة دي بيتعزّز بالناس اللي حواليه وممكن يعني الشيطان يوهمه أن دول اللي بينصروني دول اللي هيساعدوني أنا كده ليّ عزوة فأراد أن هو يعترف لله: مهما كان حواليا ناس أنت وليي في الدنيا والآخرة يا الله!

وبعد كده رفع إلى الله الطلب الأعظم على الإطلاق قال :

{ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}

والله العظيم الإنسان يقف قدّام المشهد ده بيتضائل كده بيشعر أنه قزم، ياه! يوسف عليه السلام! هي دي أقصى أحلامك ؟ يااااه يوسف عليه السلام بعد كل البطولة اللي عملتها في القصة دي بترجو من الله أنك تموت مسلم؟!

الإنسان بيتحطم عنده كل عُجب بعمل كل عمل شايفه يعني أنه عمل حاجة للدين ولا أي حاجة ده يوسف عليه السلام بعد كل ده بيقول: "يا رب أموت مسلم"، "يا رب ألحقني" عارف يعني إيه: وألحقني بالصالحين؟ يعني خليني آخر واحد.

إيه التواضع ده؟! يا مَن تظن نفسك صالحًا! يا مَن تتباهى بدراستك وعلمك وختمتك وإجازاتك...

سيدنا يوسف بيقول: "الحقني بالصالحين" وقد قالها قبلَه مَن هو خيرٌ منه: إبراهيمُ عليه السلام لما قال في دعائه الشهير:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

بل قال أصعب من كده: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

فمَن يأمن على نفسه بعد دعوة يوسف وبعد دعوة إبراهيم عليهما السلام؟!

كيف يعد الإنسان نفسه صالحًا بعد ما رأى أن أُمنية يوسف عليه السلام وأُمنية إبراهيم عليه السلام أن يُلحَق بالصالحين؟! عجبًا والله!

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾...

* إياك أن تظن أنك تملك ذلك.

* إياك أن تظن أنك تملك أن تموت على الإسلام.

* إنما مهما طالت مدة صلاحك سيظل الموت على الإسلام هو منّة من الله سبحانه وتعالى لا تدري... لا تأمن من مكر الله.

"إن الرجل ليعمل زمانًا بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها."

فالإنسان يرجو من الله أن يثبّته وكان من دعاء النبي ﷺ:

"اللهم يا مُقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك".

ويقول:

"اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكّني الإسلام حتى ألقاك عليه".

فمَن يأمن؟

فأكثروا من الدعاء بالثبات.

أكثروا من الدعاء بحُسن الختام.

إذا كان هذا طلب الأنبياء أمال إحنا المفروض نعمل في نفسنا إيه؟

ويشهد الإنسان فعلاً أنه مهما ربنا أدّاله: أدّاك مُلك، أدّاك أولاد، أدّاك مناصب، أدّاك شهادات...

سيظل أعظم منّة ربنا أنعم بها عليك: أنك مسلم.

وتمام المنة: أنك تموت مسلمًا.

والفضل الزائد: أنك تُلحَق بـمَن؟ تُلحَق بالصالحين.

فلن يصل الإنسان إلى الوعي التام، والعلم التام، حتى يُدرك أن أعظم نعمة عليه أنه مسلم فقط.

كونك على التوحيد، وكونك على الاستقامة، هذه أعظم شيء.

أعظم الكرامة دوام الاستقامة.

فالإنسان يعرف إن دي أعظم منّة، فيقول: "يا رب، ما تحرمنيش منها."

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

لا شك أن الجنة هتبقى أحلى لما نبقى مع الصالحين.

بل الدنيا بتبقى أحلى لما نبقى مع الصالحين.

هم دول اللي بيهوِّنوا علينا الدنيا.

وكان ابن مسعود يلقى أصحابه فيقول: "إخواني، أنتم جلاءُ أحزاني."

وكان أحد السلف يقول: "لولا ثلاث، ما أحببت البقاء في الدنيا: لولا صلاة الجماعة، ولولا قيام الليل، ولولا لقاء الأحبة في الله، والله ما أحببت البقاء في الدنيا."

الصالحون هم دول اللي بيهوِّنوا علينا الحياة وهم دول اللي هيخلوا الجنة أجمل وأجمل لقاء الصالحين!

فكيف بلقاء الأنبياء يوم القيامة؟!

كيف بلقاء الأنبياء في الفردوس الأعلى؟!

يا رب ارزقنا!

أكيد هتبقى أيام جميلة قوي حين نلتقي بالأنبياء في الفردوس الأعلى.

يا رب ارزقنا يا رب ولا تحرمنا: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

الله أكبر!

الصالحون لا يشقى جليسهم، هم القوم لا يشقى جليسهم.

سبحان الله!

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

أكثروا من هذه الدعوة.

والدعوة دي مش إن يوسف عليه السلام تمنى الموت لا.

يوسف عليه السلام هنا بيقول: يعني إذا جاء أجلي... حين يأتي أجلي:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

مش بيقول: "يا رب، أموت دلوقتي."

وإلا ففي نهي عن إنسان يتمنى الموت إلا في حالة استثنائية جاءت في الشريعة: إن الإنسان يخشى أن يُفتن في دينه لو حاس إن فيه فتن حواليه جامدة أوي وخشي أن يُفتن في دينه فله أن يطلب من ربنا الوفاة كما جاء في الحديث:

"وإن أردتَ بالعباد فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون"

لكن هنا حالة مختلفة ده يوسف هنا دي ساعة العز والفرج وكل حاجة خير.

فهنا يوسف عليه السلام مش بيتمنى الموت وإنما بيقول:

يعني إذا جاء أجلي حين أصل للأجل يا رب،

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

ثم قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

هنا من أول الآية دي لغاية الدرس القادم نعتبر دي ثمرات القصة بقى.

القصة خلصت خلاص وإحنا بنجني الثمرات.

أول ثمرة للقصة أن هذه القصة دالّة على نبوة النبي ﷺ. ليه؟

كيف عَرَفَ النبي ﷺ كل التفاصيل دي؟

فدي أول نتيجة من نتائج القصة.

القصة دي من دلائل النبوة.

لأن العرب ما كانتش تعرف قصة يوسف عليه السلام طب هو عرفها منين ﷺ؟ ما هو ما بيقراش ولا بيكتب ولا كان عنده كُتب أهل الكتاب ولا حد من أهل الكتاب علّمه ولا ثبت لقاؤه بأحدٍ من أهل الكتاب للتعليم.

عرف منين القصص دي؟

لا يمكن أن يكون عَرَف القصة دي إلا بوحيٍ من الله خاصةً إن أهل الكتاب ما أنكروش القصة دي لما نزلت ولا حد استدرك عليها بل أكثر من كده ربنا قال له:

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

قصة سيدنا موسى عارفها منين؟

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...﴾.

فهي إذًا... كل ده جابه منين؟ كل قصص الأنبياء اللي أتى بها النبي ﷺ بهذه التفاصيل هي دالة على صدق النبي ﷺ ودالة على نبوّته.

إذًا ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ لا يوجد مصدر آخر لمعرفة هذه القصة بتفصيلها الدقيق إلا من الله وبالتالي هذا دليل على صدق نبوّة النبي ﷺ.

ثم قال: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

وفيه بيان أن أهل الباطل لو اجتمعوا كلهم عشان يمكروا بأهل الإسلام فإن الله ناصر أهل الإسلام ومبطل مكر الماكرين ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

كل مكر إخوة يوسف ما جابش نتيجة الحمد لله ربنا عفا عنهم في النهاية لكن مكرهم ما جابش النتيجة المرجوة منه أبدًا وكل حاجة مشت في عكس الاتجاه تمامًا.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾

﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فليطمئن الإنسان فإن مكر الماكرين يُقابل بمكر من الله سبحانه وتعالى

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وبص ﴿أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ تذكّرك بقول النبي ﷺ:

"واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك."

ثم قال تعالى:

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

هنا بيان للنبي ﷺ أن بعد كل ذلك تظل قلوب الناس بيد الله سبحانه وتعالى.

»» خدوا بالكم السورة مكيّة وبتنزل على النبي ﷺ في أيام صعبة بعد وفاة خديجة رضي الله عنها وهو يتعرض للصدّ والإعراض فده كله يطمئنه ويُسليه ويقول له: هذا هو الطبيعي فغالب الناس لا يؤمن وغالب الناس لا يستجيب لدعوات الأنبياء.

فبتخلي الأمر يهون عليه وتُشجّعه أن يستمر فهذه سنة من سنن الله في خلقه.

وسبحان الله!

ترسل هذه الآيات رسائل مهمة :

- لا تزهد في القِلّة فالله ينصر هذه القلّة.
- ولا تغتر بالكثرة فأكثر الناس ليسوا على الإيمان.
- لا تُقِس الحق بالكثرة فلو كل الناس يعملون الخطأ سيظل الخطأ خطأ، ويظل الحرام حرامًا ولو فعله الجميع ويظل الحق حقًا ولو عمل به القليل.

ومن الفوائد الجميلة:

»» ألا يتعلّق قلبك بالنتائج وإنما عليك بالعمل والأخذ بالأسباب والنتائج على الله.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

»» لا توقف العمل بسبب قلة النتائج ليس مطلوب منك نتيجة أصلا.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾

فالداعية يسعى حصل استجابة فالحمد لله ما حصلش يكمل.

ولك في من سبقك من الأنبياء أُسوة يأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد! تخيّل! ولا واحد استجاب له ومع ذلك كمل الدعوة للنهاية.

فالإنسان إذا كان يبذل وسعه في الدعوة ويبلغ البلاغ المبين فليفوّض أمره إلى الله ويعلم أنه مأجور على كل حال سواء استجاب الناس أم لا.

ومن فوائد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾

أن الداعية لا بد أن يكون حريصًا على هداية الناس لا مجرد ناقل كلمات أو خطب لازم يظهر في كلامه إن قلبه على المستمع وإنه يتمنى له الهداية لأن المستمع يشعر بذلك ويحس إنك صادق وإنك مش بس بتتكلم وخلاص.

﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ تعلم الداعية أن يكون عنده هذا الحرص.

»» وصف الله النبي ﷺ:

﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

فينبغي للداعية أن يكون حريصًا على هداية الناس ثم في النهاية إن اهتدوا فالحمد لله وإن لم يهتدوا فالله يهدي بعلم ويضل بعلم ولا اعتراض على اختيار الله ولا على حكمته سبحانه وتعالى.

فنحن نرجو من الله القبول وندعو الله أن يجعل لدعوتنا أثرًا واستجابة ولكن نفوّض الأمر في النهاية إلى الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

نحن بالتأكيد لسنا أفضل من الأنبياء.

وكده انتهت فوائد هذه المرة والمرة الجاية غالبًا ستكون المرة الختامية لهذه السلسلة المباركة وسنرى فيها ثمرات كثيرة وفوائد عظيمة في نهاية القصة.

والصفحة الأخيرة من أخطر الصفحات ومن أهم الفوائد التي نجدها إن شاء الله في الدرس الأخير.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

المحاضرة الرابعة عشر
في قصصهم عبرة

بسم الله والحمدُ لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلاً ومرحبًا بكم في اللقاء الختامي والأخير لهذه الدورة الطيبة المباركة: دورة "تعلمت من يوسف عليه السلام". كانت دورة طيبة مباركة، ربنا يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

النهارده بإذن الله سبحانه وتعالى معنا الصفحة الأخيرة من هذه السورة الطيبة المباركة قد يتصور البعض أن الصفحة الأخيرة يعني خلاص القصة انتهت يعني مش هيكون في فوائد زي كل مرة لكن مفاجأة: الصفحة الأخيرة تحمل خلاصة السورة وأعظم الفوائد التي فيها، والمنهج اللي إحنا هنمشي عليه.

يعني خلاص هي السورة خلصت أو القصة خلصت ودي الخلاصة. دايمًا خواتيم السور أو آخر صفحة في أي سورة، كده تأكد إن فيها يعني أهم شيء وخلاصة الخلاصة، وفيها بتجمع لك أهداف للسورة من خلال مجموعة من القواعد والسنن. فالنهارده هنستمتع جدًا باللقاء الأخير نسأل الله التوفيق والتيسير.

المرة اللي فاتت انتهينا من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ والنهارده بإذن الله تعالى سنبدأ من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ إلى نهاية السورة. يعني من الآية ١٠٤ إلى الآية ١١١:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا

نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

هذه الآيات الكريمة من هذه السورة المباركة سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تحمل لنا خلاصة القصة، فوائد كثير وقواعد كثير هنتكلم عنها بإذن الله تعالى النهارده.

طبعًا المرة الماضية كنا اتكلمنا على قوله: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وكان أصلًا يعني ختام السورة يتناول قضايا مهمة:

- قضية الدعوة إلى الله كمنهجية، وطريق، وأثر، ونتيجة،
- قضية الابتلاء،
- قضية علو الهمة،
- قضية سنن ربنا في الطريق إلى الله، في طريق الدعاء، كل آية تتناول زاوية.

الآية الماضية: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بتمهد لك إن طريق الدعوة ليس بطريق هين، ليس طريقًا سهلاً، فتبذل أقصى ما عندك، وفي الآخر أتباع الحق هم قليل، وأكثر الناس يعرضون عن الدعوة، وأكثر الناس سيتبعون الباطل.

وبالتالي لا يبتئس الدعاة، ولا ييأسوا، ولا يعوّلوا على النتائج، ولا تكون همتهم مرتبطة بالنتائج، وإنما يعملون ما عليهم، ويعلمون أن ﴿ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ و﴿أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾، وأنهم مأجورون على كل حال، فقلّة الاتباع لا تحبطهم أبدًا، ولا يُقاس عندهم الحق بكثرة الاتباع، فأكثر الناس لا يعلمون، وأكثر الناس لا يعقلون.

ثم تأتي الآية التي نبدأ بها، قوله تعالى:

﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

ترسم لنا قاعدة تانية : وهي أن الدعاة إلى الله ينبغي ألا يأخذوا على دعوتهم أجرًا، وأن هذا أقرب لقبول دعوتهم، وأنه ينبغي للدعاة أن يتنزهوا عن أموال الناس، فإن هذا يجعل دعوتهم أقرب إلى المصداقية في قلوب الناس، ويجعلهم في حال من التجرد.
يعني مافيش حد بيضغط عليه مثلًا بالأموال بحيث إنه يقول ما يريد أو يغير فتوى حسب هوى الشخص الذي يدفع له المال، أو يشعر الداعية أنه تابع لصاحب مال، بل ينبغي للدعاة أن يحرصوا على التجرد، ويحرصوا على الاستقلالية، ويحرصوا أن يكون المال لا في أقوالهم، ولا في أفعالهم، ولا في اختياراتهم.
إن هذا يجعل لهم سلطانًا أدبيًا على الناس، وليس لأحد سلطان عليهم، وهذا مهم جدًا للدعاة والعلماء: أن يُنزِّهوا عن أموال الناس وزي ما قلنا، إن دُه عادة أقرب للمصداقية وأقرب إن الناس يصدقوا دعوتهم ويتأثروا بها حين يعلموا أنهم لا يأخذون على ذلك أجرًا.

لذلك كان حتى الأنبياء بيستدلوا على صدقهم بقولهم لقومهم: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. صح؟ يعني: أنا لا أكلّفكم شيئًا .

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]

يعني: هل طلبتَ منهم أجرًا فيشعروا بثقل دعوتك على قلوبهم بسبب ما تطلب منهم؟ لا.
طيب، ليه بتعمل في نفسك كل ده؟ النبي ﷺ كان رجلًا شريفًا في قومه، وكان قومه يحبّونه، وكانوا يقولون عليه: "الصادق الأمين."
ثم دعا بدعوة استجلبت له كل أنواع الابتلاءات، والسبّ، والطعن، والإيذاء البدني والنفسي.

طب مقابل ماذا؟ عرضوا عليه الأموال، رفض. عرضوا عليه المناصب، رفض. عرضوا عليه النساء، رفض. عرضوا عليه كل شيء، فرفض.

يبقى بيعمل كده ليه؟ يبقى ما فيش إلا إنه صادق.

إنما يحمله على ذلك أنه فعلًا بيدعوا إلي حق. فده بيدي مصداقية بقى عند المجتمع.

لذلك الأنبياء بيستدلّوا على صدقهم بكده تقول: "أنا ما طلبتش منك حاجة"، وفي نفس الوقت بتحمل متاعب هائلة.

تفتكر ليه؟ إلا إني أكون فعلًا بأدعوك إلى حق.

لذلك حتى مؤمن آل يس لما أراد أن يدعو قومه إلى اتباع الرسل، قال:

﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١]

يا سلام! شوف فقه مؤمن آل يسين!

" اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا " افهموا بقى، هم ما طلبوش منكم حاجة يبقى بيعملوا في نفسهم كده ليه؟ إلا إنهم يريدون لكم الخير والحق.

﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ يعني مش بس...

يكفي إنه ما بيسألش، بس هو نفسه مهتدٍ، هو اللي بيدعو إليه بيلتزم به

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ دي مهمة قوي.

لأن في ناس تانية بيستغلوا القاعدة دي علشان يُضلّوا الناس.

اللي هي قاعدة إيه؟ "اللي ما بياخدش أجر" الناس بتثق فيه.

زي مين؟

* زي المنصّرين،اللي بيشتغلوا في التنصير تلاقيهم بيسافروا إفريقيا يسافروا دول العالم ويدّوا الناس خدمات مجانية ويعلّموهم الدين، وما ياخدوش أجر فالناس تُفتن بهم، يقولوا يبقوا صح.

"بصوا بيعملوا لنا خدمات ما بياخدوش عليه أجر يبقى دينهم صح" فالناس تدخل في دين النصرانية.

* أو بعض الدجّالين اللي عايز يسوّق لنفسه أو السحرة فيقدّم للناس بعض الخدمات المجانية في الأول فالناس تفتكره على الحق وتفتكره راجل تقي وصالح ويوهمهم إنه صالح وإنه بيستعمل الوحي والكلام ده وهو دجّال بيستعين بالشياطين.

بس اللي غرّ الناس إيه؟ إنه ما بياخدش أجر.

لذلك مش الفكرة إنه ما بياخدش أجر بس، بص مؤمن آل يس قال إيه؟

﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

يبقى الشرط الثاني: الهداية.

علشان أقول إنّك تمام يكون متوفّر شرطين:

- لا تأخذ أجرًا
- وأنت في نفسك مهتدٍ.

وبالتالي يخرج من القاعدة المنصّرون لأنهم ليسوا على هداية إنما يدعون إلى عبادة المسيح وعبادة مريم وإلى التثليث.

ويخرج من ذلك الدجّال اللي بيدّعي علم الغيب أو يطلب شيئًا من الشركيات أو يتكلم بالطلاسم قدّامنا.

وبالتالي لا يتوفّر له شرط المصداقية.

فالفكرة مش بس عدم أخذ الأجر.

بس أنا بقول إيه؟ إن أهل الباطل، حتى عشان فهموا القاعدة دي، بيلعبوا عليها،

إنه يقول لك: "ما باخدش أجر، وبالتالي الناس تصدقني."

وبعد كده بياخد أجر على فكرة يعني بشكل تاني، أو بطرق تانية، بيحتال عشان يوصل له مقابل مادي مقابل دعوته دي، بس مش في البداية، ومش هيعمل كده في الأول.

طب أولى من كده الفكرة بقى؟ أولى من كده أهل الحق.

أهل الحق، طالما عرفوا إن أهل الباطل يستثمروا ده، إنهم يروّجوا الباطل اللي عندهم،

يبقى الأولى إن هم يجتهدوا إنهم ما ياخدوش على ذلك أجر.

مع إنهم عندهم ميزة تنافسية، وهي إنهم:

* مهتدون

* ويدعوا إلى التوحيد ويدعوا إلى الشريعة الخاتمة وملتزمون بما يقولون ودعوتهم ظاهرة في أخلاقهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وطباعهم...

فاجتماع الاثنين دول، بيخلي دعوتنا رهيبة، تنتشر بسرعة رهيبة.

الناس مش حاسة إن إحنا بنرهقها ماديًا، زائد إن إحنا فعلًا بنقدم نموذج صالح، نموذج قدوة، اللي بنقوله بنعمله.

ده تأثيره رهيب جدًا، مع إن إحنا بنلعب على فطرة الناس، اللي هي بتميل للتوحيد، وبتميل إلى الشريعة الإسلامية المتفقة، المتّسقة مع النفس.

وبالتالي، دعوتنا المفروض يعني تنطلق جدًا جدًا جدًا.

طيب، كلامي في الموضوع ده، برضوا عشان نبقى منضبطين شوية:

أنا بقول "ينبغي للدعاة ما ياخدوش أجر."

هل معنى كده إنه حرام حد يأخذ أجر؟

مثلًا: حد بيحفظ قرآن؟ هل حرام يأخذ أجر؟ لا، طبعًا.

النبي ﷺ قال: "إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله" رواه البخاري

يعني: يجوز إنسان بيحفظ قرآن يأخذ أجر.

ممكن حد مثلًا بيعلم شخص بعض العلوم الشرعية، فأخذ من ذلك مقابل، يعني نقول: ده مش حرام.

إذا فرغ وقت، وإذا كان بيعلّم علمًا ما، مثلًا، أو هو مدرس لبعض المواد الشرعية، فيأخذ مقابل ذلك أجر أنا مش بقول حرام.

بس بقول: إذا استطاع الدعاة أن هم يتكسبوا من مصدر آخر خلاف دعوتهم، هو أفضل وأرجى لقبول دعوتهم وده أكثر تأثيرًا عند الناس وله واقع خطير عند الناس.

يقول لك: "فلان ده ما بيأخذش أجر"، حتى بعض الناس مثلًا، بعض الناس اللي بترقي أخذ الأجر على الرقية حلال على فكرة يعني لو واحد راقٍ وطلب منك أجر حلال.

بس بعض الناس مثلًا يقول لك: الراقي ده أحسن من ده، تقول له ليه؟

يقول لك: ده ما طلبش مني فلوس ده طلب مني فلوس.

فتخيل تشوف الناس، رغم إن اللي طلب فلوس ما عملش حاجة غلط، وممكن يكون هو أفضل من اللي ما طلبش فلوس، بس هو الناس ربطتها بالمقابل.

قال لك: ده ما خدش مني حاجة، أكيد ده أحسن.

فطالما الناس بتشوف كده، يبقى إحنا نحاول قدر المستطاع ننزّه دعوتنا عن الأجر، علشان نكون أكثر تأثيرًا في الناس.

علشان كده أنا ربطت لكم الموضوع ده بانتشارنا، صح؟

بُصّ الآية بقى بتكمل معاه إيه:

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]

آه، إمتى بقى ننتشر؟ لو دعوتنا مجانية، متاحة دائمًا، متاحة للجميع أي حد يقدر يوصل لنا أي حد يقدر يسمعنا أي حد بنقدّم له خدمة الدعوة دعوة إيه؟ دعوة مجانية.

وبالتالي نوصّل للعالمين، "ذِكرٌ للعالمين."

وبالتالي لو يعني الموضوع ده بيخلّينا ننتشر بكل قوة، وبكل سهولة...

الوقفة الثانية معنا هنا، في... إحنا لسه بنتكلم على خواتيم السورة وهي بتصوّر لنا الدعوة.

الدعوة هنا كلمة: "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ "، بتحطّنا على حجم المهمة اللي إحنا المفروض نشتغل عليها، إن إحنا يا جماعة "ذِكرٌ للعالمين."

هذه دعوة... دعوة الإسلام، دعوة عالمية.

أنا مش بكلم مصريين، مش بكلم سوريين، مش بكلم يمنيين، أنا بكلم العالم كله.

مش بكلم منطقتي، مش بكلم مسجدي، مش بكلم الأشبال اللي عندي، مش بكلم في الدار بس.

أنا المفروض الكلام اللي أنا بقوله ده يوصل لكوريا، واليابان، وأمريكا، وجنوب إفريقيا، والقبائل اللي في قعر إفريقيا، وتوصل لناس في أمريكا الجنوبية.

إنت متخيل المهمة عاملة إزاي؟ لازم نعيش إن دي المهمة.

المفروض الدين ده يوصل للعالمين.

لأن النبي ﷺ له ميزة مش موجودة عند حد وهي أن دعوته دعوة عالمية

وأن الله سبحانه أرسله رحمة للعالمين.

والنبي ﷺ قال: "أُعطيتُ خمسًا لم يُعطَهن أحدٌ قبلي... كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس كافة" (رواه البخاري ومسلم)

والنبي ﷺ قال: "والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أهل النار" (رواه مسلم)

إذًا دعوته عالمية.

وفي القرآن:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]

من الحاجات اللي لازم نستشعرها: أن دعوتنا عالمية.

طب لما أستشعر كده، يفرق معايا في إيه؟

يفرق معايا في الإعداد يفرق معايا في التخطيط، يفرق معايا في إن أنا أفكّر إيه اللي ممكن يتعمل؟

لو أنا بفكر بس إن دعوتي قاصرة على مسجدي اللي تحت بيتي هشتغل على قد الهدف.

لو دعوتي قاصرة على منطقتي، هشتغل على قد الهدف.

لو دعوتي قاصرة على المتحدثين بالعربية، هشتغل على قد الهدف.

لكن لما أعرف إن أنا المفروض أوصل لكل العالم ده، بكل اللغات دي، هبتدي أعدّ العدة.

مش ضروري إني أعمل كل حاجة، بس لازم كلنا نكون على قد المسؤولية، لأن المسؤولية دي فرض كفاية.

لازم يوجد منّا من يقوم بهذا الفرض.

مين هيوصل دعوتنا لكوريا؟

مين هيوصل دعوتنا للبرتغال؟

مين هيوصل دعوتنا لفنزويلا؟

مين هيوصل دعوتنا لرواندا؟

لغات، وأحوال، وناس، وسفر، وأموال، وإنفاق...

استعد لهذه المهمة العالمية.

تقول لي: "إحنا فين، والموضوع ده فين؟ ده إحنا مستضعفين، ده إحنا بالعافية بنتكلم! ده إحنا مش عارفين ندي درس في مسجد"!

نقول لك: وإن يكن!

خد بقى الفائدة دي:

سؤال: الآية دي اتقالت فين؟ في سورة يوسف، سورة مكية.

نزلت فين؟ نزلت في وقت من أصعب الأوقات على النبي ﷺ من أكتر الأوقات اللي كان فيه تضييق عليه عليه الصلاة والسلام.

فهمت حاجة؟ فهمت إيه؟

فهمت إن ربنا قال له وهو يعني مضيَّق عليه جدًا بيتقال له في اللحظة دي: دعوتك عالمية دعوتك هتوصل للعالم كله.

فحتى لو أنت دلوقتي مش قادر بس لازم يكون الهدف واضح في نفسك وتبتدي تستعد له من دلوقتى.

آه مفيش إمكانية دلوقتى، مفيش قدرة دلوقتى، أنا عاجز دلوقتي عن أداء المهمة بشكل كامل؟ مش مهم.

أنت معذور بالعجز، لكن الهمة، والفكرة، ووضوح الهدف، يفرق في الإعداد.

لما أنا أعدّ جيل، زي النبي ﷺ أعدّ جيل من الصحابة بيتربّوا على المعنى ده.

يوم ما قِدِروا وصلوا للصين ووصلوا للأندلس لأنه من زمان، من ساعة ما كنت أنا مش عارف أنشر دعوتي خارج مكة، بس بيتقال لي: "أنت دعوتك عالمية."

وبالتالي أنا لما أبقى لي هدف واضح قدّامي، بشتغل على أساسه، وأعدّ العدّة بحجم الهدف اللي أنا عايزه.

وفي نفس الوقت بشتغل على قدر الإمكانيات وبراعي القدرة والعجز وبراعي مآلات الأمور، وبراعي إن أنا لو في حاجة ما أقدرش أعملها، أو لو عملتها سيترتب عليها مفسدة ضخمة، خلاص .

أنا عاجز عنها الآن، ومعذور قدّام ربنا.

وربنا سبحانه وتعالى قال:

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]

في الأوقات العصيبة وتنتظر أن ربنا يعني يُوسّع عليك أو يُمكّن لنا أو يدّينا القدرة.

بشتغل على قدر الوسع وعلى قدر القدرة وعلى قدر ما تتحقق المصالح وتندفع المفاسد.

لكن جوايا نية عالمية جوايا هِمّة للعالم كله جوايا خطة للعالم كله.

أما واقعيًا أنا بعمل إيه؟ بعمل المتاح حسب الزمان والمكان والقدرة والعجز وحسابات المصالح والمفاسد والنظر في العواقب ومآلات الأمور وعلى أساس كده بأخذ قراري بالحركة.

لكن تظل الفكرة مسيطرة عليّ:

أنا لازم أوصل للعالم كله، ولو متّ وما عملتش ما قدرت أعمل ده، بس دي نيتي، ربنا يعطيني أجر دعوة للعالم كله،

لأن:

" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (رواه البخاري ومسلم)

شوف الآية الجميلة دي حطّت لنا شوية قواعد مهمة جدًّا:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]

ثم قال تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]

يُبيِّن سبحانه وتعالى أن هو دعم الدعاة،

إحنا بندعو إلى الله، إلى التوحيد، تمام؟

أن ربنا دعمنا بآيات ليس لها نهاية مش الآيات بس اللي إحنا بنستدل بيها على صدق دعوتنا أو التوحيد،

هي مثلًا: القرآن معجزة، أو انشقاق القمر، أو معجزات الرسل...

ماشي، طبعًا دي آيات، لكن أصلًا إحنا مدعومين بكل شيء حوالينا.

كما قال الشاعر:

وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

سبحانه وتعالي

كل ما في السماوات والأرض يدعم دعوتنا.

لما نقول للناس: " اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ " نستدل بطريقة القرآن:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]

ونستدل بطريقة القرآن أيضًا:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ـ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]

كل شيء في الكون بيدعمنا.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ۚ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]

" وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ " يعني كم من آية في السماوات والأرض ربنا دعم بها الدعوة ودعم بها الدعاة.

" يَمُرُّونَ عَلَيْهَا " وكأن المعنى أن الاستدلال على قضية التوحيد الاستدلال على دعوة الرسل مش متوقف على المعجزات وإنما كل شيء في الكون بيدعم المرسلين.

وكأن معنى ثاني: إن أوعى تفتكر إن أعجب الآيات هي اللي جاءت بها الرسل، بل كل ما في الكون هو أعجب مما جاء به الرسل!

تخيلوا، يعني سؤال...

بصّوا، في آية كده في سورة الكهف ملفتة قوي، ربنا قال:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]

يعني إيه؟

يعني: هل تظن إن الآية اللي هتسمعها دلوقتي، أو القصة اللي هتقرأها دلوقتي، دي أعجب حاجة في آياتنا؟ لا.

إن أصحاب الكهف مثلًا ناموا ثلاثمائة سنة، ده أعجب حاجة عملناها؟ لا.

الشمس أعجب من كده، القمر أعجب من كده، الأرض أعجب من كده، خلق الإنسان أعجب من كده.

لكن للأسف، الإنسان لما بيألف الآيات، الانبهار بيروح.

وعادة إحنا بننبهر بالآية الجديدة: عصا موسى، اليد، انشقاق القمر...

رغم إن قبل كده الشمس كانت آية، والقمر كان آية، والنباتات آية، وخلق الإنسان آية.

وأصحاب الكهف ما كانتش هي أكبر آية، تمام؟

بل في السماوات والأرض من الآيات ما هو أعظم وأكبر وأعجب.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]

وكأن برضوا رسالة للدعاة:

لا تبتئسوا وإن جئتم للقوم بالآيات فمن لم ينتفع بكل هذه الآيات الحسيّة التي يراها...

فهل سيُصدّق آيات الأنبياء؟ تمام؟ سبحان الله يعني.

بصّ العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى، وهو بيعلّق على الآية دي، بيقول:

" يُخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله ودلائل التوحيد، بما خلقه الله في السماوات والأرض من كواكب زاهرات، ثوابت وسيّارات، وأفلاك دائرات، والجميع مُسخّرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات، وحدائق، وجنّات، وجبال راسيات، وبحار زاخِرات، وأمواج متلاطِمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهه ومختلفات في الطعوم، والروائح، والألوان، والصفات... فسبحان الواحد الأحد، خالق أنواع المخلوقات المنفرد بالدوام والبقاء والصمدية، ذي الأسماء والصفات".

تعليق رائع من الإمام الكبير، العلّامة ابن كثير، عليه سحائب الرحمة.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]

فلذلك نقول: ليس النقص في الآيات.

المشركين مثلًا كانوا ممكن يقترحوا آيات، يقول لك:

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩١]

وكأن ربنا ما بيستجيبش للآيات دي. ليه؟

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]

هم بيطلبوا تعنت، والا فالآيات اللي وصلت لهم كثيرة جدًّا وكانت كافية.

كما قال تعالى:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ . وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ١-٥]

فليس الشأن أن الآيات قليلة، فليس العيب في قلّة الآيات، وإنما العيب في البصيرة، العيب في البصر والبصيرة.

وهذه الآية فيها أهمية عبادة التفكّر

أن المؤمن يقعد يتفكر كده في خلق الله، وفي آيات الله سبحانه وتعالى.

فمن أعظم العبادات: التفكر، قال تعالى:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

ثم قال سبحانه وتعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]

الآية دى بتتكلم في إيه بقى؟ بتقول:

أن يتصف ناس أنهم آمنوا، وفي نفس الوقت هم مشركون!

الآية دي بتوضح طريقة الشيطان في إفساد دعوة الرسل والدعاة.

كيف يُفسد عليهم ذلك؟ إيه طريقته في أنه يُفسد دعوة الرسل؟

الدعوة اللي إحنا بندعوا الناس إليها، بنرتكز فيها على إيه؟

على الفِطر السليمة.

إنها دعوة بندعوا الناس لشيء هم فُطروا عليه .

"ما من مولود إلا يُولد على الفِطرة."

وفي الحديث:

"إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" (رواه مسلم)

إحنا بنُخاطب فطرة في الناس أصلًا. التوحيد فطرة.

ومعنا آيات كثيرة جدًّا.

فلو إبليس جاء للناس كده مرة واحدة، وقال لهم: "اشركوا" ما حدّش هيرضى، وما حدّش هيقبل.

فهو يحتاج علشان يُمرّر الباطل بتاعه ويوصّله لنفوس الناس، يجعل معه شيئًا من الحق. فين؟

زي لما تحب تأكّل واحد سُمّ، تحطه فين؟ تحطه في عسل.

فالشيء من الحق ده بيُذهِب مرارة الباطل ويجعله مستساغًا للناس.

فبيعمل إيه الشيطان هنا؟

يجعلهم يؤمنوا، ويشركوا في نفس الوقت.

علشان كده ابن عباس كان بيفسّرها، بيقول:

إنهم إذا قيل لهم: من خلق الأرض؟ يقولون: الله

من خلق السماوات؟ يقولون: الله

من خلقكم؟ يقولون: الله

ثم هم يعبدون معه غيره!

شفت خدعهم إزاي؟

حسسهم أنهم مؤمنين ومية مية، ده أنتم مؤمنين أنه الخالق، والرازق، والمُحيي، والمميت، وكل حاجة.

وبعد كده راح مرّر لهم:

"أنتم علشان تقرّبوا إلى ربنا، مش هينفع كده مرة واحدة، لازم تجعلوا بينكم وبينه وسائط."

طب إيه الوسائط دي؟ الملائكة.

طب هنتعامل مع الملائكة إزاي؟

خلاص نعمل صور للملائكة اللي هي الأصنام. ونخلي الأصنام دي كأنها صور للملائكة، وتعبدوا الأصنام، وتقرّبوا بها إلى ربنا.

لذلك هم قالوا:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]

شوف إزاي خدعهم؟

أولًا خدعهم بأنهم مؤمنين بقضية الربوبية

ثم دمّرهم في قضية الألوهية

ثم زيّن لهم عبادة الأصنام على اعتبار أنهم كده بيقرّبوا إلى الله.

فبالتالي أوقعهم في الشرك الأكبر، تمام؟

وأخرجهم من الدين خالص ولم ينفعهم الإيمان اللي آمنوا به.

وده معنى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

وبعض السلف كان بيقول: كانوا يقولون في الحج:

"لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إلا شريكًا هو لك، ملكته وما ملك"

شوف خدعهم إزاي؟

جعلهم يقولوا التلبية في الأول صح،

وبعد كده قالوا: "إلا شريكًا هو لك"... بيعترفوا أن له شريك!

بس بيحاولوا يجوّدوها ويحسّنوها: "ملَكْتَه وما ملَك..."

يعني الأصنام دي عارفين أنها ملك لله،

طب إذا كان كذلك، هو ربنا يملكها، ويجعلها شريكًا له ليه؟!

يعني الشيطان لازم يسوّق الباطل بتاعه بشيء من الحق يمرّره به،

زي ما أقسم لسيّدنا آدم:

﴿وَقَاسَمَهُمَا أَنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]

والقسم ده حاجة عظيمة جليلة عند سيّدنا آدم، يعني ما كانش يتصوّر إن في حد ممكن يقسم بالله كاذبًا!

وزي ما خدع قوم نوح، وقال لهم:

"أن دول ناس صالحين: ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، ناس صالحين في قومكم، ولازم أنتم تعملوا لهم تماثيل، وتفتكروهم بها، وبعد كده قال لهم: ادعوا ربنا هنا، المكان ده فيه بركة."

ثم وصلهم في النهاية لعبادة الأوثان.

فلازم نفهم إحنا بنواجه مين كدعاة؟ بنواجه شيطان له مكر شديد، يُمرِّر الباطل في ثوب من الحق إلى الآن يعني لا تجد الناس الآن مثلًا، الشيطان ممكن يعمل معهم كده من خلال مثلًا أن هو يخليهم يعظّموا الأولياء.

فيكون شخص صالح مات، فيُقنعهم أنتم لازم تعملوا له مسجد، وتضعوا قبره في المسجد، وهذا من إجلال الله، ومن إجلال الأولياء. فتبدأ الموضوع بنيّة. الأول يخدعهم أن في نية كويسة، وبعد كده يخليهم يدعوا ربنا عند القبر، وبعد كده يعبدوا القبر نفسه، ينزلوا له، ويعملوا موالد، ويذبحوا له والكلام دوت.

كذلك ممكن مثلًا أن يخدع الناس ببعض الأشياء عند السحرة وعند الدجالين، فالشيطان يعني يُلقي بعض الأخبار لبعض الدجّالين، بحيث إنه يقدر يخدع الناس إن ده راجل ولي وراجل صالح وراجل صاحب كرامات ومكشوف عنه الحجاب، وبعد كده الراجل دوت يطلب منهم أشياء هي من الشرك بالله، فيروّج لهم الباطل في ثوب من الحق.

وللأسف، حتى إحنا - وإن كانت الآية بتتكلم في الشرك الأكبر خصوصًا - لكن الشيطان قدر يوصل مع بعض الناس انه لو ما عرفش يوقعك في الشرك الأكبر، هيوقعك في الشرك الأصغر.

فيبقى إحنا مؤمنين بالله، وتمام، خلينا نحلف بغير الله! هو شرك أصغر، بس غلط برضوا يخليك مثلًا من الحاجات الغلط تعملها، إن مثلًا يجعلك تعلق التمائم: تلبس حظاظة، تعلّق خرزة زرقاء في عربيتك، خمسة وخميسة، تدفع بها الحسد... كل ده تمائم، وكل دي شركيات! آه، هي شرك أصغر، لكن برضوا يعني شَوّش عليك الإيمان بهذا الشرك الأصغر.

وبعد كده يدخل لك في الأعمال الصالحة بتاعتك، فيخليك تصرفها للناس، وتطلب بها وجه الناس، فيُوقعك في الرياء. فبرضوا يُفسد عليك الأعمال بأي شكل.

فبيحاول الأول يوقعك في الشرك الأكبر، ما عرفش، يوقعك في الشرك الأصغر. في كل مرة طريقته إن هو بيروّج لك الباطل في ثوب من الحق. وإلى الآن، حتى دعاة الباطل اللي هو بيستعملهم الشيطان لإفساد الدين، مش بيطلّعهم كده على طول، يقول لك: دول دعاة باطل! لا

يطلّع واحد اسمه: المفكّر الإسلامي، الباحث الإسلامي.

ويبتدي يتكلم في تعظيم القرآن، وأهمية القرآن، والقرآن ده فيه كل حاجة، والسنة دي يعني فيها الصحيح والضعيف يا جماعة، والسنة دي رواها الرجال، وإحنا لازم نعظّم الدين، وعشان نحافظ على الدين، خلينا نقتصر على القرآن وما فيه، ودعك من السنة، والسنة إحنا مش محتاجينها، والسنة دي مشكوك في وصولها لنا أصلًا!

فمن تعظيم القرآن - بزعمهم - إن إحنا نقتصر علي القرآن فقط وفي الآخر، يطلع صاحبنا عايز يهدم الدين كله لكن بيدخل من مداخل إيه؟ من مداخل خبيثة كما ترون!

ممكن واحد تاني يدخل يبقى اسمه الباحث والمفكر وبتاع، يقول لك: إحنا عايزين ننقّي الدين من الخرافات! ماشي عايزين تجديد الخطاب الديني؟ ماشي تكتشف بعد كده أنه عايز يهدم أحكام الإسلام تحت مسمّى "تطوير الخطاب الديني"، "تجديد الخطاب الديني"، "تنقيح التراث من الخرافات". تكتشف أنه بينكر الثوابت في النهاية!

فهو ده... الآية دي بتحطنا: العدو هيشتغل معك إزاي؟ مش هيشتغل لك بوجه صريح، هيشتغل بوجوه تبدو عسلًا، ولكن جواها سموم!

﴿وما يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللَّهِ إِلّا وَهُم مُشرِكُونَ﴾

فليس الشأن أن أنت بس تدخل في الإيمان لكن تحافظ عليه! وممكن شيطان يسيبك تدخل الإيمان وبعد كده يُفسده عليك بشركيات يخليك تقع فيها فلابد من استدامة الإيمان بتجنّب الشرك الأكبر والأصغر.

ولابد أن الإنسان يتعلم بقى: ما هو الشرك الأكبر؟ ويتعلم: ما هو الشرك الأصغر؟ علشان يتجنّبه.

﴿وما يُؤمِنُ أَكثَرُهُم بِاللَّهِ إِلّا وَهُم مُشرِكُونَ﴾

ثم قال تعالى:

﴿أَفَأَمِنوا أَن تَأتِيَهُم غاشِيَةٌ مِن عَذابِ اللَّهِ أَو تَأتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغتَةً وَهُم لا يَشعُرونَ﴾

يعني: كيف تجرأ هؤلاء على الله تعالى؟ ومن أين لهم هذا الأمان؟ "أفأمنوا؟!" كيف أمنوا؟!

أن تأتيهم غاشية من عذاب الله؟! ينزل عليهم مصيبة، ينزل عليهم مجاعة، تنزل عليهم أعاصير، براكين، زلازل... غاشية تغشاهم، تُدمّرهم من عذاب الله أو حتى لو سَلِموا في الدنيا، حتى لو عاشوا طول حياتهم لم يُبتَلَوا، فتأتيهم ما هو أسوأ! بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمرّ!

﴿أَو تَأتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغتَةً وَهُم لا يَشعُرونَ﴾

يعني كأن الآيات تُحفّز الإنسان أن هو يتفكّر: إلى متى سيغرّك حلم ربنا عليك؟ رسالة لك، حتى لو كان الكلام هنا عن المشركين، بس أنا بستفيد منها برضوا، إن أنا بقول

لنفسي: إلى متى؟ أظل على المعصية لغاية إمتى؟! هيغرّني إن ربنا ساترني؟! لغاية دلوقتي..

ممكن رصيد الستر يخلُص في أي لحظة! لغاية إمتى هافضل جريء على معصية الله تعالى، ويغرّني إن ربنا حليم، ولم يعجّل لي بالعقوبة حتى الآن؟

ساعة ما تنزل العقوبة، مش هتلحق تتوب الآن أنت تقدر تتوب الآن فيه فرصة الموت يأتي بغتة وحِلم الله المفروض يزيدك حياءً من الله سبحانه وتعالى فلنُسارِع بالتوبة يا جماعة ونتعلم من الآية دي:

﴿أفَأَمِنوا أَن تَأتِيَهُم غاشِيَةٌ مِن عَذابِ اللَّهِ أَو تَأتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغتَةً وَهُم لا يَشعُرونَ﴾

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أَوْ ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾

أفأمنوا مكر الله؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

فالأمن من مكر الله يعني كما جاء في الحديث أكبر الكبائر: الإشراك بالله واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله.

هذا من أكبر الكبائر عند الله سبحانه وتعالى.

وإذا زال الخوف من الله من القلب تمامًا فإن العبد يخرج من الإيمان.

إحنا اتعلمنا في دراسة العقيدة أن لا بد أن يكون هناك أصل لأعمال القلوب في قلب المؤمن حتى يظل مؤمنًا فإذا زال عمل من أعمال القلوب بالكلية من قلب المؤمن، يبقى هو خرج من الإيمان.

علشان كده ربنا قال:

﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

ودلّ ذلك على أن زوال الخوف من الله تمامًا من قلب المؤمن أو زوال الرجاء تمامًا من قلب المؤمن -زي ما اتكلمنا في درس سابق- يجعل الإنسان يخرج من دائرة الإيمان بالكلية.

﴿أفَأَمِنوا أَن تَأتِيَهُم غاشِيَةٌ مِن عَذابِ اللَّهِ أَو تَأتِيَهُمُ السّاعَةُ بَغتَةً وَهُم لا يَشعُرونَ﴾

ثم قال تعالى:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

وهذه من أعظم الآيات في هذه السورة المباركة لأن الآية دي بتلخص كل حاجة.

الآية دي بتبيّن :

- وجوب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى
- ووجوب تحصيل البصيرة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى،
- وأهمية العقيدة والدعوة إلى العقيدة،
- وأهمية أن تكون النية خالصة لوجه الله تعالى،
- وأهمية أن يحرص الدعاة على تجنيب دعوتهم أي مظهر من مظاهر الشرك.

وكأن الآية دي بترسم لنا أصول الدعوة:

أولًا: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي ﴾

أول حاجة فى الدعوة إن السبيل واحد، لا يوجد سُبُل، هو سبيل واحد.

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾

إذًا: سبيل الله واحد، منهج واحد، طريق الأنبياء واحد.

في الحديث:

" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار، إلا واحدة".

قيل: من هي يا رسول الله؟

قال: "هي التي على مثل ما أنا عليه اليوم أنا وأصحابي"

هو منهج الصحابة :

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

فإذا هذه دعوة سبيل واحد، تمام؟ وكل من ابتدع في الدين بدعة هو الذي تفرّق عن السبيل: الشيعة الخوارج المعتزلة الجهمية الدروز، العلوية، البهرة، الإسماعيلية... كل الأسماء دي، هم دول تفرّقوا عن السبيل.

طيب إيه الحل؟ نعمل إيه علشان نوحّد الأمة؟

هل نلغي الكلام في الخلاف ده ونعرض عنه ونقول: يا جماعة بلاش نتكلم في الخلافات دي وخلاص نعتبر كلنا واحد؟ لا غلط.

الصح نعمل حاجتين :

١ ـ أهل السنة يتمسكوا بالسنة ولا يقبلوا أبدًا مفاوضات مع أهل البدع ولا يقبلوا منطقة وسط مع أهل البدع إنما السنة وفقط.

إما أن يعود أهل البدع إلى السنة أو لا شيء لا يمكن أن يكون هناك منطقة وسط بين السنة والبدعة ودي وصية النبي ﷺ أول حاجة التمسك قال :

"من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار".

٢ ـ بعد كده ندعو "أَدْعُو إِلَى اللَّهِ "

أتمسك باللي أنا عليه وأدعو أهل البدع أن يعودوا إلى السنة وأحارب البدع وأبيّن زيفها وضلالها وبعدها عن الحق وأحاول أرجّع أهل البدع إلى دائرة السنة.

هذه الطريقة الوحيدة لتوحيد الأمة مش توحيد الأمة إننا نخدع بعض بالأحضان والقبلات وفي الآخر اللي في القلب في القلب.

وإنما أهل السنة يتمسكوا بما هم عليه لا يقبلوا منطقة رمادية مع أهل البدع، ويظلوا يُجاهدوا أهل البدع. وهذا من أعظم الجهاد: جهاد الكلمة، وجهاد القول.

"قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي " وبعد كده قال: " أَدْعُو إِلَى اللَّهِ"

تحطّ لنا الأصل الثاني بعد السبيل الواحد: أن هذا السبيل ربّاني، أو نقدر نقول أصل اسمه "ربانية الدعوة "

ربانية الدعوة دي لها ثلاث ملامح :

١ .ربانية الدعوة في مصدرها

٢ .ربانية الدعوة في منهجها

٣ .ربانية الدعوة في غايتها

ربانية الدعوة في المصدرية يعني أن مصدر هذه الدعوة هو الوحي:

"اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"

"اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ"

يبقى أولًا مصدر هذه الدعوة هو الوحي المنزل من الله المصدر النقي: القرآن والسنة.

كان مقابل بقى المصدر ده ايه في طرق بقى المصادر الثانية أهل البدع بيعتمدوها في مصدر دعوتهم.

علم الكلام العلوم الكلامية عموماً الفلسفات، أن تكون الفلسفات من مصدر التلقي، مصدر مثلاً زي مثلاً عند الصوفية: المنامات، والوجد، والذوق، ويعتبروا ده من مصادر التشريع هذه كل مصادر غير ربانية.

نمرة اثنين المنهج.

المنهج اللي بنمشي عليه هو طريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله إزاي كانوا بيدعوا إلى الله؟ إيه طرق الدعوة اللي استعملوها؟

طريق الأنبياء الغاية لا تبرر الوسيلة.

فإذا كانت الغاية شريفة لابد أن تكون الوسيلة شريفة.

يبقى إحنا لازم في الدعوة نستعمل الوسائل الشريفة، في الدعوة إلى الله، زي ما الأنبياء استعملوا الوسائل الشريفة.

طريقة الأنبياء كانوا بيراعوا الواقع، بيراعوا القدرة والعجز فاللي بيقدروا عليه بيعملوه واللي ما يقدروش عليه مش بيتهوروا ويعملوه عشان ما يؤديش لمفسدة كبيرة.

طريقة الأنبياء مراعاة مآلات الأمور، مراعاة العواقب، مراعاة القدرة والعجز، ومراعاة حسابات المصالح والمفاسد، فبيجتهدوا فيما يقدروا عليه، اللي يحقق المصلحة الكبرى، ويدرأ المفسدة قدر المستطاع.

أما لو وجدوا في دعوتهم أو الجهاد أو أي شيء من الحاجات اللي بتخدم الدين، تؤدي إلى مفسدة كبرى، فبيتجنبوها، حتى لو يقدروا عليها حسِّيًّا، بس عارفين إن لو عملناها فيترتب عليها مفاسد ضخمة، فبيمتنعوا عن ذلك لغاية ما ربنا يقدّر أمر يجعل الموضوع ده ممكن تنفيذه مع تجنّب المفسدة الكبيرة.

عندهم الغاية لا تبرر الوسيلة.

ده منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

نمرة ثلاثة الغاية والمقصد:

الغاية والمقصد من الدعوة وجه الله تعالى تحقيق العبودية لله.
اكتبها دي: تحقيق العبودية لله، حسب بقى الإمكان: في الاستضعاف في عبودية، التمكين له عبودية، القوة له عبودية، الضعف له عبودية.

حسب إحنا فين؟ في أنهي زمان؟ في أنهي مكان؟

لكن دائمًا في عبودية متاحة ممكن يكون الصبر، ممكن يكون العفو والصفح، لأن إحنا ما بنقدرش أكتر من كده.

ممكن يكون الدفاع عن النفس، لو العدو هجم نقدر ندافع عن نفسنا.

وممكن يكون الهجوم جهاد الطلب، لو إحنا أقوياء جدًا.

- حسب الحال ففي بعض الأماكن: العبودية = الصبر، زي ما سيدنا موسى كان وصل لمرحلة مع قومه فرعون بيقتل أبناءهم، وهو بيقول لهم: استعينوا بالله واصبروا، ما فيش، ما نقدرش، لو قاوموا هيبقى المفسدة أكبر من كده.
- في مرحلة ثانية: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" يعني اللي يقدر يدافع عن نفسه يدافع.
- وفي مرحلة: "قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ"
- وفي مرحلة: "وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً" فتح بجهاد الطلب كمان.

طب أنا في أنهي مرحلة؟ أنا أقدر أعمل إيه؟

يبقى إذًا الفكرة مش: "أنا عايز حاجة معيّنة"، الفكرة: "أنا بعمل العبودية اللائقة بالوضع الحالي."

بعض الناس عنده صورة ذهنية إن إحنا لازم التمكين بأي شكل، حتى لو عمل مفاسد ضخمة جدًّا، هو شايف إن إحنا لازم التمكين دلوقتي، حتى لو عاجز، حتى لو الحسابات كلها بتقول: مستحيل الآن.

لا عنده ما فيش حاجة اسمها صبر.

إيه الصبر؟ ده ضعف وجُبن وبتاع!

أو مثلًا لو إحنا ما عندناش إمكانية إلا إننا نعلّم الناس، ونصلي، ونعمل عمل اجتماعي، وما فيش حاجة نقدر نعملها أكتر من كده، يستخف بالأعمال دي.

"إيه اللي إنت بتعمله دُه؟"

ويعتقد إنه خلاص طالما ما فيش جهاد، يبقى ما فيش حاجة تانية نعملها في الدين.

طب افرض إحنا عاجزين نعمل حاجة؟

ما هو ربنا قال في سورة البقرة، لما في حال الاستضعاف:

"فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

وبعد كده قال:

"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ"

يبقى أنا بعمل المتاح لأن الهدف تحقيق العبودية المتاحة.

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً"

فحسب المرحلة بتاعتي.

إذًا إيه الهدف؟ الهدف: العبودية وأن تكون النية خالصة لوجه الله تعالى.

"أَدْعُو إِلَى اللَّهِ" النية خالصة لوجه الله تعالى.

فأي دعوة أصحابها يهدفوا في الآخر إلى مصالح دنيوية أو إلى بس مجرد الوصول إلى المناصب ليتسلطوا على رقاب الناس هذه دعوة غير مباركة.

إنما المقصد: وجه الله تعالى.

طب وصلنا للتمكين؟ يا ريت! يبقى ده وسيلة للمزيد من العبودية.

ما وصلناش للتمكين؟ عادي هنعمل العبودية المتاحة ونسعى للتمكين المستطاع، وصلنا له: وصلنا ما وصلناش

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا"

أدعو إلى الله في النهاية ربنا يرى إني بعمل اللي عليّ، مش هيسألني يوم القيامة: "إنت كويس عشان جاي لي من زمن تمكين؟"

ولا: "إنت وحش عشان جاي لي من زمن استضعاف؟"

أنا ممكن أكون جاي من زمن استضعاف وعامل اللي عليّ، أو جاي من زمن تمكين ومش عامل اللي عليّ.

فالعِبرة أن ربنا رأى مني ما يحب، حسب الحالة اللي أنا فيها هو ده غاية المسلم عموماً في الحياة.

ثم قال تعالى: { عَلَىٰ بَصِيرَةٍ} مهمة جدًا.

تُبيِّن أصل ثانيًا من أصول الدعوة أن الدعوة لابد أن تكون مبنية على علم وعلى فهم، حتى لا يُسيء الداعية، وحتى لا يأخذ قرارات تدمّر الدعوة، حتى لا يتسبّب في تضييع الدعوة.

لازم بصيرة البصيرة دي هي عين القلب.

يقولون: البصيرة للقلب كالعين للرأس.

تلاقي إنك بتشوف بعينك كده والقلب بيشوف بحاجة اسمها البصيرة.

البصيرة دي نور من الله، البصيرة دي فتح من الله.

طب عشان أحقق البصيرة محتاج كذا حاجة:

أولاً: أتعلم لأن العلم نور.

أتعلم عشان أعرف القواعد أعرف الأصول أعرف الصح والغلط وما يكفيش التعلُّم بس، تعمل بما علمت.

أنت لو لم تعمل بما علمت فإن الله يمحق بركة العلم اللي عندك يبقى عندك علم كتير بس بلا بصيرة ربنا يمحق بركة العلم اللي عندك إن أنت لا تعمل به لا تعمل به كلما عملت بالعلم ربنا يبارك لك في العلم نفسه.

وكان السلف يقولون: "العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل."

العلم يهتف بالعمل يعني العلم بيقول للعمل: تعال عشان تثبّتني طب ما جاش العمل، يروح العلم ماشي "فإن أجابه وإلا ارتحل".

تحصيل البصيرة كمان يكون بالأعمال اللي بتزود النور في القلب، زي:

الصلاة "الصلاة نور"

الصوم "والصوم ضياء"

القرآن "القرآن ربيع القلب"

الحاجات اللي بتزود النور في القلب دي بتساعد على زيادة البصيرة مع تجنّب أي شيء ضد النور وضد البصيرة زي النظر المحرَّم زي الزنا، زي الفواحش، كل ده بيُطفئ القلب ويُظلِمه:

"لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ"

فده بيفسد بصيرة الإنسان، وبيشوّش على قلبه.

لو إنسان عمل الحاجات دي، يبقى معه نور.

كما قال تعالى:

"وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ"

وقال تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"

إحنا محتاجين نور مش بس علم كتير محتاجين عمل محتاجين بصيرة محتاجين تقوى وورع عشان لما الدنيا تتأزَّم، ربنا يُلهمنا الصواب، ربنا يوفقنا للحق.

اللهم أرِنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرِنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

فالإنسان بيحتاج إلى فضل من الله عشان يشوف لما الدنيا تبقى ضبابية ما الدنيا مش دايمًا أبيض وأسود الرمادي أحيانًا بيبقى كتير.

مين بقى هيشوف في وسط الرمادي ده نروح يمين ولا شمال؟ أهل البصيرة.

عشان كده لازم الدعوة تكون على بصيرة .

قال: " أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ"

إذًا الدعوة بيبقى لها أتباع ولازم نورّث المنهج ده، ولازم نعلّم أتباعنا المنهج ده.

وسبحان الله: تنزيه ربنا عن كل نقص وعيب.

و"سبحان الله" بتقول لك أهمية إن الدعوة يكون أساسها توحيد الله.

أول حاجة ندعو إليها الناس: توحيد ربنا.

هتقول لي: ما الناس موحدين.

نعم موحدين صحيح بنعلّمهم تفاصيل العقيدة بنزود العقيدة في قلوبهم بنقوّي العقيدة في قلوبهم.

دي البداية وهي دي اللي هتجيب لنا بعد كده العمل، وتسهّل علينا كل حاجة بعد كده.

النبي ﷺ لما أرسل معاذ إلى أهل اليمن قال :

"فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحِّدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلِمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة"

يبقى الدعوة إلى التوحيد.

{وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

تنزيه الدعوة عن كل الشوائب، وعن كل الشركيات: من الرياء، من كل ما يشوب الدعوة وأن الداعية يكون يجهر بالحق، ويؤكد أنه عنده مفاصلة مع الباطل.

الولاء والبراء لازم يكون واضح في الدعوة.

إحنا مش بس بنقول للناس: إحنا على الطريق ده، لا، بنقول احنا على الطريق ده، ونبرأ من الطرق الأخرى.

تاني لا يكفي إنك تقول: "أنا مسلم." لا أقول: "أنا مسلم وأتبرأ من الكفر" عشان كده ربنا قال:

{فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ}

طب ما ممكن واحد يقول: "أنا مسلم، بس أنا شايف النصرانية صح، واليهودية صح، والزرادشتية صح، والبوذية عادي، وكلها طرق تؤدي إلى الله."

ده مش مسلم لأن لا يكون المسلم مسلمًا حتى يتبرأ من طرق الكافرين يكون مسلمًا ويعتقد أن الإسلام فقط هو الحق وما عداه باطل.

عشان كده لازم يصرّح ويقول: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

يعني لا أرضى بطريقتهم، ولا أُواليهم، ولا أرضى بمنهجهم.

لا إله إلا الله

إحنا ما نقولش "الله إله" لاء "لا إله إلا الله"

يعني كله غلط إلا التوحيد.

من صفات الدعوة دي: إنها دعوة عالمية، زي ما قلنا.

من صفات الدعوة: أنها دعوة شمولية.

إحنا بندعو الناس إلى الدين كله، مش بننقِّي حاجات من الدين مش بنركّز على حاجات معيّنة.

الدعوة لابد أن يكون فيها شمولية: للعقيدة، والعبادة، والسلوك، والفكر، والمعاملة.....كل حاجة بندعوا إليها الناس.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً }

الدعوة لازم تكون واقعية ما تعيش في الخيالات ما تعيش في أحلام وردية، لازم تكون في واقعية.

تعرف إيه المتاح وإيه اللي مش متاح وإيه الممكن وإيه اللي مش مقدور عليه واقعية، فدي ملامح رائعة، شوف الآية دي أدتنا أفكار جميلة.

ثم قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾

هذا الجزء يُناقش فيه عادة بعض المسائل.

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا }

المسألة الأولى:

هل الرسل يكونون من الرجال فقط؟ أم ممكن أن يكون هناك من النساء؟

هذه المسألة خصوصًا فيها خلاف بين أهل السنة في النبوة، وليس في الرسالة.

يعني أهل السنة لا يقولون إن هناك رُسلًا من النساء، لكن يقولون: ممكن أن يكون هناك أنبياء من النساء؛ لأن النبي لا يأتي برسالة جديدة، إنما يكون تابعًا لرسول قبله.

وخلافهم خصوصًا في السيدة مريم عليها السلام: هل هي نبية؟ أم من أولياء الله الصالحين؟

وهي مسألة فيها خلاف سائغ بين أهل السنة.

وإن كان ظاهر الآية أن الرسل – وكذلك الأنبياء – إنما يكونون رجالًا لأن ذلك أليق بمقام الدعوة والانتشار بين الناس وتحمّل تبعات الدعوة.

لكن نقول إن هناك خلافًا نوعًا ما بين أهل السنة في نبوة مريم عليها السلام.

المسألة الثانية:

وهي أن الرسل يكونون من البشر، ولا يكونون من الجن.

هل هناك رُسل من الجن؟

الراجح: أنه لا يوجد رُسل من الجن، ولا أنبياء من الجن، وإنما الجن يتبعون رُسل البشر.

عشان كده قال تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ﴾

يبقى إذًا هم يتبعون أنبياء البشر.

وقال تعالى:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾

فلذلك الشبهة الوحيدة في المسألة دي هي قوله تعالى:

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾

ودي لها إجابة سهلة:

" أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ " يعني من مجموعكم، يعني منكم جميعًا.

دلوقتي ربنا بيكلم الإنس والجن، قال: "جاءكم رسل منكم"، يعني من المجموع، وفعلاً الرسل جاؤوا من مجموعة الإنس، فكونهم جاؤوا من الإنس، يبقى هم جاؤوا من مجموع الإنس والجن، وليس المقصود أن هناك رسلًا من الجن.

إذًا " رُسُلٌ مِّنكُمْ " أي من مجموعكم، وكون الرسل من الإنس، فده معناه إنهم جاؤوا من مجموع الإنس والجن.

فالرسل -والله أعلم- والأنبياء لا يكونون إلا من البشر.

لأن البشر أكمل عقلًا، والجن يقدر يتعامل مع الإنس، لكن الإنس ما يقدرش يتعامل مع الجن.

ثم قال تعالى:

﴿ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾

كلمة "القرى" مش معناها القرية اللي هي في الاصطلاح المعاصر – إن القرية هي الحاجة اللي خارج المدينة.

"القرى" في القرآن معناها: المدن.

يعني زي القاهرة والإسكندرية، دي في القرآن تعتبر "قرى."

عشان كده مكة تسمى: "أم القرى"

لكن القرية في المصطلح المعاصر هي اللي على الأطراف أو خارج المدينة.

فالأنبياء بيكونوا من المدن يعني "القرى" بمعنى المدن الكبرى. لماذا؟

لأن النبوة تحتاج إلى شخص يتعامل مع ناس كثير ويفهم كل الناس وعنده ثقافة بكل الأفكار والثقافات وعنده مرونة في التعامل وعلم أكثر.

وعادة يكون ذلك موجودًا في أهل المدن.

أما البوادي الأطراف البعيدة فعادة ينغلقون في فئة معينة أو طبع معين ومن الصعب أن يتأقلموا مع كل الثقافات.

فلذلك الرسل يكونون من القرى (أي المدن الكبرى).

وكمان القرى (أي المدن) أكثر انتشارًا.

يعني لما شخص يحب يتشهر يروح العاصمة يشتغل في العاصمة يلاقي شغل أكتر أو شهرة أكبر.

فدائمًا القرى مظنة الاشتهار والانتشار وعادة الأطراف تكون تابعة للمركز.

لأن المركز لو انتشرت فيه الدعوة بسهولة تصل إلى الأطراف والعكس غير صحيح.

ثم قال تعالى:

﴿فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾

يعني: أَوَلم يكن هناك عبرة في من سبقهم من المكذبين؟!

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

يعني حتى لو كل ده ما جابش نتيجة معهم حتى لو ما جالهمش بشر وما فيش بصيرة يشوفوا إيه اللي حصل للأمم السابقة.

اللي جاءهم رسل مثل محمد ﷺ ودعوتهم مثل دعوة محمد ﷺ، زي ما أنتم كذّبتم، أهلكناهم.

أنتم بتمرّوا على قرى لوط وبتشوفوا قوم ثمود وقوم هود وعارفين مصيرهم.....

يعني: إمتى تعتِبروا بهؤلاء؟

{وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ . وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم، وضربنا لكم الأمثال.

شوف طريقة القرآن في الإقناع:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

ثم رغّبهم سبحانه وتعالى، فقال:

﴿ ولدارُ الآخرةِ خيرٌ للذين اتقَوا أفلا تعقلون﴾

ثم قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

هذه الآية تحتاج منا إلى تركيز شديد، فهي تقريبًا آخر شيء يُذكر في هذا السياق، لكنها تُعتبر من أصعب الآيات في الفهم وتحتاج إلى تركيز شديد.

الآية دي فيها قراءتان :

قراءة بتخفيف الذال: كُذِبوا

وقراءة بتشديد الذال: كُذِّبوا

القراءة الأولى، اللي إحنا بنقرأ بها، هي قراءة عامة.

والقراءة الثانية، بتشديد الذال، هي قراءة عند نافع ويعقوب.

طيب، هنا هيكون عندنا التفسير.

الأول هنمسك "كُذِبوا"، وبعد كده "كُذِّبوا"، وكل واحدة لها معنى.

الأصعب هي قراءة "كُذِبوا"، لأنها لو ركزت شوية ممكن تستغرب أوي من تفسيرها. ليه؟ خلينا نركز في الكلام.

" حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ "

يعني بلغوا مرحلة صعبة جدًا، واشتد عليهم البلاء، وتأخّر النصر جدًا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: " مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ"

يعني خلاص، وصلوا لمرحلة بلغ منتهى البلاء.

والآية دي عموماً مبشّرة بتقول: " جَاءَهُمْ نَصْرُنَا " وكأنها بتقول: إذا اشتدّ الكرب فإن الفرج قريب.

وطبعًا قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام تطبيق عملي للقاعدة دي.

نرجع تاني لكلمة "كُذِبوا."

" وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا "... يعني إيه؟ ظنوا مَن؟ مين اللي ظن؟

هيبقى عندنا ثلاث احتمالات في كلمة ظن:

١ .أن الضمير يعود على الرسل: "ظن" أي الرسل.

٢ .أن الضمير يعود على أتباع الرسل.

٣ .أن الضمير يعود على أعداء الرسل يعني القوم اللي كذّبوا الرسل.

تعالوا نمسك كل احتمال ونشرحه ونبيّن معناه وأثره الإيماني.

الاحتمال الأول :

أن الظن من الرسل أنفسهم وده أصعب معنى فيهم، لأنه يخليك تستنكر المعنى في البداية.

يعني: حتى إذا استيأس الرسل وظن الرسل أنهم قد كُذِبوا، أي في وعد الله بالنصر!

الكلام ده صعب ومش سهل يتقبّله العقل لأول وهلة.

سيدنا ابن عباس جاءه رجل فعلًا، وقال له: أنا مش مصدق إن ده المعنى!

فقال له ابن عباس: "يا أخي، لقد كانوا الرسل بشرًا".

وكان أحد السلف جاء لابن مسعود كان بيستنكر المعنى ده، وابن مسعود يقول له:

"هو المعنى الذي تكرهه لكنه صحيح".

يعني: في الأول تكرهه وتستغربه، لكن لما يُشرح، تلاقيه منطقي.

تفسير ابن عباس بيفهمنا إن المقصود بـ"وظنوا أنهم قد كُذِبوا:"

أن الرسل من شدة تأخّر النصر جالت في خواطرهم أن النصر قد لا يأتي لكنهم يدفعون هذه الخواطر باليقين والثقة في الله.

فالظن هنا عابر وليس مستقرًا أو راجحًا.

والخواطر العابرة لا يسلم منها أحد، حتى الرسل.

زي ما قال ابن عباس: "كانوا بشرًا".

يعني: ممكن واحد فينا دلوقتي من كتر ما بيشوف حال المسلمين، ييجي في باله خاطر كده: "هو فين ربنا؟"

ثم يستغفر ويدفع الخاطر.

الرسل كان بيحصل لهم كده لأنهم بشر غير معصومين من ورود الخواطر السيئة علي أذهانهم لكن الفرق أنهم لا يقرّون الخاطر بل يدفعونه فورًا بالإيمان.

مثال عملي:

يوسف عليه السلام جاءه خاطر الفاحشة فدفعه وقال:

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ}

وده غير مؤاخذ عليه، بل مأجور؛ لأنه دفع الخاطر.

يعني لو قلنا إن الرسل هم اللي "ظنوا أنهم قد كُذِبوا"،

فده يُفسّر بالخواطر العابرة وليس شكًّا وهم مأجورون على مدافعتها،

والنتيجة أن هذه الخواطر تتحوّل إلى ثقة ويقين في الله ويأتي بعدها النصر.

ولكن ربنا قدَّر على الأنبياء الموضوع ده حتى يكون عزاءً للمؤمنين، لما يلاقوا نفسهم بيحصل فيهم كده بتقولوا يعني ده الرسل نفسهم يوصلوا لمرحلة ممكن يحصل كده وبعد كده نستفيد من الرسل نتعلم نعمل إيه مع الخاطر السيئ ده.

فالرسل كانت تدفع ذلك بالاستعاذة بالله، والتوكل عليه، واليقين فيه فإحنا نقلد الرسل في دفع الخواطر السيئة دي ونراجع تاني النصوص اللي بتوعد بالنصر، ونراجع تاني قصص الأنبياء واللي حصل معهم آه، تأخر النصر لكن حصل في النهاية فيرجع لنا اليقين تاني، وندفع خواطر الشيطان.

- إحنا لسه في كذبوا على المعنى الأول بتاعها- إن "ظنّوا" عائدة على الرسل، وفهمناها وفهمنا معناها.

الاحتمال الثاني :

إن "ظنّوا" عائدة على أتباع الرسل يبقى هنا المعنى: حتى إذا استيئس الرسلُ وظنَّ اتباعوهم (الذين امنوا معهم) أنهم قد كُذِبوا، يعني إن الرسل كُذِّبوا فيما وُعِدوا به من النصر.

بس مين اللي ظن دلوقتي؟ أتباع الرسل يعني من شدة الأمر أتباع الرسل بدأوا يتهزوا وبدأوا يتأثروا بتأخر النصر حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: " مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ " بدأوا يتهزوا ويتأثروا بتأخر النصر وخلاص مش قادرين.

فهنا لو قلنا إن "ظنّوا" دي عائدة على أتباع الرسل، يبقى عندنا احتمالين:

الاحتمال الأول: إن أتباع الرسل اللي حالهم الظن وهنا نقول ان أتباع الرسل بيبقوا نوعين: في نوع إيمانه قوي، وفي نوع إيمانه ضعيف.

فاللي إيمانه قوي، لما ييجي له الخاطر ده، هييجي له إزاي؟ هييجي له زي الخاطر اللي جه للأنبياء هيبقى خاطر عابر وهيحصل بالضبط زي ما حصل للأنبياء، بيدفعوا بالله واليقين به، ويزداد بهذا الدفع يقينًا.

وزي ما الصحابة كان بيجي لهم الخواطر السيئة دي، قال: يا رسول الله، إنه يأتي إلينا -يعني إيه- حاجات في أذهاننا، لأن تُسقَط علينا حجارة من السماء أحب إلينا من أن نتكلم بها. قال: «أوجدتم ذلك؟» قالوا: نعم.

قال: «ذاك صريح الإيمان»،

يعني ده دليل إنك مؤمن قوي، لأنك بتكره الخاطر ده وبتدفعه.

ودليل إن الشيطان بيهتم بك أوي وشخصيًا يبقى أنت كويس كون الشيطان إدى لك الاهتمام الكبير ده يبقى إذًا الصحابة نفسهم كان بيجي لهم الخواطر السيئة دي والخواطر دي لما تجيلك ما تخافش الأنبياء كان بيجي لهم الخواطر دي.

الخواطر دي لما تيجي لك بالعكس تطمِّن إنك كويس لأن الشيطان لو يقدر يعمل معك حاجة تانية كان عملها فلما ما قدرش يعمل معك حاجة قعد يشتغل على الخواطر والوسوسة.

علشان كده النبي ﷺ قال لما سمع الصحابة بيقولوا كده: «الحمد لله الذي ردَّ كيده إلى الوسوسة».

يعني هو كان عايز يعمل معك أكتر من كده ما عرفش مش عارف يخليك تنتكس مش عارف يخليك تسيب الطاعة فبدأ يشوِّش عليك بالخواطر السيئة والوسوسة.

فلما يشوِّش عليك بالخواطر السيئة والوسوسة دي اعرف إن ده آخره وإنه مش عارف يعمل معك حاجة فتروح إنت تزود بقى يأسه وإحباطه إنك تروح دافع الخواطر دي وما تسترسلش مع الوسوسة، ما تستجيبْلُوش، ما تعملش بالخاطر ده ما تصدقوش ما تخلّهوش يستقر اطرده، واطرد الوسوسة وفقط.

هييجي لك في عز أزمات المسلمين، يقول لك: فين ربنا؟ إزاي ربنا يرضى باللي بيحصل ده للأطفال؟! فين النصر بقى يا ربنا؟ يبقى الدين غلط؟ يبقى مافيش ربنا؟!

ادفع، ادفع الكلام ده، واقرأ، واتعلَّم، واسمع دروس، هتلاقي نفسك هديت تاني.

ده النوع الأول: إن "ظنّوا" أي أتباع الرسل، اللي هم إيمانهم قوي، أن الرسل قد كُذِّبوا، ولكن يدفعون تلك الخواطر بالثقة بالله سبحانه وتعالى.

<u>الاحتمال الثاني:</u> أن يكون اللي ظنوا دول أتباع رسل ضعاف الإيمان. بقى لما الفتنة زادت عليهم، ظنوا. بس عارف؟ ضعاف الإيمان بقى ممكن يحصل معهم إيه؟ ممكن الظن ده يتحول إلى اعتقاد، ويطلعوا بره بقى.

دول مين دول؟ دولا اللي بيعبدوا الله على حرف وده تحذير إنك تبقى زيهم أوعى تكون بتعبد ربنا على حرف لأن اللي بيعبد ربنا على حرف ده لو جاله دفعة جامدة يطلع بره خالص:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ۚ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ }

زي في يوم الأحزاب ربنا قال على ضعاف الإيمان دول:

{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا}

فـ " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا " يعني ظن أتباع الرسل ضعاف الإيمان أن الرسل قد كُذِّبوا ولكن دول بقى عملوا إيه؟ صدقوا هذا الظن، واستقر عندهم، وعملوا به.

طب إيه حكمة ربنا إن يحصل الظن ده أو الفتنة دي تحصل لضعاف الإيمان؟ إن ربنا يريد أن يُنقِّي الصف ، خاصةً الحاجات دي بتكثر فين؟ لما تكون الدعوة في أولها -

دعوة الرسل كده في الأول- بتشتدّ الفتن دي، لأن الجيل الأولاني ده ما ينفعش يبقى فيه غلطة، لأن الجيل الأولاني ده هيبقى قدوة للي بعديه، وده اللي هيشيل البُنيان بعد كده، وده اللي هيحمل همّ المنهج.

فلابد من تنقية الصف، خاصةً في الأجيال الأولى، فلا مكان لهؤلاء الضعاف.

ضعاف الإيمان، فإما أن تحصل إيمانًا، أو الفتن قد تضرك وإحنا أصلًا في أزمنة استضعاف يعني إحنا نكاد نكون من الأجيال الأولى اللي بتبتدي تحيي الأمة تاني. عشان كده الأمة تُبتلى في كل مكان والفتن بتشتد جدًا وناس بتقع مننا فاعرفوا إن ربنا بينقّي الصف عشان يبقى الكوادر والأعمدة اللي هي دي اللي هتشيل همّ الدعوة الإسلامية في الأجيال القادمة.

الحذر إنك تكون مستهتر بإيمانك أو شايف إن "أنا تمام كده مش محتاج أزود". لازم تزود لأن الفتن بتزيد وربنا بيصطفي في مراحل الاستضعاف مين اللي هيشيل هم الإسلام بعد كده حاول يكون إيمانك دايمًا قوي عشان لو – لا قدّر الله – جت لك الخواطر ما تستقرش، ما تبقاش إنت ضعيف لدرجة إنها تتمكن منك، لكن تعمل زي أتباع الرسل الأقوياء، تدفعها بالثقة بالله، والتوكل عليه سبحانه وتعالى.

يبقى ده معنى: " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا "، لو قلنا "ظنوا" دي عائدة على أتباع الرسل.

فاضل الاحتمال الأخير:

إن ظنوا عائدة على أعداء الرسل اللي هم الكفار بقى نفسهم ودي مفهومة يعني لما البلاء بيشتد والرسل طبعًا كانت بتقول لأعدائهم إن ربنا هينصرنا وحيُمكِّن لنا ما حصلش حاجة فين التمكين اللي أنتم بتقولوا عليه؟ فتأكد هنا بقى – "ظنّوا" بقى ممكن تحمّل معني التأكد – فتأكد الكفار أن المسلمين لن ينتصروا وبالتالي يبقى الرسل دول كذّابين، والرسل دول يعني خَدَعوا، وأن ربهم تخلّى عنهم.

زي ما حصل من أم جميل امرأة أبي لهب لما سيدنا جبريل تأخر على النبي ﷺ تأخر الوحي عليه شوية، فرَاحت تشمت فيه، قالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا قد تركك!

يعني خلاص فين اللي إنت بتقوله؟ وفين الوحي؟ وفين... ما أرى شيطانك إلا قد تركك؟! فربنا أنزل على طول:

{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ} [الضحى: ٣].

وفي الحقيقة إنك لما تشوف الصورة قبل كده بالكامل هو أي فتنة بتيجي الناس لا تخرج عن أي نوع من الأنواع دي:

* إما خواطر بتيجي لواحد مؤمن بيدفعها،

* أو لواحد ضعيف يتأثر بها سلبيًا،

* أو الفتنة دي بتبقى عند الكافرين نفسهم، لما يشوفوا المسلمين مستضعفين.

إيه الحكمة؟ الحكمة في الكافر بتبقى إيه؟ بتبقى فتنة له فتنة له إن المسلمين مستضعفين مع إن معهم الحق بيبقى فتنة، طب أتبع الحق وجماعة الضعفاء؟ ولا أسيب الحق عشان أبقى مع الأقوياء؟ تبقى فتنة له وربنا بيختبره بذلك هل سيختار الحق رغم ضعف أتباعه؟ ولا هيثبت على الباطل عشان قوة أتباعه؟

الحقيقة هي بتبقى تنزل تفتن كما قال تعالى:

{وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا * هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}[الأحزاب: ١٠-١١].

شُفت بقى؟ ده معنى بس لو إحنا اتكلمنا في: "كُذِبوا."

طيب فيه معنى ثاني لو قلنا إيه؟ بتشديد الذال: "كُذِّبوا"، بس دي سهلة، دي تفسيرها سهل – " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا "

دي هيبقى معناها: وظن الرسل أن أتباعهم كذّبوهم وظن أنهم قد كُذِّبوا من أتباعهم يعني الفتنة بتشتد قوي على الرسل، بتصل لمرحلة إنهم بيتصوّروا إن أتباعهم، حتى أقرب الناس ليهم، قَرّبوا خلاص يكذبوهم، قَرّب أتباعهم يكذّبوهم ويقولوا لهم: أنتم كذبتوا علينا! فين النصر اللي أنتم بتقولوا عليه؟

وده فيه معنى خطير جدًا، يعني فيه إن الرسل تصل لمرحلة إنهم يظنوا خلاص إنهم هيبقوا لوحدهم في لحظة ما حدش هيكمّل معهم من شدة الابتلاء ورغم ذلك هم عازمون على المُضي وعازمون على الاستمرار في الطريق إلى الله.

وفيه هنا رسالة لكل شخص بتشتدد الفتن بيحس إنه بقى لوحده، كل الناس بتبيعك، وكل الناس سابتك، وكل الناس تخلت عن القضية... اثبُت! لك في الرسل أُسوة وقدوة.

الرسل وصلوا لمرحلة من الابتلاء ظنّوا أن أتباعهم نفسهم كذّبوهم وإنهم هيتخلّوا عنهم ويبعدوا عنهم ورغم ذلك هم عازمون على المضي في الطريق إلى الله، وعازمون على عدم التخلي عن دعوتهم، حتى لو كانوا لوحدهم. حتى لو كانوا لوحدهم هيكملوا: "أنتَ الجماعة ولو كنت وحدك."

ولكن يعني ده بيبقى ظن الأنبياء، بس هم مش عارفين الموضوع هينتهي على إيه، هم وصلوا لمرحلة بقوا مُشفقين على أتباعهم نفسهم هل هيكملوا معنا؟ ولا هيسيبونا؟

لكن ربنا طبعًا بيعامل الإنسان حسب إيمانه زي ما قلنا أهل الإيمان الأقوياء ربنا بيثبّتهم رغم اشتداد الفتن والضعيف بيخرج من الدائرة.

" وَظَنُّوا أَنَّهُمْ "– ده بقى لو قلنا على معنى إيه؟ " وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا "– هنا بقى ربنا بيوصف في النهاية: المقال بيحصل إيه في اللحظة دي لما نوصل للمرحلة دي بقى اللي هو الدنيا ظلمت أو خلاص ولا يبدو أي بصيص نور:

{جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠]

عشان يتعلق قلبه بالله كل ما يزداد الكرب عندك اعرف إن الفرج قريب وكل ما تتأزم اعرف إن هي هتفرج ومع الصبر جبر ولك في قصة يوسف ويعقوب عِبرة وآية.

ولك في قصة النبي ﷺ لما الدنيا أظلمت في عام الحزن، وماتت خديجة، ومات أبو طالب واشتد البلاء بعديها جاءت بيعة العقبة الأولى والثانية والهجرة إلى المدينة، تمام؟

لما الدنيا كانت أصعب ما يمكن في قصة نوح عليه السلام، دعا ربه:

{أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ . فَفَتَحْنَا أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا}

[القمر: ١٠–١٢].

ولما سيدنا لوط قالها: "وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ " كان خلاص جاب آخره كان هو ده اليوم اللي ربنا فَرَّج إيه؟ فَرَّج الهم عليه.

ولما سيدنا موسى وقف مع قومه أمام البحر قال أصحاب موسى: {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء: ٦١]، كان هو ده اليوم اللي ربنا أغرق فيه فرعون.

حياتك فيها برضوا مشاكل حياتك فيها كُرُبات حياتك فيها صعوبات أحسِن الظن بالله.

{جَآءَهُمْ نَصْرُنَا} تفتح لك الأمل من كل الأبواب، سبحان الله!

{فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ} [يوسف: ١١٠].

لكن إمتى؟ زي ما قلنا: نُحسن الظن بالله لو بنعمل اللي علينا:

{إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ} [يوسف: ٩٠].

هو ده، آه، ده اللي يُحسن الظن بالله، ويبقى فعلاً ظنه بالله أن الدنيا هتنفرج، لأنه بيعمل اللي عليه لكن مش أنا نايم ومتَّكِل ومش بعمل أي حاجة لا بصبر ولا باتقي ومستني بقى! إنما ربنا بيفرّج عن المؤمنين يعني عن المرسلين وعن المؤمنين الطيبين الصالحين.

أما اللي ما يعملش اللي عليه فالفتنة بتوقعه أصلًا ولما يزداد عليه البلاء ربنا يرى، لابد أن "يرى الله خيرًا" يرى مني التقوى يرى الصبر يرى الإحسان، يرى الحب لله رغم كل شيء، يرى الشكوى، دعاءً وتضرُّعًا.

ساعتها أنا أستبشر زي ما استبشر يعقوب بعد الشكوى أن يوسف خلاص سيأتي، وسيراه:

{جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ}

ثم قال تعالى، واتختمت السورة بخلاصة الكلام:

{لَّقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ} [يوسف: ١١١].

" عِبْرَةٌ" دي هي كل اللي أنا قلته من أول السورة لغاية دلوقتي مش ممكن أفسرها إلا إننا نقول: كلمة " عِبْرَةٌ" دي هي كل كلمة اتقالت من أول السورة لغاية دلوقتي. دي العِبر.

شفتوا بقى قصة يوسف عليه السلام عاملة إزاي؟ كم من الفوائد! وكم من العِبر! وكم من القواعد! والصدق! والتقوى! والصبر! وعاقبة المتقين! وسنن ربنا في الكون! وسنن ربنا مع الأنبياء! وعِبر في التوحيد! وفي الولاء والبراء! وفي التعامل مع الله!

الحقيقة مش قادر أُحصِر كلمة "عِبرة" دي في حاجة، وإلا سأظلم السورة لكن بقول لكم: عايز تفهم يعني إيه "عِبرة"؟ كل حاجة قلتها من أول السورة إلى آخرها.

{عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ}

مين اللي هينتفع بها؟ أصحاب العقول.

{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ}

طبعًا! إنما هو من الله! طبعًا مش ممكن كل الكلام ده يكون إلا من الله:

{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ} [يوسف: ١١١].

{تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ}من كتب الأولين لأن القصة دي مصدِّقة لنفس القصة عند اليهود وعند النصارى، يعلمونها ويعرفونها فده دليل على صدق القرآن إنه جاء موافقًا لما عند أهل الكتاب من الحق الذي لم يُحرّف:

{وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].

تفصيل كل شيء: الحلال والحرام، والعبادات القلبية والعقائد والمعاملات وهدًى ورحمة.

بس مين اللي هينتفع في الآخر؟ {قَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

بذلك انتهت هذه السورة الطيبة المباركة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها يا رب، ويجعلها شفيعة لنا يوم القيامة، وأن يتقبل منا هذه السلسلة الطيبة المباركة، وهذه الدورة الطيبة المباركة.

ويا رب تكونوا حفظتم السورة، وانتفعتم بها، ويا رب تكون غيرت في حياتكم.

اكتبوا لي في التعليقات: استفدتم إيه من السورة؟ وغيرت إيه في حياتكم؟

وانشروها وعلِّموها للناس وانقلوا العلم عني بدون استئذان.

واحبّوا سيدنا يوسف أوي.

واحبّوا سيدنا يعقوب أوي.

واسألوا ربنا أن يجمعنا بهم يعني، هتبقى فرحة!

شوف فرحة سيدنا يعقوب لما شاف يوسف؟!

أمّال إحنا فرحتنا تبقى إزاي إذا شفناه في الجنة؟!

الفرحة هتبقى كبيرة بلقاء يوسف عليه السلام وبلقاء الأنبياء وبرؤية رب العالمين سبحانه وتعالى.

اللهم اجمعنا مع النبيين والمرسلين، وتقبل منا يا رب العالمين.

جزاكم الله خيرًا على حسن الاستماع، وحسن المتابعة لهذه الدورة المباركة.

والحمد لله رب العالمين .

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.